



جامعة القاهرة
كلية دارالعلوم
قسم التاريخ الإسلامي
والحضارة الإسلامية

صهاروتاريخهاالسياسيوالحضاري

منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية القرن الرابع الهجري

بحث لنيل درجة الماجستير

مقدم من الباحث

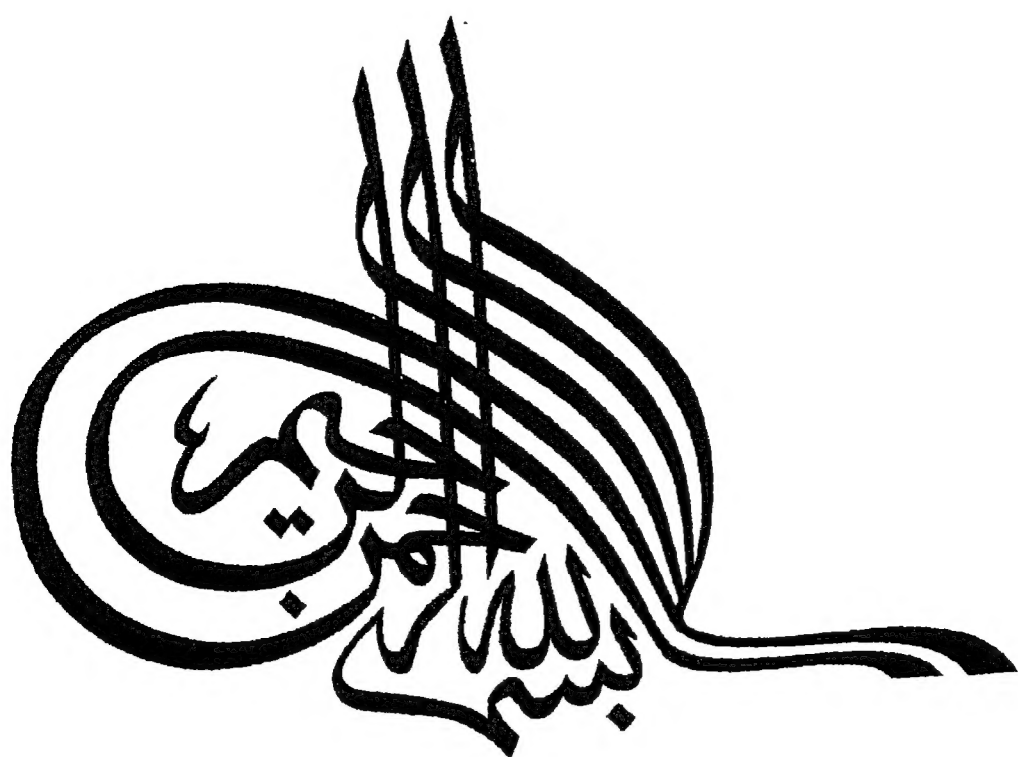
محمد بن ناصر بن راشد المنذري

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن سالم

١٤٢١هـ - / ٢٠٠٠ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى

وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ

وَأُطِيع لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبِّتُ

إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

إهداء

إلى أولئك الأفذاذ الذين شيدوا

مجد وحضارة المسلمين ..

وإلى المخلصين الذين أناروا سبيل

العلم والمعرفة وأقاموا بالاستقامة

العدل والأمن والطمانينة..

وإلى والدي حفظه الله ورعاه

.. ووالدتي طيبه الله ثراها ..

وزوجتي الوفيّة... وأولادي البررة

وإخوتي الأعزاء.. وإلى كل أخ لي

في الله ... أهدي هذا العطاء

الحق فيك

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	مسلسل
أ	الفهرس	١
ط	المقدمة	٢
١	التمهيد	٣
٢	عمان الاسم والموقع	٤
٦	تضاريس عمان	٥
١٠	المناخ	٦
١٣	سكان عمان وإسلامهم وفضلهم	٧
١٧	إسلام بعض أهل عمان	٨
٢٢	فضل أهل عمان	٩
٢٤	صحار : الاسم والموقع	١٠
	الباب الأول :	١١
٣١	صحار منذ الفتح الإسلامي وحتى أواخر القرن الرابع الهجري	
٣٢	الفصل الأول : صحار في العهد النبوي والخلافة الراشدة	١٢
٣٣	المبحث الأول : صحار في العهد النبوي	١٣
٣٥	ملكا عمان والإسلام	١٤
٣٦	صحار تستقبل مبعوثي النبي صلى الله عليه وسلم إليها	١٥
٤٠	صحار وإخراج الفرس من عمان	١٦
٤٢	المبحث الثاني : صحار في عهد الخلفاء الراشدين	١٧
٤٧	صحار في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٨
٤٨	صحار في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه	١٩
٤٩	صحار في عهد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه	٢٠
٥٠	المبحث الثالث : مشاركة صحار في الفتوحات الإسلامية	٢١
٥٢	موقعة جلولاء	٢٢

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٥٦	الفصل الثاني : صحار في العصر الأموي وحتى قيام الإمامة الثانية	٢٣
٥٧	المبحث الأول صحار في العهد الأموي	٢٤
٥٩	النجيدات في عمان	٢٥
٦١	سيطرة الدولة الأموية على عمان	٢٦
٦٦	المبحث الثاني: صحار من بداية العهد العباسي وحتى الإمامة الثانية	٢٧
٦٨	(أ) صحار في عهد الإمامة الأولى	٢٨
٧٠	أولاً : التنظيم السياسي	٣٩
٧٢	ثانياً : التنظيم الإداري	٤٠
٧٢	ثالثاً : التنظيم الاقتصادي	٤١
٧٢	رابعاً : التنظيم العسكري	٤٢
٧٣	خامساً : التوجهات الاجتماعية	٤٣
٧٣	الأخطار التي واجهت الإمامة الأولى	٤٤
٧٥	(ب) صحار من سنة ١٣٤ هـ وحتى قيام الإمامة الثانية	٤٥
٧٩	الفصل الثالث: صحار من قيام الإمامة الثانية حتى نهاية القرن الرابع	٤٦
٨٠	المبحث الأول: قيام الإمامة الثانية وانتقال مركز الحكم إلى نزوى	٤٧
٨٤	المبحث الثاني : صحار في عهد الإمامة الثانية	٤٨
٨٤	عهد الإمام الوارث بن كعب الخروصي	٤٩
٨٦	عهد الإمام غسان بن عبد الله والقضاء على قراصنة البحر	٥٠
٨٨	عهد الإمام عبد الملك بن حميد والقضاء على فئة القدرية والمرجئة	٥١
٨٩	عهد الإمام المهنا بن جيفر والقضاء على فتنة آل الجلندي بصحار	٥٢
٩١	عهد الإمام الصلت من مالك الخروصي	٥٣
٩٣	عهد الإمام راشد بن النظر	٥٤
٩٤	وقعة الروضة	٥٥
٩٦	مقتل موسى بن موسى	٥٦
٩٦	وقعة القاع بصحار	٥٧

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٩٩	المبحث الثالث : صحار وتبعتها للخلافة العباسية الثانية	٥٨
١٠٩	علاقة يوسف بن وجيه بالإمام المنتخب	٥٩
١١٢	يوسف بن وجيه ومحاولة احتلال البصرة	٦٠
١١٤	نهاية يوسف بن وجيه	٦١
١١٦	المحاولة الثانية لاحتلال البصرة	٦٢
١١٧	صحار في عهد بني بويه	٦٣
١١٨	بداية الإنحسار	٦٤
	الباب الثاني :	٦٥
١٢٧	حضارة صحار منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري	٦٦
١٢٨	الفصل الأول : الحياة السياسية والاجتماعية والعمرانية	٦٧
١٢٩	المبحث الأول : الحكم والإدارة في صحار	٦٨
١٣٠	الإمامة في صحار	٦٩
١٣٣	كيفية اختيار الإمام	٧٠
١٣٥	كيفية تنصيب الإمام : أولاً مرحلة الانتخاب والترشيح	٧١
١٣٦	البيعة	٧٢
١٣٧	مسؤولية الإمام — مجلس أهل الحل العقد	٧٣
١٣٨	الوزير	٧٥
١٣٩	الولاية	٧٦
١٤١	القضاء	٧٧
١٤٣	الحسبة	٧٨
١٤٤	الشراة	٧٩
١٤٧	الجيش	٨٠
١٥٢	المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية في صحار	٨١
١٥٢	أجناس المجتمع الصحاري	٨٢
١٥٤	طبقة الحكام والولاية	٨٣

الصفحة	الموضوع	مسلسل
١٥٥	الأئمة	٨٤
١٥٧	الولاية	٨٥
١٥٩	ولاية الدولة الأموية / ولاية الدولة العباسية	٨٦
١٦٣	العلماء	٨٧
١٦٤	التجار	٨٨
١٦٧	الأجراء	٨٩
١٦٨	العبيد والحواري	٩٠
١٧١	المرأة ودورها الأسري والاجتماعي في صحار	٩١
١٧٤	العادات الاجتماعية	٩٢
١٧٦	عادات الأعياد	٩٣
١٧٧	عادات العزاء	٩٤
١٧٨	اللباس	٩٥
١٨٠	الكه — الرداء	٩٦
١٨١	لباس المرأة	٩٧
١٨٣	الأطعمة والأشربة	٩٨
١٨٦	المبحث الثالث : العمران في صحار	٩٩
١٨٦	حصن صحار	١٠٠
١٨٨	جامع صحار	١٠١
١٩٠	البيوت	١٠٢
١٩٣	الخانات	١٠٣
١٩٤	الأفلاج	١٠٤
١٩٧	الطرق	١٠٥
١٩٩	سور صحار	١٠٦
٢٠٠	الفصل الثاني : الحياة الاقتصادية	١٠٧
٢٠١	المبحث الأول : النشاط الزراعي	١٠٨

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٢٠٢	الأراضي الزراعية	١٠٩
٢٠٢	نظام استغلال الأراضي الزراعية	١١٠
٢٠٣	وسائل الري	١١١
٢٠٣	الأفلاج	١١٢
٢٠٣	الآبار	١١٣
٢٠٧	الأودية	١١٤
٢٠٧	وادي الجزي	١١٥
٢٠٧	المحاصيل الزراعية في صحار	١١٦
٢١١	الثروة الحيوانية	١١٧
٢١٣	الثروة البحرية : صيد الأسماك	١١٨
٢١٥	استخراج اللؤلؤ	١١٩
٢١٦	العنبر	١٢٠
٢١٨	المبحث الثاني : النشاط الصناعي	١٢١
٢١٨	صناعة السفن : بناء السفن ولوازمها	١٢٣
٢٢١	صناعة النسيج	١٢٤
٢٢٣	الصناعات المعدنية والصياغة	١٢٥
٢٢٦	صناعة الفخار والزجاج	١٢٦
٢٢٦	صناعة الجرار	١٢٧
٢٢٧	صناعة المنتجات النباتية	١٢٨
٢٢٨	صناعة الحصر — صناعة الأوعية	١٢٩
٢٣٠	المبحث الثالث : الأسواق التجارية	١٣٠
٢٣١	أسواق الطعام	١٣١
٢٣٤	سوق الجواهر والحلي والمعادن	١٣٢
٢٣٤	سوق العطور	١٣٣
٢٣٥	أسواق أخرى	١٣٤
٢٣٦	تنظيم الأسواق ورقابتها	١٣٥

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٢٣٧	الأوزان والمكاييل والمقاييس	١٣٦
٢٣٧	أولاً : الموازين	١٣٧
٢٣٩	ثانياً : المكاييل	١٣٨
٢٤٠	ثالثاً : المقاييس	١٣٩
٢٤١	المبحث الرابع : النظم المالية	١٤٠
٢٤١	المعاملات التجارية	١٤١
٢٤٣	النقود	١٤٢
٢٤٦	موارد الزكاة	١٤٣
٢٤٨	تنظيم جباية الموارد المالية	١٤٤
٢٥٢	المبحث الخامس : التبادل التجاري	١٤٥
٢٧٦	الفصل الثالث : الحياة الدينية والعلمية	١٤٦
٢٧٧	المبحث الأول : الأديان والمذاهب في صحار	١٤٧
٢٧٧	المعتقدات الدينية في صحار قبل الإسلام :	١٤٨
٢٧٧	الوثنية	١٤٩
٢٧٧	المجوسية	١٥٠
٢٧٨	النصرانية	١٥١
٢٧٩	اليهودية	١٥٢
٢٨٠	الإسلام والمذاهب الإسلامية في صحار	١٥٣
٢٨١	المذهب الإباضي	١٥٤
٢٨٥	الفرق بين الإباضية والخوارج	١٥٥
٢٨٩	الإباضية والمذاهب الإسلامية الأخرى	١٥٦
٢٩٢	مؤسس المذهب الإباضي	١٥٧
٢٩٥	المذاهب الإسلامية الأخرى في صحار	١٥٨
٢٩٧	الأفكار الدخيلة على الإسلام في صحار	١٥٩
٣٠١	المبحث الثاني : التعليم في صحار	١٦٠

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٣٠١	المرحلة الأولى : مدارس تعليم القرآن الكريم	١٦١
٣٠٣	المرحلة الثانية : حلقات المساجد	١٦٢
٣٠٧	المبحث الثالث : علماء صحار ونتائجهم	١٦٣
٣٠٧	الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي	١٦٤
٣٠٩	أسرة آل الرحيل	١٦٥
٣١١	العلامة محمد بن محبوب الرحيلي	١٦٦
٣١٤	العلامة بشير بن محمد بن محبوب	١٦٧
٣١٧	الفضل بن جندب	١٦٨
٣١٨	أبو مالك غسان بن محمد الصلاني	١٦٩
٣٢٣	المبحث الرابع : أدباء صحار ونتائجهم العلمي والأدبي	١٧٠
٣٢٥	أدباء عمان — الخليل بن أحمد الفراهيدي	١٧١
٣٢٦	أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمرد	١٧٢
٣٢٦	صحار بن العباس العبدي	١٧٣
٣٢٦	زيد بن صوحان وسيحان بن صوحان	١٧٤
٣٢٩	كعب بن معدان الأشقري	١٧٥
٣٣١	أدباء صحار	١٧٦
٣٣١	بنو الحدان	١٧٧
٣٣٢	أبو حمزة الشاري	١٧٨
٣٣٧	ابن دريد	١٧٩
٣٤١	النتاج العلمي والأدبي لابن دريد	١٨٠
٣٤١	أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصفهاني	١٨١
٣٤٢	الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي	١٨٢
٣٤٢	المسعودي علي بن الحسين بن علي	١٨٣
٣٤٢	أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عبدون	١٨٤
٣٤٣	إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال	١٨٥
٣٤٣	أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي	١٨٦

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٣٤٥	ابن دريد الشاعر	١٨٧
٣٥٠	أبو علي محمد بن زوزان الصحاري	١٨٨
٣٥٢	أبو علي ابزون بن مهبرد الكافي العماني	١٨٩
٣٥٦	العوتي ونتاجه العلمي والأدبي	١٩٠
٣٥٧	كتاب الضياء	١٩١
٣٥٨	كتاب الأنساب	١٩٢
٣٥٩	المبحث الخامس : العلاقات العلمية بين صحار وغيرها من البلاد	١٩٣
٣٥٩	الحجاز	١٩٤
٣٦٤	البصرة	١٩٥
٣٧١	مصر	١٩٦
٣٧٨	المغرب العربي	١٩٧
٣٨٦	خراسان	١٩٨
٣٩٠	المبحث السادس : دور صحار في نشر الإسلام	١٩٩
٣٩١	صحار ودورها في نشر الإسلام في شرق أفريقيا	٢٠٠
٤٠٢	صحار ودورها في نشر الإسلام في شرق وجنوب آسيا	٢٠١
٤٠٢	الهند	٢٠٢
٤٠٧	جزيرة سرنديب	٢٠٣
٤٠٩	الصين	٢٠٤
٤١٦	الخاتمة	٢٠٥
٤٢٠	الخرائط والأشكال التوضيحية	٢٠٦
٤٢٩	ملاحق الرسالة	٢٠٧
٤٣٩	فهرس المصادر والمراجع	٢٠٨

مُقْتَصِدٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

يتناول موضوع البحث دراسة سياسة وحضارة مدينة صحار ، التي قامت بدور مهم في التاريخ الإسلامي العام ، فكانت أهم مدن عمان في الفترة من الفتح الإسلامي وحتى نهاية القرن الرابع الهجري .

ومن أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار تاريخ مدينة صحار السياسي والحضاري أهمية الدور الذي قامت به بحريا وتجاريا ، وأهميتها في تاريخ عمان بشكل خاص وتاريخ الحضارة الإسلامية بشكل عام باعتبارها باب ومنفذ التجارة الإسلامية إلى الصين والهند .

وتكتنف الكتابة عن تاريخ عمان وحضارتها ندرة المعلومات في المصادر العربية التي اعتنت بالجانب السياسي أكثر من اعتنائها بالجوانب الأخرى : الاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، كما ركزت كتب التاريخ العام علي ما كانت تشهده مراكز الخلافة الإسلامية من نشاط ، ولم يولوا البلاد البعيدة الاهتمام الكافي من الدراسة ، وقد يكون للبعد المكاني أثر كبير في ذلك لصعوبة التواصل في تلك الفترة .

ومن هذا يظهر أن دراسة تاريخ عمان من كل جوانبه هي دراسة غير ميسرة فمادتها مبعثرة ومشتتة ، فكيف بالحال إذا كانت الدراسة تتناول جزءا من عمان ؛ فالمسألة ستكون أصعب وأشق علي الباحث الذي يريد أن يسجل تاريخ تلك البلاد ويبين بعض الجوانب الحضارية التي كانت تشهدها تلك البقعة المقصودة بالدراسة .

فصحار -رغم أنها كانت عاصمة عمان السياسية والاقتصادية ومن خلالها دخل الإسلام إلى عمان- لا تحظى إلا بإشارات بسيطة في المصادر قد تجعل الدارسين يحجمون عن تناول تاريخها . إلا أن الباحث رأى أن من الواجب أن يتصدى لهذا

الجانب مهما واجهه من صعوبات شاقة في سبيل ذلك ، فبالعمل الدؤوب والبحث والتقصي في مكونات ما تزخر به المكتبة الإسلامية قد يستطيع الباحث بناء اللبنة الأولى في تاريخ مدن عمان وعواصمها.

وحيث إن صحار- كما أشرنا - كانت العاصمة الأولى لعمان منذ فجر تاريخها الإسلامي فإن البداية بدراسة تاريخها السياسي والحضاري كان هو الأولى ومنه إن شاء الله سيكون المنطلق لدراسة بقية مدن وعواصم عمان من قبل الدارسين والباحثين ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف بذل الباحث قصارى جهده في تقصي تاريخ هذه المدينة في مختلف المصادر والمراجع التي استطاع الحصول عليها من مختلف أماكنها ، فبعض هذه المصادر لم يكن من اليسر الحصول عليها ولا علي المعلومات منها كالمخطوطات العمانية التي تفتقر بعضها إلى الفهارس اللازمة لها مع صعوبة قراءة الخط لتناكل بعض الصفحات فيها.

كما أن الباحث حاول أن يستقصي بعض الموسوعات الفقهية المؤلفة خلال فترة البحث أو بعدها بقليل . وهذه الموسوعات لم يكن من اليسر أن يجد الباحث ضالته فيها ، فهي تحتاج إلى عناء وجهد وصبر وذلك لكبر حجمها وتعدد أجزائها وعدم تحقيقها وفهرستها حيث يصل بعضها إلى اثنين وسبعين جزءا مثل كتاب (بيان الشرع) ، وكتاب (المصنف) الذي يبلغ اثنين وأربعين جزءا، وكتاب (الضياء) وهو أربعة وعشرون جزءا وكتاب (الجامع) لابن جعفر وهو خمسة أجزاء .

وهذه الكتب تعني بالجانب الفقهي ، إلا أنه قد يرد بين مسائلها ما يشير إلى مسائل تتعلق بموضوع البحث خاصة في الجوانب الحضارية حسب ما سيتبين لاحقا . أما كتب التاريخ العام فإنها لم تسجل كثيرا مما كان يحدث في عمان ، والذي سجلته هو فيما يتعلق بمركز الخلافة كدخول الإسلام وتعيين ولاية الخلافة علي عمان وذكر الخلافات والحروب التي كانت بين مركزي الخلافتين الأموية والعباسية من جهة وعمان من جهة أخرى .

بالإضافة إلى ذلك لم يهتم العمانيون أنفسهم بكتابة تاريخ بلادهم ولم يولوه الاهتمام المناسب ، والذي سجل وبقي محفوظا حتى اليوم لا يخرج عن إطار التاريخ السياسي . ومن هذا الشتات في المصادر وبعض ما ورد في المراجع التي تناولت جوانب مختلفة من تاريخ عمان وضع الباحث جهده المتواضع في هذه الرسالة .

وتنقسم الرسالة إلى: مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة ، وتناول التمهيد التعريف بعمان وموقعها الجغرافي وأهمية هذا الموقع ، وموقع صحار وأهميته وتعريفها لغويا وسبب تسميتها بهذا الاسم .

ويستعرض الباب الأول تاريخ صحار السياسي من صدر الإسلام وحتى نهاية القرن الرابع الهجري ، وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول : يتناول الفصل الأول استقبال أهل صحار لدعوة الرسول - صلي الله عليه وسلم - ومبادرة أهلها في الدخول في الإسلام ، ونشرها للإسلام في سائر عمان ، وإسهام أهل صحار في الفتوحات الإسلامية في عهد الراشدين .

والفصل الثاني يتناول صحار في العهد الأموي وقيام الإمامة الأولى فيها والأحداث التي شهدتها من قيام الدولة الأموية وحتى سنة ١٧٧هـ .

أما الفصل الثالث فيشتمل على قيام الإمامة الثانية في عمان سنة ١٧٧هـ وانتقال مركز الحكم من صحار إلى نزوى والأحداث التي شهدتها صحار في ظل الإمامة الثانية حتى سنة ٢٨٠هـ ، ومنذ ذلك التاريخ حتى نهاية القرن الرابع الهجري كانت تبعية صحار للدولة العباسية ، وقد اشتمل الفصل الثالث من الباب الأول على الأحداث السياسية التي حدثت في تلك الفترة والصراعات المختلفة .

أما الباب الثاني فيستعرض التاريخ الحضاري لمدينة صحار ، وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول : اهتم الفصل الأول بنظام الحكم والإدارة في صحار ثم تناول الحياة الاجتماعية والعمرانية ، وأهم فئات المجتمع في صحار ، ورصد أهم مظاهر العمران في صحار مثل المساجد والخانات والبيوت وغير ذلك .

وتناول الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في صحار وفيه وصف للزراعة ومصادر المياه مثل الأفلاج والآبار ، ومشاريع الري ، وأهم المحاصيل الزراعية . أما عن النشاط

الصناعي فتناول العوامل المؤثرة علي الصناعة وأهم الصناعات مثل : صناعة السفن والمنسوجات والصباغة وصناعة السفن ، والصناعات الحديدية والخشبية ، والصناعات الجلدية والدباغة ، ثم عرض للتجارة بنوعيتها : الداخلية والخارجية فتتبع الطرق البرية والبحرية ، ودور الأسواق ، والتجارة الداخلية بين مدن عمان وصحار ، ووسائل التعامل من موازين ومكاييل ومقاييس ، كما تناول أهم طرق التجارة الخارجية البحرية ، والصادرات والواردات.

أما الفصل الثالث والأخير فتناول الحياة الدينية والعلمية في صحار مع عرض بعض المعتقدات الدينية والمذاهب الإسلامية في صحار ، ثم تناول الحياة العلمية وفيه بعض الملامح عن التعليم وعن علماء صحار ونتاجهم وعن أدبائها ونتاجهم . ثم عرض للعلاقات العلمية بين صحار وغيرها من المدن الإسلامية . ثم كان الحديث في خاتمة هذا الفصل عن دور صحار في نشر الإسلام في البلاد التي رحل إليها أهل صحار مهاجرين وتجارا.

ثم ختمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، ثم قائمة بالمصادر والمراجع .

وفي هذا المقام أضرع إلى الله عز وجل بالحمد والثناء أن من علي بإتمام هذا الجهد المتواضع على يد أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور عبد الرحمن سالم الذي بذل الكثير من العناء والجهد ، وضحي بوقته الثمين في الإشراف على هذا العمل رغم مشاغله الكثيرة والملحة ، إلا أنه آثر -جزاه الله خيرا- أن يكون عملي في مقدمة أعماله ، وحظيت بتوجيهاته النيرة ، واغترفت من علمه وخبرته الكثير ، ولا أبالغ إن قلت إن حسنات هذا العمل عائدة إليه ، وكل تقصير راجع إلى ضعفي ، فجزاه الله خير الجزاء وأمد في عمره ، وبارك له في علمه ، وأصلح له ذريته ، وأناله خيري الدنيا والآخرة .

وأتوجه بعظيم شكري وتقديري لمشرفي الأول الأستاذ الدكتور عبد الله محمد جمال الدين الذي تشرفت بإشرافه على عملي هذا وعلى حسن رعايته لي .

ويسعدني أن أتوجه بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي العزيز الأستاذ الدكتور حسن على حسن الأستاذ بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بهذه الكلية العامة ، والأستاذ الدكتور محمد عيسى الحريري أستاذ التاريخ الإسلامي وعميد كلية الآداب بجامعة المنصورة ، وذلك على قبولهما مناقشة هذه الرسالة ، وسيكون لتوجيهاتهما وملاحظتهما خير نبراس لي على تصحيح وإخراج هذا العمل على الوجه الأكمل بإذن الله . ولا يفوتني هنا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى كافة أساتذة قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بهذه الكلية الذين شملوني بحسن رعايتهم ، وأفادوني بفيض علمهم .

كما أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى أعضاء سفارة بلدي الحبيب عمان في القاهرة على ما قدموه لي من عون ورعاية ، وأخص بالشكر والثناء الملحق الثقافي والثقافية وكافة العاملين بها ولأخي العزيز زاهر بن ناصر المسكري الملحق الثقافي عظيم شكري وتقديري على ما أولاني من حسن رعاية وطوقتي بمعرفته وعونه ما أعجز عن الوفاء به ، فله من الله حسن الأجر والثواب ، كما أخص بالشكر أيضا أخي الأستاذ خميس بن أحمد المسافر الملحق الإعلامي الذي لم يأل جهدا في تقلب كل عون لي لإنجاح عملي هذا .

كما أشكر المسؤولين في دار الوثائق والمخطوطات بوزارة التراث القومي والثقافة ، ومكتبة جامعة السلطان قابوس ، ومكتبة السيد محمد بن أحمد ، والمكتبة الإسلامية ، ومكتب تطوير صحار ، على ما قدموه لي من عون ، وسهلوا لي ما أفادني في هذا البحث .

كما أتوجه بشكري الوافر إلى سعادة الشيخ أحمد بن سعود السيابي أمين عام مكتب مفتي عام السلطنة على توجيهاته النيرة ، وما أمدني به من معلومات قيمة . وشكري الجزيل وعظيم امتناني لإخواني الذين أمدوني بالعون والمساعدة والدعم المعنوي طوال فترة البحث وأخص منهم أخي الدكتور طالب السالمي ، وعبد الله الرحي ، وأخي الدكتور يحيى ، وشيخي فتحي شحاتة و نجله هشام . والشكر موصول إلى كل من قدم لي عوناً أفادني في دراستي هذه ولو بكلمة استفدت منها .

وختام اعترافي بالجميل الخالص لسيدي الوالد الذي أمدني بحسن دعائه
ورضائه، ولزوجتي العزيزة التي تحملت حسن رعاية الأبناء ، ولأخوتي عبد الوهاب و
خلفان وكافة إخوتي الذين كان لتشجيعهم وفيض معرفتهم أثر بالغ في إنجاح عملي
هذا ، وأسأل الله أن يجزي الجميع عني حسن الثواب وجزيل الإنعام ، إنه سميع مجيب
الدعاء .

حول مصادر البحث وأهم مراجعه

أولاً : المصادر

اعتمد الباحث علي مصادر محلية وأخري عامة تناولت بعض الجوانب من تاريخ صحار السياسي والحضاري هي :

أولاً : المصادر المحلية :

(أ) مصادر تاريخية:

كتاب الأنساب لسلمه بن مسلم العوتي الصحاري (من علماء القرن الخامس الهجري) :

هذا الكتاب يعد عمدة كتب التاريخ المحلية في عمان رغم أن موضوعه العام أنساب القبائل العربية ، ويتناول بالتفصيل القبائل العربية التي استقرت في عمان ، وأثناء ذكر هذه القبائل يتحدث المؤلف عن الأحداث التي ساهمت فيها تلك القبائل سواء أكانت أحداثاً محلية أم خارجية مبيناً أهم الشخصيات البارزة التي كان لها دور في ذلك.

وأورد العوتي العديد من الأحداث المتصلة بتاريخ صحار قبل الإسلام وبعده، ومن ذلك دخول الإسلام إلي صحار واستقبال ملكي عمان لرسول النبي (صلي الله عليه وسلم) وذكر الصراع الذي حدث بين العمانيين والفرس عندما رفض الأخيرون اعتناق دين الله عز وجل، وانتهي ذلك الصراع بخروج الفرس من عمان. كما ذكر العوتي أخبار وفود القبائل العمانية إلي النبي صلي الله عليه وسلم ، وذكر أحداث حملة عثمان بن أبي العاص في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلي بلاد فلوس ومشاركته في الفتوحات الإسلامية بجيوش انطلقت من صحار وكان للعمانيين إسهام كبير في الحملات البحرية منذ عهد الفاروق , كما يعد كتاب الإنساب مصدراً مهماً في بعض جوانب حياة عدد من أعلام صحار كابن دريد ، وأبي حمزة الشاري وغيرهما.

كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة لسرحان بن سعيد الإزكوي العماني :

ألف هذا الكتاب في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري ، وهو كتاب جامع يعنى بتاريخ المذهب الإباضي وإن كان المؤلف ضمنه تاريخ العرب قبل الإسلام ، إلا أن الغرض الأهم الذي قصد إليه المؤلف هو الدعوة إلى مذهبه ودفع الشبهات عنه والدليل علي ذلك قوله: " .. فصنفت هذا الكتاب وجعلت ظاهره في القصص والأخبار وباطنه في المذهب المختار .. عسى أنهم لأصول المذهب يعرفون ولأهل الحق بالحق يعترفون ... " .

وقد عني بهذا الكتاب عدد من الدارسين وترجم إلى الإنجليزية إلا أن أهم المحاولات التي تعيننا هنا ما قام به عبد المجيد القيسى حيث فصل المادة التاريخية من الكتاب وقام بتحقيقها وسماه ,, تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة "الجامع لأخبار الأمة" ، كما قام أيضا الدكتور أحمد العبيدلى بتحقيق المادة التاريخية في الكتاب. وقد استفدت من كتاب كشف الغمة فيما أورده من أخبار جرت في عمان، وكان لصحار إسهام فيها مثل محاولات الحجاج إخضاع عمان تحت سلطة الخلافة الأموية وأخبار عمال بني أمية في عمان وإمامة الإمام الجلندي بن مسعود وقيام الإمامة الثانية وانتهائها في القرن الثالث الهجري تحت وطأة الجيوش العباسية إلى غير ذلك من أخبار .

(ب) السير العمانية :

وهو نمط من التأليف انفرد به العمانيون . وأغلب هذه السير تعالج قضايا فكرية عقائدية وسياسية وفيها بعض الجوانب التاريخية والحضارية . وبدأ هذا النمط من التأليف في أواخر القرن الأول الهجري وازدهر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة في عمان بطبع عدد كبير من هذه السير وحققها الدكتورة / سيدة إسماعيل كاشف واستفدت من العديد من هذه السير في مواضع شتى من البحث ومن أهم تلك السير :

- سيرة منير بن النير الجعلاني (من علماء القرن الثاني الهجري) .

- سيرة محبوب بن الرحيل (من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين) .
- سيرة محمد بن محبوب (من علماء القرن الثالث الهجري) .
- سيرة ابن هشام بن غيلان (من علماء القرن الثالث الهجري) .
- سيرة ابن الحواري (من علماء القرن الثالث الهجري) .
- سيرة أبي المؤثر الصلت بن خميس الخروصي (من علماء القرن الثالث الهجري).
- سيرة أبي الحسن البسيوي (من علماء القرن الرابع الهجري) .
- سيرة أبي قحطان خالد بن قحطان (من علماء القرن الرابع الهجري) .

وتعد هذا السير من المصادر الأصيلة لمعاصرة مؤلفيها لفترة البحث ، ففي سيرة العلامة الجعلائي وردت أخبار عن الإمامة الأولى التي عقدت في صحار ؛ وتحدث عن تلك الإمامة وما كان فيها من تطبيق شرع الله عز وجل . كذلك أورد العلامة هاشم بن غيلان في سيرته للإمام عبد الملك بن حميد (٢٠٧-٢٢٦ هـ) ما كان يجري في صحار من صراعات فكرية . كما نقلت إلينا هذه السير أخبار الخنة التي مرت بها صحار في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري ، وكان لصحار دور بارز في تلك الأحداث . هذا بالإضافة إلى ما أظهرته هذه السير عن الحياة الفكرية والعلمية والاجتماعية التي شهدتها عمان خلال فترة الدراسة .

(ج) الجوامع الفقهية :

ازدهرت حركة التأليف في العلوم الدينية في عمان في القرن الثالث الهجري وما تلاه من قرون ، ومع أن هذه المؤلفات في علوم العقيدة والفقه فقد اشتملت على جوانب تاريخية ، وهي لهذا تعد من المصادر الضرورية لكل الدارسين في التاريخ العماني ، وقد استقت من مادتها الكتب التاريخية التي ألقت في أزمنة لاحقة لها . كما أننا نستطيع القول بأنها انفردت بذكر بعض الجوانب الحضارية التي لا تكاد توجد في سواها مثل العادات والتقاليد في الزواج و تربية الأبناء ومعاملة العبيد والإماء ومظاهر الاحتفالات . وفي القضايا الاقتصادية وردت إشارات كثيرة إلى طرق المعاملات المالية

المنتشرة في صحار وغيرها في تلك الفترة ، هذا فضلا عما أوردته هذه الجوامع من قضايا تتعلق بالجانب السياسي مثل اختيار الأئمة وتنصيبهم وتعيين الولاية والقضاة وبيان مكانة العلماء في النظام السياسي الإباضي .

ومن تلك الكتب التي استفدت منها ورجعت إليها خاصة فيما يتعلق بالجانب الحضاري :

- كتاب جامع ابن جعفر :

. ألف في القرن الثالث الهجري ويقع في خمسة مجلدات وأشار إلي العديد من المسائل المتعلقة بحياة الناس في صحار وما يتصل بالشئون الاجتماعية والاقتصادية .

- كتاب الضياء للعوتي :

يقع الكتاب في أربعة وعشرين مجلدا ، وهو كتاب عقائدي فقهي لغوي ألف في القرن الخامس الهجري ، ومؤلف الكتاب من صحار نفسها ، ويزخر الكتاب بالعديد من القضايا والمسائل الحضارية وما كانت تشهده الحياة في صحار .

- كتاب التقييد لابن بركة :

أهمية هذا الكتاب تكمن في أن المؤلف (وهو من علماء القرن الرابع الهجري) جمع فيه مسائل عن شيوخه الصحاريين كالإمام أبي القاسم سعيد بن عبد الله بن محمد الرحيلي والعلامة أبي مالك الصلافي من علماء القرن الرابع الهجري . ويوضح الكثير من هذه المسائل ما كان سائدا في صحار في تلك الفترة من قضايا اجتماعية واقتصادية وفكرية . وهذا الكتاب رغم أهميته إلا أنه لا يزال مخطوطا ، ونسخته الأصلية الوحيدة توجد في مكتبة الإمام السالمي بولاية بديّة بالمنطقة الشرقية من عمان وتوجد صور منه في عدة مكتبات بعمان .

- كتاب بيان الشرع :

. مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن إبراهيم الكندي التزوي من علماء القرن السادس الهجري ، ويقع هذا الكتاب في اثنين وسبعين مجلدا طبع أغلبه . وهذا الكتاب جامع لكثير من العلوم العقائدية والفقهية وزاخر بالأخبار التاريخية التي جرت في عمان

منذ ظهور الإسلام حتى القرن السادس الهجري . وقد استفدت منه خاصة في أحداث فترة الإمامة الأولى والثانية في عمان خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين .

كما أن الكتاب حافل بالمسائل ذات المدلولات الحضارية فكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية . وقد استفدت من هذا خاصة فيما يتعلق بالنظام السياسي للإمامة في عمان وأيضاً في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية .

—كتاب المصنف:

مؤلفه أحمد بن عبد الله الكندي النزوي من علماء القرن السادس الهجري ؛ ويقع الكتاب في اثنين وأربعين مجلداً وهو قريب جداً من سابقه في محتوياته وعرضه وأسلوبه واستفدت منه أيضاً في نفس المجالات السابقة .

ثانياً : المصادر التاريخية العامة .

هناك العديد من المصادر التاريخية العامة التي استفدت منها وأهم تلك المصادر يأتي الطبري (المتوفى ٣١٠هـ) ، ثم تاريخ ابن خياط (المتوفى ٢٤٠هـ) ، وكتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت ٢٧٩هـ) ، وتاريخ اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) ، ومروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٠هـ) ، وكتاب الكامل لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، حيث أورد هؤلاء المؤرخون مادة قيمة عن تاريخ عمان منذ دخول الإسلام وعصر الراشدين ، وحتى العهدين الأموي والعباسي ، ففي الطبري نجد أخبار انتشار الإسلام في عمان وأسماء بعض الولاة الذين تم تعيينهم في عهد الخلفاء الراشدين ، وأخبار حملات الحجاج علي عمان وإخضاعها لسلطة بني أمية إلي غير ذلك من الأحداث .

وأشار ابن خياط إلي العمانيين الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية بالإضافة إلي حديثه عن الحملات التي تعرضت لها عمان من قبل الحجاج وعرفنا بالعديد من الولاة الذين تعاقبوا علي عمان في القرنين الأول والثاني الهجريين .

أما البلاذري فإنه أورد خبر إسلام أهل عمان وخبر رسل النبي صلي الله عليه وسلم إليها وذكر إسهام العمانيين في الفتوحات الإسلامية وذكر معلومات مختصرة

عن السكان والأحوال الاقتصادية ولكنها على اختصارها تحوي معلومات قيمة . وقد نقل ياقوت الحموي كثيرا مما أورده البلاذري عن عمان .

أما اليعقوبي ، فإنه أورد معلومات مختصرة عن عمان . أما صاحب مـروج الذهب فإنه يتميز بالإضافة إلى ما ذكر بأنه أورد معلومات جغرافية مهمة عن صحار وعن الملاحة والتجارة مع شرق أفريقيا والهند والشرق الأقصى ، وكانت مشاهداته الشخصية خير دليل على ما نقل من أحداث القرن الرابع التي كانت بعمان وإسهام صحار في ذلك . وقد كان ابن الأثير أكثر توسعا في رصد تلك الأحداث و بعض أخباره نقلها عن صاحب "تجارب الأمم" أحمد بن محمد مسكويه (ت ٤٢١هـ —) خاصة فيما يتعلق بحملات البويهيين ومحاولاتهم الدائمة للسيطرة على عمان ، وكلنت صحار هي قلب تلك الأحداث حسب ما شرحناه في موضعه . ورغم ما أورده تلك المصادر من معلومات عن عمان إلا أنها تبقى غير كافية لرسم صورة متكاملة عن تاريخ صحار.

ثالثا : كتب التراجم والسير .

عضدت كتب التراجم والسير ما ورد في كتب التاريخ ؛ ففيها معلومات قيمة عن إسلام أهل عمان ورسائل الرسول صلى الله عليه وسلم ووفود القبائل العمانية ومن بينها وفود من صحار ، كما أن بعض هذه الكتب بها معلومات إدارية وإشادات أخرى إلى ما كانت تشتهر به صحار مثل صناعة النسيج وذلك من خلال ذكرها لملابس النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم . إلا أن هذه المعلومات قليلة ومشتتة ؛ إذ أن كتب التراجم تعنى عادة برجال الحديث ، والعماونيون لم يكن لهم إسهام كبير في هذا المجال إذا ما استثنينا الإمام جابر بن زيد والإمام الربيع بن حبيب وغيرهما من علماء النصف الأخير من القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني الهجريين .

ومن أهم كتب التراجم التي استفدت منها : كتاب (الطبقات) لابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، وكتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، إلا أن أكثر كتب التراجم إفادة لي هو كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥ هـ) لأن هذا الكتاب هو الأوسع والأشمل والأكثر تفصيلا من غيره من الكتب .

وهناك كتب تناولت تراجم وسير العلماء والأدباء استفدت منها أيضا مثل كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) وكتاب (معجم الأدباء) للحموي (ت ٦٢٦ هـ) . ومن أهم المصادر الإباضية التي عنيت بتراجم الأعلام كتاب (الطبقات) للدرجيني الذي عاش في القرن السابع الهجري وكتاب (السير) للشماخي (ت ٩٢٨ هـ) . وقد استفدت من هذين الكتابين استفادة جمّة من خلال ترجمتهم لبعض أعلام عمان خاصة الذين عاشوا في القرنين الأول والثاني الهجريين ، ومصدر هذين الكتابين في معرفة أولئك العلماء هو كتاب السير المفقود لعلامة صحار محبوب بن الرحيل من علماء النصف الأخير من القرن الثاني الهجري .

رابعاً : كتبه الأنساب :

أوردت بعض كتب الأنساب معلومات تخص عمان وأهلها ورغم أن هذه المعلومات أغلبها اقتصر على العهود الإسلامية الأولى خاصة القرن الأول الهجري . ومن أهم هذه الكتب (جمهرة النسب) لأبن الكلي (ت ٢٠٤ هـ) وفيه تفاصيل مهمة عن القبائل العمانية وعشائرها . ومن الكتب التي استفدت منها كتاب علامة صحار ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) (الاشتقاق) ، وابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه (جمهرة أنساب العرب) ، هذا بالإضافة إلى ما أورده عن كتاب الأنساب للعوتبي .

خامساً : كتب الجغرافية والرحلات

كانت لصحار أهمية خاصة في المصادر الجغرافية حيث ذكرت أحوال صحار الاقتصادية ونشاط أهلها الملاحى والتجاري ووصفت بعض تلك الكتب المراكب العمانية التي كانت تنطلق من صحار شرقا وغربا وألح بعضها إلى ما كان يدور في أسواقها من تعامل وما يدور في حياتها من بعض العادات والتقاليد السائدة خلال فترة هذه الدراسة ، فأفدت مما كتبه هؤلاء الجغرافيون والرحالة خاصة في الباب الحضاري. وأكثر ما كانت الفائدة عند الحديث عن الحياة الاقتصادية رغم أن ما كتبه هؤلاء جميعهم لا يتعدى أسطرا قليلة ومادة متفرقة .

ومن أهم تلك المصادر الجغرافية كتاب (أخبار الصين والهند) لسليمان التاجر والسيرافي الذين عاشا في القرن الثالث الهجري ، وكتاب (مختصر البلدان) للهمداني ، وكتاب (الأعلاق النفيسة) لابن رسته الذي كان حيا سنة (٢٩٠ هـ) ، (وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي (ت ٣٧٥ هـ) ، و(المسالك والممالك) للبكري (ت ٤٨٧ هـ) ، وكتاب (معجم البلدان) للحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، وكتاب (نزهة المشتاق) للإدرسي (ت ٥٦٠ هـ) .

سادساً : كتب الأدب

أوردت المصادر الأدبية معلومات قيمة عن أدباء صحار حيث رسم بعضها لنا صورة لحياة بعض وجهاء صحار مما أفادني في الحديث عن حياة هذه الفئة من خلال فصل الحياة الاجتماعية حيث انفرد بذلك التنوخي (ت ٣٩٤ هـ) ، في كتابه (نشوار المحاضرة) عند ذكره بعض الأخبار عن يوسف بن وجيه مؤسس حكم أسرة بني وجيه في صحار ، وأورد الأصفهاني صاحب كتاب (الأغاني) أخبار أبي حمزة الشاري أحد أدباء صحار وقادتها المشهورين وأورد خطبه الشهيرة ، أما الباخريزي (ت ٤٦٧ هـ)

صاحب كتاب (دمية القصر) فإنه انفرد بذكر معلومات عن الشاعر (أبو علي الكافي) الذي عرفته مجالس أمراء بني مكرم في صحار ، وأورد نماذج قيمة من شعره أما القلقشندي (ت ٩٢١ هـ) صاحب كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) فإنه أورد معلومات مفيدة عن صادرات عمان كالأحجار الكريمة واللؤلؤ وغير ذلك . وفي كتاب الجاحظ (ت ٢٥٦ هـ) (البيان والتبيين) معلومات عن بعض أدباء عمان وخطبائها وبعضهم كان من صحار . واستفدت من كتب الجاحظ الأخرى كالتبصر بالتجارة الذي أورد فيه مادة عن السلع التجارية والأسواق العمانية وهي على قلتها ذات أهمية .

ثانيا : أهم المراجع

هذه هي أهم المصادر التي استفدت منها . وهناك مراجع كثيرة بعضها لا يقل أهمية في الاستفادة منها عن تلك المصادر . وعلى رأس قائمة هذه المراجع يأتي كتاب (تحفة الأعيان) للسالمي (ت ١٣٣٢ هـ) ، ويعد هذا الكتاب المرجع الأكثر شمولاً وتفصيلاً في تاريخ عمان حيث جمع الكثير من المعلومات والأخبار عن تاريخ عمان منذ العهد الإسلامي وحتى تاريخ حياته . واستطاع الإمام السالمي أن يجمع تاريخ عمان حسب ما توفر لديه من شتات المصادر المتفرقة والمختلفة وبعضها الآن أصبح في عداد المفقود ، فلذا يمثل هذا الكتاب أهم المراجع لكل الدارسين للتاريخ العماني ، وقد استفدت من هذا الكتاب في أغلب فصول هذه الرسالة .

ومن المراجع المهمة التي استفدت منها كتاب (إنحاف الأعيان) للشيخ سيف بن حمود البطاشي الذي فقدته الساحة العلمية العمانية العام الماضي ١٤٠٢ هـ / ١٩٩٩ م. ويعد هذا الكتاب من أجل مؤلفاته حيث نفّض الغبار عن تراجم الكثير من أعلام عمان منذ العهد النبوي الكريم حتى العصر الحديث ، وقد بذل في سبيل تحقيق هذا العمل الجليل الكثير من العناء وأصبح هذا الكتاب المرجع الأول

في تراجم أعلام عمان الذي لا يستغني عنه كل الدراسين لتاريخ عمان وحضارتها .
وهناك العديد من الدراسات الحديثة التي تناولت مواضيع شتى في تاريخ عملن
السياسي والحضاري اقتصاديا واجتماعيا وفكريا . ورغم كثرة هذه الدراسات إلا أن
صحار كان لها حظ ضئيل في بيان أهميتها . والذين أشاروا إلى ذلك لم يتعدوا الجلب
الاقتصادي الذي اشتهرت به صحار في سطور قليلة . ومن الدراسات التي اهتمت
بصحار دراسات الأثريين الأجانب مثل اندرو ويليامسون الذي ألف كتابا عن صحار
تحت عنوان (صحار عبر التاريخ) ، ودراسة أخرى للدكتور جون ويلكنسون تحت
عنوان (صحار تاريخ وحضارة) . وقد حاول هذان الباحثان الربط بين ما دلت عليه
الآثار وما روى عن عظمة صحار من خلال ذكرها في كتب الجغرافيين والرحالة
العرب ، وتمثل هاتان الدراستان البداية في دراسة هذه المدينة إلا أنهما مختصرتان وكل
ما فيهما عبارة عن إشارات مقتضبة عن تاريخ هذه المدينة . وقد استفدت منهما ومن
غيرهما من مقالات الأثريين بما يعضد القول عن حضارة صحار وما شهدته من رقي
وازدهار خلال فترة هذه الدراسة .

ومن الدراسات الحديثة التي استفدت منها دراسة للأستاذ زايد بن سليمان
الجهضي بعنوان (حياة عمان الفكرية حتى سنة ١٣٢ هـ) . ومن خلال ذكره
لأدباء وعلماء عمان في تلك الفترة ذكر أدباء صحار ، وكان أبو حمزة الشاري من
الأدباء الذين أهتم بدراسة نتاجهم الأدبي فجمع خطب أبي حمزة ووثقها وحللها وبين
ما فيها من إبداع بياني وبلاغي ، بالإضافة إلى أن هذه الدراسة تناولت ذكر القبائل
العمانية ودخول الإسلام إلى عمان .

ومن الدراسات الحديثة أيضاً كتاب: (الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة
التميمي وفقهه) للدكتور مبارك بن عبد الله الراشدي . وقد تناولت هذه الدراسة
العديد من الجوانب في حياة هذا الإمام ومنها على سبيل المثال العلماء الذين تخرجوا
من مدرسة الإمام أبي عبيدة ومنهم أبناء صحار كالإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي
ومحبوب بن الرحيل وغيرهما ومن ذكر هؤلاء العلماء الذين تلقوا العلم في البصرة على

يد الإمام يتضح جانب من جوانب العلاقة العلمية التي تربط علماء صحار بغيرهم من العلماء في العالم الإسلامي كالمغرب العربي ومصر و خراسان وحضرموت . وقد أفدت من ذلك في مبحث العلاقات العلمية التي تربط صحار بغيرها من مدن العالم الإسلامي .

ومن الدراسات التي تناولت الجانب الحضاري في تاريخ عمان وأشارت إلى مكانة صحار الحضارية ومثلت أهمية لهذا البحث كتاب (التاريخ الحضاري لعمان منذ القرن الرابع وحتى القرن السادس الهجري دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية) لعلي بن حسن بن خميس ، و (عمان في العصور الإسلامية الأولى ، ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي في الملاحة والتجارة الإسلامية) للدكتور عبد الرحمن عبد الكريم العاني ، وكانت أكثر استفادتي من هاتين الدراستين تتمثل في الجانب الاقتصادي حيث أرشداني إلى عدد من المصادر المهمة في هذا الجانب .

ومن المراجع المهمة لهذه الدراسة أيضا كتاب (جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار) للشيخ سعيد بن علي المغيري وقام الدكتور عبد الرحمن سالم بتلخيص الكتاب وعمل الفهارس التي تعين الباحثين على سهولة البحث عن المادة التي يريدها الباحث من الكتاب . ورغم أن الكتاب يتناول تاريخ زنجبار وتاريخ العرب في شرق أفريقيا في فترة لاحقة لفترة الدراسة وحتى العصر الحديث إلا أنه أشار بشكل مختصر إلى وجود العمانيين منذ القدم ، وإقامتهم إمارات هناك وتوغلهم في أفريقيا ، وذكر أمثلة على ذلك مما أفادني عند الحديث عن دور صحار في نشر الإسلام هناك وعن مدى الترابط القائم بين صحار وتلك البلاد . وهناك مراجع كثيرة تناولت جوانب شتى في تاريخ عمان وحضارتها استفدت منها بالإضافة إلى بحوث وندوات ومقالات متفرقة تناولت مواضيع مختلفة في الجوانب التاريخية والحضارية لعمان ، ومن بين تلك البحوث التي استفدت منها بحث للأستاذ الدكتور أحمد شلي-رحمه الله- تحت عنوان (عمان في التاريخ من أقدم العصور حتى الآن) . وقد قدم هذا البحث لندوة الدراسات

العمانية التي انعقدت في مسقط سنة ١٤٠٠هـ نوفمبر ١٩٨٠ م ونشر ضمن حصاد هذه الندوة ، وتناول الدكتور شلي في بحثه الكثير من الجوانب المهمة في تاريخ عمان وحضارتها ، ورغم طول فترة البحث وتركيزه على الجوانب المهمة كالاقتصاد عمان ، و عمان والمذهب الإباضي ، وعصور الحكم في عمان عبر التاريخ الإسلامي إلى غير ذلك من الجوانب الحضارية .

ومن المحاضرات المهمة التي استفدت منها محاضرة سماحة العلامة أحمد بن حمد الخليلي مفتي سلطنة عمان تحت عنوان : (صحار ومكانتها التاريخية) ، ألقاها في صحار عام التراث العماني سنة ١٩٩٤ بين فيها الأهمية التاريخية لمدينة صحار وذكر دورها الفاعل في تاريخ عمان وإسهاماتها الفكرية : علمية وأدبية من خلال عطاء علمائها وأدبائها . ورغم أن ذلك كان بصورة إجمالية وسريعة إلا أني استفدت منها ما أعاني في معرفة بعض أعلام صحار كاسرة آل الرحيل وغيرهم .

ومن المراجع المهمة التي أفدت منها أيضا كتاب: (عمان في التاريخ) شارك في إعداد مادته كثير من علماء التاريخ والحضارة الإسلامية في الجامعات العربية والإسلامية . ومادة الكتاب قيمة لكل الباحثين والدارسين في تاريخ عمان وحضارتها منذ القلم وحتى العهد الحاضر، وكانت استفادتي منه تتمثل في جانبي هذه الرسالة : السياسي والحضاري رغم عمومية مادته . ومن بين ما تناوله هذا الكتاب عواصم عمان ، وكانت صحار في مقدمة تلك العواصم ، ولكن جاء ذكرها مختصراً جداً والحديث فيه مركزاً على ما أورده بعض المصادر . وأخيراً لا يفوتني ذكر إفادتي من بعض المختصين والمهتمين بالتاريخ العماني، وأخص منهم بالذكر الشيخ أحمد بن سعود السيابي الذي أفادني كثيراً بعلمه الواسع وتحليلاته الطيبة في بعض الجوانب التاريخية .

مکملہ

نتناول في هذا التمهيد نقاطا ثلاث أساسية : النقطة الأولى تدور حول اسم عمان وموقعها ، والثانية حول سكان عمان وإسلامهم وفضلهم ، والثالثة حول اسم صحار وموقعها.

أولا : عُمان : الاسم والموقع .

الاسم : عمان بضم أوله وفتح ثانيه ثم ألف بعدها نون . وقد أطلقت العرب هذا الاسم على تلك المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية ، والتي تطل على بحر العرب وخليج عمان والخليج العربي . والمعنى اللغوي لاسم عمان مشتق من فعل عَمَنَ على وزن فعل حيث يقال : عمن بالمكان أقام به^(١) ، وتورد مصادر أخرى روايات عديدة في تفسير هذا الاسم ، وكلها تدور حول أماكن أو شخصيات أراد العرب أن يخلدوا ذكرها ، فأطلقوا اسمها على هذا البلد ، فالعوتبي في الأنساب يذكر أن الأزدي أطلقت اسم عمان تيمنا بواد لهم بمأرب حيث شبهوها به^(٢) . أما ياقوت الحموي وابن خلدون والبكري والقلقشندي فإنهم يربطون هذه التسمية بشخصيات كان لها دور في بناء عمان^(٣) ، وكل التعليقات التي أوردتها المصادر حول سبب تسمية هذه البلاد بهذا الاسم توحي أن الهجرات العربية إليها كانت مغللة في القدم .

وقد عرفت عمان بأسماء أخرى مثل "مزون"^(٤) . والفرس هم الذين أطلقوا هذا

(١) ابن دريد : جمهرة اللغة ج ٣ ص ١٤٢ .

(٢) مسلمة بن مسلم العوتبي الصحاري : الأنساب إصدار : وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان مسقط ج ٢ ص ٢٠٥ ط ٤ : ١٩٩٤/٤/٥ .

(٣) انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ١٥٠ دار صادر بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٥ ، ابن خلدون : تاريخه : ج ٢ ص ٥٥ دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٤١٣ هـ — ١٩٩٢ م ، القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٥ ص ٥٥ دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٢ م ، البكري : المسالك والممالك ج ٣ ص ٩٧٠ . حققه وضبطه مصطفى السقا . عالم الكتب . بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

(٤) العوتبي : الأنساب ص ٢٠٧ ، ولزيد من الفائدة يقول العوتبي : تسمى عمان بالفارسية مزونا وفيها يقول بعض شعراء العرب : إن كسرى سمى عمان مزونا .:: ومزون يا صاح خير بلاد بلدة ذات مزرع ونخيل .:: ومراع ومشرب غير صاد

الاسم حيث أورد ذلك العوتي ، ونقل عنه المؤرخون العمانيون الذين جاءوا بعده^(١).
أما الدكتور شلي^(٢) فله رأى آخر في تحليل كلمة "مزون" حيث يرى أن اسم
مزون مأخوذ من المزن العربية وهي تعني انهمار المياه وتدفقها ، ولعل ذلك راجع إلى
ما تمتاز به عمان من هطول الأمطار وكثرة الأفلاج^(٣)، والعيون المائية المنتشرة في
أرجاء عمان .

ومن الأسماء الدالة على قدم الحضارة العمانية اسم "مجان"^(٤) الذي أطلقه عليها
السومريون وغيرهم من أصحاب الحضارات التي قامت في بلاد ما بين النهرين حيث
كانت السفن العمانية تجوب تلك المناطق محملة بالبضائع التجارية ، وأشهر تلك
البضائع كان النحاس المستخرج والمصنع في عمان كما ورد في النقوش المسمارية^(٥).
الموقع :

تحتل عمان ركنا متميزا حيث تقع في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية،
وهي تطل على بحر العرب وخليج عمان والخليج العربي بطول ١٧٠٠ كم ، وبها آخر

(١) لمؤلف مجهول : تاريخ أهل عمان . تحقيق وشرح د. سعيد عبد الفتاح عاشور. الناشر وزارة التراث
القومي والثقافة مسقط الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م ص ٢٥ ، سرحان بن سعيد الإزكوي : تاريخ
عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، حققه عبد المجيد حسيب القيسي . الناشر دار
الدراسات الخليجية ص ٣ .

(٢) د. أحمد شلي : عمان في التاريخ من أقدم العصور حتى الآن . بحث مقدم إلى ندوة الدراسات العمانية
سنة ١٩٨٠ م . انظر حصاد ندوة الدراسات العمانية المجلد الأول ص ٢٠ . الناشر وزارة التراث القومي
والثقافة.

(٣) والأفلاج : جمع فلج . والفلاج لغة بمعنى النهر وقيل النهر الصغير وقيل الماء من العين أو هو الساقية وقيل هو الماء الجاري
، قال امرؤ القيس : بعيني ظعن الحي لما تحملوا .:: لدى جانب الأفلاج من جنب تيمرا
انظر : ابن منظور : لسان العرب دار صادر ط ١ / ١٩٩٧م مادة فلج ج ٥ ص ١٥٤ ، في فصل الحياة الاقتصادية من
هذا البحث سيجد القارئ شيئا من التفصيل عن الأفلاج في صحار ونظام الأفلاج في عمان وكيفية توزيع مياهها .

(٤) كلمة "مجان" تألف من شقين في العلامات المسمارية التي كتبت بها هذه الكلمة "ما" تعني سفينة و
"جان" تعني هيكل ؛ فالاسم كاملا يعني هيكل السفينة ، وهذا يدل على شهرة عمان في تلك الحقبة
بصناعة السفن .انظر مجموعة من الباحثين : عمان في التاريخ. إصدار وزارة الإعلام سلطنة عمان
ص ٨٧، ٦٩.

(٥) نفس المرجع السابق ص ٨٦.

نقطة في الوطن العربي من جهة الشرق عند منطقة رأس الحد . وعمان في العصر الذي يتناوله البحث كانت أكثر اتساعا ؛ فمن الشمال الشرقي يحدها الخليج العربي ، ومن الشمال الغربي والغرب البحرين واليمامة ^(١)، ويفصلها عن ذلك رمال "بينونة" ^(٢). ويذكر ابن خردادبه أن عمان بين قطر ^(٣)، وبلاد الشحر ^(٤). ويشير ابن رسته ^(٥) إلى الدول التي تقع غربي الخليج حيث يقول : "وفي غريبه بلاد العرب وهي البحرين وعمان"، وفي هذا دلالة على أن البحرين وعمان بلدان متجاوران .

أما من الجنوب، فتمتد حدودها من حضرموت . والشحر — حسب ما تورده المصادر — كان جزءا من عمان ^(٦)، ومن الأدلة التاريخية على ذلك : أنه لما وصل مبعوث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى صحار حاملا رسالة النبي إلى ملكيها عبد و جيفر ابني الجلندي بن المستكبر ، وأقرا بالإسلام ، أرسلوا إلى الشَّحَر الرسل ليدخلوا في دين الله ^(٧)، وفي هذا دلالة على أن ملكهما كان يمتد إلى الشحر.

(١) البحرين : تقع تاريخيا بين البصرة وعمان ، وهي تشمل الإحساء والقطيف وهي المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وقطر. أما اليمامة فهي مجاورة للبحرين وتحد عمان من جهة الغرب ، وبذلك تكون صحراء الربع الخالي هي الحد الفاصل بين عمان واليمامة . انظر معجم البلدان : ج ١ ص ٣٤٦ ، ج ٥ : ص ٤٤٢ ، الحميري : الروض المعطار تحقيق إحسان عباس : مكتبة لبنان ط ١٩٨٤/٢ ص ٨٢ ، ص ٦١٩ .

(٢) الحميري : الروض المعطار : ص ٨٢ . معجم البلدان للحميري : ج ٤ ص ١٥٠ . بينونة : بلدة بين عمان والبحرين قديما . و تقع حاليا بين أبو ظبي ودولة قطر والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية . انظر الحميري : معجم البلدان : ج ١ ص ٥٣٦ ، وانظر أيضا : عبد الله يوسف غنيم : أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات القديمة والدراسات المعاصرة : الكويت ١٩٨١ ص ٤٢ .

(٣) قطر : هي دولة قطر الحالية . وهي تقع قديما ضمن بلاد البحرين .
(٤) ابن خردادبه : المسالك والممالك ، مكتبة الثمين بغداد ص ٥٩ .
و الشحر : بكسر أوله وإسكان الحاء المهملة ؛ هو شحر عمان . وأرض الشحر تتصل بحضرموت ، وفيها قبائل مهرة ، وهي دار عاد الأولى . انظر : الحميري : الروض المعطار : ص ٣٣٨ .

(٥) ابن رسته : الأعلام النفيسة : الناشر دار صادر : ص ٩٦ ؛ ابن خلدون : العبر ج ١ ص ٦٣ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٤ . الناشر دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٩٢ م .

(٧) ابن رزيق : الصحيفة القحطانية ص ٢٠٠ (مخطوط) .

أما سواحل عمان البحرية في الجنوب الشرقي فتطل على بحر العرب . ويذكر صاحب كتاب الروض المعطار أن مياه المحيط المطلة على عمان يطلق عليها البحر العماني ، كما يطلق على البحار المواجهة للهند " بحر الهند" ^(١) . وقد بقي من هذه التسمية ذلك الخليج - خليج عمان - المطل على السواحل العمانية من الجهة الشرقية والشمال الشرقي والذي يلتقي في الشمال في "مسندم" ^(٢) عند مضيق هرمز بالخليج العربي . وتحكم عمان في مضيق هرمز من الناحية الجنوبية ^(٣) .

فالمخالصة - فيما يتعلق بحدود عمان التاريخية - أنه كان يحدها من الشمال والشمال الغربي الخليج العربي الذي كان يعرف "ببحر فارس" ، والبحرين . ومن الغرب اليمامة وصحراء الربع الخالي ، ومن الجنوب "حضر موت" في اليمن ، ومن الجنوب الشرقي "بحر العرب" ومن الشرق خليج عمان . وهذا الموقع الذي تتمتع به عمان يظهر جليا أنه كان سببا في إعطائها بعدا استقلاليا جغرافيا وسياسيا ، وهذا ما أكدته المصادر ^(٤) .

(١) الحميري : الروض المعطار : ص ٤١٣ .

(٢) مُسْنَدَم : هي محافظة من محافظات عمان . وتطل على خليج عمان والخليج العربي وتقع في شمال عمان.

(٣) عمان في التاريخ : ص ١٥ ، ونذل فيلبس : تاريخ عمان ، ترجمة محمد أمين عبد الله ص ٧ . سلطنة

عمان . وزارة التراث القومي (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) .

(٤) انظر : الإصطخري : مسالك الممالك ص ٢٥ ، ص ٢٦ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٤ .

الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص ١٥٥ ، الحميري : الروض المعطار ص ٤١٣ .

تضاريس عمان:

تضاريس عمان كثيرة التنوع حتى قال عنها بعض الدارسين^(١): "إنها تبدو في شبه جزيرة معزولة عن باقي شبه جزيرة العرب". والواضح أن هذا ينطبق على ما كان عليه الوضع قديماً^(٢).

وقد ذكر البكري في كلامه عن عمان أنها: "ما ولى البحر منها سهول ورمل وما تباعد عنه حزون وجبال"^(٣)، فهذا وصف دقيق مختصر؛ فالمتأمل في خريطة تضاريس عمان يجدها كذلك. فالسهول الساحلية تمتد - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - ألفاً وسبعمائة كيلو متر ومنها سهلان خصيبان هما:

سهل الباطنة^(٤)، والذي تتربع "صحار" المعنية بهذه الدراسة على عرش مدنه وقراه، وهو من أخصب مناطق عمان^(٥) وأكثرها وفرة في المياه وهى مياه جوفية^(٦) استغلها الإنسان العماني من أقدم العصور سواء عن طريق الآبار

(١) عبد الله بن ناصر الحارثي: الأوضاع الاقتصادية في عهد بني نبهان ص ٦. رسالة ماجستير. جامعة القاهرة كلية الآداب.

(٢) لا بد من الإشارة إلى أن خريطة عمان قد تغيرت حيث إن حدودها الآن من الجنوب اليمن ومن الغرب المملكة العربية السعودية ومن الشمال الإمارات العربية المتحدة والخليج العربي. و أما من الشمال الشرقي والشرق والجنوب الشرقي فسهول ساحلية تطل على خليج عمان وبحر العرب. وتبلغ مساحتها الآن ٣٠٩,٥ ألف كم مربع، انظر: عمان ٩٦ ص ٤٣ إصدار وزارة الإعلام.

(٣) المسالك والممالك ص ٢٦.

(٤) انظر خريطة عمان المرفقة وسيأتي الحديث عن هذا السهل بشيء من التفصيل لوجود صحار فيه، وللإفادة أطلق العمانيون اسم الباطنة على هذا السهل لأنه يقع ما بين الساحل لخليج عمان وسلسلة الحجر الغربي؛ فشبهوا سلسلة جبال الحجر بعمود فقر الإنسان لاختناثها فأطلقوا اسم الباطنة على هذا السهل لأنه يمثل بطن هذه السلسلة؛ أما الجانب الآخر منها فأطلقوا عليه اسم الظاهرة لأنه يمثل ظهر هذه السلسلة.

(٥) عمان ٩٤ إصدار وزارة الإعلام بسلطنة عمان ص ٣٦.

(٦) نفس المرجع السابق ص ٣٦.

أو بطريق قنوات شقت في باطن الأرض وأجريت إلى المناطق المنخفضة ، وهي هندسة بارعة حقق الإنسان العماني فيها مهارته وانسابت تلك المياه من جوف الأرض إلى ظهرها لتروى الإنسان والحيوان والنبات في قنوات مائية وهي الأفلاج^(١).

أما السهل الخصيب الآخر فهو سهل "جَرْبِيب" في جنوب عمان بمحافظة ظفار . وهذا السهل يطل على البحر العربي و تغذيه مياه الآبار والجداول المائية المنسابة من الجبال وخاصة في فصل الصيف أو (الخريف) باصطلاح أهل هذه المنطقة^(٢)، ويزرع في هذا السهل النارجيل (جوز الهند) ، والموز وعدد آخر من الفواكه والخضراوات^(٣).

أما الجبال في عمان فهي تغطي مساحة كبيرة من رقعة البلاد . وأشهر سلاسل هذه الجبال سلسلة الحَجَر ، وتنقسم إلى قسمين : قسم يسمى بالحجر الغربي ، والآخر يسمى بالحجر الشرقي ، وهي تبدأ من رؤوس جبال مسندم حيث يقع مضيق هرمز^(٤) بوابة الخليج العربي ثم تمتد على هيئة هلال ضخم إلى أن تنتهي عند "رأس الحد" المطل على مياه بحر العرب^(٥)، وهنا أقصى امتداد للجزيرة العربية من جنوبها الشرقي ، حيث يصل أقصى ارتفاع لهذه السلسلة إلى ٣٠٠٠ متر فوق سطح

(١) الحارثي : بنو نبهان في عمان والأوضاع الاقتصادية في عصرهم ص ٧٩ ،

(٢) الخريف هو عرف اصطلاحى لأهل هذه المنطقة وذلك حينما تبدأ الأمطار الموسمية في التساقط وتكسو

الأرض خضرة ويكون الجو غائما ويستمر لمدة ثلاثة أشهر تقريبا من شهر يونيو إلى شهر سبتمبر من

كل عام ، وهذه هي شهور الصيف في العرف العام وليست شهور الخريف .

(٣) عمان في التاريخ ص ١٥ .

(٤) يقع مضيق هرمز بين ساحل إيران وعمان ، ولكن الجزء الصالح للملاحة أقرب للساحل العماني ، انظر

عمان ٩٤ ص ٣٦ .

(٥) الحارثي : بنو نبهان في عمان ص ٦

البحر في منطقة الجبل الأخضر^(١)، وهناك في سلسلة الحجر الشرقي^(٢) أيضا مناطق زراعية تجود بها الفواكه والثمار الطيبة . أما جبال ظفار وتلالها فإنها تكتسي في فصل الصيف حلة خضراء وذلك بسبب الأمطار الموسمية المعروفة بالخریف وهي من أروع المصایف في شبه الجزيرة العربية حيث الجو المعتدل بسبب تساقط رذاذ المطر الخفيف ، ويزید هذا الجمال بماء تلك الجداول المنحدرة من سفوح الجبال في شلالات طبيعية^(٣).

وتنحدر من جبال عمان أودية بعضها سحيقة ذات جوانب شديدة الانحدار ، وتتجه هذه الأودية إلى خليج عمان وبحر العرب ، والبعض يتجه إلى صحراء الربع الخالي. وقد قامت على ضفاف هذه الأودية مدن وقرى عمان . وتغذى الأمطار التي تسقط على الجبال هذه الأودية والتي هي مصدر المياه الجوفية حيث ترتفع نسبة المياه عند جريان الأودية فتتنشط الأفلاج والعيون والآبار التي هي المصدر الأساسي للري في عمان . ومن أشهر هذه الأودية "وادي سمائل" الذي يصب في خليج عمان، ووادي "العين" الذي يتجه نحو صحراء الربع الخالي ، ووادي "الجزى"^(٤) الذي يصب أيضا في خليج عمان ويقع شمال الباطنة وهو من أودية "صحار" الرئيسية. وفي عمان أودية كثيرة بعضها سمي بالقبائل التي يكثر وجودها في المدن والقرى المطلّة عليها

(١) عمان ٩٤ ص ٣٦ . وزارة الإعلام العمانية ، والجبل الأخضر من المناطق الجميلة في عمان ، وهو معتدل الحرارة صيفا بارد شتاء ، وتجود فيه أنواع عديدة من الفواكه مثل الرمان والخوخ والشمش ، كما يشتهر بزراعة الورد الذي يستخلص منه ماء الورد حيث يعمل عدد من أهالي هذا الجبل في صنع هذا الماء العطري الجميل . وقد أورد الإمام السالمي وصفا له بأنه : "من عجائب الدنيا مملوء بالفواكه والرياحين والزعفران والآس والترجس" . انظر : تحفة الأعيان ج ١ ص ٧٧ .

(٢) ذكر ياقوت الحموي جبل قهوان بأنه مطل على البحر وهو في منطقة جعلان بالمنطقة الشرقية وهو من جبال السلسلة المشار إليها أعلاه. انظر : الحموي معجم البلدان ج ٤ ص ٢٠٤ .

(٣) عمان ٩٤ ص ٦٤ .

(٤) وزارة الإعلام : عمان والدولة العصرية ص ١٥ .

مثل وادي "بني خروص" ، ووادي "بني غافر" ، ووادي "بني عمر" وغيرها كثير .
كما أن تضاريس عمان تشتمل على صحارى شاسعة بعضها تتخللها الرمال ،
كرمال "وهيبة" . وهناك مساحات واسعة من الأراضي المستوية الحجرية تعرف باسم
جدة الحراسيس ، بالإضافة إلى بحر رمال الربع الخالي الذي يفصل بين عمان والمملكة
العربية السعودية من جهة الغرب^(١) . كما تتبع عمان عدة جزر أهمها جزيرة مصيرة ،
وهي تقع في البحر العربي وتتبع إدارة المنطقة الشرقية من عمان ، وجزر الحلانيات في
جنوب البلاد وتتبع محافظة ظفار .

وقد استطاع الإنسان العماني أن يتأقلم مع هذا التباين والتنوع في الأقاليم
الجغرافية حيث عاش العمانيون منذ أقدم العصور في السهول الساحلية ، وفي سفوح
الجبال العالية ، وعلى ضفاف الأودية السحيقة ، وفي الصحارى القاحلة . وهذا التميز
في تنوع التضاريس خلق إرادة صلبة استطاع العمانيون بها أن تكون بلادهم في معظم
فترات تاريخها بلداً مستقلاً^(٢) . ومن مميزات موقع عمان أنه يمثل حلقة وصل بين
عالمين: عالم الشرق الأقصى ممثلاً في الهند والصين وجنوب شرق آسيا من جهة ،
وشرق أفريقيا ومصر ومنها إلى غرب أوروبا من جهة أخرى^(٣) .

إن الموقع البحري لعمان جعل الإنسان فيها يهوى ركوب البحر واكتشاف
أسرارها ؛ فمنذ أقدم العصور اشتهر العمانيون بالتجارة والملاحة حتى أن أردشير بن
بابك يذكر أن العمانيين اشتغلوا بالتجارة قبل الإسلام بستمئة سنة^(٤) ، وكسبوا مهارة
وخبرة وأحاطوا بكل ما يتصل بها حيث كان بعمان أسطول بحري^(٥) .

(١) عمان ٩٤ ص ٤٠ .

(٢) يذكر بعض الجغرافيين أن عمان كانت بلداً مستقلاً انظر مثلاً : ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٠ ،
الإصطخري : مسالك الممالك ص ١٢ ، الحميري : الروض المعطار ص ٣٥٤ .

(٣) عمان في التاريخ ص ١٦ ، وزارة الإعلام : الرعد والوفاء ص ٢١ .

(٤) الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٥٢١ ، ٥٢٢ ، رمزية عبد الوهاب خيرو : تجارة الخليج العربي
وآثارها في الحياة الاقتصادية في منطقة الخليج والعراق في صدر الإسلام وحتى نهاية القرن الرابع الهجري
ص ٩٥ . رسالة دكتوراه . جامعة القاهرة . كلية دار العلوم .

(٥) د. سعيد عاشور . ود. عوض خليفات : عمان والحضارة الإسلامية ص ٥ . جامعة السلطان قابوس .

ومن هذا يتبين أن للموقع دورا فاعلا في نشاط الإنسان كما أن للتضاريس دورا مماثلا ؛ فعمان بموقعها المميز كانت في ملتقى التيارات الحضارية ذات الجذور العريقة التي تأثرت بها وأثرت فيها ، ومما زاد من قوة هذا التأثير طبيعة عمان الداخلية وإطلالها على ساحل بحري طويل خلق بدوره حركة بشرية ساعدت على إيجاد حضارة عرفتها عمان قبل الإسلام^(١)، بالإضافة إلى أن الموقع قد جعلها تسيطر على أقدم الطرق التجارية البحرية وهو الطريق بين الخليج العربي والمحيط الهندي ، كما أنها اتصلت بطرق القوافل في شبه الجزيرة العربية لتربط بين شرقها وغربها وشمالها وجنوبها^(٢).

المناخ :

إن التنوع في التضاريس نتج عنه تنوع في مناخ عمان ، إلا أن السمة العامة هي ارتفاع درجة الحرارة صيفا ، واعتدالها شتاء على معظم أنحاء عمان ، ماعدا بعض الأنحاء كالجبل الأخضر ، حيث يكون الاعتدال صيفا والبرودة شتاء بسبب الارتفاع الكبير عن مستوى البحر ، وقد وصف مناخ عمان بعض الجغرافيين القدماء ؛ فالإصطخري^(٣) مثلا يقول : "وعمان بلاد حارة جدا وبلغني أن بمكان منها بعيد عن البحر ربما وقع ثلج دقيق" ، وحذا حذوه ابن حوقل^(٤) . أما صاحب كتاب آثار البلاد وأخبار العباد^(٥)، فقد أشار إلى ارتفاع الحرارة حيث قال : "وأما حرها فمما يضرب به المثل". ومن هذا نستخلص أن ارتفاع درجة الحرارة صيفا هو من سمات هذه المنطقة منذ القدم . وفي المناطق الساحلية يصاحب الحرارة رطوبة ، وتصل درجة الحرارة

(١) د.عبد المنعم سلطان :صفحات من تاريخ عمان الناشر دار نشر الثقافة بالإسكندرية ١٩٩١م ص ٤ .
د.عاشور ود.خليفات : عمان والحضارة الإسلامية ص ٥.

(٢) عمان ٩٤ ص ٣٥ ، د.سيدة إسماعيل كاشف : عمان في فجر الإسلام ص ٨ . إصدار وزارة التراث القومي والثقافة ، سلسلة تراثنا ، العدد الأول الطبعة الثالثة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

(٣) الإصطخري : المسالك والممالك ص ٢٦ .

(٤) صورة الأرض ص ٤٥ .

(٥) القزويني : ص ٥٦ الناشر دار صادر بيروت بدون تاريخ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٩٨ .

إلى ٤٥ مئوية ، وقد تزيد بعض الشيء في حالات نادرة^(١)، أما في جنوب البلاد فالحرارة تنخفض صيفا بسبب تساقط الأمطار الخفيفة ، نظرا لهبوب الرياح الموسمية^(٢)، حيث لا تكاد تصل درجة الحرارة إلى ٣٠ درجة مئوية في شهور الصيف^(٣). وهذا الطقس الجميل نراه على طول الساحل الشرقي الجنوبي المطل على بحر العرب ولكن عمقه البري قد لا يزيد عن عشرة كيلو مترات في الشمال . ويزيد عمق تأثير هذا التيار البارد كلما اتجهنا جنوبا حيث يغطي معظم مناطق محافظة ظفار. أما الأمطار في عمان فإنها غالبا ما تكون في فصل الشتاء وأحيانا تسقط في غيره من الفصول إلا أنها غير ثابتة التوقيت ماعدا الجزء الجنوبي من عمان بسبب الرياح الموسمية كما أشرت آنفا ، وللأمطار في عمان أهمية كبيرة حيث تعد المصدر الوحيد لزيادة منسوب المياه الجوفية والتي بدورها هي المصدر الأساسي للري والأمطار في عمان وفي منطقة الخليج ومعظم مناطق شبه جزيرة العرب تعتمد على مسار المنخفضات الجوية ؛ فلذا هي غير مستقرة حيث تنعدم في بعض الأعوام فيحدث الجفاف الذي يتسبب في هجرات سكانية^(٤)نتيجة تعرض المناطق الزراعية للقطر الشديد.

ومن خلال هذا العرض الموجز عن التضاريس والمناخ في عمان يستخلص الباحث أن تنوع التضاريس وتباينها قد أدى إلى تنوع في المناخ ، وهذا بدوره كان سببا في سعي الإنسان العماني منذ القدم إلى التكيف مع تلك المتغيرات التضاريسية

(١) وزارة الإعلام : الدولة العصرية ص١٧ ، الوعد والوفاء ص٢٤.

(٢) د. محمود أبو العلا : جغرافية إقليم عمان ص٦٥. الناشر مكتبة الفلاح . الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ .

(٣) يعرف هذا الطقس الجميل في محافظة ظفار "بالخريف" وهو اصطلاح محلي.

(٤) الهجرات السكانية في عمان كانت نوعين : هجرة داخلية وهجرة خارجية ؛ فالهجرة الداخلية هي الانتقال من المناطق الجافة إلى المناطق الخصبة ، أما الهجرات الخارجية فهي عادة ما تكون إلى خارج البلاد وأغلب الأحيان كانت إلى شرق أفريقيا ، انظر : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص٤٦ تحقيق عبد المجيد القيسي . الناشر دار الدراسات الخليجية ، الحارثي : الأوضاع الاقتصادية في عصر بني نبهان ص١٢.

والمناخية حيث استطاع التنقيب عن المياه الجوفية من تحت تلك الجبال الشاهقة ،
ليجريها في قنوات تروى الأراضي الخصبة في المرتفعات والسهول ، كما ركز
على النشاط الملاحى والتجاري ، وقام بعمليات إنتاج مختلفة كالصناعة واستغلال
الموارد المتاحة لديه كاستخراج النحاس وغير ذلك من النشاط الحضارى الذى
اشتهرت به عمان عبر عصور التاريخ قبل الإسلام وبعده . وكان لمدينة "صحار"
نصيب وافر في هذا العطاء ، فلم تحظ أي مدينة في عمان بمثل ما حظيت به صحار
من الشهرة ، وهذا ما سنعرفه من خلال المبحث التالى.

ثانياً :

سكان عمان وإسلامهم وفضلهم

عمان هي جزء من شبه جزيرة العرب التي هي موطن العرب منذ آلاف السنين ، وكانت العرب القدماء الذين يطلق عليهم مصطلح: "العرب البائدة " تسكن في الأحقاف بين عمان وحضرموت^(١)، ونيها سيدنا هود عليه السلام .

وقد ورد ذكر عاد وثمود في آيات عديدة من كتاب الله عز وجل ، فلهذا لا غرو أن نجد أن بعض قبائل الأزد^(٢) وجدت في عمان خير مأوى عندما ضاق بها العيش في موطنها اليمن عقب انهيار سد مأرب^(٣)، إلا أن المصادر تختلف في زمن هذه الهجرة ؛ فالإمام السالمي يحددها بألفي عام^(٤) قبل الإسلام .

ويشير العوتبي في أنسابه إلى أن هذه الهجرة كانت في زمن سيدنا عيسى عليه السلام ، حيث يقول : " وكان نزول غسان الشام

(١) تاريخ التور السافر عن أخبار القرن العاشر : عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس (ت ١٠٣٧هـ)،

دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ، ص ٧٨ .

(٢) الأزد : نسبة إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان

، ومن الأزد هذا تفرعت قبائل عديدة . انظر في ذلك : العوتبي: الأنساب : ج ٢ ص ٢٥٦ ، ابن حزم :

جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ص ٣٣٠ دار المعارف ، الطبعة الخامسة .

(٣) عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية ج ١ ص ٤٨. تحقيق مجدي فتح السيد .

(٤) السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ : ص ١٩ .

في عهد عيسى بن مريم عليه السلام ، وأن غسان إنما نزلت الشام بعد مسيرة الأزد من مأرب ونزولها في البلدان ، وقد نزلوا بالسراة ، وعمان^(١) . وكانت هجرة الأزد إلى عمان بقيادة مالك بن فهم^(٢) . واستطاع مالك بن فهم أن يتغلب على الفرس الذين كانوا بعمان ، وكانوا يتخذون من "صحار" مقرا لإدارة حكمهم في عمان ، وكانت المعركة الفاصلة بين الطرفين في (سلوت)^(٣) القريبة من نزوى .

وبذلك تقهقر نفوذ الفرس في عمان^(٤) ، وعادت للعرب مكانتهم وأصبحت عمان في أيديهم ماعدا بعض المناطق الساحلية ، وأصبح "مالك بن فهم" هو الملك المطاع في عمان ، وبدأت كثير من القبائل العربية تصل إلى عمان . وأول من قدم "عمران بن عمرو بن ماء السماء" وولده الحجر ، والأسود ، وجاء معولة بن شمس^(٥) ، ولسلالته دور بارز في تاريخ عمان حيث انتقل إليهم ملك عمان . ووفدت على عمان قبائل من غير الأزد ، منها سامة بن لؤي بن غالب ، كما وفد على عمان أناس من بني تميم

(١) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٢) كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة : سرحان بن سعيد الأزكوي العماني حققه ونشره عبد المجيد حسيب القيسي (الجزء الخاص بالتاريخ) وسيرد لاحقا "تاريخ عمان المقتبس، القيسي" ص ٢٥. الناشر دار الدراسات التاريخية . و.ت. ، ومالك بن فهم : هو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن نصر بن زاهر بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، انظر في ذلك : العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٢ ، جمهرة أنساب العرب : لابن حزم : ص ٣٧٩ .

(٣) تاريخ أهل عمان - مؤلف مجهول : تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور ص ١٦. سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٤) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٠٢ ؛ ابن رزيق : مخطوط الصحيفة القحطانية ص ٢٦٧ ، تاريخ عمان المقتبس ص ٣٠ .

(٥) معولة بن شمس بن عمر بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الأزد . وقد آل ملك عمان لبنيه ومنهم الجندي بن المستكبر ، وقد أشرقت شمس الإسلام على عمان وبنيه هم المستقرون على عرش ملك عمان وهما عبد وجيفر وكانت عاصمة ملكهم صحار . انظر : ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص ٨٤ ، حياة عمان الفكرية ص ٣٥ .

ومن بنى الحارث ومن بنى رواحة^(١)، إلا أن الغالب على القبائل العمانية هي القبائل الأزدية كما يذكر البلاذري في فتوحه حيث يقول: "كان الأغلبين على عمان الأزد وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي"^(٢)، ومن هذه العبارة ندرك ما للأزد من مكانة في تاريخ عمان .

وقد تفرعت من نسل مالك بن فهم قبائل عديدة وهم بنو هناء^(٣)، وهناء هو الذي تولى ملك عمان بعد مقتل أبيه ، وبنو فراهيد^(٤) ولهذه القبيلة ينتمي العالم اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ومنهم الإمام الربيع بن حبيب صاحب المسند المنسوب إليه وغيرهما ممن ذاع صيتهم كثير . ومنهم بنو سليمة^(٥)، ومن أشهر رجالات هذه القبيلة أبو حمزة المختار بن عوف السيلمي ، وهو من أعلام صحار البارزين^(٦). ومنهم بنو جهضم وبنو عمر وبنو الحارث^(٧)، وهناك غيرهم .

ومن قبائل الأزد اليحمد وكان منهم الإمام جابر بن زيد وتفرع منهم بنو خروص الذين كان لهم في تاريخ عمان دور عظيم حيث تقلد الكثير منهم الإمامة^(٨). ومن قبائل الأزد أيضا بنو الحدان نسبة إلى الحدان بن شمس أخي معولة بن شمس الذي تقدم ذكره ، ومنهم بنو ثماله .

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٨٧ .

(٣) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٢ ، ابن الأثير الجزري : اللباب في تهذيب الأنساب ج ٣ ص ٣٩٣، دار صادر .

(٤) العوتبي: الأنساب ج ٢ ص ٢٢٧ ، ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٩٩ تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي للطبع والنشر، الطبعة الثالثة ، اللباب لابن الأثير، ج ٢ ص ٤١٧ .

(٥) سيرد ذكره في فصل الحياة العلمية في صحار .

(٦) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢١٩ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٠ ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : المعارف ص ٦٦ . الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

(٧) ابن الأثير : اللباب ج ١ ص ٣١٧ ، ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٨٩ ، العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١٢٢ .

(٨) ابن دريد: الاشتقاق ص ٥٠٦ ، تاريخ أهل عمان ص ٥٨ .

وقد تشرف نفر من قبيلتي بني الحدان وثمالة^(١) بلقاء رسول الله ﷺ ، ليعلنوا إسلامهم، وقد كتب المصطفي عليه الصلاة والسلام لهم كتابا سنشير إليه لاحقا .
ومن قبائل الأزد قبيلة العتيك^(٢)، وهم من أبناء مازن بن الأزد ، ومن رجالات هذه القبيلة أبو صفرة والد المهلب بن أبي صفرة القائد الإسلامي الشهير ، ومن أبناء مازن بن الأزد أيضا قبيلة بني طاحية ، ومن هذه القبيلة يرح بن أسد الطاحي الذي وفد إلى النبي ﷺ مع قومه^(٣). ومن أبناء عمرو بن الأزد بنو مهرة بن حيدان^(٤)، ومن هذه القبيلة تفرع قبيلة بني ريام^(٥)، ومن رجالهم منير بن النضر الريامي أحد حملة العلم من البصرة إلى عمان^(٦)، ومن القبائل التي تنحدر من سلالة عمرو بن الأزد قبيلة طي^(٧)، وكان لهذه القبيلة شرف سبق للإسلام ، حيث يعد الصحابي مازن بن غضوبة الطائي^(٨) أول من أسلم من أهل عمان^(٩)، كما أن قبيلة كندة تنتمي لنفس الأصل ويشاركونهم في ذلك أيضا بنو عبد القيس ، وبنو سعد وغيرهم.
وقد تفرعت عن هذه القبائل أفخاذ وعشائر أخرى كثيرة ، ومن هذا نستخلص أن المجتمع العماني مجتمع قبلي ، وحتى هذا العصر ما يزال للقبيلة دور فعال في حياة عمان السياسية والاجتماعية .

-
- (١) ابن الأثير : اللباب ج ١ ص ٣٤٧ ، العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٤٥ .
(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٦٧ ؛ ابن الأثير : اللباب ج ٢ ص ٣٢٣ ، العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٠٤ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٧١ . دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٦٦ ، ابن الأثير : اللباب ج ٢ ص ١٧ ، ابن رزيق : الصحيفة القحطانية (مخطوط) ص ٢٦٩ ، ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٦٤ .
(٤) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٥ ، العوتبي : الأنساب ج ٢ .
(٥) ابن رزيق : الصحيفة القحطانية : ص ١٧ .
(٦) مصطلح تعارف عليه الإباضية في النفر الذين تم تأهيلهم في البصرة لنشر العلم فمهم حملة العلم للمغرب ومنهم حملة العلم للمشرق . ويقصد بالمشرك "عمان" .
(٧) مترد قصة دخوله في الإسلام لاحقا .
(٨) ابن الأثير : اللباب ج ٢ ص ٢٧١ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٨ .
(٩) العوتبي : الأنساب : ج ١ ص ٢٥٧ ، السلمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٥٣ .

وإذا كان معظم سكان عمان من العرب على مختلف حقب تاريخها فهذا لا يمنع أن يكون للأجناس الأخرى موطن قدم ، وقد حرم الإسلام التفاخر بالأنساب ، فلذا نجد أن الكل يعيش في ظل الإسلام أمة واحدة ، ومع هذا يجب عدم التغافل عن بعض المحن التي شهدتها تاريخ عمان ، وكان للقبيلة دور في إذكائها ، ومن أمثلة ذلك تلك الفتنة التي حدثت بعد عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي في أواخر القرن الثالث الهجري ، وانقسمت عمان بين مؤيد ومعارض ثم تطورت ، ووجدت العصبية القبلية متنفسا لها ، مما دفع بالبلاد إلى كارثة الانقسام فاضمحل ذلك المجد الذي أرسى الإمامة الثانية قواعده طوال قرن من الزمان وستعرف على بعض من ذلك في هذا البحث خلال تناول تاريخ صحار السياسي .

إسلام بعض أهل عمان .

أول من أسلم من أهل عمان هو الصحابي الجليل مازن بن غضوبة السعدي الطائي^(١) وكان رضى الله عنه من أهل سمائل^(٢) ، ويروى أنه كان سادنا لصنم يقال

(١) هو مازن بن غضوبة بن ربيعة بن شماسه بن حيان بن بشر بن سعد بن نبهان بن عمر بن الغوث بن طي وإلى الجلد الأخير ينسب وهو الطائي ، وكان يحتل مكانة رفيعة بين أهله وعشيرته ، وله مسجد معروف باسمه حتى الآن في محلة "المضمار" بولاية سمائل ، انظر في ذلك : أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير ج ٥ ص ٦ . تحقيق محمد إبراهيم البناء ، محمد أحمد عاشور ، محمود عبد الوهاب فايد ، الناشر دار الشعب ، بيروت ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر . تحقيق علي محمد البجاري ج ٣ ص ١٣٤٤ . الناشر دار الجليل ، بيروت ١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢ م ، المعولي زياد بن طالب : بحث مازن بن غضوبة الطائي وأثره في دخول الإسلام في عمان ص ١٠٨ . نشر في كتاب من أعلامنا "مازن بن غضوبة السعدي" البحوث المقدمة في ندوة من أعلامنا ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م الناشر وزارة التربية والتعليم والشباب ، شئون الشباب سلطنة عمان .

(٢) سمائل : هي إحدى مدن وولايات عمان ذات التاريخ والمجد العريق تقع في المنطقة الداخلية من عمان ، تحف بها جبال شاهقة ومن أسمائها الفيحاء لجمال مناظرها حيث واديها ينصفها وتحف به أشجار النخيل والبساتين من كلا جانبيه . وغالبا ما يكون الوادي تجرى فيه المياه ومع زرقة المياه وخضرة الحدائق كانت قرائع أبنائها متدفقة العطاء ؛ فخرجت طوال تاريخها الكثير من العلماء والأدباء والمفكرين . انظر : سالم بن حمود السيابي : كتاب العنوان ص ٣٠ ، د. مبارك الراشدي : مازن بن غضوبة وأثر إسلامه على أهل عمان . بحث نشر في كتاب من أعلامنا السابق ذكره .

له (ناجر) يعظمه بنو خطامة وبنو الصامت من قبيلة طي في عمان^(١)، إلا أن مازناً أدرك بما وهبه الله من عقل راجح أن عبادة الأصنام لا تضر ولا تنفع وأخذ يتطلع إلى شيء يتفق مع ما يختلج في نفسه نحو هذه الأصنام ونتيجة لهذا التشوق إلى معرفة حقيقة المعبود سمع هاتفا يقول له:

أقبل تسمع ما لا يجهل
هذانني مرسل
جاء بحق منزل
فأمن به كي تعدل
عن حر نار تشعل
وقودها الناس و الجندل^(٢)

(١) وردت قصة إسلام مازن في كثير من المصادر منها : البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين) : دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٥٥ ، وثقه وخرج أحاديثه : د. عبد المعطي قلجعي ، الناشر دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م ، ابن الأثير : أسد الغابة ج ٥ ص ٦ ، السمعاني : الأنساب ج ٤ ص ٣٩ ، ابن قانع : معجم الصحابة ج ٣ ص ١٢٢ تحقيق صلاح بن صلاح المصراي ، الناشر مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة ١٤١٨هـ . ابن حجر العسقلاني : كتاب الإصابة في معرفة الصحابة، القسم الثاني ج ٥ ص ٧٠٤، بتحقيق علي بن محمد البجاوي، نشر دار الجليل ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م بيروت ، العرتي : الأنساب ج ١ ص ٢٥٧ ، ابن رزيق : مخطوط الصحيفة القحطانية ص ٦٩، ١٨ . نفس المؤلف مخطوط الصحيفة العدنانية ص ١٩٩ ، أبو نعيم الأصبهاني: دلائل النبوة ج ١ ص ١١٤ - رقم الحديث ٦٣، تحقيق د. محمد رواس قلجعي ، عبد البر عباس، الناشر دار النفائس.

(٢) أوردت بعض الروايات عبارات آخر مصدرها الصنم تقول:

يا مازن اسمع تسر	ظهر خير وبطن شر
بعث نبي من مضر	بدين الله الأكبر
فدع نخيتا من حجر	تسلم من حر سقر

انظر : العرتي : الأنساب ج ١ ص ٢٥٧ ، ابن رزيق : الصحيفة القحطانية ص ١٩، ١٨ ، السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٠ ، الأصبهاني : دلائل النبوة ج ١ ص ١١٥ ، البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٥٥ ، وهناك روايات تفيد أن هذا ألحاف من الصنم تكرر ولكن بالفاظ آخر تؤدي نفس المعنى . انظر نفس المصادر أعلاه ، والجندل : الموضع تجمع فيه الحجارة . الفيروزآبادي : القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٦٣ .

ولا مجال هنا لمناقشة ما قد يبدو في هذه الروايات من أمور خارقة للعادة ولكن الأمر المؤكد على كل حال أن مازناً كان يتطلع بشوق إلى معرفة الحقيقة وكانت نفسه تنفر نفوراً شديداً من عبادة الأصنام ، والذي يدل على ذلك هو سعي مازن إلى معرفة كل ما يحدث خارج وطنه حيث أخذ يسأل كل قادم إلى بلده عنه يتوصل إلى معرفة ما تتوق إليه نفسه . وأخيراً يجد مازن ضالته عند رجل حجازي قادم من الحجاز^(١)، فكان بينهما حوار علم من خلاله مازن بظهور النبي ﷺ فسارع بالرحيل مصحوباً بنفر من قومه^(٢). وكان ذلك قبل السنة السادسة للهجرة^(٣)، وتتجلى خيرية نفس مازن عندما تشرف بلقاء المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث أنه في هذا المقام الرفيع لم ينس قومه ولا وطنه فأخذ يطلب من الرسول ﷺ الدعاء في قوله : يا رسول الله ، ادع الله لأهل عمان . قال : "اللهم اهدهم وأثبهم" . فقلت : زدني يا رسول الله ، فقال : "اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم" . قلت : يا رسول الله البحر ينضح بناحيتنا ، فادع الله تعالى في ميرتنا وخفنا وظلفنا . قال : "اللهم وسع عليهم في ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم . قلت زدني . فقال : "اللهم لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم . قل يا مازن آمين ، فإن آمين يستجاب عنده الدعاء ، قلت : آمين .

ثم إن مازناً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له لتطهر نفسه من أدران الجاهلية فقال : يا رسول الله إني مولع بالطرب ، وبشرب الخمر ، لجوج بالنساء وقد نفذ أكثر مالي في هذا فادع الله أن يذهب عني ما أجده ، ويهب لي ولداً تقر به عيني ويأتيني بالحياة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالعهر عفة الفرج وبالخمر رياء لا إثم فيه ، وهب له ولداً" .

(١) أحمد بن سعد السيابي : مازن بن غضوبة حياة من أجل الإسلام ص ٣٢ . كتاب مقدم لندوة من أعلامنا . نشر وزارة التربية والتعليم والشباب ، شؤون الشباب سنة ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م .

(٢) زايد بن سليمان الجهضمي : حياة عمان الفكرية : ص ٥٠ - مطابع النهضة - مسقط ، ١٩٩٨ .

(٣) د. الراشدي : مازن بن غضوبة وأثر إسلامه على أهل عمان ص ٦٠ .

قال مازن : فاذهب الله عني ما كنت أجد من الطرب والنشاط لتلك الأسباب^(١)، وقد استجاب المولى جل وعلا لدعاء نبيه الكريم ، ويضيف صاحب كتاب الأنساب العوتيي الصحاري^(٢)، ونقل عنه الإمام السالمي وغيره من المتأخرين حيث يوردون تكملة لقصة مازن تضيف إلى ما مضى قوله: " فلما كان في العام القابل الذي وفدت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا بن المباركين ، الطيب بدينك ، قد أخصبت عمان خصباً هنياً وكثرت الأرباح والصيد بها ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : " ديني دين الإسلام ، وسيزيد الله أهل عمان خصباً ، فطوبى لمن آمن بي

(١) لم يرد هذا الدعاء كاملاً إلا في المصادر العمانية ، وأولها كان العوتيي في الأنساب ج ١ ص : ٢٥٨ وقد نقل عنه كل من جاء بعده . أما المصادر غير العمانية فإنها قد أوردت الجزء الخاص بمازن نفسه ، كما جاء في دلائل النبوة للبيهقي وفي دلائل النبوة للأصبهاني ، إلا أن الأصبهاني أورد نتائج ذلك الدعاء المبارك على لسان مازن حيث قال " فاذهب الله عز وجل ما أجد ، وأخصبت عمان ، وتزوجت أربع

حرائر وحفظت شطراً من القرآن ، ووهب الله عز وجل لي حيان بن مازن ، وأنشأت أقول :

إليك رسول الله خبست مطيبي	تجرب الفيافي من عمان إلى الفرج
لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى	فيغفر لي ربي فارجع بالفـلج
إلى معشر خالفت في دينهم	فلا رأيهم رأيي ولا شر جهم شرحي
وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا	شبابي حتى آذن الجـسم بالنهج
فبدلني بالخمر خوفاً وخشية	وبالعهر إحصانا فحصن لي فرجي
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي	فلله ما صومي والله ما حجي

(٢) تظمن النفس إلى قبول رواية العوتيي للأسباب الآتية :

أولاً : لأن راويها العوتيي هو من العلماء الذين اشتهروا بالفضل والعدل والأمانة
ثانياً : إن هذه الرواية لا تتعلق بالمسائل العملية التي يترتب عليها الثواب أو العقاب
ثالثاً : تعضدها روايات أخرى جاءت في الصحاح في فضل أهل عمان .

(انظر مبحث فضل أهل عمان من هذا البحث ص ٢٢-٢٣) .

ورآني وطوبى لمن آمن بي ولم يرني . وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ولم ير من رآني ، وسيزيد الله أهل عمان إسلاماً^(١).

ومن آثار هذا الصحابي الجليل الباقية مسجده الذي يعد أول مسجد بني بعمان^(٢) وكان نقطة إشعاع للهداية في عمان في ذلك العهد المبكر من الدعوة الإسلامية. وإذا كان مازن " رضي الله عنه " نال الأسبقية في الإسلام على العمانيين ونال شرف صحبة المصطفى ﷺ فإن هناك شخصيات أخرى قد لحقت بذلك الركب الميمون تذكرها المصادر التاريخية ومن هؤلاء " صحار بن العباس العبدي " ويكنى بأبي عبد الرحمن بن عبد القيس^(٣). وهناك شخصيات أخرى شرفت بلقاء

(١) العوتبي: الأنساب جـ ١ ص : ٢٥٨، ٢٥٩ ، السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص : ٥٣ . ، السيابي : طلاقات المعهد الرياضي في حلقات للمذاهب الإباضي ص : ١٩ ، الناشر . وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط ١٩٨٠م

(٢) السيابي : طلاقات المعهد الرياضي ص : ١٦ ؛ والبطاشي : إتحاف الأعيان ص : ١٠ . هذا ، وما يزال المسجد قائماً وأعيد بناؤه في عهد السلطان قابوس ، وتم توسعته بما يتلاءم مع متطلبات العصر .

(٣) الطبري : تاريخه جـ ٢ ص : ٥٥٥ دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ بيروت ، ابن عبد البر : الاستيعاب جـ ٨ ص ٧٣٥، ٧٣٦ ، ابن حجر : الإصابة ج ٣ ص : ٤٠٨ ، ابن النسيم : الفهرست ج ٢ ص ١٣٢ . الناشر : دار المعرفة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م بيروت . ، ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٦ ص ٨٣ ، الدرر جيني : كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ج ١ ص ٧ ، حقه وقلم بطبعه إبراهيم طلاي . بدون تاريخ ، الشماخي : كتاب السير ، تحقيق أحمد بن سعود السيابي ج ١ ص ٧٦، ٧٥ . وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م . وصحار بن العباس : اختلفت المصادر في اسم أبيه ، فقليل صحار بن عياش بياء مشددة وألف وشين ، وقيل ابن صخر إلا أن الأصح هو صحار بن عباس أو العباس لأن معظم المصادر تتفق على ذلك وهو من رواية الحديث قال عنه ابن النسيم : بأنه روى حديثين أو ثلاثة وقال عنه ابن عبد البر له صحبه ورواية وكان بليغا لسنا مطبوع البلاغة مشهورا بذلك في حديثه عن النبي وقد شارك في الفتوحات الإسلامية ومنها فتح مكران مع الحكم بن عمرو التغلبي وبعثه الحكم بالأخماس فسأله عمر عن مكران فقال : يا أمير المؤمنين : (أرض سهلها جبل ، وماؤها وشل ، وتمرها دقل ، وعدوها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليل بها ضائع . وما وراءها شر منها ، فقال عمر : أسجاع أنت أم مخير ؟ قال لا بل مخير ، قال : لا والله لا يغزوها جيش لي) . انظر المصادر بعاليه.

الرسول ﷺ سترد في الفصل الأول من هذا البحث لعلاقتها المباشرة بصحار .
و خلاصة القول : أن عمان شرفت بدخول الإسلام إليها قبل وصول رسل
المصطفى ﷺ بسنوات ، وكان لأولئك الرجال الذين أسلموا على يديه عليه الصلاة
والسلام من عمان دور في نشر الإسلام في عمان وخاصة الصحابي مازن بن غضوبة
حتى قال عنه المؤرخ العماني " ابن رزيق " : " لما رجع مازن إلى سمائل أسلم أهل
عمان كافة إلا أهل صحار " (١) . ورغم أن هذا القول فيه مبالغة إلا أن جهوده رضى
الله عنه كانت ذات أثر كبير في نشر الإسلام بعمان . ونتيجة لاستقرار الأحداث
فيما بعد سجد أن رسل ملكي عمان اتجهوا غربي صحار وإلى أقصى الجنوب الشرقي
من عمان ؛ فهل كانت المناطق الأخرى من عمان قد عمتها دعوة الإسلام قبل ذلك ؟
يبدو أن الأمر كان كذلك .
فضل أهل عمان :

إن السبق الذي قام به العمانيون فرادى وجماعات في اعتناق هذا الدين القيم ،
وحسن الاستقبال الذي لقيه رسله صلى الله عليه وسلم إليها كان له أثر عظيم في
نفس المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال
لأحد أصحابه عندما شكاه إليه سوء معاملة من أرسله إليهم : " لو أهل عمان أتيت ما
سبوك ولا ضربوك " (٢) . وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل أن رجلا من أهل عمان يقال
له " يرح بن أسد " خرج مهاجرا إلى النبي ﷺ فوجده قد مات . فبينما هو في بعض

(١) ابن رزيق : الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٦ . نشر وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة
عمان ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص : ١٩٧١ ، كتاب فضائل . الصحابة باب فضل أهل عمان الحديث ٢٥٤٥
بترتيب محمد فواد عبد الباقي ، الناشر : دار إحياء الكتب العلمية بدون تاريخ ، أحمد بن حنبل أبو
عبد الله الشيباني : كتاب فضائل الصحابة ج ٢ ص : ٨٣١ تحقيق د. وحي الله محمد عباس . الطبعة
الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م مؤسسة الرسالة - بيروت .

الطريق لقيه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: من أنت؟ قال: رجل من أهل عمان، فأدخله عمر على أبي بكر رضي الله عنه فقال: هذا من أهل الأرض التي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها: "إني لأعلم أرضاً يقال لها عمان ينضح بناحيتهما البحر، لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا حجر" (١).

وهناك روايات أخرى أوردتها كتب السنة في فضل عمان وأهلها، إلا أن الاستطراد في ذلك لا يدخل في مضمار هذا البحث.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١ ص: ٤٤ الرقم ٣٠٨، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة ١٤٠٥، ١٩٨٥ م، الحارث بن أبي أسامة: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ج ٢ ص ٩٤١، تحقيق د. حسن أحمد صالح الباكري، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م الناشر: مركز خدمة السنة بالمدينة المنورة، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني: كتاب الآحاد والمثاني ج ٤ ص ٢٧٣، تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، ابن حجر: الإصابة ج ١ ص: ٣٤٩، ابن عبد البر: الاستيعاب ج ١ ص: ١٨٩.

ثالثاً : صحار : الاسم و الموقع

الاسم :

"صُحَّار" بالضم وآخره راء أخذ من الصحرة وهي جَوْبَةٌ تنجاب في الحرة وتكون أرضاً لينة نظيفة بها حجارة والجمع صحر^(١) . وهناك معانٍ كثيرة للصحار ، ولكن الأغلب أن صحار أخذت مما تقدم لأن أرضها ينطبق عليها المعنى المشار إليه . ولم نعثر على تعليل في المصادر العمانية لكلمة "صُحَّار" ، إلا أن ياقوت الحموي يفيد بأنه قيل : سُميت صحار بصحار بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وهو أخو رباب وطسم وجديس^(٢) ، وهناك من يقول إن هذا الاسم ينسب إلى رجل من العرب استوطن هذا المكان يسمى "صُحَّار" ، كما أن البعض رده إلى قبيلة من قبائل العرب البائدة^(٣) استوطنت هذا المكان ، ومع وجاهة هذا التعليل إلا أنه لا يستند إلى مصدر ، وقد استعمل العرب هذا الاسم في تسمية أبنائهم .

فمن بني قضاة من عرفوا بصحار نسبة إلى الصحراء ، لأنهم لما سئلوا من أنتم؟ قالوا : بنو الصحراء ، فقالت العرب : هؤلاء صحار ، اسم مشتق من الصحراء^(٤) ، وهناك أسماء عديدة اشتهرت قبل الإسلام وبعده باسم "صحار" وهذا يكفي للدلالة على أن اسم "صحار" عربي أصيل أطلقته العرب على قبائلها وأبنائها وبلدانها^(٥) ، وقيل إن الفرس أطلقوا على هذه المدينة اسم "مزون"^(٦) ، إلا أن المشهور

(١) لسان العرب ج ٤ ص : ١٦ ، مادة صَحَر ، الناشر دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٩٤ .

(٣) سعود بن سعيد السماحي : صحار الماضي والحاضر ص ٩ ، صحار الأمس واليوم : ص ٣ ، إصدار وزارة الإعلام ١٩٩١ .

(٤) قال زهير بن جناب في ذلك وهو يعني بني سعد بن زيد بن ليث بن سود يصل نسبهم إلى قُضاعة بن

مالك : فما إبلي بمقتدر عليها ولا حلبي الأصيل بمستعار

ستمعها فوارس من بلي وتمنعها الفوارس من صُحَّار

وهذا يدل على أن العرب أطلقت اسم صُحَّار على بعض من قبائلها ، انظر : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٩٣ .

(٥) أورد ابن منظور أن قرية باليمن تسمى صحار ج ٤ ص ١٦ .

(٦) اندرو ويليامسون : صحار عبر التاريخ ، ترجمة محمد أمين العدد الثاني من سلسلة تراثنا ، سلطنة عمان

وزارة التراث القومي والثقافة ، ديسمبر ١٩٧٩ م .

أن هذا الاسم سميت به عمان ، ولكن ربما أريد الجزء فأطلق على الكل والعكس يحدث أيضا ؛ "فعمان " مثلا نجد في بعض المصادر العربية أنها "مدينة حصينة على ساحل البحر" (١). ومن استطراد الوصف يتبين لنا أن المدينة المقصودة هي "صحار" ، لأنه لم يكن بعمان مدينة أخرى لها نفس تلك الصفات المذكورة. ولم يقتصر ذلك على المصادر العربية ؛ فأحد المؤرخين الرومان وهو " يلينوس " الذي عاش في القرن الأول للميلاد (٢٣م - ٧٩م) أورد في كتاباته اسم مدينة تسمى "عمانه" (OMANA) . وورد نفس الاسم عند بطليموس الذي عاش في القرن الثاني للميلاد (٢)، و"عمانه" هذه ما هي إلا "صحار" وذلك لشهرة عمان الملاحية والتجارية والصناعية ، وصحار كانت هي القلب النابض بهذه الحركة ، إلا أن اسم عمان كان فيما يبدو أكثر شيوعا فاعتقد البعض أن عمان ما هي إلا تلك المدينة التي كانت تعج بالنشاط الاقتصادي قبل الإسلام وبعده .

وقد دلت الآثار المكتشفة (٣) عن صحة الظن بأن "عمانه" التي وردت في كتابات المؤرخين الرومان ما هي إلا "صحار". وهكذا يتبين من هذا العرض الموجز أن صحار بتقدمها الحضاري قبل الإسلام وبعده استطاعت أن تكون لها الريادة على مدن "عمان" الأخرى ، وأن تنازع " عمان" الأم حتى في مسماها . وهذا دليل على أن موقعها الجغرافي له أثر كبير في حيازتها لهذا السبق الحضاري .

(١) الحميري : الروض المعطار ص ٤١٣ ،

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : حرف الصاد : مادة "صحز" : كلمة "صحار" : ج ٢١ ص ٦٤٩٢ ، الناشر دار الشارقة للإبداع الفكري ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، عمان في التاريخ ص : ٦٩ .

(٣) دلت الاكتشافات الأثرية عن وجود ازدهار اقتصادي لصحار من مئات السنين حيث كانت هناك مستوطنات صناعية للنحاس - مثل لسيل وتقع على واد جانبي من وادي الجزري ، وعرجا أيضا تقع في منطقة وادي الجزري ، وهناك مواقع أخرى مثل البيضاء وسمدة ، ودلت نتائج المسح الأثري أن أكبر مناجم النحاس قد وجدت في الجبال الواقعة خلف صحار وتبعد عن الساحل حوالي ٣٠ كم فقط . وهذا بدوره يعطي لموقع صحار أهمية ويعتبر عاملا من عوامل نجاح ازدهارها الحضاري قبل وبعد الإسلام ، انظر: عمان في التاريخ ص ٧٤ ، ب. م . كوستا (P . M . Costa) : مستوطنة عرجا لتعدين النحاس ، سلسلة من تراثنا ، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة العدد ٦٤ - ١٩٨٣ ، عمان في فجر التاريخ ص ٢٥، ٢٦ .

الموقع :

منطقة الباطنة :

تحتفظ عمان بنمطها التاريخي في تقسيمها الإداري من حيث إن الدولة تنقسم إلى ولايات وكل ولاية على رأسها وال يكون هو المسؤول الأول في ولايته . وبما أن عمان من الدول ذات الطابع القبلي ؛ فإن رؤساء القبائل كان لهم دور فاعل في ولاياتهم ، إلا أنه قد تقلص ذلك الدور مع وجود الجهاز الإداري العصري الذي تتعدد فيه الاختصاصات ، ومع ذلك فقد أبقى الدولة في العصر الحاضر على المؤسسة القبلية ، حيث إن لها دوراً ما في تسيير شؤون القبيلة بالتشاور مع والي تلك الولاية^(١). وسنعرف المزيد من التفصيل عن كيفية اختيار الوالي وتعيينه من خلال فصل التنظيم الإداري في صحار في موضعه من البحث إن شاء الله .

ولكي تكتمل الصورة أمام القارئ لابد من لفت الأنظار إلى أن عمان اليوم بموقعها ومساحتها المشار إليها في مبحث سابق تنقسم إلى ثلاث محافظات وخمس مناطق^(٢)، وكل محافظة أو منطقة تنقسم إلى عدد من الولايات^(٣)، ولكي نعرف موقع "صحار" لابد من الإشارة إلى المنطقة التي تقع فيها وهي منطقة الباطنة التي تطل على خليج عمان ، ويحدها من الشمال خليج عمان ، ومن الجنوب كل من منطقة الظاهرة والداخلية ؛ ومن الشرق محافظة مسقط ومن الغرب دولة الإمارات^(٤)، وتبلغ مساحة هذه المنطقة نحو (١٢,٥٠٠ كم٢) وتشكل نسبة ٤% من إجمالي مساحة سلطنة عمان البالغ ٣٠٩,٥٠٠ كم٢ ، وتحتل هذه المنطقة المرتبة السادسة بين مناطق

(١) عمان في ٢٠ عاما " الوعد والوفاء " ص ٩٠.

(٢) بموجب مرسوم سلطاني برقم ٦ / ٩١ سنة ١٩٩١.

(٣) الفرق بين المحافظة والمنطقة أن المحافظة يتم تعيين محافظ لها بمرسوم سلطاني وتكون الولايات في المحافظة تحت إشرافه . وقد خصت بعض المناطق بذلك لأهمية كل منها السياسية و الاقتصادية ، انظر عمان ٩٦ ص ٨٣ .

(٤) الأطلس الاجتماعي الاقتصادي، إصدار مركز المعلومات والتوثيق، وزارة التنمية، سلطنة عمان ص ٣٥ ، الأطلس سلطنة عمان والعالم ، إصدار وزارة التربية والتعليم .

ومحافظات عمان إلا أنها في المقابل تعتبر من حيث التركيز السكاني الثانية بعد محافظة مسقط العاصمة.

ولخصوبة أراضيها وتوفر المياه الجوفية العذبة بها فإنها تمثل القلب الزراعي لعمان حيث إن أراضيها الزراعية تشكل ٤٠ % من مساحة الأراضي الزراعية بعمان^(١)، وليس هناك ما يعوق التقدم الزراعي في هذه المنطقة في الوقت الراهن إلا كثرة استنزاف المياه الجوفية مما تسبب في زحف مياه الخليج المالحة في مسام التربة . فلذا سارعت الدولة باتخاذ تدابير تحمي تلك المياه من طغيان الملوحة عليها^(٢)، كما تمثل منطقة الباطنة الجسر التجاري البري بين السلطنة والبلدان الخليجية العربية ، كما قامت في هذه المنطقة الأسواق التجارية منذ فترة ما قبل الإسلام حيث يقع فيها سوقان من أسواق العرب قبل الإسلام وهما : سوق "صحار" وسوق "دبا"^(٣). ومن هذه المنطقة انطلقت المراكب العمانية تحمل البضائع المختلفة منذ آلاف السنين . وتشمل منطقة الباطنة اثني عشرة ولاية^(٤) غنية بخزائنها البرية والبحرية^(٥).

ولاية صحار :

تقع صحار في القسم الشمالي من منطقة الباطنة وفي الشمال الغربي من مسقط وتبعد عنها بـ ٢٣٤ كم ، وحدودها من الجنوب ولاية "صحم" ومن الشمال ولاية

(١) د. مصطفى محمد البغدادي : بحث مراكز الاستقرار البشري في منطقة الباطنة، سلطنة عمان . نشر بمجلة

بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية العدد السادس والعشرين أغسطس ١٩٩٦م ص : ١٣٥.

(٢) مسيرة الخير . جزء منطقة الباطنة ص : ١٢ إصدار وزارة الإعلام ١٤٠٦هـ / ١٩٩٥م .

(٣) انظر البحث الخاص بأسواق العرب في عمان من هذه الدراسة .

(٤) ولايات منطقة الباطنة تنقسم قسمين: منها الساحلي أي المطل على خليج عمان وهي من الجنوب الشرقي

إلى الشمال الغربي . بركاء - المصنعة - السويق - الخابورة - صحم - صحار - لوا ، شناس . أما

القسم الثاني فيقع في الداخل على سفوح سلسلة جبال الحجر الغربي وهي : الرستاق ، العواي ، نخل ، وادي

المعاول . وتحتل كل من صحار والرستاق مكان الصدارة في هذه المنطقة لتاريخهما السياسي والحضاري

وقد أولتهما الحكومة اهتماما خاصا حيث جعلت فيهما معظم المصالح الحكومية التي ترأس المكاتب

الإدارية والخدمية في هذه المنطقة بقسميها الشمالي والجنوبي ، انظر : مسيرة الخير : منطقة الباطنة ص ٢٣ .

(٥) مسيرة الخير : منطقة الباطنة ص ١٢ .

ولاية "لوا" ، ومن الشرق خليج عمان ويبلغ طول ساحلها عليه ٤٥ كم ، ومن الغرب ولاية " البريمي " في منطقة الظاهرة ، وتقدر مساحتها الآن بنحو ١٧٢٨ كم^٢ ، وتضم حوالي ٩٠ مدينة وقرية ويقدر عدد سكانها ب: ٨٠٤ ٩٠ نسمة حسب الإحصاءات الرسمية التي أجريت عام ١٩٩٣ م^(١)، وهي اليوم قرية من الحدود الشمالية الغربية لعمان ، إلا أنها خلال الفترة التاريخية التي يتناولها البحث كان موقعها يتوسط عمان حيث ورد في المصادر التاريخية أن عمان كانت أكبر مساحة منها الآن. ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار صحار قديما وجود وادي الجزري الذي يمتد ٢ كم في البحر وهو أطول مجرى مائي في المنطقة الوسطى من الباطنة ، وقد يكون له دور في الازدهار الملاحي لصحار بسبب ما كان له من امتداد بحري ؛ ولعل ذلك الامتداد كان يشكل ميناء طبيعيا لرسو السفن وخاصة الصغيرة منها التي لا تحتاج إلى مياه عميقة ، إلا أن أهميته تكمن في أنه كان منفذا للمناطق الواقعة في ظهر سلسلة جبال الحجر الغربي وأهمها "واحة البريمي" (توام^(٢) سابقا) التي تكثر بها المياه في معظم أيام العام ، وهذه المياه تغذي القنوات الجوفية فتجعل المنطقة التي حول "صحار" أفضل المناطق على الساحل^(٣)، فلذا نرى أنه بالقرب منها قامت مصانع النحاس وغيرها كما ازدهرت الزراعة في تلك المنطقة على نحو ما سنعرف لاحقا من هذا البحث ، وقد كان لوجود المياه العذبة على الساحل مباشرة دور فاعل في الازدهار الحضاري الذي شهدته صحار بالإضافة إلى الأفلاج التي تنبع من الجبال القريبة منها حيث توفرت بها مصادر المياه بنوعيتها المستخدمة في عمان من (الآبار و الأفلاج) .

(١) الأطلس الاجتماعي الاقتصادي لسلطنة عمان : ص ٣٥ ، صحار بين الأمس واليوم ص: ٨ ، ٧ .

(٢) سبق الإشارة إليها في الحديث عن موقع عمان .

(٣) اندرو وليامسون : صحار عبر التاريخ ص: ١١ - مصطفى البغدادي: مراكز الاستقرار في منطقة الباطنة

وهناك بعض الاقتراحات التي تقول بأن مدينة صحار قد يكون موقعها قد طغى عليه البحر حيث يشير بعض الدارسين لآثار صحار إلى ذلك وحدد المسافة التي دخلت في المياه بأنها على بعد حوالي أربعة كابلات^(١) من الشاطئ^(٢)، إلا أن هذا الافتراض لم تؤكد الدراسات الأثرية التي أجريت في صحار حتى الآن ، ومن مميزات موقع "صحار" أيضا أنها قريبة من المحيط الهندي ، ومن الجانب الآخر قريبة من الخليج العربي الذي يفصله عن خليج عمان مضيق هرمز ، وخليج عمان هو نقطة النهاية للسفن المبحرة للهند وما بعدها . وكانت الرحلة تستغرق شهرا أو أكثر في المحيط الهندي قبل أن تصل إلى أقرب الموانئ الهندية المواجهة للجزيرة العربية ، ولهذا كانت السفن لابد أن تتزود من موانئ خليج عمان ، وكانت صحار هي الأهم حيث كان يتوفر بها كل ما تحتاجه تلك السفن من المؤن^(٣)، هذا بالإضافة إلى أن موقع خليج عمان القريب من المحيط الهندي جعلها تستفيد من حركة الرياح الموسمية^(٤) التي تمر بالساحل الجنوبي للجزيرة العربية . وهذه الرياح كانت لها أهمية كبيرة في الحركة

(١) الكابل : وحدة طول بحرية وهي تساوي ٧٢٠ قدما في البحرية الأمريكية و ٦٠٨ قدما في البحرية البريطانية (انظر مستوطنة عرجا لتعدين النحاس ص : ٣٢) .

(٢) سالم بن حمود السبياني . عمان عبر التاريخ ج ١ ص : ٦٣ ، ب . م . كوستا : مستوطنة عرجا لتعدين النحاس ص : ٣٢ .

(٣) سليمان التاجر والسيراقي : أخبار الصين والهند ص ٣٨ ، تحقيق يوسف الشاروني ، الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ، رمضان ١٤٢٠ / ٢٠٠٠ م ، جورج فاضلو حوراني : العرب والملاح في المحيط الهندي ترجمة د. يعقوب بكر ، الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية . ص ٢٠٨ ؛ د. رجب محمد عبد الحليم : العمانيون والملاح والتجارة ونشر الإسلام : ص ٨٢ ، مكتبة العلوم بمسقط ، ١٤١٠ ، ١٩٨٩ م .

(٤) عرف الملاحون العمانيون حركة الرياح الموسمية التي تهب إلى منطقة المحيط الهندي . ففي شهر نوفمبر من كل سنة تندفع الرياح نحو الجنوب الغربي فتخرج السفن من خليج عمان إلى المحيط الهندي ثم تسير بمحاذاة الساحل الأفريقي الشرقي وفي شهر إبريل من كل سنة تنعكس العملية حيث تبدأ الرياح بالهبوب من الجنوب والجنوب الغربي بحيث تمكن السفن من العودة فلذا كان الموقع له دور فاعل في الاستفادة من الرياح الموسمية . انظر : عمان وتاريخها البحري : ص ٩٢ ، إصدار وزارة الإعلام والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٧٩ م ؛ عمان في التاريخ : ص ١٨٢ .

الملاحية مع شرق أفريقيا^(٢)، ولهذا فإن صحار قد استفادت من موقع خليج عمان الهام بالإضافة إلى المزايا التي وهبها الله لها من مياه عذبة قريبة المنال وأراض خصبة ومواقع قريبة غنية بالمعادن وأودية ذات منافع مائية كبيرة ، كما سهلت الأودية مناخ التواصل الذي تقدم ذكره . وهذه العوامل مجتمعة استطاع الإنسان العماني أن يجعل من صحار " دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق و مغوثة اليمن"^(٣).

(١) عمان وتاريخها البحري ص : ٩٢ ، د. أنور عبد العليم : الملاحاة وعلوم البحار عند العرب :ص ١٨ ، عمان في التاريخ : ص ١٨٢ .

(٢) المقدسي المعروف بالبشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٨٧ . وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم . دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

الباب الأول

الفصل الأول :

صحار في العهد النبوي والخلافة الراشدة

الفصل الثاني :

صحار في العهد الأموي وحتى قيام الإمامة الثانية

الفصل الثالث :

صحار من قيام الإمامة الثانية وحتى نهاية القرن الرابع الهجري

المفصل الأول

صحار في العهد النبوي والخلافة الراشدة

المبحث الأول :

صحار في العهد النبوي

المبحث الثاني :

صحار في عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الثالث :

مشاركة صحار في الفتوحات الإسلامية

المبحث الأول :

صحار في العهد النبوي

سبق وصول مبعوث رسول الله ﷺ إلى صحار لتسليم ملكيها رسالة النبي ﷺ ودعوتهما وقومهما إلى الإسلام اعتناق بعض أهلها لدين الله . وقد تشرف بعضهم بلقائه صلى الله عليه وسلم ، ونيل شرف الصحبة ، وكان أول هؤلاء علي وجه الترجيح هو: كعب بن برشة الطاحي^(١). وهو من صحار وكان يجيد الفارسية بجانب لغته العربية الأم ، بالإضافة إلى أنه كان مطلعاً على الكتب السماوية وكان يدين بالنصرانية^(٢). وعلى هذا فإنه كان ذا نزعة دينية يتلمس الحقيقة ، وإلا فكيف يدين بالنصرانية ومن حوله قومه وغيرهم كانوا يعبدون الأوثان وغيرها . ومن هنا ندرك سر اختيار المرزبان^(٣) له أن يذهب للحجاز ليستطلع خير النبي ﷺ وما يدعو إليه . وقد استجاب كعب لطلب المرزبان ، ولعل في استجابته ما يشير إلى أنه وجد فرصة سانحة ليتعرف عن قرب على دعوة المصطفى ﷺ حيث تفيد المصادر بأنه تشرف بلقائه عليه الصلاة والسلام ، وأسلم على يديه ، وعاد وهو يحمل دعوة الإسلام . إلا أن المصادر لم توضح تفاصيل رحلته ولا حددت زمنها ، ولكنها حتماً كانت بعد إسلام مازن بن غضوبة - الذي تشير المصادر التي أوردت قصة إسلامه إلى أنه أول من أسلم من أهل عمان^(٤) - وقبل مجيء عمرو بن العاص إلى صحار حاملاً رسالة

(١) كعب بن برشة : اختلف في اسم هذا الصحابي ، حيث سماه صاحب الصحيفة القحطانية: كعب بن برشة العودي ، ورقة ٢٩٩ ، وعند صاحب كتاب قصص وأخبار جرت في عمان ص ٤٠ باسم كعب بن برشة الفودي ، أما العوتبي في كتابه الأنساب : ج ١ ص ٢٥٩ ، فهو الذي سماه كعب بن برشة الطاحي ، وهو أقرب عهداً به فلذا يكون هو الأصح .

(٢) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٥٨ ، السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٧ .

(٣) المرزبان : هو لقب يطلقه الفرس على بعض قوادهم ، وكان اسم المرزبان الذي بصحار آنذاك بلذان . انظر البطاشي وإتحاف الأعيان: ص ١٢ .

(٤) ورد ذكر تلك المصادر في هامش ذكر قصة إسلام مازن في التمهيد .

المصطفى ﷺ في آخر العام الثامن من الهجرة الشريفة إلى ملكي عمان عبد وجيفر^(١)؛ ودلالة ذلك أنهما لم يقبلا بمضمون الرسالة إلا بعد أن استشارا كعباً في مدى ما يعرفه عن النبي ﷺ ودينه القويم .

وفيما يتبادر إلى الذهن أن لكعب رضى الله عنه دوراً في إسلام الكثير من أبناء قومه حيث إن قبائل صُحَار وغيرها من بلدان عمان وفدت على النبي ﷺ قبل مجيء عمرو بن العاص حاملاً رسالته عليه الصلاة والسلام إلى ملكي عمان ، ومن هذه القبائل وفد قبيلة كعب نفسه بنو طاحية^(٢)، فابن سعد يورد في طبقاته أن وفدا منهم ذهب إلى النبي ﷺ برئاسة أسد بن يرح الطاحي ، فسأله عليه الصلاة والسلام أن يبعث معهم رجلاً يقيم أمرهم ، فقال مخربة العبدي ؛ واسمه مدرك بن خُوط : ابعثني إليهم فان لهم على منة ؛ أسروني يوم جنوب فمِنُوا علي ، فوجهه الرسول ﷺ معهم^(٣).

ومن القبائل التي سارعت إلى الدخول في الإسلام أيضاً قبيلة بني الحِذَان^(٤) وقبيلة ثُمالة^(٥)، وقد زودهم رسول الله ﷺ بكتاب بين لهم فيه بعض تعاليم الإسلام

(١) جيفر وعبد ابنا الجلندي بن المستكر بن مسعود بن حدار بن عبد عز بن معولة بن شمس ، ملكا عمان ، توليا الحكم بعد أبيهما ، وتوارث بنو الجلندي حكم عمان حتى أواخر القرن الأول الهجري ، وكان الجلندي هو الذي يعثر الأسواق العربية في عمان : صحار ودبا في الجاهلية . انظر : العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٢٤٦ ، مخطوط الصحيفة القحطانية : ص ٦٠ ، ابن حبيب : المحبر ص ٢٦٥ .

(٢) طاحية : قبيلة من قبائل الأزْد تنتمي إلى طاحية بن سُود بن الحِجْر بن عمران بن عمرو مُزَيْنِيًّا . انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٧١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٣٥١ ، و مخربة العبدي : هو مخربة بن بشر من بني عمرو بن الجعيد بن صيرة بن الدئل بن قيس بن زيد بن رثاب العبدي وإنما سمي مخربة لأن السلاح خربه لكثرة لبسه إياه ، وانفرد ابن سعد بإيرادِه باسم مدرك بن خوط . انظر : الإصابة ج ٦ ص ٤٨ ؛ الأغاني ج ١٦ ص ٣٦٣ (٤) بنو الحِذَان : تنسب هذه القبيلة إلى الحِذَان بن شمس أخو معولة بن شمس . وأحفاد معولة بن شمس هم ملوك عمان حين أشرقت شمس الإسلام عليها ، انظر : السمعاني : الأنساب ج ٢ : ص ١٨٤ ؛ ابن الأثير : اللباب ج ١ : ص ٣٨٤ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ : ص ٢٤٥ .

(٥) ثُمالة هو لقب لعوف بن أسلم بن أحجن ينتهي نسبه إلى نصر بن الأزْد وقد نسبت القبيلة للثُمالة ، وهو رغبة اللبن والجمع ثُمال . انظر : ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٩٢ ؛ السمعاني : الأنساب ج ٣ ص ١٤٠ ؛ العوتبي : الأنساب ص ٢٠٣ .

القيمة وخاصة فيما يجب عليهم من الصدقة . وهذا الكتاب يشير بما لا جدال فيه إلى أن هذه القبائل كانت تعيش في صحار وما حولها حيث يقول الرسول ﷺ: "هذا كتاب من محمد رسول الله لبادية الأسياف ونازلة الأجواف مما حازت صحار"^(١) وقد كان رئيس وفد بني الحدان مسليه بن هزان الحداني . أما وفد ثمالة فكان برئاسة عبد الله بن علس الثمالي^(٢) . ويخلص الباحث من كل ما تقدم إلى أن الإسلام قد أنار "عمان" بصفة عامة و"صحار" بصفة خاصة قبل وصول مبعوث رسول الله ﷺ وأن من أبناء "صحار" من تشرف بلقاء الرسول ونال شرف الصحبة وأن الذين أسلموا لم يقتصرُوا بهذا الخير على أنفسهم فقط وإنما أخذوا يدعون قومهم إلى هذا الدين القويم فلذا رأينا بعض القبائل تبعث وفودها إلى الرسول ﷺ وتدخل طوعا في دين الله .

وهذا مما يدل على سلامة الفطرة التي كانت تتمتع بها تلك النفوس ، فلم ترد أي إشارة في المصادر إلى أن أحدا من العمانيين وصلته دعوة الإسلام فأبى اعتناقه ، ولا أنهم ظلوا قابعين في ديارهم منتظرين حتى ينحسم أمر الصراع بين النبي ﷺ وقومه كما فعلت بعض القبائل العربية^(٣) .

ملكا عمان والإسلام :

تعتبر عمان كما سبق القول من البلاد القليلة في الجزيرة العربية التي كانت تتمتع بكيان سياسي مستقل ، ولذا برزت "صحار" في ذلك الوقت لا كسوق من أسواق العرب المنتشرة في الجزيرة العربية فحسب ، ولكن كعاصمة لبلد مترامي الأطراف من البحرين شمالا وحتى اليمن جنوبا ، وكان اعتناق القيادة السياسية لها

(١) انظر نص هذا الكتاب الشريف في الملاحق .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٣٥٣ ؛ النويري : نهاية الإرب : ج ١٨ ص ١١٦ ، ومسلية بن هزان ويقال بن هذان الحداني ، وعبد الله بن علس الثمالي لم أجد لهما ترجمة سوي ذكر تشرفهما بلقاء رسول الله ﷺ بعد الفتح ، ويبدو أنهما كانا مترافقين كل منهما على رأس قبيلته بدليل أن النبي ﷺ كتب لهما كتابا واحدا . انظر : ابن حجر : الإصابة ج ٦ ص ١١٨ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٨٦ ، ٣٥٢ .

(٣) د. رجب محمد عبد الحليم : العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام . ص ٢٠ .

للدين الإسلامي من الأهمية بمكان إذا ما أريد لهذا الدين الجديد أن ينتشر ويعم ربوع تلك البلاد رغم ما علمنا من أن بعض الأفراد والقبائل التي تنضوي تحت لواء هذه القيادة بالمفهوم العام قد اعتنقوا الإسلام طواعية بل سعوا إليه سعيا .

وهناك إشارات في هذا البحث إلى وجود ديانات ما قبل الإسلام بعمان كالتصرانية والجوسية بالإضافة إلى الوثنية التي كان يعتنقها أغلب العرب في الجزيرة العربية ، وكانت "صحار" هي الحاضرة التي تحتضن تلك التعددية الدينية في عمان باعتبارها مركزا تجاريا وعاصمة سياسية ، كل ذلك يدلنا على المساحة الكبيرة المعطاة لأفراد هذه الأمة من الحرية الفكرية بمفهومها الواسع - إذا جاز هذا التعبير - ويلقي الضوء على نوعية الحكام الذين يديرون شئون تلك البلاد . ولقد كان لذلك أثره الكبير في اعتناق العمانيين للدين الإسلامي ؛ فبمجرد تسلم ملكيها راية الانقياد لما يدعو إليه البشير النذير ﷺ ، لى كل عماني نداء الفطرة الذي انطلق من صحار فدخل الناس في دين الله أفواجا .

صحار تستقبل مبعوثي النبي ﷺ إليها :

بعث النبي ﷺ عمرو بن العاص وأبا زيد الأنصاري إلى صحار لتسليم رسالته الكريمة إلى ملكي عمان عبد وجيفر ابني الجلندي بن المستكير ، وكان الصحابي الجليل عمرو بن العاص هو حامل الرسالة ^(١) . و تفيد بعض المصادر أن أبا زيد الأنصاري كان برفقته ، كما تفيد أن الرسول ﷺ أوصاهما أنه : "إن أجاب القوم إلى شهادة الحق وأطاعوا الله ورسوله ، فعمرو الأمير وأبو زيد على الصلاة وتعليم القرآن والسنن" ^(٢)

(١) الطبري : ج ٢ : ص ١٧٧ ج ٣ : ص ٢٥٨ ؛ ابن حبيب : المحرر ص ٧٧ ؛ برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية ج ١ : ص ٣٠١ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ص ٨٧ ؛ ابن رزيق : الصحيفة العدنانية ص ٢٠٠ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط : ص ٩٧ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ٨٧ ، ويغلب الباحث هذه الرواية للأسباب الآتية : أولا : أنه لا بد لعمرو بن العاص من رفيق لقطع هذه المسافة الطويلة بين المدينة المنورة وصحار حيث تفصلهما فيافي وقفار ؛ ثانيا : أن عمان بلد مترامي الأطراف ، فقيام فرد واحد بالمهمة كلها من الصعوبة بمكان ؛ ثالثا : تقدم أبي زيد للصلاة وتعليم الناس السنن ربما كان لعظم المسؤولية التي سيتولاها الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه من الإمارة وجمع الصلقات ، بالإضافة -

أما مسألة تحديد السنة التي قدم فيها هذا الوفد فمن الأرجح أن تكون في أواخر السنة الثامنة من الهجرة وذلك لغلبة الروايات التي نصت على أن عمرو بن العاص قدم صحار في السنة آتفة الذكر^(١). ورغم أن بعض المصادر ذكرت أن وصول عمرو بن العاص كان في السنة السادسة^(٢) فإن هذا مستبعد لأنه كما سبقت الإشارة ، أسلم في شهر صفر من السنة الثامنة . وهناك رواية أخرى تقول إنه وصل إلى عمان في العام الحادي عشر . وقد رجح الدكتور عبد المنعم سلطان صاحب كتاب "صفحات من تاريخ عمان" هذه الرواية^(٣)؛ وذلك لأن عمرو بن العاص قد بعثه الرسول ﷺ إلى فزارة في العام التاسع ، وأيضاً كانت مشاركته في غزوة تبوك بين رجب و رمضان من السنة التاسعة للهجرة ، كما أسلم إليه المصطفى ﷺ جمع صدقات قبائل سعد و عذرة وجذام في العام التاسع أيضاً^(٤). ولا يرى الباحث

= إلى أن أبا زيد رضى الله عنه هو أقرأ لكتاب الله ، حيث إن عمرو بن العاص كان حديث عهد بالإسلام فهو قد أسلم في صفر من العام الثامن ، ووفوده لعمان كان في ذي القعدة من السنة نفسها ، وكان لاختيار عمرو بن العاص لتلك المهمة مبرراته لأن النظر في شئون الإمارة يحتاج إلى حنكة وحسن إدارة ودهاء خاصة أنه يتعامل مع رجال دولة لهم نفوذ كبير في بلدهم ، وليس من السهل أن يرتضوا أحداً ينزعهم سلطاتهم ، إلا إذا كان ذلك الرجل كعمرو بن العاص الذي تربى على السياسة والدهاء وحسن التعامل مع القضايا الكبيرة .

(١) ابن هشام : ج ٣ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة : ج ٤ : ص ٢٤٥ ؛ ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٢ ، ج ٤ : ص ٦٥١ ، ٦٥٢ ، طبعة دار الجليل ١٩٩٢ م ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب . ج ٣ ص ٢ .

(٢) انظر الطبري : ج ٢ : ص ١٤٥ .

(٣) انظر د. عبد المنعم عبد الحميد سلطان : صفحات من تاريخ عمان . العصر الإسلامي منذ دخول الإسلام حتى سنة ١٣٤ هـ دار نشر الثقافة بالإسكندرية ١٩٩١ م : ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) رواية يعقوبي كما أشرت تفيد أن ذات السلاسل حدثت في السنة التاسعة ، بينما أغلب المصادر التي ذكرتها كانت محددة بالشهر والسنة في جمادى الآخر من السنة الثامنة للهجرة ، انظر : الواقدي : المغازي ج ١ ص ٦ / ج ٢ : ص ٧٧٠ ، ٧٧٤ ؛ تاريخ الطبري : ج ٢ ص ١٤٦ ؛ وفي الإصابة لابن حجر : ج ٣ ص ٢ : أن عمرو بن العاص أسلم في العام ٨ هـ ، ومن ثم ولاه الرسول ﷺ ذات السلاسل ، ثم استعمله على عمان ، وفي الاستيعاب لابن عبد البر وهو أقدم من ابن حجر أيضاً أورد نفس النص : ج ٤ ص ٥٠٨ ، بينما ينص ابن سعد في الطبقات الكبرى : ج ١ القسم الثاني ص ١٩ : " أن الرسول ﷺ بعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ٨ هـ " .

تضاربا بين هذه الروايات السابقة ، فالروايات التي أشارت إلى قدومه عمان في العام الحادي عشر يمكن حملها على أن إقامته في عمان كانت غير دائمة طوال تلك الفترة - أي من العام الثامن وحتى الحادي عشر للهجرة - فقد كان يعود للمدينة ، ويشارك في الغزوات ، ويكون بين يدي النبي ﷺ حيثما يوجهه ، ثم يذهب إلى صحار لمهمته الأساسية هناك وهي جمع الصدقات ، والنظر في المسائل التي قد تستعصي على ملكي عمان ، وقد نصت على ذلك بعض الروايات حيث يقول عمرو رضي الله عنه في معرض الثناء على ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندی : "صدقا بالنبي ﷺ وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم" (١) .

وعندما وصل عمرو بن العاص إلى صحار كان أول من لقيه عبد بن الجلندی فدار بينهما حوار استشف عمرو رضي الله عنه من خلاله حسن الخلق الذي كان يتمتع به عبد بن الجلندی وعظم حلمه حيث قال في آخر هذا الحوار : "ما أحسن هذا الذي يدعو إليه - يقصد النبي ﷺ - لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويسير ذنبا" (٢) . ولما اجتمع عمرو بالملك جيفر ، دفع إليه كتاب النبي ، فقرأه ثم دفعه إلى أخيه فقرأه وكان نص الكتاب : "بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندی ، السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوكما بدعاية الإسلام ، أسلما تسلما ، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأتذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام ، فإن ملككما زایل وخيلي تطأ ساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما" . وكان الكاتب لهذا أبى بن

(١) الطبري : تاريخ الطبري المجلد الثاني ص ١٧٧ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى : ج ١ القسم الثاني : ص ١٨ ؛ البلاذري : فتوح البلدان . ص ٩٢ ؛ الطبري في روايته الأولى ج ٢ : ص ١٢٨ ؛ ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد : ج ٣ ص ٦٩٥ ؛ ابن طولون الدمشقي : إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ص ١٠٠ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٨ ؛ الزيلعي : نصب الرأية - ج ٤ ص ٤٢٤ .

(٢) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٧ ؛ السيابي : عمان عبر التاريخ : ج ١ ص ١١٩ ، ١٢٠ ؛ العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٢٦١ ، ومعني ذنبا : تبعا لغیره . انظر القاموس المحيط : ص ٨٥ .

كعب ، وهو عليه الصلاة والسلام المملي عليه^(١). وقد طلب جيفر من عمرو مهلة للنظر في الأمر الذي جاء من أجله ، وجمع جيفر أعيان مملكته واستدعى كعب بن برشة الطاحي الذي سبق أن تشرف بلقاء الرسول ﷺ وأسلم على يديه وكان ممن أهل الكتاب على دين النصرانية ، وقد قرأ الكتب وعرف صفات النبي ﷺ^(٢) ، فلذا كان اختيار جيفر له من قبيل التأكد وإفهام بعض القوم الذين لم يعلموا بعد ما تحملهم رسالة الإسلام من مبادئ سامية ، وما يدعو إليه النبي من خير ، ولكي يكون قراره المصيري مبني على قاعدة صلبة لأنه أدرك أن دخوله في هذا الدين ليس كدخول أي فرد ، وإنما يمثل اعتناقه للإسلام اعتناق أمة بكاملها ، كما أن الأمانة التي سيتحملها بعد ذلك هي أمانة نشر هذا الدين القيم بين أفراد مملكته ؛ وهذا الأمر ربما ستتبعه تضحيات حمة ، فلذا لابد أن يكون الأمر مؤسسا على رأى من يمثلون ضمير الأمة والمجتمع ، بالإضافة إلى أن هذا الموقف من جيفر يعطى دلالات تتم على رقى الفكر وسعة الإدراك ؛ فمبدأ الشورى الذي اتخذه يدل على أن الاستبداد لا مكان له في ذلك المجتمع^(٣). وسنرى فيما بعد السعي الدائم طوال الأجيال المتلاحقة في هذا المجتمع لتطبيق مبدأ الشورى والعدالة الحقبة التي أرساها الإسلام ، وكيف كانت مبادئه هي المنطلق وتحقيقها هو الغاية . وباعتناق ملكي عمان الإسلام كانت النهاية الحقيقية لكل معبود يعبد على أرضها سوى الواحد القهار حيث سارع جيفر بإرسال الرسل إلى كل أطراف عمان تبشر بالإسلام وتدعو كل من كان على أرضها إلى اعتناقه

(١) انظر : صورة من أصل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ضمن ملاحق هذا البحث ، ابن سعد : الطبقات الكبرى : ج ١ : قسم ٢ : ص ١٨ ، ١٩ ؛ العوتبي : الأنساب : ج ٢ : ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي و الشمايل والسير : ص ٢٦٧ ، ٢٦٩ دار الجيل ، بيروت ١٩٨٤ ؛ ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير العباد : ج ٣ : ص ٦٣٩ ، القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٦ : ص ٣٨٠ ؛ علي برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية : ج ٣ : ص ٢٩٦ ؛ الزيلعي : نصب الراية : ج ٤ : ص ٤٢٣ .

(٢) العوتبي : الأنساب . ج ٢ : ص ٢٥٩ ؛ السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ : ص ٥٧ ؛ السيابي : عمان عبر التاريخ : ج ١ : ص ١١٤ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان : ص ١٢ .

(٣) الجهمضي : حياة عمان الفكرية : ص ٥٦ .

حيث انطلقت رسله من "صحار" إلى "دبا"^(١) في الشمال وما جاورها وإلى أقصى الجنوب العماني : الشحر وأرض مهرة^(٢)، وهذا يدل على أن ملكي "عمان" كانا يحكمان عمان بأكملها حيث إن كل من وصلته دعوتهما لبوا الدعوة وأسلموا إلا الفرس الذين كانوا بعمان في تلك الفترة وبالأخص الذين كانوا في صحار^(٣) حيث تتركز قيادتهم في مدينة دَسْتَجَرْد^(٤).

صحار و إخراج الفرس من عمان

بما أن صحار هي العاصمة فإن من المحتم أن يكون لها الدور الأساسي في اتخاذ أي قرار وخاصة أنها دخلت عهدا جديدا في ظل الإسلام ، وهذا يتطلب أن تكون الكلمة العليا طبقا لشريعته ، وبناء على ذلك فانه يتحتم أن يخضع الكل لهذه الشريعة مسلمين وغيرهم ، وخاصة أنه لم يبق أي فرد من أبناء عمان إلا وقد انضم تحت لواء

(١) دبا : تقع في الجنوب الشرقي من محافظة مسندم على خليج عمان وهي إحدى ولايات هذه المحافظة التي تقع في أقصى شمال عمان ، وكانت دبا من الأسواق العربية في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وكلنت تعقد في رجب بعد انقضاء سوق صحار ويعشرها الجلندي بن المستكبر ، وفي العهد الإسلامي ظهر منها قادة وعلماء منهم القائد الشهير أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة ومنهم كعب بن سور بن بكر الأزدي الذي ولاه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء البصرة فكان أول قاض بها . انظر : ابن حبيب : المحبر: ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٣٥ ، وزارة الإعلام العمانية : مسيرة الخير (مسندم) ص ٣٨ .

(٢) الشحر : سبق التعريف بها ، وأرض مهرة أي التي تقطعها قبائل مهرة بن جيدان بن عمرو من قضاة خرجت من اليمن مع مالك بن فهم الأزدي واستقر بعضهم بالشحر في جنوب عمان وواصل البعض الآخر مسيره مع مالك بن فهم واستقروا بشمال عمان ومنهم بنو ريام . انظر : الكلبي : نسب معد واليمن الكبير ج ٣ ص ١٤٠ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٤٠ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٤ ، العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) العوتبي : الأنساب : ج ٢ : ص ٢٦١ ، السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ : ص ٥٥ ، السياري : عمان عبر التاريخ : ج ١ : ص ١١٤ ، تاريخ أهل عمان : تحقيق وشرح د. سعيد عاشور : ص ٤١ ، ابن رزيق : الصحيفة العدنانية : ص ٢٠٠ ، مخطوط ، الإزكري : كشف الغمة : ص ٤١ ، مطبوع .

(٤) دَسْتَجَرْد : بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح التاء وكسر الجيم وبعدها راء ساكنة ، وهي كانت مدينة في صحار يسكنها الفرس ، و يوجد عدد آخر من اللدن الفارسية يحمل نفس الاسم . انظر الحموي : معجم البلدان ج ٢ : ص ٤٥٤ .

هذا الدين القيم ، فلذا كان موقفهم تجاه الجالية الفارسية المقيمة في عمان موقفا صلبا لا هوادة فيه ، وهو غير ناتج عن تعصب عنصري مقيت ، وإنما من منطلق إيماني ، لأنهم أرادوا أن تكون هوية هذه البلاد هي الإسلام الخالص وحده . وهذا يدرك من خلال الحوار الذي دار بين جيفر و أساورة الفرس الذين دعاهم للاجتماع فقال لهم جيفر إنه قد بعث نبي من العرب فاختاروا هنا إحدى حالتين: إما أن تسلموا وتدخلوا فيما دخلنا فيه وإما أن تخرجوا عنا بأنفسكم ، فأبوا أن يسلموا ، وقالوا: لسنا نخرج. عندئذ اجتمعت الأزدي إلى جيفر وقالوا : لا تجاورنا العجم بعد اليوم^(١)، وكان لابد من اللقاء العسكري الذي أدى إلى انتصار القوة الإيمانية حيث قتل قائد الفرس "مسكان" ومن بقي منهم تحصنوا في مدينة دستجرد ولما طال الحصار عليهم طلبوا الصلح فتم على أن يتركوا كل صفراء وبيضاء وحلقة ويراع^(٢).

وبذلك خلصت عمان من دنس كل عابد لغير الله عز وجل . وقد رفض العمانيون مجاورة هؤلاء الجوس ، ولم يكن ذلك حبا في أن يفوزوا وحدهم بجني خيرات بلادهم الغنية ، ولا من أجل استغلال عائدات التجارة البحرية التي كانت عمان تشتهر بها وكانت صحار هي المركز الرئيسي لها في ذلك الوقت ، ولكن رفضهم كان مرجعه الروح الإيمانية التي بثها الإسلام فيهم حيث أرادوا تعميم ذلك الخير على كل قاطن لأرض عمان^(٣). والدليل على ذلك أنهم لم يطلبوا مددا أو

(١) مؤلف مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٤١ ، الإزكوي : كشف الغمة تحقيق القيسي ص ٤٢ ، السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ : ص ٥٥ ، السيادي : عمان عبر التاريخ ص ١١٤ ، البطاشي : إتخاف الأعيان : ص ٢٠ ، حسين علي السري : بحث البحرين وعمان في عهد النبوة : ص ٣٥ نشر بالجملة العربية للعلوم الإنسانية : جامعة الكويت : العدد ٤٠ : ١٩٩٢ ، د. سعيد الغيلاني : انتشار الإسلام في إقليم الخليج العربي في القرنين الأول والثاني الهجري : ص ٤٦ .

(٢) السالمي : نفس المصدر السابق ، السيادي : نفس المصدر السابق : ص ١١٥ .

(٣) حاول " م . س . و لكنسون " أن يبرر سرعة قبول العمانيين لهذا الدين القويم بأنها " من أجل أن يتخلصوا من الحكم الفارسي ، وأن يملكوا البلاد بقراها الغنية ، وأن يجنوا ثمرات التجارة البحرية " ، وهذا تشكيك في الروح الإيمانية التي دفعت هؤلاء القوم للإسلام . انظر : و لكنسون : بنو الجبلندي في عمان : ص ١٢ - ١٣ ، العدد ٣٦ من سلسلة تراثنا ، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ١٩٩٤ .

مساعدة من إخوانهم المسلمين من خارج الأرض العمانية . كما أن إخراج الفرس من عمان حسب ما يتراءى للباحث يجر على العمانيين عداوة بلاد الفرس المجاورة لهم في الطرف الشرقي من الخليج . ولا بد أنه كان بين الطرفين منافع تجارية ، وهذا الموقف يضعف النشاط الاقتصادي والتبادل التجاري لعمان عموما ولصحار خاصة ، ولكن رسوخ العقيدة جعل العمانيين غير ناظرين لما يترتب على ذلك من خسارة مادية لأن نشر الإسلام والدعوة في سبيل الله هي أسمى من كل منفعة . ومما سبق نستخلص أن عمان تشرفت بدخول الإسلام من ناحيتين :

أولا : سعى بعض أهلها إليه حينما علموا بظهور النبي ﷺ فذهبوا للقاءه ولم يعد أحد منهم إلا وهو يحمل الإسلام بين جنبيه وكانوا خير دعاة لقومهم .
ثانيا : عن طريق مبعوث النبي ﷺ وهو أيضا لم يجد مشقة في إقناع القوم بخيرية الإسلام ، وكان أثر ذلك هو إسلام حكام عمان و محكوميهـم على السواء دون أن يظأ رسول الله أرضهم بخف ولا حافر .

المبحث الثاني : صحار في عهد الخلفاء الراشدين

لقد كان لحدث وفاة سيد البشرية ﷺ وقع كبير في بلاد الإسلام آنذاك ، وأحدث أسى عميقا في نفوس المؤمنين فكانوا بين مصدق ومكذب إلى أن جاء الصديق وصعد المنبر وأعلن للناس خبر الوفاة مبتدئا بقوله تعالى : "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين" (١) ، ولما وصل صحار هذا النبأ الأليم هم الصحابي الجليل عمرو بن العاص بالعودة إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قد رأى أن مهمته بوفاته قد انتهت ، بالإضافة إلى أنه أحب أن يكون قريبا من القيادة الإسلامية الجديدة . وقد عز على العمانيين حكاما ومحكومين أن يتركوا عامل رسول الله ﷺ يذهب بنفسه فهم شركاء الأمة في هذا الخطب الجلل فلذا سارعت القيادة بتشكيل وفد كبير يضم سبعين رجلا من رجالات القوم في "صحار" وغيرها من المدن العمانية ، وكان على رأس هذا الوفد أحد ملكي عمان ، وهو عبد بن الجلندی

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

ويضم الوفد جيفر بن جشم العتكي وأبا صفرة ظالم بن سراق وحماني بن جرو بن واسع بن وهب^(١)، ويبدو للباحث أن من أهم مهام هذا الوفد :
أولا: إكرام عامل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا يدل على عمق الإيمان ،
ورسوخ الإسلام ، ومدى حبهم للمصطفى عليه الصلاة والسلام .
ثانيا: المشاركة الفاعلة لإخوانهم المسلمين في مصاهم الفادح .
ثالثا: مبايعة من ستؤول إليه قيادة أمر المسلمين ، وإظهار وفائهم لدولة الإسلام
وانقيادهم التام لها .

رابعا: تأمين وصول الصحابي الجليل عمرو بن العاص سالما غانما لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خاصة أنهم ربما كانوا على دراية بعدم رسوخ عقيدة الإسلام عند بعض القبائل العربية لأن "صحار" هي مركز من مراكز التقاء القبائل العربية من كل أنحاء الجزيرة العربية ، وعلى هذا الافتراض ربما كانوا قد توقعوا الغدر من هذه القبائل بكل من له صلة كبرى بالقيادة الإسلامية ، وكان عمرو بن العاص أحد القادة الكبار في دولة المسلمين . وحين نتابع سير هذا الركب المبارك ندرك أهمية هذه الرفقة لأن

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان : ج ٤ : ص ٣٢٣، ٣٢٩ - تحقيق إحسان عباس. بيروت ؛ ابن دريد: الاشتقاق : ص ٥٠١ ؛ السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ : ص ٦٢ . جيفر بن جشم العتكي الأزدي : ذكر وثيمة في كتاب الردة أنه وفد مع عمرو بن العاص من عمان إلى أبي بكر الصديق بعد وفاة النبي ﷺ . انظر : ابن حجر : الإصابة : الجزء الأول : القسم الأول : ص ٥٤٢ ، وظالم بن سراق اختلف في اسمه فقبيل ظالم بن سراق وقيل ظالم بن سارف العتكي وهو معدود من الصحابة وقد وهبه الخالق عز وجل جمال خلقه وفصاحة لسان ، فقدم في وفد على النبي ﷺ ، فلما رآه أعجبه ما رأى فقال له من أنت قال له أنا قاطع بن سارق بن ظالم ، فقال له النبي ﷺ : أنت أبو صفرة دع عنك سارقا وظالما ، فقال أشهد أن لا إله إلا الله ، والراجح أنه يسمى ظالم بن سراق كما ذكره الكلبي وابن سعد والعتوبي وابن حزم ، ومن أشهر أولاده المهلب ابن أبي صفرة القائد الإسلامي المشهور . انظر : الكلبي : نسب معد واليمن الكبير ج ٢ ص ١١١٨ ؛ العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١٢٠ ؛ ابن حجر : الإصابة ج ٧ ص ٢٢٠ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ٧ ص ٧١ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٥ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٦٧ ، وحماني بن جرو هو : حماني بن جرو بن واسع بن وهب بن سلمة الأزدي ، جد أبي بكر بن دريد الأزدي اللغوي ، وورد عن ابن دريد قوله : كان جدي أول من أسلم من آبائي ، وهو من السبعين راكبا الذين خرجوا مع عمرو بن العاص إلى المدينة من عمان لما بلغهم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . انظر : ابن حجر : الإصابة : القسم الأول : ج ٢ : ص ١٧٩ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان : ص ١٧ .

القبائل التي نزلوا بساحة زعمائها أكرمتمهم ، حيث مروا بملك البحرين المنذر بن ساوى^(١)، وهو على فراش الموت ، وقد استشار المنذر عمرو بن العاص في ثروته فنصحه أن يتصدق بصدقة جارية ، فعمل المنذر بهذه النصيحة^(٢)، وواصل الركب سيره ، وفي بلاد بني عامر نزلوا في ضيافة قرة بن هبيرة القشيري^(٣) فأحسن استقبالهم. وعندما هموا بالرحيل طلب قرة من عمرو أن يقترح على خليفة رسول الله ﷺ أن يتنازل عن أخذ الزكاة من قبائل العرب وقال: "فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فتسمع لكم وتطيع وإن أبيتم فلا أرى إلا أن تجتمع عليكم العرب" فرد عليه عمرو قائلاً : أكفرت يا قرة ؟^(٤) ، وكانت هذه إشارة من قرة بتمرد بعض القبائل العربية وارتدادها عن ملة الإسلام ، لذا كان رد عمرو بن العاص رضى الله عنه حاسماً حين اتهمه بالكفر ، ولولا وجود تلك الرفقة العمانية لربما تعرض عمرو لشيء من الأذى.

وعندما وصل الركب الميمون مدينة رسول الله ﷺ كان أمر الخلافة قد حسم فاجتمع الوفد بالصديق رضى الله عنه خليفة رسول الله ﷺ فقام ظالم بن سراق مخاطباً الخليفة أباً بكر قائلاً : "يا خليفة رسول الله ويا معشر قريش هذه أمانة^(٥) كانت في أيدينا وفي ذمتنا ووديعه لرسول الله عليه السلام قد برئنا إليكم منها ". فرد الصديق رضى الله عنه قائلاً بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "يا معشر أهل عمان ، إنكم أسلمتم طوعاً ولم

(١) المنذر بن ساوى بن الأخنس بن بيان بن عمرو بن داود التميمي الدارمي العبدي ، من عبد القيس ، وكان ملك البحرين ، وقد بعث النبي إليه العلاء الحضرمي قبل الفتح فأسلم ، وتوفي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقليل وقبل الردة التي حدثت في بلاده ، انظر : ابن حجر : الإصابة : القسم الأول : ج ٢ ص ٢١٦ ، ابن سعد : الطبقات : ج ٤ ص ٢٠٢ ؛ الطبري : ج ٢ ص ١٩٩ .

(٢) الطبري : ج ٣ ص ٢٥٨ .

(٣) قرة بن هبيرة القشيري بن عامر بن سلمة بن قشير بن كعب بن عامر بن صعصعة العامري ، وكان قد كساه النبي صلى الله عليه وسلم برداً . انظر : ابن حجر : الإصابة : القسم الثاني ج ٥ ص ٤٢٠ ؛ البلاذري : فتوح البلدان : ج ٢ ص ١٠٦ ؛ ابن سعد : الطبقات : ج ١ ص ٣٠٢ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٦٩ ؛ ابن نافع : معجم الصحابة ج ٢ ص ٣٥٧ .

(٤) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٦٣ .

(٥) المقصود بهذه الكلمة هو الصحابي عمرو بن العاص عامل رسول الله ﷺ على عمان .

يطأ رسول الله ﷺ ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشتموه ما جشمه غيركم من العرب ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل". ثم أشار أبو بكر رضي الله عنه إلى رسوخ إيمان أهل عمان قائلاً : " وكنتم على خير حال حتى أتتكم وفاة رسول الله ﷺ ، فأظهرتم ما يضاعف فضلكم وقمتم مقاماً حمدناكم فيه"^(١)، ثم أثنى عمرو بن العاص على أهل عمان وعلى ما لقي من ملكيها من حفاوة وإكرام حيث ورد عنه قوله : "صدقا بالنبي ﷺ وخلياً بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهما ، وكانا لي عوناً على من خالفني فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم"^(٢)، وكل هذه الحفاوة التي قوبل بها الوفد العماني إنما تدل على عمق الروابط الروحية وحسن إسلام القوم حيث أدرك الصديق رضي الله عنه التزامهم به وحسن سيرتهم وصدق مشاعرهم في ظروف حالكة كانت تمر بها دولة المسلمين . فلذا كان قرار خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه بترك أمر عمان في يد ملكيها عبد و جيفر^(٣) هو خير دليل على ذلك مع تعيين الصحابي حذيفة بن محسن^(٤) جانياً للصدقات حسب ما تفيده بعض المصادر^(٥)، وهكذا لم يتم تغيز الحياة السياسية في صحار في عهد الخليفة أبي بكر الصديق وإنما استمر الحال كما كان في العهد النبوي ، وقد انتهت مهمة عمرو بن العاص في عمان بعودته إلى مدينة رسول الله ﷺ .

مشاركة صحار في حرب المرتدين :

لقد أعقبت وفاة النبي ﷺ فترة عصيبة في كيان الأمة الإسلامية حيث سارعت

(١) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ : ص ٦٠ ، مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٤٣ ؛ الإزكوى : كشف الغمة تحقيق القيسي ص ٤٣ .

(٢) ابن طولون الدمشقي : إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ص ٢٩ .

(٣) الإزكوى : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٤٤ ، ابن رزق : مخ الصحيفة العدنانية ص ٢٠٠

(٤) حذيفة بن محسن الغلفاني : استعمله أبو بكر - رضي الله عنه - على عمان ، واستعمله الفاروق عمر بن الخطاب على "عمان واليمامة" وهو حميري من الأزدي ، انظر : البلاذري : ج ٢ ص ٨٨ ؛ الطبري : ج ٢ ص ٢٩١ و ٣٨٠ ؛ ابن حجر الإصابة : القسم الأول : ج ٢ ص ٢٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٦ ص ٣٣٠ ، ج ٧ ص ٧٣ .

(٥) خليفة بن خياط : تاريخه ص ١٢٣ ؛ يعقوبي : تاريخه ص ٢ ، ١٣٨ .

بعض القبائل العربية إلى العصيان. منها من امتنع عن أداء الزكاة ومنها من ادعى بعض أفرادها النبوة ، فلذا واجه خليفة رسول الله ﷺ امتحانا عصيبا ، إلا أنه رضى الله عنه لم تلن عريكته ، بل كان موقفه حازما وحاسما دون مهاودة حتى قال : "إن الزكاة مثل الصلاة ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه" ، فجادله كثير من الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنهم وقال لأبي بكر الصديق : "تألف الناس وارفق بهم فأنهم بمنزلة الوحش" ، فرد خليفة رسول الله ﷺ : "رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك ، أجبار في الجاهلية ، وخوار في الإسلام ، قد انقطع الوحي وتم الدين . أينقص وأنا حي؟! والله لأجاهدكم مهما استمسك السيف في يدي ، وإن منعوني عقالا"^(١) ، وبعد ذلك اقتنع الفاروق حيث قال : "فوالله ما هو إلا أن رأيت أن شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق" ، وقال : "والله لقد رجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة في قتال أهل الردة"^(٢) .

ومن هذا المنطلق اختار أبو بكر رضى الله عنه جيوشه لقتال هؤلاء المرتدين ومانعى الزكاة ، وكان لرجال "صحار" سهم حيث كلف الخليفة عبد بن الجندى ليرأس سرية لقتال أهل جفنة^(٣) في بلاد الشام وكان معه الرجال المرافقون له^(٤) ، بالإضافة إلى عدد آخر من المسلمين فيهم شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت رضى الله عنه ، وقد أظهر عبد في قيادة هذه السرية من حسن السياسة والقيادة ماحقق النجاح لمهمته دون قتال ، مما دفع الصحابي الجليل حسان بن ثابت أن يثني عليه بين يدي الخليفة الصديق حيث قال : قد شهر مقام عبد في الجاهلية والإسلام ، فلم أر رجلا أحزم ولا أحسن منه تدبيرا ورأيا ، هو والله من وهب نفسه في يوم غارت صباحه وأظلم صباحه" . فقال أبو بكر : "هو يا أبا الوليد كما ذكرت

(١) احمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية : ج ١ ص ٩ : دار صادر ، بيروت .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٦٠ .

(٣) آل جفنة : هم بنو جفنة بن مازن أو غسان بن الأزد استوطنوا الشام . انظر المعارف لابن قتيبة ص ١٠٧ .

(٤) الرجال المرافقون له في الوفد الذي رافق عمرو بن العاص وهو عائد إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ وقد سبق الحديث عن ذلك .

والقول يقصر عن وصفه ، والوصف يقصر عن فضله"^(١)، وهكذا أراد الخليفة الأول رضوان الله عليه أن يشرف العمانيين بهذه المكرمة وأن يسجل لهم التاريخ هذه المشاركة الفاعلة في إخماد فتنة المرتدين التي هزت كيان الأمة الإسلامية التي ينتمون إليها . وهنا لابد من الإشارة إلى دقة الاختيار لدى خليفة رسول الله ﷺ وتوخى النجاح حيث إن الوفد العماني معظمه من رجال الأزد وقد يكون من أشركهم الصديق أيضا من الأزد والدليل على ذلك هو وجود الصحابي حسان بن ثابت فهو ينتمي إلى قبيلة الأزد ، كما أن آل جفنة هم فرع آخر من قبيلة الأزد أيضا ، فلذا لابد من استنتاج دلالة على ذلك ، وهو أن هذه السرية قد تنجح في مهمتها قبل أن تلجأ إلى القتال لما للقبيلة من دور في تهئية ظروف الإقناع أو لمعرفة كوامن النجاح سواء بالسلم أو بالحرب ، وهذا ما تم فعلا في هذه السرية .

صحار في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

سبقت الإشارة إلى أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه أبقى تسيير أمر عمان بيد ملكيها عبد و جيفر مع وجود عامل الخلافة حذيفة بن محصن . وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقر نفس الوضع القائم مع تغيير العامل حيث عين الفاروق بعد حذيفة بن محصن ، بلال الأنصاري ، إلا أنه سرعان ما استبدل به عثمان بن أبي العاص الثقفي^(٢)، ويبدو للباحث أن هذا التغيير كان الهدف

(١) السلمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٦٠ ، السيابي : عمان عبر التاريخ : ج ١ ص ١٣٤ ، و غارت صباحه : أي صبحتهم الخيل ، وهو كناية عن الإبكار في المعركة ، والعرب تقول اذا نذرت بغارة من الخيل تفجؤهم صباحا : يا صباحاه ، انظر : لسان العرب مادة صبح : ج ٤ ص ٩ .

(٢) أسد الغابة : ج ١ ص ١٤٦ ، الاستيعاب : ج ١ ص ١٨٣ ، وابن أبي العاص : عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان من ثقيف . صحابي من أهل الطائف أسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف فبقى في عمله إلى أيام عمر ، ثم ولاه عمر "عمان" و"البحرين" سنه ١٥ هـ ، له فتوحات وغزوات بالهند وفارس . توفي سنة ٥١ هـ / ٦٧١ م . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى : ج ٥ ص ٥٠٨ ؛ ابن حجر : الإصابة : القسم الأول : ج ٤ ص ٤٥١ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء : القسم الأول ج ٢ ص ٣٤٧ ؛ ابن نافع : معجم الصحابة : ج ٢ ص ٢٥٦ ؛ الزركلي : الأعلام : ج ٤ ص ٢٠٧ . وفي رواية لليعقوبي ج ٢ : ١٦١ تقول : إن والى عمان في عهد =

منه هو إعطاء عثمان بن أبي العاص صلاحيات أوسع من عمل جباية الصدقات ،
وذلك ليوليه قيادة الجيش الفاتح من عمان إلى بلاد السند ، وغيرها .
صحار في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه :

أقر الخليفة عثمان الأمر القائم في عهد الفاروق في السنوات الأولى من توليه
الخلافة. وتذكر المصادر العمانية أنه في خلافته تولى زمام الحكم في عمان عباد بن عبد
ابن الجندى بعد وفاة ملكيها عبد وجيفر، ولكن هذه المصادر تذكر أنهما ماتا في عهد
الخليفة عثمان ، والخليفة على بن أبي طالب^(١) ويبدو أن أحدهما توفي في عهد الخليفة
الثالث ، والثاني توفي في عهد الخليفة الرابع وأن عبادا قد بدأ يباشر مسئوليات الحكم
في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وانفرد به في خلافة الإمام على بن أبي
طالب كرم الله وجهه بعد موت الأخير من الملكين ، وفي عام ٢٩ هـ / ٦٤٩ م عين
الخليفة عثمان واليا على البصرة ، وهو عبد الله بن عامر بن كريز^(٢)، وأسند إليه
الإشراف على عمان ، وجمع له جند عثمان بن أبي العاص^(٣)، وهذا يدل على أن
الخليفة قد عزل عثمان بن أبي العاص ، وجمع كل الصلاحيات في عمان في يد أبنائها
وأن والي البصرة عليه دور الإشراف ، وبهذا تصبح عمان غير خاضعة لدار الخلافة
مباشرة ، وبهذا خلعت صحار من والي الخلافة في آخر عهد الخليفة الثالث من الخلافة
الراشدة.

= الفاروق : هو أبو هريرة وهذا غير صحيح حسب ما تفيد أغلب المصادر . (انظر خليفة بن خياط في
أحداث سنة ١٥ هـ حيث يذكر أن الخليفة عين عثمان بن أبي العاص على عمان : ص ١٣٤) .
(١) السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ : ص ٦٥ ، مؤلف مجهول : تاريخ أهل عمان : ص ٤٥ ، الإزكوي :
تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة بتحقيق القيسي : ص ٤٤ .
(٢) الطبري : تاريخه : ج ٥ : ص ٩٩ ، و عبد الله بن عامر هو : عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن
حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ابن خال الخليفة عثمان بن عفان ولد قبل وفاة الرسول صلى
الله عليه وسلم بستين ، وصف بالجود والشجاعة ، ولاء عثمان البصرة بعد عثمان بن أبي العاص فافتتح
"خراسان" وأطراف فارس وسجستان وكرمان ، وتولى لمعاوية ثلاث سنين بالبصرة ومات سنة سبع أو
ثمان وخمسين للهجرة . ابن حجر الإصابة : القسم الثاني : ج ٥ ص ١٦ ، ابن سعد الطبقات الكبرى :
ج ٥ : ص ٤٤ .

(٣) الطبري : المصدر السابق : ص ١٠١ .

صحار في عهد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

كان مركز الحكم في صحار بيد أبنائها من آل الجلندی كما ذكرنا ، وكان هناك عامل الخلافة الذي كان من مهامه جباية الصدقات ، وقيادة الجيوش الفاتحة المنطلقة من عمان . وفي عهد الإمام علي بن أبي طالب عين عليها واليا هو الحلو بن عوف الأزدي^(١) ، مع الحفاظ على صلاحيات حاكمها ، وأعاد مرجعية شئون إدارتها إلى مقر الخلافة ، ونزع إشراف والي البصرة عليها ، ومرة أخرى استقبلت "صحار" والي الخلافة الراشدة ، وعلى ذلك انتهت خلافة الراشدين دون أي تغيير في مسار الحكم في عمان منذ العهد النبوي ، ولم تفد المصادر أي خلاف بين والي الخلافة وملوك عمان في تلك الفترة ، وهذا يعطى دلالة على أن أمر الخليفة هو النافذ وأن انقيادهم لسلطان الدولة الإسلامية لم يكن صوريا وإنما كان فعليا لأنهم نظروا إلى الحكم على أساس أنه مبني على أسس شرعية تقوم على الشورى ، وتهدف إلى تحقيق العدالة الإسلامية التي نص عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ونشر الهداية وتحرير الإنسان من عبودية العباد إلى عبادة رب العباد.

(١) تاريخ يعقوبي : ج ٢ : ص ١٩٥ ، وانفرد يعقوبي بهذا الخبر ولم أجد للحلو بن عوف ترجمة في المصادر المتاحة .

المبحث الثالث :

مشاركة صحار في الفتوحات الإسلامية

إن من أعظم مزايا الإسلام أنه دين الفطرة والعقيدة السمحة ، ودين الرحمة والعطف والعدل والمساواة ، فهو لا يقبل الظلم ولا الطغيان ، ولهذا تهاقت أقوام من البشر في أنحاء مختلفة من هذه المعمورة لاعتناقه ، وذلك حينما وصلتهم دعوة الحق ، وكان لهذه الدعوة طريق مباشر ، وهو خروج الفاتحين والدعاة إلى الله ، يدعون الناس إلى رحاب الإسلام ، ويصدون كل عائق يواجههم في طريقهم لإيصال هذا الخير لبني البشر ، وهؤلاء قد بذلوا أرواحهم ، وأموالهم في سبيل الله ، وذلك امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى : (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)^(١).

لقد توفي الرسول ﷺ بعد أن بلغ رسالة ربه ، وعم الإسلام ربوع الجزيرة العربية . وبما أن الإسلام لا يعرف الحدود الزمانية ولا المكانية ، فقد تحمل المسلمون الأمانة ، حيث خرجوا يفتحون بلاد الله لدين الله ، وفي مدة قرن وبعض القرن ، أصبحت دولة الإسلام تمتد إلى الهند والصين شرقاً ، وإلى المحيط الأطلسي أو بحر الظلمات غرباً ، ومن البحر الأسود ، والبحر المتوسط ، إلى صحارى السودان جنوباً . وكان للعمانيين دور في نشر الإسلام في أماكن وصلها الفاتحون حيث تورد كثير من المصادر اشتراك قبائل الأزدي العمانية في تلك الفتوحات ، ومن ذلك المشاركة في فتح الهند والسند^(٢) . لقد كان العمانيون رجال بحر منذ قديم الزمن ، وذلك بفضل موقع البلاد المطل على البحر و بساحل طويل ، ولذا برعوا في ركوب البحر واشتهرت

(١) الآية ٤١ من سورة التوبة .

(٢) استعمل العرب اسم بلاد الهند والسند : فالهند هي ما وراء نهر السند والذي كان يسمى نهر (الأنديس) .. أما السند فهي الأراضي الراقعة على ضفتي هذا النهر ، وكانت هناك علاقات تجارية بين العرب و سكان الهند والسند منذ آلاف السنين . انظر : د. عبدالله جمال الدين : التاريخ والحضارة الإسلامية في باكستان والسند والبنجاب إلى آخر الحكم العربي : ص ٩ الناشر : دار الصحوة للنشر ١٩٩١ القاهرة.

عمان منذ آلاف السنين بصناعة السفن^(١) وعلى هذا الأساس انطلق جيش عماني بقيادة عثمان بن أبي العاص والى الخلافة الراشدة في صحار ، في عهد الفاروق عمر بن الخطاب ، ليغزو الهند وكان نزول هذا الجيش في " تانة " على الساحل الغربي من الهند سنة ١٥ هـ، وحقت هذه الحملة مهامها حيث تم إخضاع تلك المنطقة للحكم الإسلامي وعادت هذه الحملة مكلفة بالنصر .

فكتب عثمان يبشر الخليفة عمر بذلك ، فما كان من الخليفة عمر إلا أن عاتب واليه على ذلك إشفاقا على أرواح المؤمنين من ارتياد البحر قائلا له : " يا أخا ثقيف ! حملت دودا على عود ، وإن أحلف أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم " ، ولكن عثمان بن أبي العاص يبدو أنه أقنع الخليفة بمهارة الأزدي في ركوب البحر ، حيث أخذ يواصل فتوحاته ، فأرسل أخاه الحكم بن أبي العاص إلى " بروص " ^(٢) ، ثم أرسل حملة أخرى بقيادة أخيه المغيرة الذي وصل إلى منطقة " الدييل " في السند ، وقد حققت هذه الحملات أهدافها ^(٣) ، وهذا مما شجع الخلفاء الراشدين ومن بعدهم الأمويين أن يعتمدوا على عرب " عمان والبحرين " في خوض غمار البحار والتوغل في أقاليم الهند والسند في سنة ٤٢ هـ / ٦٦٢ م ؛ حيث أرسل والى العراق عبد الله بن عامر بن كريز

(١) المسعودي : مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٣٢ ، و الحكم بن أبي العاص بن بشر الثقفي ، ولاء أخوه عثمان " البحرين " نيابة عنه وقد قاد عدة جيوش من قبل أخيه . انظر ابن حجر : الإصابة : القسم الأول : ج ٢ : ١٠٤ ، ابن خياط : الطبقات : ج ١ ص ١٩٧ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٥٠٩ ، البلاذري : فتوح البلدان : ص ٣٢ ، ٦٠٧ ، و " بروص " هي مدينة " بروج " بفتح الواو وجيم ؛ من مدن الهند البحرية وأطبيها انظر الحموي : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٠٤ ؛ البحار العماني أحمد بن ماجد : الفوائد في أصول البحر : ص ٤٥٢ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٦٠٧ ، و الدييل : مدينة مشهورة على ساحل البحر الهندي إلى الجنوب الشرقي من كراتشي حاليا وتبعد عنها بحوالي ٤٠ كم في دولة باكستان : ياقوت الحموي : ج ٢ : ٤٩٤ ، وعمان في التاريخ : ص ١٤٩ .

جيشا إلى ثغور الهند بقيادة راشد بن عمرو الحديدي^(١) ، وبعد ذلك نجد القائد العماني الشهير المهلب بن أبي صفرة^(٢) يقوم بحملات موفقة سنة ٤٤هـ / ٦٦٤م في "القيقان" و"قنديل" ، ثم بعد ذلك يتجه شمالا ، فيتمكن من فتح "لاهور" وما جاورها من بلاد^(٣).

موقعة جلولاء^(٤)

بعد أن خبر عثمان بن أبي العاص مهارة أهل عمان في ركوب البحر ، وغامر

(١) خليفة بن خياط : تاريخه : ص ٢٠٥ ، و راشد بن عمرو هو راشد بن عمرو الحديدي الأزدي ، كان من قادة المسلمين الفاتحين تولى ثغر الهند وأوغل في بلاد السند وقد قتل في أرض الهند حسب رواية ابن خياط سنة إحدى وخمسين ، أما الحموي فيقول بأنه قتل بالسند بعد أن فتح "القيقان" إلا أن ابن خياط أقرب عهدا به . انظر ابن خياط : تاريخه : ٢٠٥-٢١١ ، البلاذري : فتوح البلدان : ج ٢ : ٤٢٢ ، الحموي : معجم البلدان : ج ٥ : ص ١٧٩ .

(٢) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي : "٧هـ / ٦٢٨م - ٨٣هـ / ٧٠٢م" أمير ، قائد ، عالم ، ولد في "دب" بعمان ، ونشأ بالبصرة ، انتدب لقتال الأزارقة ، فقام يحاربهم تسعة عشر عاما ، لقي فيها منهم الأهوال ، حتى تم له الظفر بهم ، فولاه عبد الملك بن مروان البصرة ثم خراسان وظل بها حتى توفي ، وكان أول من أخذ الركب من الحديد وكانت قبل ذلك من الخشب ، ابن حجر : الإصابة / القسم الثاني / ج ٦ : ٣٨٦ ، ابن سعد الطبقات : ج ٧ : ١٢٩ ، النهي : أعلام النبلا ج ٤ : ٣٨٣-٣٨٤ ، دليل أعلام عمان : ١٥٤ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط : ٢٠٦ ، الحموي : معجم البلدان : ج ٢ : ٤٢٣ ، قيقان : من بلاد السند وهي منطقة تشتمل على الأقاليم الجبلية التي تقع في الأجزاء الغربية من باكستان حاليا ، انظر الحموي : معجم البلدان : ج ٤ : ٤٢٣ ، د. جمال الدين : التاريخ والحضارة الإسلامية ص ٩ ، قنديل : بالفتح ثم السكون وبعدها الألف ثم ياء مكسورة هي مدينة بالسند وهي تعرف الآن باسم "كنداوا" قاعدة إقليم "كاتشي" بلوشستان في باكستان . الحموي : معجم البلدان : ج ٤ : ص ٣٠٤ ، لاهور : مدينة معروفة في باكستان ، وقد سماها خليفة بن خياط "الاهور" ، أما الحموي : فسمها لاهور بفتح أوله وسكون ثانيه ، وهي مدينة عظيمة في بلاد الهند . انظر تاريخ خليفة بن خياط : ٢٠٦ ؛ معجم البلدان ج ٥ ص ٢٦ ؛ عمان في التاريخ : ١٤٨ .

(٤) جلولاء : بالعراق في أول الجبل على طريق خراسان ؛ وقد اشتهرت بتلك الموقعة المشهورة بين المسلمين والفرس سنة ١٦هـ وقد حقق الله للمسلمين نصرا مؤزرا ؛ وكان ذلك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ قتل فيها من الأعاجم الكثير وكانت غنيمة المسلمين فيها أكثر منها يوم القادسية . انظر الحموي : معجم البلدان : ج ٢ : ١٥٦ ؛ البغدادي : مرصد الإطلاع ج ١ : ص ٣٤٣ ؛ الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار : ص ١٦٨ ، مكتبة لبنان ط ثانية ١٩٨٤ .

كما أسلفنا في حملته إلى بلاد الهند والسند دون إذن الخليفة عمر بن الخطاب استطاع أن يؤكد للخليفة قدرة العمانيين على ركوب البحر ، وأنه لا خوف من وراء ذلك ، فلذا تلقى أمرا من الخليفة عمر رضى الله عنه أن يقطع بأهل عمان البحر إلى "سيرا ف" وشطوط فارس^(١) ؛ للقضاء على بقايا الفرس خوفا من أن يقوى أمرهم ، فشكل عثمان بن أبي العاص حملة ؛ قدرها ثلاثة آلاف من قبائل "عمان" منهم صبرة ابن شيمان الحداني^(٢)، وكان على رأس أفراد قبيلته أزد شنودة ، وعلى رأس بني مالك: يزيد بن جعفر الجهضمي^(٣) ، ويتقدم بني عمران : أبو صفرة العتكي ، ولا بد أن تكون تهيئة هذه الحملة في "صحار" العاصمة ومقر الوالي من قبل الخلافة ، رغم أن المصادر تشير إلى أن الحملة قد انطلقت من "جلفار"^(٤) إلى جزيرة "ابن كاوان"^(٥)

(١) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٣٢٤ ؛ السلمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٩٨ .

(٢) صبرة بن شيمان الحداني : أحد قادة الجند العمانيين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، خرج تحت إمرة عثمان بن أبي العاص الثقفي والي الخليفة على عمان ، فقطعوا البحر إلى فارس وتغلغلوا فيها حتى نفذوا إلى شمال العراق ووصلوا إلى البصرة فاستقر بها ، العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٤٥ ، أبو الحسين العبدى : العفو والاعتذار : ج ٢ ص ٤٨٠ ، ابن دريد : الاشتقاق : ص ٥١١ .

(٣) يزيد بن جعفر الجهضمي : زعيم عاش في القرن الأول الهجري ، خرج على رأس آل مالك بن فهم عندما خرج عثمان بن أبي العاص الثقفي والي عمان من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع ثلاثة آلاف مقاتل من أهل عمان لغزو الفرس دليل أعلام عمان : ١٧٤ : ط أولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ، بيروت ، لبنان .

(٤) جلفار : بضم أوله وفتح ثانيه مع التشديد . كانت إحدى المدن العمانية في العصر الذي تتناوله هذه الرسالة وفي العصر الحديث عرفت "برأس الخيمة" وهي إحدى الإمارات المكونة لدولة الإمارات العربية المتحدة ، وتقع على مدخل الخليج العربي انظر : الحموي : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٢٨ ، ١٥٤ ، أبو بشر السلمي : هضبة الأعيان ص ٨ ، مجموعة من الباحثين : عمان في التاريخ : ص ١٢٢ .

(٥) جزيرة "ابن كاوان" : كانت تسمى أيضا "أوال" كما قال عنها صاحب معجم البلدان : "جزيرة يحيط بها البحر ، فيها نخل كثير وليمون وبساتين" ، وفي الروض المعطار : للحميري اسمها : "ابركاوان" : ص ٩ ، أنور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب : ص ٧٨ .

وهي دولة البحرين حاليا ، وهناك استطاعت هذه القوات الاستيلاء على الجزيرة سلماً؛ حيث انتقلت القوات الفارسية إلى جزيرة "القسم" ، ولكن القوات الإسلامية لحقت بهم ، فدارت بين الطرفين معركة ، فحقق المسلمون النصر ، وقتل القائد الفارسي "شهرک" ^(١) فجاء رجل من الیحمد یسمى جدید بن مالک ، أو مالک بن جدید ، جاء برأس "شهرک" إلى عثمان بن أبی العاص ، ثم واصلت القوات الإسلامية سيرها ، فافتتحت مدينة "توج" ^(٢) ، وابتنوا بها البناء ، حيث استقر البعض بها وقد أورد ذلك خليفة بن خياط في أحداث سنة ١٩ هـ ^(٣) .

وقد واصل عثمان بن أبی العاص فتوحاته في تلك المناطق ، حيث تفيد المصادر بأنه افتتح "اصطخر" ^(٤) في عام ٣٢ هـ / ٦٥٢ م ، و تفيد المصادر العمانية أن بعض العمانيين الذين شاركوا في هذه الحملات قد استقروا في تلك المناطق المفتوحة ^(٥) ، ورجع بعضهم إلى عمان ، وبعضهم اتجه إلى البصرة ، فكان أول من نزها من أهل عمان ثمانية عشر رجلاً ؛ منهم كعب بن سور الأزدي ^(٦) الذي تقلد منصب

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٢ ، العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ١٢٣ ، الصحيفة القحطانية : ٣٠٧
(٢) توج : بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحته : مدينة بفارس قرية من "كازرون" شديدة الحر لأنها في غور من الأرض ، افتتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد توجه جيش الحكم الذي أرسله أخوه عثمان بن أبی العاص لفتحها من عمان وسكنها قبائل عبد القيس انظر الحموي : معجم البلدان : ج ٢ ص ٥٦ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط : ص ١٤٢ .

(٤) اصطخر: بالكسر وسكون الحاء المعجمة ؛ وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها وبها كان سكن ملك الفرس ، حتى تحول أردشير إلى "جور" وقد اشتهر بها كثير من العلماء منهم ابراهيم بن محمد الاصطخري المكنى بأبي إسحاق ، صاحب كتاب مسالك الممالك ، والمتوفى : ٣٤٦ هـ انظر الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٢١١ ؛ الزركلي : الأعلام ج ١ : ص ٦١ .

(٥) العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ١٢٥ ؛ الصحيفة القحطانية : ص ٢٢٦ ؛ الصحيفة العدنانية : ص ٣٠٤ ، الجهمضي : الحياة الفكرية في عمان ص ٦٦ .

(٦) كعب بن سور بن بكر الأزدي : تابعي من الأعيان المقدمين في صدر الإسلام بعثه عمر قاضياً لأهل البصرة ، وعاملاً له عليها ، وأقره عثمان . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى : ج ٧ : ٦٣ ؛ وكيح : أخبار القضاة : ج ١ ص ٢٧٤ ، ٢٨٣ ؛ الزركلي : الأعلام : ج ٥ ص ٢٢٧ .

القضاء من قبل الخليفة : عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - على البصرة .
وهذا كان للعمانيين دور في انطلاق تلك الجيوش الفاتحة ؛ حيث شلركت في
نشر كلمة التوحيد ، ورفع راية الإسلام ، وكانت صحار آنذاك هي المحور الذي يتم
منه التخطيط والتجهيز والاستعداد لتلك الحملات الناجحة .

الفصل الثاني

صحار في العهد الأموي وحتى قيام الإمامة الثانية

المبحث الأول :

صحار في العهد الأموي من سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م
وحتى ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م

المبحث الثاني :

صحار منذ بداية العهد العباسي حتى قيام الإمامة
الثانية
(١٣٢ - ١٧٧ هـ / ٧٤٩ - ٧٩٣ م)

(أ) صحار في عهد الإمامة الأولى من سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م وحتى ١٣٤ هـ / ٧٥١ م

(ب) صحار من سنة ١٣٤ هـ / ٧٥١ م وحتى قيام الإمامة الثانية سنة ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م

المبحث الأول :

صحار في العهد الأموي

تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة بعد صراع مرير عاشته الأمة الإسلامية في أواخر عهد الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فاستطاع معاوية أن يقطع ثمرة ذلك الصراع ، وينهي عهد الخلافة الراشدة التي كانت من أروع النماذج التي عرفت البشرية في تطبيق العدل والشورى بعد العهد النبوي الكريم . وفي التقسيم الإداري الذي تبناه معاوية في إدارة أقاليم البلاد الإسلامية كانت عمان تتبع والي البصرة بالإضافة إلى البحرين وخراسان وسجستان والهند ، فالمصادر تفيد أن معاوية ولى زياد بن أبيه تلك الأقاليم في سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م^(١)، إلا أن عمان حقيقة كانت في أيدي ملوكها عباد وابنيه سليمان وسعيد .

والمؤرخون العمانيون ينفون سلطان الدولة الأموية حتى عهد عبد الملك بن مروان^(٢)، حينما استطاع الحجاج إخضاع عمان لسلطته بالقوة ، وهم محقون في ذلك لأن صحار عاصمة عمان لم تعرف عاملاً من قبل الدولة الأموية في تلك الفترة ، ويبدو أن الدولة الأموية رأت أن أحوال عمان مستقرة ولا تشكل لها أي خطر في ذلك الحين ، وكانت أولوياتها منصبة على تثبيت أركان الدولة وتوسيع رقعتها حيث وصلت الجيوش الأموية إلى نهر جيحون وعبروه إلى بخارى وسمرقند

(١) ابن خياط : تاريخه : ص ٢٠٧ ؛ الطبري : تاريخه : ج ٦ ص ١٠٦ ؛ ابن الأثير : الكامل : ج ٣

ص ٤٤٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ٥١٣ ؛ أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر : ج ١

ص ٢٨٥ . و زياد بن أبيه (١-٥٣ هـ / ٦٢٢-٦٧٣ م) : أمير من القادة الدهاء الفاتحين الولاة من أهل

الطائف . اختلف في اسم أبيه ، فقليل : عبيد الثقفي ، وقيل أبو سفيان ، ولدته أمه سميه جارية الحارث بن

كلدة الثقفي في الطائف . تولى فارس من قبل الإمام علي بن أبي طالب ، وولاه معاوية البصرة ، والكوفة

وسائر العراق حتى توفي . انظر : ابن خلدون : تاريخه : ج ٣ ص ١٥٠ ، ابن الأثير : الكامل ج ٣

ص ١٩٥ ، الطبري : تاريخه : ج ٦ ص ١٦٢ ، الزركلي : الأعلام : ج ٣ ص ٥٣ .

(٢) السالمي : التحفة : ج ١ ص ٧١ ، الإزكوي : تاريخ عمان (تحقيق القيسي) : ص ٤٤ ، مؤلف مجهول

تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ أهل عمان : ص ٤٧ .

وكان من قادة ذلك الجيش المهلب بن أبي صفرة^(١). كما استطاع عقبة بن نافع أن يصل إلى أقصى بلاد المغرب ، وعندما رأى المحيط الأطلسي قال : يا رب لولا هذا البحر لمضيت مجاهدا في سبيلك^(٢). كما كانت الجيوش الإسلامية تتوغل في بلاد الهند والسند حتى وصلت قندهار وكابل^(٣).

وفي ظل تلك الطموحات والظروف الداخلية كاحتواء المعارضين للبيت الأموي كانت سياسة اللين هي الأنجح خاصة إذا علم أن الخليفة معاوية هو أحد دهاة العرب^(٤)، ولولا ذلك لما استطاع أن يتربع على كرسي الخلافة ، بالإضافة إلى أن عمان كانت بعيدة عن مركز الخلافة ولا تتدخل في شؤون الحكم الأموي ولا تمثل له بؤرة صراع ، مع علم الخلفاء يقينا أنه ليس من السهل إخضاع عمان مباشرة لمركز الخلافة لأنها عاشت طوال عهدها منذ أن دخل الإسلام إليها في أيدي أهلها إكراما لهم لتلك المبادرة الطيبة التي استقبلوا بها رسول النبي ﷺ في صحار ملبين

(١) ابن خياط : تاريخه ص ٢٣٥ ؛ زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية ج ١ : ص ١٦٥ ؛ ابن أعثم : الفتوح المجلد ٢ ج ٤ ص ٣٢٠ .

(٢) زيني دحلان : نفس المصدر : ص ١٦٦ . وعقبة بن نافع هو : عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري من كبار قادة الفتح الإسلامي للمغرب العربي . ولد في حياة النبي ﷺ قبل الهجرة بعام ، شهد فتح مصر ، فوجهه عمرو بن العاص إلى إفريقية سنة ٤٢ هـ فافتتح الكثير من تخومها واتخذ القيروان مقرا له فبنى فيها مسجدا ما يزال يعرف باسمه ، وفي سنة ٥٥ هـ عزله معاوية عنها ثم عاد إليها في عهد يزيد سنة ٦٢ هـ فواصل فتوحاته فيها ووصل إلى المغرب الأقصى . استشهد في سنة ٦٣ هـ في تهودة من أرض الزاب .

(٣) عبد الله جمال الدين : التاريخ والحضارة الإسلامية في باكستان أو السند والبنجاب : ص ٢٦ .

(٤) أخرج ابن عساكر عن الشعبي قوله : " دهاة العرب أربعة : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وزيد ، فأما معاوية فللحلم والأناة ، وأما عمرو فللمعضلات ، وأما المغيرة فللمبادهة ، وأما زيد فللكبير والصغير " ، وأخرج أيضا : " القضاة أربعة ، والدهاة أربعة ، فأما القضاة : فعمرو وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت ، وأما الدهاة فمعاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزيد " . وفي رواية الطبري : " دهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة رهط ... " ، فذكرهم ما عدا زيادا وأضاف إليهم قيس بن سعد ، ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي . انظر : الطبري ج ٦ : ص ٣٤ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء : ص ٢٤٣ ؛ الذهبي : أعلام النبلاء : القسم الأول : ج ٣ ص ٥٨ ؛ ابن أبي يعلى : طبقات الخنابلة : ج ١ ص ٢٤٨ .

دعوته عليه الصلاة والسلام بالدخول في دين الله القويم ، وقد أشاد النبي صلى الله عليه وسلم بموقفهم النبيل هذا في أكثر من مناسبة كما تقدم ذكره . فإذا كان ذلك حال العمانيين في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، فإنهم من الأحرى أن لا يفرطوا باستقلالهم في ظل دولة بني أمية التي حولت الخلافة من خلافة راشدة أساسها العدل والشورى إلى ملك عضوض^(١).

النجادات في عمان :

استطاعت النجادات^(٢) أن تسيطر على اليمامة والبحرين ، وحاول عبد الله بن الزبير إخراجهم بقيادة أخيه مصعب في سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م^(٣)، إلا أنه لم يستطع ؛

(١) تحول الحكم في العهد الأموي إلى وراثية قهرية ، بسبب استخلاف معاوية لابنه الذي فرضه على الناس بقوة السيف . وقد أجمعت المصادر التاريخية على ذلك : انظر الطبري : تاريخه : ج ٦ ص ١٧٤ ؛ ابن أعثم : الفتوح : ج ٣ : ص ١١ ؛ ابن خياط : تاريخه : ص ٢٥٢ .

(٢) النجادات هم فرقة من فرق الخوارج نسبت إلى لجندة بن عامر من بني حنيفة بن بكر بن وائل ، وهم من الفرق التي قالت بوجوب الهجرة من معسكر السلطان واستحلوا دماء مخالفيهم وأمواهم وسي ذاريهم . انظر الشهرستاني : الملل والنحل : ص ١٢٢ ؛ الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ : ص ١٧٤ ؛ الراشدي : الإمام أبو عبيدة وفتحه : ص ١٤٣ ؛ الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية : ص ٤٢١ .

(٣) النويري : نهاية الأرب ج ٢١ : ص ٥٦ ؛ سلطان : صفحات من تاريخ عمان في العصر الإسلامي : ص ٦٥ ؛ ابن الأثير : الكامل : ج ٤ : ص ٢٠٢ ، ولكن ابن الأثير ذكر لجندة بن عامر وما قام به ضمن أحداث سنة ٦٥ وقد جمع كل أحداث النجادات في ذلك العام ، فلذا يبدو أن رواية النويري هي الأصح ، وما يعضد ذلك أنه كان لجندة بن عامر في سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م لواء في الحج ، حيث تعددت الألوية في تلك السنة ، فلمحمد بن الحنفية لواء ، ولابن الزبير لواء ولبنو أمية لواء ، ولجندة بن عامر لواء ، وهذا دليل قوة وسعة نفوذه في تلك الفترة . انظر اليعقوبي : تاريخه : ج ٢ ص ٢٦٨ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى : ج ٥ ص ١٠٢ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء : ج ٤ ص ١١٩ ، أما خليفة بن خياط فقد حدد وقوفه في الحج سنة ٦٦ هـ ، وربما تعدد وقوف لجندة بن عامر خلال تلك السنوات التي ذكر اليعقوبي أنه أقام عماله خلالها في البحرين واليمامة وهجر من أرض العروض . انظر تاريخه : ج ٢ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

مما قوى طموح هذه الفرقة لأن تمد نفوذها إلى عمان ، حيث أرسل نجدة بن عامر جيشا بقيادة عطية بن الأسود الحنفي^(١)، فنازل هذا الجيش العمانيين تحت راية عباد بن عبد ابن الجلندي ، وتروي المصادر أنه كان شيخا كبيرا، وكان ابنه سعيد وسليمان معه^(٢)، واستطاع النجدة كسب المعركة ، وتذكر الروايات أن عباد قد قتل في هذه المعركة . وبعد عدة أشهر خرج عطية بن الأسود من عمان مستخلفا في صحار^(٣) أحد رجاله ويدعى أبا القاسم ، فهب عليه العمانيون وقتلوه وخلصوا البلاد من النجدة الذين لم يكن لهم يد على عمان إلا أشهر قليلة ، وحاول النجدة إعادة الكرة إلا أن العمانيين كانوا في يقظة لهم فلم يمكنوهم من ذلك ، واندحر جيشهم ، فولوا الأدبار إلى كرمان^(٤).

ورغم ورود هذه الحادثة في أكثر من مصدر إلا أن المصادر العمانية لا تذكرها على الإطلاق ولا تشير إليها لا من قريب ولا من بعيد ، وحاول بعض الدارسين المحدثين لتاريخ عمان توثيق تلك الحادثة ببعض

(١) عطية بن الأسود الحنفي : هو عطية بن الأسود اليمامي الحنفي من بني حنيفة . كان مع نافع بن الأزرق فاختلف معه لما قال نافع بتكفير القعدة ، ثم التحق بنجدة بن عامر إلا أنه اختلف معه أيضا فرحل إلى سجستان . انتشر فكره في سجستان وخراسان وكرمان وسمي أتباعه بالعطوية . انظر : الحميري : الحور العين : ص ٢٢٤ ؛ الزركلي : الأعلام : ج ٤ ص ٢٢٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل : ج ٤ : ص ٢٠٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ج ٢١ : ص ٥٦ .

(٣) لم تذكر المصادر أنه استقر بصحار ، ولكن من البديهي أن تكون عاصمة البلاد هي المستقر لكل من يستولي عليها .

(٤) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والصفحة ؛ النويري : نفس المصدر السابق والصفحة ؛ ابن خلدون : تاريخه : ج ٣ : ص ٣١٤ ؛ سلطان : صفحات من تاريخ عمان : ص ٦٦ ؛ عبد الأمير دكن : الخلافة الأموية : ص ٥٤ ؛ العبيدي : الدولة العمانية الأولى : ص ١١٣ ، وكرمان : أرض ساحلية تقع على الخليج وهي ناحية كبيرة تقع شرقي أرض فارس وغربي مكران وشمال الخليج وجنوبها مفازة خراسان . بها أشجار الجوز والنخيل وغيرها من الثمار وافتتحت في عهد الفاروق رضي الله عنه علي يد واليه علي البحرين وعمان " عثمان بن أبي العاص " . انظر في ذلك : الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٥٤ ، ص ٤٥٥ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : ص ٣٤٦ ، ص ٣٤٧ .

المصادر العمانية^(١)، إلا أن الباحث لم يجد أي ذكر لها في تلك المصادر العمانية وما يبرر عدم ذكرها في نظر الباحث أن المؤرخين العمانيين الذين تعتبر كتبهم الآن هي مصادر جلها حديثة المنشأ ، فأقدمها هو كتاب كشف الغمة الذي تقف أخباره عند العام ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م^(٢) - هؤلاء استقوا معظم مادة كتبهم من مؤلفات عمانية ضاع الكثير منها ، ولا يعتمدون على روايات الآخرين ولهذا يمكن أن تكون هذه الحادثة لم تثبت لديهم فتجاهلوها حرصا منهم على عدم الخوض فيها إثباتا أو نفيا .

سيطرة الدولة الأموية على عمان

بعد أن تولى عبد الملك بن مروان سلطة الدولة الأموية في عام ٦٥هـ / ٦٨٤م^(٣) استعان بالحجاج في القضاء على كثير من الثورات التي كانت تهدد سلطة الدولة الأموية ، وأهم تلك الثورات هي ثورة عبد الله بن الزبير التي استطاع الحجاج القضاء عليها^(٤)، وبعدها عين عبد الملك على ولاية العراق الحجاج في سنة ٧٥هـ / ٦٩٣م^(٥)، وبذلك أصبحت عمان من ضمن مهامه حسب التقسيم الإداري

(١) ذكر الدكتور أحمد العبدلي هذه الحادثة في كتابه " الدولة العمانية الأولى من سنة ١٣٢ إلى سنة ٢٨٠ هـ - ٧٤٩ إلى ٨٩٣ م ، أيام وأحوال " ، ووثق لها ببعض المصادر العمانية مثل كتاب كشف الغمة وهو أحد محققي الكتاب حيث أشار إلى الصفحات من ٢٤٢ إلى ٢٤٦ ، وكتاب تاريخ أهل عمان وأشار إلى الصفحات من ٤٧ إلى ٥٠ منه وهو لمؤلف مجهول ، وحققه د. سعيد عاشور ، وكتاب قصص وأخبار جرت في عمان للمعولي ، حققه عبد المنعم عامر وأشار إلى الصفحات ٤٢ و ٤٤ منه ، وكذلك أشار أيضا إلى ابن رزيق في كتابه الشعاع الشائع : صفحات ١٢ إلى ١٥ ، وكتاب التحفة ج ١ ص ٧٤ إلى ٧٧ . وفي هذه الصفحات ذكرت هذه الكتب عمان بعد الخلافة الراشدة ، وأحداث الحجاج وتغلبه على أهلها ، ولم يكن لأحداث النجدات أي ذكر ، أما الدكتور عبد المنعم سلطان ، فقد أورد في كتابه صفحات من تاريخ عمان منذ دخول الإسلام حتى سنة ١٣٤ هـ ص : ٦٥ إحالة على كتاب الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة تحقيق عبد المجيد القيسي : ص ٤٠ ، وكما أسلفت فإن الكتاب لم يشر إلى أحداث النجدات التي أشار إليها الدكتور سلطان . إلا أن الدكتور سلطان ربما وثق سلطة سعيد وسليمان في حكم عمان من كتاب كشف الغمة المشار إليه وعليه فإن له ما يبرر إحالته تلك .

(٢) عبد المجيد القيسي : مقدمة كتاب تاريخ عمان ، المقتبس من كشف الغمة : ص ١٢

(٣) ابن خياط : تاريخه : ص ٢٦٩ .

(٤) نفس المصدر السابق : ص ٢٦١ .

(٥) الطبري : تاريخه : ج ٧ : ص ٢٠٢ .

منذ عهد معاوية بن أبي سفيان ، فبذل الحجاج قصارى جهده في أن تكون تحت سلطته الفعلية .

ويذكر ابن خياط أن أول محاولة له كانت في سنة "كذا وسبعين" أي في العقد الثامن من القرن الأول الهجري ، وكانت بقيادة موسى بن سنان بن سلمة^(١)، واستطاع العمانيون بقيادة ملكيهم سعيد وسليمان ابني عباد القضاء على هذه المحاولة التي تبعتها محاولات أخرى كان الفشل حليفها بسبب الصمود الكبير في سبيل أن تبقى عمان مستقلة في يد أهلها ، وقتل الكثير من قادة الحجاج^(٢)، فانزعج لتلك الهزائم الكبيرة التي لحقت بجيوشه في عمان ، مما دفعه إلى أن يصب جام غضبه على الأزد العمانيين المقيمين في البصرة فأبعد وسجن وجوهمهم^(٣) حيث استشعر أن لهم إسهاماً في تلك الهزائم ، وهذا لا ينافي الحقيقة لأن أزدر عمان مرتبطون ببلدهم ارتباطاً وثيقاً ، فكان لابد أن ينصروا إخوانهم في عمان بكل وسيلة متاحة ، وكان هذا التصرف سبباً من الأسباب التي أدت إلى تغيير مجرى الصراع ، فالحجاج بعد ذلك أخذ يعد لمحاولة حاسمة فجهز جيشاً كبيراً بقيادة جماعة بن شعوة^(٤).

(١) ابن خياط : تاريخه ص ٢٩٧ ، و موسى بن سنان هو موسى بن سنان بن سلمة الهذلي . ولاء الحجاج البحرين بعد وفاة أبيه الذي كان والياً عليها من قبل الحجاج ، وبعثه الحجاج إلى عمان سنة سبعين حسب رواية ابن خياط ، وكان ولده من كبار القادة في الدولة الأموية .

(٢) ابن خياط : نفس المصدر والصفحة ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٤٧ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٧١ .

(٣) مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٤٨ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٧٢ ؛ الإزكري : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة تحقيق القيسي ص ٤٥ .

(٤) جماعة بن شعوة كما في المصادر العمانية هو "جماعة بن شعوة المزني" ، أما خليفة بن خياط فيسميه "جماع بن شعر" ، أما الطبري فيذكر في أحداث سنة ٨٥ هـ شخصاً اسمه "جماعة بن شعر السعدي" وأن الحجاج رشحه لعبد الملك بن مروان لولاية "خراسان" ولكن عبد الملك رفض ، ويدور أنه نفس الشخص الذي حقق للحجاج مبعثه في عمان ، فأراد أن يكافئه بهذه الولاية التي كان أحد أبناء عمان يتربص بها وهو "يزيد بن المهلب" ، انظر : مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٤٨ ؛ الإزكري : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٤٥ ؛ السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٧٢ ؛ ابن خياط : تاريخه ص ٢٩٧ ؛ الطبري : تاريخه ج ٧ ص ٣٢١ .

ويبدو أن هذه القوات على كبرها لم تستطع تحقيق النصر من الوهلة الأولى لأن دفاع العمانيين عن بلادهم كان مستميتاً أساسه روح العقيدة التي ترى في حكم بني أمية حكماً مستبداً لم يكن قائماً على نفس المبادئ التي قامت عليها خلافة الراشدين رضوان الله عليهم . واستطاع مجاعة بن شعوة تحقيق آمال الحجاج ، وخرج ملكاً عمان بذراريهم إلى شرق أفريقيا ، وبذلك خضعت عمان بالقوة سنة ٨٣هـ / ٧٠٠م^(١) ، وولى الحجاج على عمان الخيار بن سبرة الجاشعي^(٢) ، وهو أول وال مباشر تعرفه صحار من قبل الدولة الأموية ، فدخلت بذلك عهداً جديداً من حياتها السياسية حيث صارت تابعة لوالي العراق مباشرة .

وفي عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٧ م) عين يزيد بن المهلب والياً على العراق^(٣) وهذا بدوره قام بتعيين أخيه زياد على عمان^(٤) ، ويذكر العوتبي أن زياداً قام بقتل الخيار بن سبرة الجاشعي بأمر من أخيه يزيد^(٥) ، وكان الوليد

(١) الجهمضي : حياة عمان الفكرية : ص ٧٠

(٢) ابن خياط : تاريخه : ص ٣١٠ ؛ العوتبي الأنساب : ج ٢ : ص ١٤٥ ، والخيار بن سبرة هو الخيار بن سبرة بن ذؤيب بن عرقه ينتهي نسبه إلى مجاشع ولهذا يقال له الجاشعي . كان فارساً من قرسان المهلب بن أبي صفرة ، وقد أوصى بنيه به خيراً ، ولكنه قلب لهم ظهر الجن تقرباً للحجاج ، فولاه عمان نكاية بآل المهلب ، وتمكنوا منه عندما آلت إليهم السلطة . انظر : الطبري : تاريخه ج ٣ ص ٦٥٥ ؛ العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٨ ؛ ابن حبيب : المحرر ص ٤٩٢ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ص ٢٤١ ، وسماء ابن خياط : عبد الجبار بن سبر .

(٣) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١٤٨ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان : ص ٥٠ ؛ ابن خياط : تاريخه ص ٣١٩ ، ويزيد بن المهلب هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي (٥٣ - ١٠٢ هـ / ٦٧٣ - ٧٢٠ م) ، ويكنى بأبي خالد . كان قائداً شجاعاً جرأداً تولى خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٣ هـ افتتح جرجان وطبرستان ، وولي البصرة في عهد سليمان بن عبد الملك . قتل في معركة العقر بينه وبين مسلمة بن عبد الملك قائد جيش يزيد بن عبد الملك وذلك سنة ١٠٢ هـ . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٧٨ ، ٣٠٩ .

(٤) الطبري : ج ٨ ص ٦٨ ؛ العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١٤٥ ، وزياد بن المهلب : عاش في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل الثاني . وصف بالشجاعة والإقدام وشهد مع أخيه يزيد حروبه وولاه يزيد أمر عمان . انظر الزركلي : الأعلام ج ٣ : ص ٥٥ - دليل أعلام عمان : ص ٧١ .

(٥) العوتبي : الأنساب : ج ٢ : ص ١٤٨ .

ابن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) قد ولي يزيد بن مسلم على خراج العراق^(١)، وهذا بدوره عين سيف بن هاني الهمداني جاييا في عمان^(٢)، وفيما يظهر أنه عاش ملازما للخيار بن سبرة لأن الأحداث تنبئ عن وجوده عندما أراد يزيد بن المهلب اعتقال الخيار^(٣)، كتب إلى سيف بن هاني هذا يأمره بإيثاقه وذلك حتى يصل زياد إلى صحار ويستلم منصبه فيها .

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧٢٠ م) عين على العراق عدي بن أرطأة^(٤)، وهذا بدوره عين سعيد بن مسعود المازني^(٥) ليكون عامله في صحار على عمان ، ولكن المازني أساء المعاملة لأهل البلاد ، فكتبوا للخليفة عمر بن عبد العزيز ، فعزله وجعل مكانه عمر بن عبد الله الأنصاري^(٦)، وأمر الخليفة -رضي الله عنه- والي العراق أن يعيد ثمرة ما جباه

(١) أبو العلا يزيد بن مسلم دينار الثقفي بالولاء كان مولى الحجاج وكتبه . ولكفايته قدمه الحجاج وقد ولي خراج العراق في عهد الوليد بن عبد الملك . قتل بإفريقية سنة ١٣٢ هـ . انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ : ص ٣٠٩ - ٣١١ .

(٢) العوتبي : الأنساب : ج ٢ : ص ١٤٨ ؛ ابن رزيق : الفتح للمين : ص ٢٧ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان : ص ٥٠ .

(٣) الأنساب : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٤) هو عدي بن أرطأة الفزاري ويكنى بأبي وائلة من أهل دمشق . وصف برجاحة العقل وكان أميرا في قومه قتل في الصراع بين يزيد بن المهلب ويزيد بن عبد الملك في العراق . انظر : الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٢١٩ .

(٥) الطبري : تاريخه ج ٨ ص ٨٧ ؛ اليعقوبي : تاريخه ج ٢ ص ٣٠١ ؛ العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١٤٩ ، و سعيد بن مسعود المازني : لم أعر على ترجمة له إلا أن ابن حزم ذكره من ضمن من تفرع عن مازن ابن مالك بن عمرو بن نميم فهو مازني ، وذكر بأنه تولى عمان لعدي بن أرطأة ، كما تولى حفيده عمرو ابن هدا بن سعيد بن مسعود المازني ولاية فارس . انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢١٢ .

(٦) عمر بن عبد الله بن أبي طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام ، وأمه كلثوم بنت عمرو بن حزم بن زيد من بني مالك بن النجار ، وأبوه صاحب تلك القصة ؛ أنه قدم على أهله وكان أحد أبنائه قد توفي ، فأخفت أم الطفل عنه ذلك لكي لا يترعج وهو عائد من خروج في سبيل الله ، وفي الصباح أخبرته بوفاة ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فدعا له ببركة الولد . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٥ : ص ٤٠٣ ؛ ابن خياط : تاريخه - ولكنه سماه عمرو - ص ٣١٩ .

المازني من عمان ويوزع بين فقرائها^(١)، وبعد موت الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، أثر واليه في صحار تركها لأهلها ، وقال لزياد بن المهلب : "هذه بلاد قومك ، فشأنك بها " ، وتسلمها زياد منه^(٢)، ويظهر من هذا الحدث أن زيادا لما عزل لم يغادر صحار إلى غيرها ، وهكذا استمر مرة أخرى في حكم البلاد حسب ما تفيد المصادر العمانية إلى نهاية الدولة الأموية^(٣).

وخلاصة ما جاء في هذا المبحث هو أن صحار عاشت طوال عهد معاوية بن أبي سفيان إلى أواخر عهد عبد الملك بن مروان ، وتبعيتها للخلافة تبعية صورية ، بينما كان حكامها هم المتصرفين في شؤونها ، وكانوا يعشرون السفن ، ويجبون البلاد^(٤)، واستطاعوا أن يستعيدوا سلطانهم على بلادهم من أيدي النجيدات الذين استولوا عليها لفترة قصيرة ، ودافع العمانيون عن استقلال بلادهم ، واستطاعوا أن يقهروا جيوش الحجاج مرة تلو أخرى ، إلا أن الأخير حقق بغيته بقوة عدته وعتاده ، فدخلت صحار بعد ذلك مرحلة أخرى من مراحل حياتها السياسية ، وهي تبعيتها المباشرة لوالي العراق حسب التقسيم الإداري للدولة بني أمية ، واستمر الحال كذلك حتى نهاية حكم بني أمية .

(١) ابن خياط : تاريخه ص ١٩ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢١٢ ؛ السالمي : التحفة : ص ٧٤ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان : ص ٥٠ .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٩٣ .
(٣) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١٢٩ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٥١ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٧٤ .

المبحث الثاني :

صحار منذ بداية العهد العباسي حتى قيام الإمامة الثانية
(أ) صحار في عهد الإمامة الأولى (١٣٢-١٣٤ هـ / ٧٤٩-٧٥١ م)

ساعد ضعف الدولة الأموية في أواخر العقد الثالث وبداية الرابع من القرن الثاني الهجري العمانيين على أن يكونوا لأنفسهم كيانا مستقلا خاصة في ظل الظروف السياسية المواتية ، فدور السلطة القوية التي يمكن أن تقضى على المحاولة لم يكن منظورا ، فالدولة الأموية في خلال العقد الثالث من القرن الثاني بدأت أركانها تمترز ، وبدأ ميلاد قوة جديدة لا بد لها من وقت حتى تكون قادرة على مد نفوذها لأطراف الدولة ، وهذه الأسباب كانت خطوات العمانيين تتسارع لإقامة دولة الإمامة التي تشكلت معالمها في البصرة على يد علماء الإباضية ، حيث استطاع الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة^(١) إمام المذهب بعد الإمام جابر بن زيد^(٢) أن يربي جيلا يستطيع أن

(١) أبو عبيدة : مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء ؛ ولد في حدود سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م بالبصرة ونشأ وعاش فيها ، وكان رحمه الله فقيرا ؛ يقتات بعمل القفاف من السعف ولذلك لقب " بالقفاف " . أخذ العلم عن " جابر بن زيد وجعفر السماك وصحار العبدي " وهؤلاء كلهم عمانيون وإليه انتهت رئاسة المذهب الإباضي ؛ بعد موت الإمام " جابر بن يزيد " وإليه يعود فضل تأسيس دول الإباضية في " حضرموت " و " عمان " ، " بلاد المغرب " ؛ وتخرج على يديه رجال من مختلف البلاد الإسلامية آنذاك عرفوا بـ " حملة العلم " وعن طريقهم انتشر المذهب الإباضي وفقهه في مختلف البلاد الإسلامية . توفي نحو سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م انظر : الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٣٨ ؛ الراشدي : الإمام أبو عبيدة وفقهه ص ٢٦٠ ، ٢٥ ؛ د. الجعبري : البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ص ١٥٤ ؛ الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٢٢٢ .

(٢) هو الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد اليمامي الأزدي ، عماني الأصل ولد في " فرق من ولاية نزوى " أما نسبته " للبصرة " فقد كانت وجهته لتلقى العلم حتى صار من أعلامها البارزين ، وعاش فيها مدة طويلة من حياته . ولد عام ٢١ هـ وأخذ العلم عن الصحابة وروى عنه قوله : " لقيت سبعين من أهل بدر فحويت ما عندهم إلا البحر ابن عباس " ، وهو من رواة الحديث المشهورين ، ومن علماء الإسلام المجاهدين ، اضطهده الحجاج وسجنه ونفاه إلى عمان بسبب عدم موافقته إياه لينضم إلى ديوان الخراج وتخوف الحجاج من قيامه بمناصرة قومه الأزدي حينما كان الحجاج يعد العدة لبسط سيطرته على (عمان) ، وعلى أرجح الأقوال كانت وفاته في عام ٩٣ هـ في البصرة . وسرد المزيد عن سيرته في فصل الحياة العلمية والدينية في صحار . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٧ ص ١٧٩ ، ١٨٠ ؛ الدرجيني : طبقاته ج ٢ ص ٢١٣ ، ٢١٤ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٧٠ ؛ الراشدي : الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وفقهه : ص ٣٧ ، ٤٠ .

يتحمل تأسيس كيان إسلامي يستند على تلك المبادئ التي قامت عليها الخلافة الراشدة ، وكانت أول محاولة للإباضية في حضرموت حيث بويع عبد الله بن يحيى طالب الحق بالإمامة في سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦م^(١)، وقد شارك العمانيون في إقامة هذه الإمامة التي أريد لها أن تحيي الخلافة الراشدة ، وأن تنشر الخير والعدل في ربوع بلاد المسلمين ، وكان للصحاريين حضور كبير ، ومنهم قادة في هذه الحركة مثل أبي حمزة الشاري المختار بن عوف ، وبلج بن عقبة الفراهيدي الذي وصفه أستاذه أبو عبيدة بأنه كان يعدل ألف رجل^(٢)، ومنهم أيضا الإمام الجلندي بن مسعود وجابر بن جبلة السليمي^(٣) ، وغيرهم

(١) ابن خياط : تاريخه : ص ٣٨٤ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٠١، ٧٧ ، و طالب الحق هو عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود الكندي الحضرمي . لقب بطالب الحق ، كان قاضيا بحضرموت لإبراهيم بن جبلة بن القاسم بن عمر الثقفي عامل مروان بن محمد على اليمن الذي أظهر جورا في اليمن ، ففرع الناس إلى طالب الحق ، فكتب أبا عبيدة بالبصرة ، فرد عليه : إن استطعت فلا تبقي يوما واحدا : فاجتمع شيوخ الإباضية وبايعوه بالإمامة ، واستطاع أن يخلص اليمن من جور عامل مروان بن محمد سنة ١٣٠ هـ . انظر : الشماخي : السير : ج ١ ص ٩١ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ٧٧ ؛ الطبري تاريخه : ج ٩ ص ٣٦ .

(٢) الشماخي : السير : ج ١ ص ٩١ ، و أبو حمزة الشاري هو المختار بن عوف بن عبد الله بن يحيى بن مازن بن سعد يصل نسبه إلى سليمة بن مالك بن فهم فهو سليمي من بلد مجز من أعمال صحار ، وسنعرض للمزيد عن حياته في فصل الحياة الدينية والعلمية . انظر : الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٠١ ؛ الشماخي السير ج ١ ص ٩١ ؛ البطاشي : اتحاف الأعيان ص ١٣٩ ، و بلج بن عقبة هو بلج بن عقبة الفراهيدي نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم الأزدي قيل من بلد الخزمية وقيل أنه من مجز وكلاهما من أعمال صحار . تتلمذ على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي أرسله لمناصرة الإمام طالب الحق في اليمن . وصفه أستاذه بأنه يعدل ألف رجل لشجاعته وكان من العباد الزهاد . باع نفسه فاستشهد في معركة وادي القرى على يد عبد الملك بن عطية السعدي قائد الجيش الأموي في جمادى الأولى من سنة ١٣٠ هـ . انظر : الأصفهاني : الأغاني ج ٢ ص ١٠٨ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٩١ ؛ البطاشي : اتحاف الأعيان ج ١ ص ١٥١ ؛ الراشدي : أبو عبيدة وفقهه ص ٣٥٢ .

(٣) الإمام الجلندي : هو الجلندي بن مسعود بن جعفر بن الجلندي بن المستكبر بن مسعود بن حدار بن عبد عز بن معولة بن شمس ، ينتمي للوك عمان في الجاهلية والإسلام ، وكان جداه جعفر وعبد هما اللذان شرفا برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ودخلا في دين الله طوعا وتوارث أبناء عبد ملك عمان ، حتى استولى عليها الحجاج فهاجرا إلى شرق إفريقيا ، ولكن اختياره كإمام لم ين على هذا الأساس وإنما =

كثير إلا أن هذه المحاولة لم يكتب لها الاستمرار ، فبعد أن استطاعت أن تسيطر على مكة والمدينة لفترة قصيرة من الزمن انتهت بمقتل أبي حمزة الشاري وبلج بن عقبة والإمام طالب الحق نفسه ، وبذلك انتهت تلك المحاولة^(١) وفقدت صحار خيرة أبنائها وعلى أثر ذلك رأى العمانيون تكرار المحاولة ولكن على الصعيد الوطني بعمان.

قيام الإمامة الأولى

تفيد المصادر العمانية أن جناح بن عباده الهنائي^(٢) ولي عمان في بداية نشأة الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، و أن الذي ولاه هو أبو جعفر المنصور^(٣) ، ومن

= أهله لذلك مكانته العلمية والحنكة العسكرية ، وفضله ، وخلقته حتى ظل مضرب المثل للأئمة الذين أتوا بعده ، كما كانت مكانته الاجتماعية من بين دواعي اختياره . انظر : العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٦٠، ٢٤٦ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٨٥ ؛ الجهمي : حياة عمان الفكرية ص ٣٥ ، وجابر بن جبلة السلمي هو جابر بن جبلة بن عبيد بن كبير بن مجاشن بن سليمة بن مالك بن فهم ، وهو ابن عم المختار بن عوف ، وكان فارساً شجاعاً من قواد جيش الإمام طالب الحق ، وكان يقود جمعا من قومه ، وفي يوم قديد أخذ يدافع عن أبي حمزة حتى قيل فيه :

لم ينقذ المختار عند المعضلة إلا طعان جابر بن جبلة
ينسل بين الخيل مثل الأصله ويل أمه من فارس ما أبسله

كان بالبصرة ثم انتقل عنها إلى الموصل ، ويقول صاحب كتاب تاريخ الموصل : "وبالموصل من جابر بن جبلة ثلاثة نفر : نفيل وسليمان ووهب" . انظر : الأزدي : تاريخ الموصل : ص ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ؛ الجهمي : حياة عمان الفكرية : ص ٧٣ ، ٧٤ .

(١) أنظر في أحداث الحجاز ومحاولة انتزاعها من سلطان بني أمية وضمتها لإمامة طالب الحق : الطبري : تاريخه ج ٩ ص ٥٣، ٦٤، ٦٩ ؛ ابن خياط : تاريخه ص ٣٨٤-٣٨٧، ٣٩١-٣٩٥ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ٧٧-٨٠ ، ١٠٨-١١٤ ، وهناك مصادر أخرى كثيرة أوردت الحادثة .

(٢) هو جناح بن عبادة بن قيس بن عمرو الهنائي ، من ولد أسلم بن هناة بن مالك بن فهم ، وكان لبني هناة وجود في البصرة ، حيث هاجر بعضهم بعد الإسلام ، فلذا فإن عمان كان لها حضور دائم عند أبنائها الذين هاجروا عنها ، ويبدو أن اختيار سفيان بن معاوية كان موقفا ، لأنه من خلال مواقف جناح وأعماله كان رجلا صالحا ، فرغم قصر مدته ، إلا أنه ابني مسجداً ما يزال يعرف حتى اليوم بمسجد جناح في صحار ، كما أن معاملته الحسنة في عمان تتم عن ذلك ، كما أن عزله لا يبدو أنه موقف سياسي ، ولكن ربما لأسباب خاصة وإلا فكيف يعين بجله ويحفظ لهج أبيه . انظر : العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٣) العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٢٢٢ ؛ الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة (تحقيق القيسي) ص ٤٧ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٥٣ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩٣ .

خلال ما أجمعت عليه المصادر الأخرى من أن أول من ولي البصرة في العهد العباسي هو سفيان بن معاوية بن يزيد المهلي^(١)، فإنه من المرجح أن سفيان هو الذي قام باختيار هذا الوالي وكلاهما من أصل عماني . فأبو جعفر المنصور لم يتول ولاية البصرة وإنما كان على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان^(٢) . وبعد فترة قصيرة عزل جناح وعهد إلى ابنه بولاية عمان . وتعاطف الأخير مع أهله وعشيرته العمانيين ، حيث إن خطط قيام الإمامة كانت تسير بخطى حثيثة ، وكان هو على علم بها ، أو ربما شارك في صنعها وهو ما تشير إليه المصادر العمانية حيث تقول : "ووافقهم على ما يحبون حتى صارت ولاية عمان لهم"^(٣).

وكانت هناك كوكبة كبيرة من العلماء في صحار^(٤)، فاتفق هؤلاء العلماء مع قيادة علماء الإباضية في البصرة على مبايعة الجلندي بن مسعود بالإمامة في عمان^(٥)، وتم ذلك في أواخر عام ١٣٢هـ/٧٤٩م ، لأن السفاح تولى السلطة في الكوفة في شهر ربيع الأول من نفس السنة^(٦)، وقد تم تعيين واليين على

(١) سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، كان من أنصار الدعوة لآل العباس ، لأن بني أمية استباحوا دماء آبائه بعد أن بذلوا أرواحهم في تطريد ملكهم . وقد سفيان في ثورة آل العباس ابنه معاوية وبذل نفسه أيضا في ذلك ، فلهذا بعد انتصار آل العباس قال له السفاح : يا سفيان نحن ما تريد في دولتنا فتمنى أن تعاد إليه ضياع جده فأعادها إليه ، وكانت تقدر بنصف البصرة فلما عاتب المنصور أخاه على ذلك رد عليه السفاح : فما نرى بمنعه ماله ، وقد بذل روحه دوننا ، وقتل ابنه في طلب دولتنا . وقد تقلد ولاية البصرة أكثر من مرة . انظر : العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١٥٦، ١٥٧ .

(٢) الأزدي : تاريخ الموصل : ص ١٤٠ ؛ الطبري : تاريخه : ج ٩ ص ١٠٦، ١٠٧ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٤٩٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٥٥ ؛ ابن خلدون : تاريخه ج ٣ ص ٢١٧ .

(٣) العوتبي : الأنساب : ج ٢ . ص ٢٢٢ ؛ السلمي : التحفة ج ١ ص ٩٣ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٥٣ .

(٤) أبو المؤثر : سيرته من ضمن السير والجوابات ج ٢ ص ٣١٥ ؛ أبو الحسن البسيوي : سيرته من ضمن السير والجوابات : ج ١ ص ٨٧ .

(٥) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٢ ؛ أبو المؤثر : سيرته من ضمن السير والجوابات ج ٢ ص ٣١٥ .

(٦) الأزدي : تاريخ الموصل : ص ١٣٣ ؛ ابن خياط : ص ٤٠٩ ؛ الطبري : تاريخه ج ٩ ص ٨٢ .

عمان ، فهذا كله يحتاج إلى مضي أشهر . ويشير العوتي إلى أن قدوم جناح إلى عمان كان في شهر رمضان^(١)، وهذا مانقبه .

كما أن الباحث يرى أن جناحا كان له الفضل الأول في مساعدة العمانيين لإعلان إمامتهم ، وأن محمد ابنه جاء فوجد الأمور قد هيئت ، فلم يعترض على ذلك، وهذا يتفق مع رواية العوتي وهو أقدم المصادر العمانية التي أشارت إلى ذلك حيث يقول: "وجناح وافق الإباضية و أعانهم حتى صارت الولاية للإباضية ، والوالي بها يومئذ محمد بن جناح بعد أبيه" ^(٢). ورغم قصر هذه الإمامة حيث لم تدم سوى ما يقرب من سنتين إلا أنها أسست كيان الإمامة في عمان من الناحية العملية ، فوضعت تنظيمات سياسية وإدارية واقتصادية وعسكرية وتوجيهات اجتماعية^(٣) سارت على نهجها الإمامات المتعاقبة بعدها .

أولاً : التنظيم السياسي :

يتمثل هذا التنظيم في كيفية اختيار الإمام وتنصيبه ، واختيار معاونيه من مستشارين وغيرهم من المناصب العليا السياسية والإدارية ، كما أن الإمامة الأولى تعاملت مع أحداث داخلية وأخرى خارجية ، فالإمام لم يتصرف تجاه تلك القضايا بمفرده ، ولكن تم ذلك بالتشاور مع أهل الحل والعقد ، فلذا تحول فكر الإمامة من مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق العملي ، وعليه كانت الإمامة الأولى هي النموذج الذي حرص العلماء من بعد ذلك على أن يلتفتوا انتباه الأئمة إلى الحرص على اتباعه . كما أن المجلس الأعلى الذي يضم بعض العلماء البارزين في عمان في تلك الحقبة

(١) العوتي : الأنساب : ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٣) انظر في توثيق هذه التنظيمات : منير بن النير : سيرته في السير والجوابات : ج ١ : ص ٢٤١-٢٤٥ ؛

السلمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٨٦-٨٩ ؛ السيابي : عمان عبر التاريخ ج ١ ص ٢٣٣ ، ٢٤٠ ؛

الجهضي : حياة عمان الفكرية ص ٧٤ ، ٧٥ .

— ومنهم هلال بن عطية ، وخلف بن زياد ، وشبيب بن عطية ، ويحيى بن نجيح ،
وموسى بن أبي جابر ، والمنير بن النير الجعلاقي ، وبشير بن المنذر الترواني^(١) —

(١) هلال بن عطية الخراساني . كان على رأس الصفرية ثم دخل في الإباضية تتلمذ على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وكان عالما قائدا اشترك في مناصرة الإمام طالب الحق في اليمن فكان من قواده . قدم إلى عمان بعد انتهاء إمامة طالب الحق واشترك مع العلماء في تنصيب الإمام الجلندي بن مسعود وكان له مستشولوا وقاضيا وقائدا ، له سيرة مشهورة أظهر فيها رسوخ قدمه في العلم أرسلها إلى أهل عمان . اشترك مع الإمام الجلندي في حربه ضد القوات العباسية ، وفي آخر المعركة قال للإمام : "أنت إمامي فكن أمامي ولك أن لا أعيش بعدك" ، فتقدم الإمام واستشهد ثم استشهد هو وذلك في سنة ١٣٤ هـ . انظر : الشماخي : السير ج ١ ص ١٠٩ ؛ الراشدي : الإمام أبو عبيدة وفقهه ص ٢٤٥ ، خلف بن زياد البحراني نسبة إلى البحرين . خرج إلى البصرة لطلب العلم ، فالتحق بمدرسة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وقيل إنه كان يبحث عن الحق فوجده في مذهب الإمام أبي عبيدة فتمسك به ورحل إلى عمان فكان أحد أركان الإمام الجلندي بن مسعود ، ومن الذين ساهموا في نشر العلم بعمان في النصف الأول من القرن الثاني الهجري وله سيرة واسعة في علم الكلام وخصوصا فيما يسمى بالأسماء والأحكام ، وتدل هذه السيرة على رسوخ علمه ومعرفته بالفرق . توفي في إزكي وهو في طريقه لمناصرة الإمام الجلندي بن مسعود في حربه ضد حملة العباسيين سنة ١٣٤ هـ . انظر : الشقصي : منهج الطالبين ج ١ ص ٦٢٠ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٠١ ؛ الراشدي : الإمام أبو عبيدة وفقهه ص ٢٢٧ . يحيى بن نجيح لا تقيد للمصادر عن أصله وربما يكون من العراق أو خراسان . تتلمذ في البصرة على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وكان عطوفا على الفقراء والمساكين يجمع لهم الصدقات من الأغنياء . جاء إلى عمان في عهد الإمام الجلندي بن مسعود فكان من قواده ومستشاريه ، واشترك مع جيش الإمام في قتال الصفرية وبارز قائدهم شيان فكانا أول قتيلين في المعركة استجابة لدعائه ، وحقق جيش الإمام النصر في هذه المعركة سنة ١٣٤ هـ . انظر : الشماخي : السير ج ١ ص ١٠٤ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩٢ . الراشدي : أبو عبيدة وفقهه : ص ٢٥٨ المنير بن النير بن عبد الملك بن وسار بن وهب الريامي الجعلاقي خرج إلى البصرة لطلب العلم ورجع إلى عمان فكان من حملة العلم إليها . توفي بصحار ولا يعرف تاريخ وفاته . انظر : منير بن النير : سيرته من ضمن كتاب السير والجوابات ج ١ ص ٢٤٢ ؛ مخطوط : تواريخ العلماء ص ٧ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٢٥٩ ؛ البطاشي : تحاف الأعيان ج ١ ص ١٧٠ ، ١٧١ . أبو المنذر بشير بن المنذر التروي وهو من بني نافع من بني سامة بن لؤي بن غالب . كان من تلامذة الربيع بن حبيب بالبصرة وأحد حملة العلم منها إلى عمان ، وكان من كبار العلماء في القرن الثاني الهجري وكان ممن بايع الإمام الجلندي بن مسعود . عاصر الإمامة الأولى ، وكان له دور بارز في إعادة الإمامة مرة أخرى وهي التي سميت بالإمامة الثانية سنة ١٧٧ هـ . كانت وفاته في سنة ١٧٨ هـ ، انظر : السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٨٥ ، ١٠٨ ؛ ابن رزيق : الفتح المبين ص ١٩٧ ؛ البطاشي : تحاف الأعيان : ج ١ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

كان أعضاؤه مضرب المثل في التضحية والعطاء لما قاموا به من إقامة الإمامة ونصرتها
حتى أن بعضهم استشهد في سبيل رفعة ونصرة الإمامة التي كانت تمثل كلمة الله
ونصر دينه القويم .

ثانياً : التنظيم الإداري

يتمثل في التقسيم الإداري ، وهو تقسيم البلاد إلى ولايات كل ولاية يعين
عليها والٍ ، وقاضٍ ، ومصدق "فهم لا يولون أمرهم ، ولا يبعثون في حوائجهم ، ولا
يستعملون على صدقاتهم ، ولا يستقضون على أهل ولايتهم إلا أهل الثقة ، وأهل
العلم والفهم والورع والتخرج المعروفون* بالفضل الموصوفون* بالخير من أهل
البيوتات من قومهم غير سقاط ، ولا أدياء ، ولا متهمين ، ولا مقترفين" (١)

ثالثاً : التنظيم الاقتصادي :

أن تؤخذ الصدقة بحقها ، وتوضع في موقعها ، فهم لا يستحلون من الناس
بغير الإثخان في الأرض ، والحماية ، والكفاية ، والدفاع عن حرماهم ، ولا يأخذون
إلا بقدر ما فرض الله سبحانه وتعالى ، "فهم أخذوها بحقها بعد إحكام الأمور التي
تعينهم في دين الله ، وأهل الرعية ثم وضعوها في مواضعها وقسموها على أهلها بحكم
القرآن ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم" (٢) ، كما أنهم رفضوا صدقة البحر ، إلا
ما طاب بأنفس الناس خوفاً من الدخول عليهم في سبيل الله إذ لم يحموه .

رابعاً التنظيم العسكري

١- توزيع الشراة إلى جماعات كل جماعة تضم من مائتين إلى أربعمئة ، وأن يولى
على كل جماعة قائد من أهل الفضل ، والبصيرة والثقة والعلم والمعرفة والحزم
والقوة .

٢- تقسيم كل جماعة إلى مجموعات صغيرة لا تزيد على العشرة ، ويعين لكل
مجموعة مؤدب من أهل الفقه يعلمهم الدين ويؤدبهم على المعروف و يسددهم
عن الزيغ و يقيمهم على الطريقة ويهديهم سبيل الرشاد .

(١) منير بن النير : المصدر السابق ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ؛ * كذا في النص .

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة .

٣- فَرَضُ سبعة دراهم لكل واحد من هؤلاء الشراة وهو رزق ضئيل إلا أن هؤلاء جاءوا بائعين أنفسهم لله متجردين من الدنيا ، ومع هذا الرزق الضئيل ومع غلاء السعر فإنهم كانوا يتبرعون للمسلمين بما كان يمكن أن يتبقى معهم من درهم أو درهمين .

خامساً : التوجيهات الاجتماعية

هي تطبيق أحكام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهي :

- ١- إدناء الجلابيب على النساء ، ورفع الخمر فوق الأذقان ، وستر النواحي ، وسائر الزينة ، إلا الوجه ، والبنان .
- ٢- نهى النساء عن الجلوس في السكك ، والخروج يوم المطر ، أو الريح العاصف .
- ٣- عدم إسبال ثياب الرجال ، وتقصير شعرهم إذا أسبغت على العواتق .
- ٤- الإنكار على أهل القبلة أن يتشبهوا بزي أهل الذمة ، ونهى أهل الذمة أن يتشبهوا بزي أهل الإسلام ، ونهى الرجال أن يبدوا ما فوق الركب .

الأخطار التي واجهت الإمامة الأولى

شهدت صحار في تلك الفترة القصيرة من عمر الإمامة عملاً دؤوباً سياسياً وعسكرياً لدرء الأخطار التي تزعزع الأمن والاستقرار وتحاول تقويض الإمامة . وتمثل هذه الأخطار في :

أولاً : توارث آل الجلندی الملك في عمان ولما قامت الإمامة أدرك الساعون للملك من نفس السلالة ، وهم أقرباء الإمام ، أن مجدهم قد أفل ، وعلموا أن اختيار الإمام الجلندی لم يكن على هذا الأساس ، فتآمر جعفر بن سعيد وابناه النظر وزائدة على إسقاط هذا الكيان الذي لم يكن على هواهم فيما يبدو ، وما كاد الإمام يعلم حتى قبض عليهم ، ولديهم كتاب بيعة منهم على المسلمين فحكم عليهم بالقتل وانتهى أمرهم^(١) .

(١) السلمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩٠ ؛ السيبي : عمان عبر التاريخ ج ١ ص ٢٤٣ ، و جعفر بن سعيد هو من آل الجلندی ومن أقرباء الإمام ، فهل هو من أبناء سعيد بن عباد بن عبد بن الجلندی ، لا أستطيع الجزم بذلك لأن المصادر التي بين يدي لا تذكر شيئاً أكثر من ذلك .

ثانياً : الصفورية في عمان : انتدب أبو العباس السفاح خازم بن خزيمة^(١) لقتال الخوارج الصفورية ، وكانوا بقيادة شيبان^(٢) بن عبد العزيز اليشكري ، فاقتتلوا في جزيرة أبركاوان ، وبعدها ركب شيبان وأصحابه السفن إلى عمان ، فاتخذ الإمام وصحبه موقفا حاسما بعدم السماح لهم بدخول عمان ، فاقتتلوا فقتل شيبان ، وانهزم جنده^(٣) .

ثالثاً : هجوم خازم بن خزيمة على عمان ونهاية الإمامة الأولى

جاء خازم بن خزيمة إلى عمان لحرب الإباضية حسب ما تفيد المصادر ، لأنه لما قتل أحوال السفاح ، هم السفاح بقتله ، فأشار عليه البعض بأن يرسله لحرب الخوارج في كل من أبركاوان وعمان ، فإن قتل فقد نال السفاح ما يريد وإن انتصر فمرد ذلك النصر للدولة بني العباس^(٤) ، وعليه فإن قدوم خازم بن خزيمة إلى عمان ليس من أجل اللحاق بشيبان الصفوري فقط ، وإنما هو لإخضاع عمان للدولة العباسية ، ومن هذا المنطلق كان رفض العمانيين التسليم له واعتبر العلماء ذلك انتهاكا لحرمة الدين وخنوعا لحكم مستبد ، وعليه فقد أشاروا على الإمام بأنه لا يجوز

(١) خازم بن خزيمة بن عبد الله بن حنظلة ، ويصل نسبه إلى غشل بن دارم من آل بني تميم ، فلذا تذكره بعض المصادر بأنه تميمي وبعضها يقول النهشلي . تقلد منصب الشرطة لآل العباس ، وكان من قوادهم الذي ضرب لرضاهم آلاف الرقاب ، ولم يسلم من قتله حتى أحوال السفاح نفسه ، وهم من آل الحارث . يقول عنه البغدادي بأنه أحد الجبابرة قتل في وقعة واحدة سبعين ألفا ، وأسر بضعة عشر ألفا ، فأمر بضرب أعناقهم . انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٣٠ ؛ البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٨٩ ؛ ابن الأثير : ج ٥ ص ٤٥١ .

(٢) شيبان بن عبد العزيز اليشكري الصفوري الحروري كان قائدا شجاعا ولي إمارة الصفورية سنة ١٢٨هـ وقاتل مروان بن محمد ، وانصرف إلى الموصل فانضم إليه كثير من أهلها ، ولكنه لم يصمد أمام قوات مروان فانهزم إلى فارس ومنها إلى أبركاوان ، وفي عمان كانت نهايته سنة ١٣٤هـ / ٧٥١م انظر : ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٣٥٥ ؛ الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ١٨٥ .

(٣) نفس المصادر السابقة ونفس الصفحات .

(٤) الطبري : تاريخه : ج ٩ ص ١٠٩ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٥٥ ؛ ابن الأثير : ج ٥ ص ٤٠٥ ؛ ابن خلدون : ج ٣ ص ٢١٩ ؛ السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٩٢ .

التسليم للعباسيين ، لأن التسليم لهم تضحية بالدين^(١). ووقع القتال بين العمانيين بقيادة الإمام الجلندي ، وقوات الدولة العباسية بقيادة خازم بن خزيمة وكادت الدائرة تدور على خازم وقواته بعد أن استمرت أياماً عدة ، لولا لجوء خازم إلى الخديعة ، فأمر جنوده أن يجعلوا على أطراف أستهم المشاة^(٢) ويرووها بالنفط ويشعلوا فيها النيران ليحرقوا البيوت القريبة من المعركة ، وكانت من خشب فاشتغل الجيش العماني بإنقاذ أهل هذه المنازل من أطفال وعجزة وحرث ، ومحاولة إطفاء النيران ، وبينما هم في هذه الحالة هجم جيش خازم بن خزيمة فاستطاع بذلك أن يكسب المعركة وقتل فيها الإمام نفسه وخيرة قواده ، وكان ذلك سنة ١٣٤هـ / ٧٥١م^(٣) . ومقتل الإمام واستيلاء القوات العباسية على صحار عاصمة الدولة انتهت الإمامة الأولى في عمان .

(ب) صحار من سنة ١٣٤ هـ وحتى قيام الإمامة الثانية :

بعد أن انتهت الإمامة الأولى بمقتل الإمام الجلندي بن مسعود ؛ تغلبت القوات العباسية على البلاد . وبالرغم من أن المصادر لا تذكر شيئاً عما تبع ذلك المكسب الذي حققه العباسيون ، فإنه من المرجح أن يكون هناك اتفاق تم بين الدولة العباسية وآل الجلندي المعارضين للإمامة الذين كانوا يحنون لمجدهم السالف ، لأن المصادر العمانية تفيد بأن تلك الفترة التي أعقبت نهاية الإمامة الأولى استولى فيها آل الجلندي على مقاليد الحكم في البلاد^(٤)، وقد تولى الحكم في تلك الفترة راشد بن النضر ومحمد بن

(١) الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة : تحقيق القيسي ص ٤٧ ؛ المعري : قصص وأخبار

جرت في عمان ص ٤٩ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٥٤ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩٣ .

(٢) المشاة : القطعة من الكتان والقطن والشعر وما خلص منه ، والميشقة القطعة من القطن وقيل ما ينقطع

من الإبريسم ، و الكتان عند تخليصه وتسريحه ، انظر : ابن منظور : لسان العرب ج ٦ ص ٦٠ .

(٣) الطبري : تاريخه : ج ٩ ص ١٠٩ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٥٥ ؛ ابن الأثير : ج ٥ ص ٤٠٥ ؛

ابن خلدون : ج ٣ ص ٢١٩ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩٢ .

(٤) الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة : تحقيق القيسي ص ٤٨ ؛ ابن زريق : الشعاع

الشائع ص ٢٣ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٠٢ .

زائدة^(١)، واستمرّا يحكمان البلاد حتى عام ١٧٧هـ / ٧٩٢م ، إلا أنّهما لم يستطيعا فرض سيطرتهما على البلاد والدليل على ذلك :

أولاً : قيام شبيب بن عطية^(٢) بتنصيب نفسه محتسباً آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، جانياً للصدقات ، راداً لها على مستحقيها ووصف بأنه كان رجلاً صلباً في دينه شديداً على الجبابة^(٣) داعياً إلى مخالفتهم ، ويبدو أن الذي دفع شبيباً إلى نهج ذلك السبيل المتشدد ، هو مخافته من القضاء على تلك الشعلة^(٤) ، وهي الإمامة التي كان يأمل أن تضيئ للمسلمين درب الحقيقة ، وأن تستمر حتى يعم العدل والخير في عمان وغيرها من بلاد الإسلام ، ومن الأسباب أيضاً أنه رأى جور الجيش المقاتل وبطشه من تحريق للبيوت وقتل للأطفال والنساء والعجزة الذي لا يقره الدين مهما تكن دوافع القتال . كل ذلك ترك حسرة وألماً عميقاً في نفسه ، فلذا رأى أن الواجب عليه أن لا يستسلم للأمر الواقع ، فقام بمهمة الإصلاح تلك لكي لا يستولي الجبابة على زمام الأمور ، ويبدو أنه استمر سنوات عدة ، فإذا رأى غلبة القوة الحاكمة ترك الأمر ، فاعتزل ، وعندما تحين الفرصة يعاود الكرة ، وكان لا يجيئ القري إلا إذا استطاع

(١) راشد بن النضر ومحمد بن زائدة ، يبدو أنّهما ابنا النظر وزائدة اللذين قُتلا مع أبيهما جعفر بن سعيد لما تأمروا على الإمامة في صحار ، وهؤلاء فيما يظهر هم من سلالة سعيد بن عباد بن عبد بن الجندى ، وكان جدّهما سعيد مشاركا أخاه سليمان في الحكم بعمان إلى أن تغلب عليهما الحجاج ، فخرجوا بذرايرهما إلى شرق أفريقيا وربما بقى ، أو عاد جعفر بن سعيد ، وهذا استنتاج لا يدعمه دليل وقد أورد ذلك ج . س ولكنسن في كتابه : بنو الجندى في عمان ص ٣٥ ، سلسلة تراثنا العدد ٣٦ الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) شبيب بن عطية من علماء عمان في النصف الأول من القرن الثاني الهجري في عهد الإمام الجندى بن مسعود ١٣٢-١٣٤هـ إلا أن الباحث لم يستطع العثور على مزيد من ترجمته . ومن آثاره الباقية سيرة أوضح فيها آراءه في الأوضاع القائمة آنذاك مبينا ما لقيه الإباضية في اليمن وعمان ، وما انتهت إليه أحوالهم مبينا وجوب الأخذ على أيدي الجبابة والباغين . انظر السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٠٢ ؛ سيدة إسماعيل كاشف : هامش السير والجوابات : ج ٢ ص ٣٤٦ ؛ الجهمضي : حياة عمان الفكرية ص ١٣٤ .

(٣) الجبابة : لفظ اصطلاحى استخدمه علماء الإباضية على كل مستبد طاغ سواء كان من الإباضية أم من المذاهب الأخرى ، انظر : أبو إسحاق إطفيش : هامش تحفة الأعيان : ج ١ ص ١٠٧ .

(٤) السالمي : نفس المصدر السابق والصفحة .

حمايتها^(١)، ورغم هذه المعارضة الجريئة منه للحكم القائم آنذاك إلا أن المصادر لا
تورد تفاصيل عن مقاومته تلك ، ولم تورد أيضا كيف انتهى أمره ، وإن كانت تورد
أن قبره بقرية الغبي من قري الغربية^(٢)، ويقصد بها منطقة الظاهرة .

ثانيا : قيام غسان بن سعد الهنائي^(٣) في سنة ١٤٥هـ بغزو نزوى ونهبها بعد ما تغلب
على بني نافع وبني هميم ، فقتل منهم خلقا كثيرا ويظهر أنه كان بين غسان وهاتين
القبيلتين عداوة ، وإلا فكيف يخصصهما بالحرب دون غيرهما ، ومهما تكن الأسباب ،
فإن غياب الأمن في مدينة كزوى والتي ستصبح عاصمة البلاد بعد هذه الفترة بقليل
يدل على أن بني الجلندي كانوا غير قادرين على فرض سيطرتهم ، وأن المنازعات
القبلية تفوق سلطانهم ، وعلى هذا الأساس هبت قبيلة بني الحارث من إبرا^(٤) وهم
أنصار القتلى للأخذ بثأرهم ، فكمنوا لغسان قرب داره بموقع يقال له الخور^(٥)، فمر
بهم فقتلوه عند المقصرة^(٦)، وهذا الصنيع دفع أنصار غسان أن يشنوا حربا على بني
الحارث في إبرا فحقق أنصار غسان كسب المعركة^(٧).

(١) نفس المصدر السابق : ص ١٠٤ .

(٢) الشقصي : منهج الطالبين ج ١ ص ٦٢٠ ؛ تواريخ العلماء ص ٦ ؛ البطاشي : تحف الأعيان ج ١
ص ١٣٨ .

(٣) غسان بن سعد الهنائي من بني محارب يصل نسبه إلى هناة بن مالك بن فهم الأزدي ، أما بنو نافع ، وبني
هميم فهم من القبائل العدنانية . انظر : العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٥ ؛ السيابي : إسعاف الأعيان في
أنساب أهل عمان ، المكتب الإسلامي بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ٢٣، ٢٤ .

(٤) إبرا : إحدى ولايات المنطقة الشرقية بسلطنة عمان تبعد عن مسقط (١٨٠ كم) تقريبا ، وهي الآن مركز
ولايات شمال المنطقة الشرقية حيث تتركز فيها مديريات، وإدارات الهيئات الحكومية التي تخدم تلك
الولايات وتضم عددا من المعالم الأثرية . انظر : وزارة الإعلام : مسيرة الخير (الشرقية) ص ٤٦، ٤٧ ؛
وزارة المواصلات : جدول المسافات ملحق بكتاب العادات العمانية لسعود العيسى .

(٥) مناطق الخور كثيرة في المناطق الساحلية بعمان ، وقد تم تعريف الخور سابقا .

(٦) المقصرة : العشية وهو المساء جمعها مقاصر ومقاصير ، والأخيرة نادرة ، ومقاصير الطريق : نواحيها
وواحدتها مقصرة على غير قياس . انظر لسان العرب : ج ٥ ص ٢٥٥ .

(٧) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٥٥ ؛ الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة (تحقيق القيسي)
ص ٤٨ ؛ السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ١٠٦ .

ثالثا : معارضة غسان بن عبد الملك^(١) لحكم بني الجلندی ، والذي خرج معه محمد بن عبد الله بن جسّاس^(٢) ، وموسى بن أبي جابر^(٣) ، وهما من العلماء . ورغم أن العلماء لم يكونوا راضين عن سيرة غسان بن عبد الملك إلا أنهم رأوا جواز الخروج مع الظالم على من هو أظلم منه^(٤) ، ويظهر أن هذه المعارضة لم تفلح في مقصدها ، إلا أنها كانت إرهابا لزوال حكم بني الجلندی الذين كان حكمهم قائما على الظلم ، والاستبداد حسبما تفيد المصادر^(٥).

(١) غسان بن عبد الملك لم أعثر على ترجمه له .

(٢) محمد بن عبد الله بن جسّاس : لم أعثر على ترجمة له كذلك ، إلا أن الشيخ البطاشي في إتحاف الأعيان قال بأنه من سمد نزوي ، ووصفه الإمام السالمي مع العلامة موسى بن أبي جابر بأتهما من فقهاء المسلمين ورغم شهرة الأخير ودوره السياسي والعلمي ، إلا أن الإمام السالمي قدمه في الذكر فهل هذا التقدم عفوي أو مقصود فإذا كان مقصودا ، فإنه يكون أكبر سنا ، أو علما من موسى بن أبي جابر ، أو هو في مثرتة . انظر : السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٠٦ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٤٣٦ .

(٣) هو الشيخ العلامة موسى بن أبي جابر الإزكوري من بني ضبة أو من بني سامة بن لؤي بن غالب كان أشهر العلماء الأربعة الذين عرفوا بحملة العلم إلى عمان ، أو فلتهم رئاسة المذاهب في البصرة في عهد الإمام الربيع بن حبيب . والعلامة موسى بن جابر إليه صارت زعامة العلماء في عمان في عهده حيث قدمه العلماء في رئاسة اختيار وتنصيب الأئمة في بداية الإمامة الثانية ، وقد أشارت المصادر الإباضية إلى مؤلفاته ولكنها فقدت . توفي رحمه الله عليه في سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧ م . انظر البطاشي : إتحاف الأعيان : ج ١ ص ١٦٨ ، ١٦٧ .

(٤) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٠٦ .

(٥) سيرة أبي قحطان من علماء القرن الثالث : ضمن السير والجوابات : ج ١ ص ١٢١ ؛ الكندي محمد : بيان الشرع ج ٢٨ ص ١٣٠ ، ١٧٦ ؛ الكندي : المصنف ج ١٣ ص ٦٨ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٠٥ .

الفصل الثالث

صحار من قيام الإمامة الثانية حتى نهاية القرن
الرابع الهجري

المبحث الأول :

قيام الإمامة الثانية وانتقال مركز الحكم إلى نزوى
(١٧٧هـ/٧٩٤م)

المبحث الثاني :

صحار في عهد الإمامة الثانية
(١٧٧هـ/٧٩٤م — ٢٨٠/٨٩٣م)

المبحث الثالث :

صحار وتبعيتها للخلافة العباسية
(٢٨٠/٨٩٣م — وحتى نهاية القرن الرابع الهجري/السابع الميلادي)

المبحث الأول :

قيام الإمامة الثانية وانتقال مركز الحكم إلى نزوى

رأى علماء عمان أن أحوال البلاد تسير في تدهور في ظل حكم آل الجلندى، فاجتمعت كلمتهم على المبادرة للأخذ بزمام الأمور قبل أن ينفلت وتصبح البلاد في برائن صراعات قبلية دامية . وبينما كان راشد بن النصر يجمع الجموع لمحاربة منلوئي حكمه استطاع العلماء جمع قوة بقيادة محمد بن المعلى الكندي^(١)، فتقابلت القوتان في المجازة بمنطقة الظاهرة^(٢)، فاستطاع العلامة الكندي تحقيق النصر، وهرب راشد بن النصر^(٣)، وبذلك مهد هذا النصر لقيام إمامة ثانية في عمان حيث بادر العلماء وقادة البلاد المناصرين لهم بعقد اجتماع بمنح^(٤)، وفوض الجميع الأمر للعلامة موسى بن أبي جابر ، فرشح للإمامة محمد بن المعلى إلا أنه كره قطع الشرى^(٥)، فولي صحار

(١) محمد بن المعلى الكندي القشحي من علماء عمان في القرن الثاني الهجري تتلمذ على يد الإمام الربيع بن حبيب في البصرة ، وعاد إلى عمان ضمن مجموعة حملة العلم الأربعة ، وهم بالإضافة إليه بشير بن المنذر وموسى بن أبي جابر ومنير بن النير . رشح للإمامة بعد نجاح قيادته في القضاء على آل الجلندى فوافق بشرط أن لا يقطع الشرى ، فرأى العلماء أن شرط الشراء واجب خاصة في تلك الفترة بداية تأسيس الدولة فلذا اختير غيره لتولى هذا المنصب ، وولى محمد بن المعلى صحار في تلك الفترة الانتقالية ، ولم تعرف سنة وفاته . انظر البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٦٩-١٧٠ .

(٢) منطقة الظاهرة : تمت الإشارة إليها في تمهيد هذا البحث ، والمجازة أحد المواضيع بها .

(٣) سيرة أبي قحطان : نفس المصدر السابق ؛ الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس . تحقيق القيسي ص ٤٩ ؛ ابن رزيق : الفتح المبين ص ١٩٧ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٠٧ ؛ السيابي : عمان عبر التاريخ ج ٢ ص ٩ .

(٤) إحدى ولايات المنطقة الداخلية تجاور نزوى من جهة الشرق ، وتبعد عن مسقط حوالي ١٧٥ كم ، وهي ذات عمق تاريخي ، و بها فلج باسم مالك بن فهم قيل إنه هو الذي أجراه ، وسبب اختيار العلماء للاجتماع بها فيما يظهر لقربها من نزوى ، وفي نفس الوقت خروجها من دائرة الخطر والمراقبة التي ربما تكون موجودة في نزوى من قبل أنصار آل الجلندى في ذلك الوقت .

(٥) الشرى : شئ يشريه شري وشراء وشراء سواء ، وشراه واشتره : باعه . وينبع مفهوم الشراء عند الإباضية من قوله تعالى "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله" . وللشرى شروط والتزامات ، فلذا ربما خشي العالم محمد بن المعلى الكندي أن لا يستطيع الرفاء بما سيعاهد الله عليه ، ويقول الإمام السالمي : " ينبغي للعاقل أن لا يدخل في أمر يعجز عن إتمامه والفضائل كثيرة ، والشراء درجة عظيمة =

وما يليها ، ثم اختير محمد بن أبي عفان^(١) فقطع الشرى ، فبويع بالإمامة^(٢) فكلن أول إمام في الإمامة الثانية في عمان ، وتمت تلك الأحداث كلها في سنة ١٧٧هـ / ٧٩٤م^(٣) ،

وبمولد هذه الدولة دخلت عمان في عهد جديد من العدل والرخاء والقوة والازدهار حيث امتدت فترة هذه الإمامة زهاء قرن من الزمان ، وفي آخرها دب الخلاف والانشقاق فانتهى أمرها في عام ٢٨٠هـ / ٨٩٣م ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤) .

انتقال مركز الحكم من صحار إلى نزوى :

من الاجتماع الأول الذي أعلنت فيه الإمامة تم نقل العاصمة من صحار إلى نزوى ، ويستنتج ذلك من نتائج ذلك الاجتماع الذي تم فيه تعيين ابن المعلى الكندي على ولاية صحار وما يليها ، فهذا مما يوحي برغبة المجتمعين أن تكون نزوى هي مركز الحكم للدولة الجديدة بدلا من صحار^(٥) .

ويبدو أن الأسباب التي أدت إلى هذا الإجراء هي :

أولا : صحار مدينة ساحلية بالإضافة إلى أنها متصلة بالطرق البرية التي اعتاد العرب

= لا يدركها إلا الخواص من الخواص وليس كل رجل " . انظر : لسان العرب ج ٣ ص ٤٢٩ ؛ السلي تحفة الأعيان ج ٢ ص ٢٣٩ .

(١) محمد بن عبدالله بن أبي عفان من قبيلة اليمحمد . نشأ بالعراق وهناك تلقى تعليمه ، وفيما يظهر أن حضوره إلى عمان حدث في تلك الفترة ، ويبدو أن الرجل كان قائدا عسكريا أكثر من كونه رجلا سياسة لذا قيل بأن إمامته إمامة دفاع وعندما تستقر الأمور تنتهي مهمته . وبصفته القيادية هذه ربما أراد أن ينفرد بالسلطة ، فبادره أهل الحل والعقد بالعزل . انظر : الأزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة تحقيق القيسي ص ٤٩ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٥٨ .

(٢) السالمي : تحفة الأعيان ص ١٠٩ .

(٣) السالمي : نفس المصدر والصفحة ؛ د . السهيل : الإباضية في الخليج العربي : ص ٦٤ .

(٤) سورة الأنفال الآية ٤٦ .

(٥) لا يوجد في المصادر نص صريح يشير إلى انتقال الإمامة من صحار إلى نزوى سوى قول الشيخ السيابي وهو من المؤرخين المحدثين : رأى المسلمون تحويل عاصمة الإمامة من صحار إلى داخلية عمان في مكان يكون صافيا لاستقرار كرسي الإمامة . انظر : عمان عبر التاريخ ج ٢ ص ٤٥ .

ارتياحها فمن السهل الوصول إليها ، وقد كانت الأحداث الماضية وخاصة تلك الأحداث التي أدت إلى زوال الإمامة الأولى^(١) بعد فترة قصيرة من قيامها سببا في نقل العاصمة من صحار إلى نزوى .

ثانيا : نزوى تقع في قلب داخلية عمان ، تتوسط بين المناطق الغربية والشرقية ، بعيدة عن الساحل مما يسهل تجمع القوات ، وخاصة من المناطق الشرقية والداخلية ، فالخطر دائما يأتي من الساحل عن طريق البحر ، أو من الغرب . فوصول العدو لنزوى ليس سهلا ، ولن يتم له ذلك إلا بعد أن يبذل تضحيات جساما ، كما أنه لن يستطيع أن يهنأ بالمقام فيها ، لأن كل المناطق المحيطة بها هي خير حارس لها ، وهذا ما أثبتته الأحداث التي جرت بعد ذلك حيث حاول عمال الدولة العباسية بعد زوال الإمامة أن يستقروا بها فلم يستطيعوا^(٢) ، فتركوها لأهلها ورحلوا عنها إلى صحار .

ثالثا : وجود الجبل الأخضر بجوار نزوى . والطرق المؤدية إليه من الجهة الجنوبية تنطلق منها مما يجعله المحتمي الآمن لأهل البلاد عند اشتداد الخطر . كما أنه يمثل الدرع الواقى للبلاد ، وخير مثال على ذلك لجوء سليمان وسعيد الجلنديين إليه بعد عجزهم عن مقاومة الحجاج في سنة ٨٣هـ^(٣) ، وبهذا تكون صحار قد ضعف دورها السياسي في مقابل ازدياد فاعلية الدور الاقتصادي الذي قامت به ، فمكائنها الهامة لم تبرح أذهان الأئمة ومن معهم من أهل الحل والعقد في الأمة ، فأطلق على واليها الوالي الكبير ، وفوض واليها في كثير من الأحيان أن يقود الجيوش لدرء الأعداء من الداخل أو الخارج ، كما أن نشاطها الاقتصادي ازداد رسوخا وازدهارا بفضل رفع الضرائب عن التجار ، وموارد البحر خاصة ، ولم يبق من الضرائب إلا ما تفرضه النصوص الشرعية^(٤) ، بالإضافة إلى استتباب الأمن والقضاء على قراصنة البحر والمراقبة

(١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٠٨ ؛ سيرة أبي قحطان : من كتاب السير والجوابات ج ١ ص ١٢١ .

(٢) مجهول : تاريخ أهل عمان : ص ٧٥ ؛ الإزكوي : مصدر سابق : ص ٦١ .

(٣) السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٧٢ ؛ ابن رزيق : الفتح للمين : ص ٧٩ .

(٤) السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٨٦ .

الدقيقة على الأسواق^(١)، وما تبع ذلك من إجراءات . كل ذلك جعل صحار ترقى ولا تتأثر سلبا بنقل مركز الحكم عنها ، وذلك الاهتمام الذي أولاه إياها الأئمة حولها أن توصف فيما بعد بأنها " دهليز الصين ، وخزانة الشرق والعراق ، ومغوثة اليمن"^(٢).

(١) السلي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ١٢١ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ .

المبحث الثاني :

صحار في عهد الإمامة الثانية

بعد أن بويع محمد بن أبي عفان بالإمامة تم عزل كل الولاة الذين تم تعيينهم في الفترة الانتقالية التي يبدو أنها لم تدم إلا قليلا ، لكن المصادر لا تشير إلى الشخصية التي تولت صحار في عهد هذا الإمام الذي هو نفسه لم تدم إمامته حيث تم عزله بسبب تصرفاته الانفرادية التي كان يتخذها دون مشورة أهل الحل والعقد وذلك في شهر ذي القعدة من سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م^(١).

عهد الإمام الوارث بن كعب الخروصي^(٢) و المحاولة العباسية لاستعادة السيطرة على عمان

في نفس الوقت الذي عزل فيه الإمام الأول بويع الإمام الوارث بن كعب الخروصي (١٧٩-١٩٢هـ / ٧٩٥-٨٠٧م) في ذي القعدة من سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م ، فعين الإمام الوارث محمد بن مقارش اليمحمدي واليا على صحار^(٣).

وقد صادف قيام الإمامة في عمان أوج ازدهار الخلافة العباسية خلال خلافة الرشيد (١٧٠هـ / ٧٨٦م - ١٩٣هـ / ٨٠٨م) ، فلذا كان من المتعذر أن تمر الأمور في عمان دون أن تحاول الدولة العباسية فرض سيطرتها على عمان من جديد ، فجهز

(١) الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة (تحقيق القيسي) ص ٢٩ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٥٨.

(٢) الوارث بن كعب الخروصي من قبيلة اليمحمدي من قرية الحجر بوادي بني خروص بولاية العواي . كان رجلا زاهدا ورعا من أهل الكرامات والعلم ، يقتات من عمل يده في فلاحه الأرض . وخير شاهد على عدله ومروءته عندما رأى السيل الجارف خاف على السجناء من أن تجرفهم الأودية فبادر بنفسه ليطلقهم إلا أن إرادة الله شاءت أن يغرق معهم وكانت وفاته في وادي بين حيين من أحياء نزوى هما العقر ، وسعال . ومن حب الناس له تشاجر أهل الحيين ، كل يريد دفنه معه مما اقتضى أن يدفن مكانه ، وحتى اليوم

مازال قبره موجودا . انظر : السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ١١٨ .

(٣) السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ١١٦ ، ومحمد بن مقارش لم أعثر له على ترجمة .

هارون الرشيد جيشا لإخضاعها بقيادة عيسى بن جعفر وولاه إياها^(١)، وحسب رواية الطبري فإن الخليفة الرشيد قد ولي عيسى بن جعفر عمان في سنة ١٨٩هـ^(٢)، وتفيد المصادر المحلية أن خبر هذه الحملة وصل إلى عمان مبكرا حيث إن داود بن يزيد المهلي^(٣) كتب إلى والي صحار محمد بن مقارش بخبر الحملة ، فلذا استعد العمانيون لها، فقد عهد الإمام للوالي نفسه بقيادة الجيش الذي سيواجه هذه الحملة ، وفي رواية البلاذري وابن حبيب ما يفيد بأنهم كانوا يرتكبون المنكرات وهم في طريقهم إلى عمان " فجعلوا يفجرون بالنساء ويسلبونهن ويظهرون المعازف"^(٤)، فلما وصلوا إلى عمان كان العمانيون على استعداد لملاقاتهم ، وكان عدد هذه الحملة ستة آلاف مقاتل ، فدارت المعركة في "حتى"^(٥)، فانتصر العمانيون ، وأراد عيسى الهرب فركب مراكبه إلا أن العمانيين لحقوا بهم ، فدارت معركة بحرية انتهت بمقتل جنود عيسى وأسره هو ، فاقتيد إلى صحار وأودع في سجنها حتى ينظر الإمام في أمره .

(١) أبو الخواريزمي من علماء القرن الثالث : السمر والجوابات : ج ١ : ص ٣٤٢-٣٤٣ ؛ الإزكوي : المصدر السابق ص ٥٠ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان : ص ٥٩، ٥٨ . و عيسى بن جعفر هو : عيسى بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس . كان مسكنه في البصرة بالخيرية فلذا كان من السهل على الأزدي العمانيين في البصرة الاطلاع على خطته ، ومن الذين سكنوا الخيرية في البصرة الإمام الربيع بن حبيب ، وقد ذكرت المصادر العمانية بأنه عيسى بن أبي جعفر المنصور ، وقد ناقش ذلك الاختلاف بين المصادر المحلية ، والمصادر الأخرى بعض الدارسين وتوصلوا إلى أنه عيسى بن جعفر بن سليمان . انظر : البلاذري : فتوح البلدان : ص ٨٨ ؛ ابن حبيب : المحرر ص ٤٨٨ ؛ الحمري : معجم البلدان : ج ٣ ص ٣٦١ ؛ أمبوسعيد : عمان في عصر الإمامة الإباضية الثانية ص ١٦٧ ؛ مهدي هاشم : الحركة الإباضية في المشرق العربي ص ٢١٥ .

(٢) الطبري : تاريخه ج ١٠ ص ١٠٤ .

(٣) داود بن يزيد بن حاتم المهلي من أبناء المهلب بن أبي صفرة تولى إمارة إفريقية بعد وفاة أبيه سنة ١٧٠هـ وفي سنة ١٧٣هـ إمرة مصر ، فقدم إليها في أوائل ١٧٤هـ ، وكان أمرها مضطربا فهدأ في أيامه واستمر في إمارتها سنة ، فعزل سنة ١٧٥هـ ، وفي سنة ١٨٤هـ ولي السند فانتسعت له أمورها حتى وفاته سنة ٢٠٥هـ / ٨٢٠م ، ورغم مكانته في الدولة العباسية إلا أن حبه لوطنه وأهله هو الذي دفعه لأن يبادر بإطلاع والي صحار على أمر الحملة بعدما علم بها . انظر : الزركلي : الأعلام ج ١ ص ٣٣٦

(٤) البلاذري : المصدر السابق ص ٨٨ ؛ ابن حبيب : المصدر السابق ص ٤٨٨ ، والنص للبلاذري .

(٥) حتى : موضع يقع شمال صحار ، وهو الآن بين حدود سلطنة عمان ودولة الإمارات العربية المتحدة .

ولما علم الإمام بالخبر قام في الناس خطيباً فقال: " يا أيها الناس إني قاتل عيسى بن جعفر ، فمن كان معه قول فليقل ، فقام العلامة علي بن عزرة^(١) ، فقال: " إن قتلته فواسع لك ، وإن تركته فواسع لك " ، فأمسك الإمام عن قتله وتركه في السجن^(٢) ، إلا أن بعض القوم لم يسغ لهم ذلك ، وفيهم رجل يقال له يحيى بن عبد العزيز فاستطاعوا أن يتسوروا السجن ويصلوا لعيسى بن جعفر ويقتلوه من حيث لا يعلم الإمام ولا والي صحار^(٣) ، إلا أنه لم يصب كما ذكرت بعض المصادر^(٤) ، وبذلك انتهت تلك الحملة ، وقيل أن هارون الرشيد أراد أن ينفذ جيشاً كبيراً رداً على هذه الهزيمة ، إلا أن المنية عاجلته^(٥) . وهذا الانتصار قويت أركان الإمامة خاصة وأن الخلافة العباسية دخلت في صراعات عائلية على الخلافة بين الأمين والمأمون ، ولذا لم تشهد عمان أي محاولة أخرى من قبل الخلافة العباسية حتى سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م^(٦) .

عهد الإمام غسان بن عبد الله^(٧) والقضاء على قراصنة البحر

شهدت عمان طوال فترة عهد الإمام الوارث بن كعب استقراراً مما ساعد على بناء الدولة ومقوماتها الأمنية خاصة بعد السنوات العجاف التي عاشتها في الفترة

(١) هو الشيخ الجليل علي بن عزرة الإزكوي ، وكان والده عزرة من رجال العلم ، ومن أشهر رجالات هذا البيت العلامة موسى بن علي بن عزرة الذي إليه آلت رئاسة العلم في أوائل القرن الثالث الهجري حتى لقب في زمانه بشيخ المسلمين كما أن أبناء المترجم له كلهم من أجل العلماء ومنهم محمد بن علي بن عزرة ، والأزهر بن علي بن عزرة ، وقد ظهر من سلالة هذه العائلة علماء أجلاء شهد لهم بالفضل والسبق . انظر : البطاشي : إتحاف الأعيان : ج ١ ص ١٨١ .

(٢) الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس ص ٥٠ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٥٩ ؛ ابن رزيق : الفتح المبين : ص ١٩٨ ، ١٩٩ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١١٦ .

(٣) الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس ص ٥٠ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١١٦ .

(٤) البلاذري : نفس المصدر السابق ص ٨٨ ؛ ابن حبيب : نفس المصدر السابق ص ٤٨٨ .

(٥) الإزكوي : المصدر السابق ص ٥٠ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١١٧ ؛ مجهول : المصدر السابق ص ٥٩ .

(٦) العقيلي : الإباضية في عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول ص ٣٣ .

(٧) الإمام غسان بن عبد الله اليعمدي من الفجج وهم فخذ من قبيلة اليعمد . يقول ابن دريد : بنو فجج وهم الفجج ، والتفجج : التعجر في الكلام . انظر : الاشتقاق ص ٥٠٧ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢٠ .

الفاصلة ما بين الإمامتين من (١٣٤هـ/٧٥٠م) إلى (١٧٧/٧٩٣م) . وخلال هذه الفترة وبسبب غياب القوة الرادعة نشطت أعمال القرصنة على السواحل العمانية التي تبلغ حوالي ١٧٠٠ كم^(١)، وتشرف على أهم الطرق التجارية آنذاك : طريق الخليج العربي والطرق المتفرعة عنه إلى شرق أفريقيا وسواحل جنوب آسيا^(٢)، فلذا تركز اهتمام الإمام غسان بن عبد الله (١٩٢-٢٠٨/٨٠٨-٨٢٠ م) على تأمين هذه السواحل ، فبادر ببناء أسطول بحري في صحار ، ثم انتقل إليها بنفسه ليتابع من هناك أعمال القضاء على هذه القرصنة ، وذلك في سنة ٢٠١هـ^(٣)، واتخذ الإمام الشدة وهو نوع من السفن سريعة الحركة ، وهو أول من اتخذها في عمان لملاحقة القراصنة فاستطاع القضاء على شرهم ، ولم يبرح الإمام صحار خمس سنوات حتى تأكد له زوال الخطر الذي كان يهدد الملاحة البحرية^(٤)،

وبهذا ازدهر الاقتصاد العماني ، واستفادت من ذلك الإجراءات الحاسم كل البلاد التي كانت تجارها تمر من تلك الطرق البحرية التي كان القراصنة يتعرضون لها . ويذكر الإمام السالمي أنه خلال تلك الفترة حدث حريق كبير في سوق صحار ، ويبدو أن هذا الحريق هو من أعمال هؤلاء القراصنة حيث استطاع أحدهم أن يتسلل إلى صحار ويقوم بهذا العمل الانتقامي ، ولكن ذلك لم يفت من عضد الإمام ، حيث واصل جهاده ضدهم حتى انتصر عليهم .

كما أظهر الإمام الشدة على كل من تسول له نفسه المساس بمقدرات النسل ، فيروى أنه أول من قطع يد سارق في صحار^(٥) تطبيقاً لحكم

(١) وزارة الثقافة : عمان في التاريخ : ص ١٦ .

(٢) د. حسين مؤنس : عالم الإسلام ، الناشر : الزهراء للإعلام العربي ص ٦٧ ؛ مهدي هاشم : مرجع سابق ص ٢٢٠ .

(٣) السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ١٢٠ .

(٤) الرقيشي خلف بن أحمد : مصباح الظلام : ص ٩٨ ؛ الإزكري : مصدر سابق ص ٥١ ؛ ابن رزيق : الفتح المبين ص ١٩٩ ؛ السالمي : نفس المصدر السابق ؛ الخروصي سليمان بن خلف : بحث دولة اليعلمد في عمان في حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ١ ص ٣١١ .

(٥) السالمي : نفس المصدر السابق : ص ١٢٥ .

الله عز وجل : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾ ^(١) ، وبهذا العدل والأمان في زمانه خصب عمان خصبا كثيرا وصلرت خير دار ، وبقي الخصب بعده زمنا طويلا ^(٢) ، وصدق عز من قائل : ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ﴾ ^(٣) ، وانتهت إمامة الإمام غسان بموته يوم الأحد ٢٦ ذي القعدة عام ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م ^(٤) .

عهد الإمام عبد الملك بن حميد ^(٥) والقضاء على فتنة القدرية ^(٦) والمرجئة ^(٧) في صحار يصف الإزكوي عمان في عهد هذا الإمام فيقول : " فسار سيرة الحق والعدل واتبع أثر السلف الصالح ، فصارت عمان يومئذ خير دار " ^(٨) . ففي هذا العهد شهدت صحار ازدهارا تجاريا ، فكانت قبلة التجار وأخذ الناس يفدون إليها من مختلف الأجناس البشرية ، فلهذا ظهرت فيها بعض العقائد ، وأخذ أصحابها ييثونها بين

(١) سورة المائدة الآية ٤٠ .

(٢) السالمي : نفس المصدر ص ١٢٣

(٣) سورة الجن الآية ١٦ .

(٤) الإزكوي : نفس المصدر ص ٥٢ ؛ الرقيشي : نفس المصدر ص ٩٨ ؛ السالمي : نفس المصدر والصفحة .

(٥) هو عبد الملك بن حميد العلوي ، ينتمي لبني علي بن سوده بن علي بن عمرو بن عامر بن ماء السماء الأزدي ، وقد أشار إليه السالمي في حال قيام الإمامة بأنه كان يومئذ شابا ، وكان يدعو المسلمين إلى المبايعة لراشد بن النضر . انظر : الرقيشي : مصباح الظلام : ص ٩٥ ؛ السالمي : نفس المصدر ص ١٠٧ ، ص ١٣٢ .

(٦) القدرية : فرقة ظهرت في أواخر القرن الأول الهجري وتنسب إلى معبد بن عبد الله بن غليم الجهني البصري ٨٠ هـ / ٦٩٩ ، فهو أول من قال بالقدر ويزعم القدرية أن كل عبد خالق لفعله ، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى ، وينادون بحرية الإنسان واختياره لأفعاله . انظر : الشهرستاني : الملل والنحل : ص ٤٣ ؛ الجرجاني : التعريفات ص ١٧٤ ؛ الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص ٣٤٨ .

(٧) المرجئة : فرقة تقول : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا يتفمع مع الكفر طاعة ، فلذا لا يحكمون على المسلمين بشيء بل يرجئون الحكم إلى الله يوم القيامة ، وقيل إن أول من وضع الإرجاء غيلان الدمشقي ، وقيل الحسن بن محمد بن الحنفية . انظر الجرجاني : نفس المصدر ص ٢٠٨ ؛ الخطيب : نفس المرجع ص ٣٩٢ .

(٨) الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٥٢ .

الناس^(١)، فتار جدل فكري^(٢)، مما دفع العلماء إلى رفع الأمر إلى الإمام حيث كتب العلامة هاشم بن غيلان^(٣) رسالة مطولة للإمام - وهي التي تسمى في الاصطلاح العماني سيرة^(٤) قال فيها: "إن قوما من القدرية والمرجئة بصحار قد أظهروا دينهم ، ودعوا الناس إليه ، وكثر المستجيبون لهم ، ثم قد صاروا بثوام و غيرها من عمان ، وقد يحق عليك أن تنكر ذلك عليهم ، فإننا نخاف أن يعلوا أمرهم في سلطان المسلمين ، فمر يزيد أن لا يترك أهل البدع على إظهار دعوتهم"^(٥). ويعتبر طلب العلماء للإمام بمثابة الأمر واجب التنفيذ ، ورغم أن المصادر لا تذكر كيف عالج الإمام الموقف إلا أنه لابد قد اتخذ الإجراء المناسب لدرء ذلك الخطر الفكري والقضاء عليه.

عهد الإمام المهنا بن جيفر و القضاء على فتنة آل الجلندی بصحار .

اتسم عهد المهنا بن جيفر الیحمدي (٢٢٦ هـ - ٢٣٧ / ٨٤٠ - ٨٥١ م) بالجد

(١) هاشم بن غيلان سيرته : السير والجوابات : ج ٢ ص ٣٨ ؛ السلي : المصدر السابق ص ١٣٧ .

(٢) ستم الإشارة إلى ذلك الجدل في فصل الحياة الفكرية والعلمية في صحار .

(٣) هو العلامة أبو الوليد هاشم بن غيلان السبجاني نسبة إلى سيجان من أعمال ولاية سمائل بالمنطقة الداخلية في عمان . يعد من كبار العلماء في زمانه بعمان آخر القرن الثاني وأول الثالث ، وأسرته أسرة علم وفضل ومن اشتهر منهم غيره أخوه عبد الملك بن غيلان وابنه محمد بن هاشم بن غيلان ، وله عدد من المراسلات مع الإمام عبد الملك بن حميد ، وهذا دليل رفعة ومكانته العلمية بين أقرانه العلماء وما تزال بعض هذه الرسائل موجودة حتى اليوم ومنها سيرته المشار إليها عن فتنة المرجئة والقدرية في صحار ، ويرجح الشيخ البطاشي أن وفاته في عهد الإمام عبد الملك ؛ لأن ذكره ينقطع بعد ذلك . انظر : البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٧٦ ؛ السلي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٣٨ .

(٤) السيرة المتعارف عليها هي التي تتناول الحياة الذاتية للشخص المنسوبة إليه مثل سيرة الرسول ﷺ وسيرة أبي بكر ، إلا أنها في الاصطلاح العماني قديما تتناول أحيانا موضوعا ما يرتبط باسم كاتبه ، وبعضها عادة رسائل أو جوابات جرى تبادلها ، وهذه السير هي من بواكير التأليف في التاريخ الإسلامي بعضها من النصف الأول من القرن الثاني الهجري والرابع الهجري ، وجمع بعضها بين دفتي مجلد حققته د. سيدة إسماعيل كاشف ، وهناك عدد آخر ما يزال مخطوطا ، ويشتمل بعضها على جوانب هامة من تلويخ عمان وحضارتها . انظر : العبيدي : السير العمانية كمصدر لتاريخ عمان - سيرة محمد بن محبوب - مقال نشر في مجلة نزوى العدد الثاني مارس ١٩٩٥ م ص ٢٦ .

(٥) هاشم بن غيلان : سيرته : السير والجوابات : ج ٢ ص ٣٨ . و يزيد فيما يظهر هو والي صحار في تلك الفترة ، إلا أنني لم أستطع العثور على مزيد من التفاصيل عن اسمه أو حياته .

والحزم والهيبة والوقار ، فلذا استطاع أن يبني قوة برية وبحرية لعمان^(١). وقد عين ولاية عرفوا بالفضل وسعة العلم فعين على صحار سليمان بن الحكم^(٢) المكنى بأبي مروان والياً لها كما عين زياد بن الوضاح معدياً^(٣) لأبي مروان بصحار^(٤).

ومن الأحداث الهامة في عهد الإمام المهنا بن جيفر فتنة المغيرة بن روشن الجلنداني ومعه أعوانه حيث دخلوا توام^(٥) واستولوا عليها بعد أن قتلوا واليها أبا الوضاح^(٦)، فلما علم الإمام بأمرهم أمر واليه على صحار أبا مروان أن يخرج إليهم ، فنفذ الوالي الأمر فخرج في جيش قيل قوامه اثنا عشر ألفاً . ومن ضمن هذا الجيش رجال من الهند وعلى رأسهم المطار الهندي^(٧)، فحقق هذا الجيش مهامه بالقضاء على

(١) سيشار إلى حجم هذه القوة في مبحث التنظيم الإداري في صحار ص ١٤٧ .

(٢) أبو مروان سليمان بن الحكم ، من نزوى ، من علماء القرن الثالث الهجري هو وأخوه المنذر . ذهب مرة إلى البصرة برفقه العالم موسى بن علي فسألهما القاضي هناك عن مسألة وهي رجل أوصي بجزء من ماله ولم يسمى غير هذا ، أجابه مروان بأن له الربع وتلا قوله تعالى: "فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً" البقرة الآية ٢٦٠ ، فأعجب القاضي بذلك وبسرعة بديهة الرجل . تولى ولاية صحار في عهد الإمام المهنا بن جيفر . وفي عهد الإمام الصلت تم عزله فعاد لنزوى وبقي فيها حتى توفي انظر : البطاشي : إتحاف الأعيان ص ٤٢٧ ؛ السالمي: تحفة الأعيان ج ١ ص ١٥٩-١٦١ .

(٣) المعدي : مهنة قضائية يكون عند الإمام أو عند الوالي فيحكم في القضايا التي يرفعها إليه الحاكم فقط ولا يتولى التنفيذ إلا إذا فوضه الحاكم في ذلك . انظر : الكندي محمد: بيان الشرع ج ٢٨ ص ٣١-٣٢ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٥٦ . و زياد بن الوضاح بن عقبة من نزوى ، وكان من فقهاء زمانه ، وقد حضر بيعة الإمام الصلت بن مالك . انظر : البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٤٤٤ .

(٤) السالمي : المصدر السابق ص ١٥٦ .

(٥) توام : هي ولاية البريمي حالياً وقد تم التعريف بها سابقاً في تمهيد هذا البحث .

(٦) محمد بن الحواري بن عثمان : سيرته من ضمن السير والجوابات ج ١ ص ٣٤٦ ؛ الكندي : كتاب الاهتداء والمنتخب من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وأئمة علماء عمان ص ١٩٤ . تحقيق سيدة إسماعيل كاشف الناصر وزارة التراث القومي والثقافة مسقط: ١٤٠٦-١٩٨٥ م ؛ الإزكري : المصدر السابق ص ٥٤ ؛ السالمي المصدر السابق ص ١٥٢ .

(٧) يبدو أنه كان في صحار في ذلك العهد جالية كبيرة من الهند حتى انخرط بعضهم في الخدمة العسكرية ، ولا بد أن يكون هؤلاء مسلمين لأنه من المستبعد أن يستعين الوالي أبو مروان وهو من العلماء في عمان حينئذ بغير المسلمين ، كما أن الدولة كانت في أرقى عصورها خاصة من الناحية العسكرية فليست تحتلج عند درء فتنة ما إلى أن تأخذ أحداً من غير ملة الإسلام ، ويجوز أن يكون بعض هؤلاء دخل في الإسلام =

هذه الفتنة وبدد آمال آل الجلندي الذين لم تقم لهم قائمة بعد ذلك ، إلا أن هذا الجيش ارتكب خطأ لم يكن معهودا في سلوك جيوش الأئمة وتعاملهم مع عدوهم ، والذي حدث هو أن المطار الهندي ومن معه من سفهاء الجيش - حسب تعبير الإمام السالمي - وبدون علم أو استئذان قائد الجيش أبي مروان قاموا بإحراق دور بني الجلندي وكانت في الدور حيوانات مربوطة كالبقر وغيرها ، فعمد بعض الرجال إلى الإلقاء بنفسه في الماء حتى يبتل بدنه وثيابه فيحترق النار لينقذ ما يستطيع من الدواب أما النسوة والأطفال فقد أصبحوا بدون مأوى ، مما دفع الإمام أن يعجل بإنصاف القوم حيث أرسل إليهم من يقوم بإنصافهم وإعطائهم الحق الذي وجب لهم^(١).

صحار و عهد الإمام الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧-٢٧٢هـ / ٨٥١-٨٨٥م)

ببيع الإمام الصلت بن مالك بالإمامة عقب وفاة الإمام المهنا بن جيفر مباشرة^(٢) ، وذلك قبل غروب الشمس من يوم الجمعة لست عشرة خلت من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين وكان عهده من أطول عهود الأئمة^(٣) حيث دام عهده خمسا وثلاثين سنة . وبعد أن تسلم الإمام سلطة الإمامة قام بعزل واليها المشهور أبي مروان سليمان بن الحكم وعين بدلا منه محمد بن الأزهر العبدي^(٤) ، كما قام في سنة ٢٤٩هـ بتعيين العلامة الكبير محمد بن محبوب قاضيا عليها والذي مكث فيها حتى

=في صحار لأن نشاط العلماء في إدخال غير المسلمين للإسلام كان قائما . انظر: البطاشي :إتحاف

الأعيان ج ١ ص ٤٤٤

(١) الإزكوي : المصدر السابق ص ٥٤ ؛ السالمي : المصدر السابق ص ١٥٢ .

(٢) من القواعد الثابتة في الإمامة أن تتم بيعة الإمام الجديد في ذات اليوم الذي يتوفى فيه الإمام السابق لكسي لاتبقي الأمة بدون إمام يقودها ، ولتجنب الفرقة التي يحدثها تأجيل الانتخاب والبيعة لإمام جديد . انظر

: مهدي هاشم : الحركة الإباضية في المشرق العربي ص ٢٤٣ .

(٣) السالمي : المصدر السابق ص ١٦١، ١٥٠ .

(٤) محمد بن الأزهر العبدي لم أعثر له على ترجمه ، وقد أورده صاحب كتاب تواريخ العلماء ومعرفة

أسمائهم ضمن قائمة العلماء . انظر : تواريخ العلماء ومعرفة أسمائهم وكناهم وبلدانهم : ص ٨ ؛ السالمي

: المصدر السابق ص ٢٤٣ .

وفاته في سنة ٢٦٠هـ^(١)، وصلى عليه والي صحار حينئذ غَدَّانة بن محمد^(٢)، ولا تذكر المصادر متى تولى هذا الوالي ولاية صحار ، إلا أنه ظل بها إلى ما بعد عام ٢٦٥هـ حيث كان موجودا عندما حدث في هذه السنة زلزال في صحار يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة^(٣)،

وتشير المصادر إلى أن الإمام الصلت بن مالك قد عيّن والياً خاصاً لسوق صحار وهو محمد بن فيض^(٤)، ويبدو أن هذا الوالي كان مسؤولاً مباشراً عن التجارة والمعاملات المالية التي تجري في الأسواق ومراقبتها ، ومن الولاة الذين تم تعيينهم في عهد الإمام الصلت بن مالك على صحار أبو جابر بن محمد بن جعفر^(٥)، إلا أنه لم يمكث في ولايته أكثر من شهرين حيث استقال من منصبه بنفسه ، ثم تم تعيينه على صحار مرة أخرى في عهد الإمام راشد بن النضر ، إلا أنه أيضا أعفى من منصبه قبل أن يتسلمه^(٦) ، ولم تشر المصادر إلى البديل ، وبذلك ينتهي عصر القوة و الازدهار

(١) السالمي : المصدر السابق ص ١٦٤ .

(٢) غَدَّانة بن محمد من علماء القرن الثالث ، وكان من جملة العلماء الذين ناصرُوا الإمام الصلت بن مالك لما عزل عن الإمامة ، وقد امتنع هؤلاء العلماء عن مبايعة الإمام الجديد راشد بن النضر . انظر : البطاشي :

إتحاف الأعيان : ج ١ ص ٤٣١ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٢٤٣ .

(٤) محمد بن فيض لم أعر على ترجمة له ، إلا أن أبا المؤثر يشير في سيرته إلى أن الإمام الصلت بن مالك بعد ما عزله عن سوق صحار ولاء ولاية جلفار كما ورد في المصادر ، إلا أنها لم تحدد اختصاصاته التي يبدو أنها شبيهة بعمل المحتسب . انظر : أبو المؤثر : سيرته من ضمن السير و الجوابات ج ١ ص ٣١ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٢٨ ص ٩٤ .

(٥) أبو جابر محمد بن جعفر الإزكوي من مشاهير العلماء في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري . من مؤلفاته القيمة كتاب الجامع المعروف بجامع أبي جعفر ويقع الكتاب في عدة أجزاء كبار ، وقد تم طبعة من قبل وزارة التراث القومي والثقافة ، وفيما يظهر أنه كان من المؤيدين لعزل الإمام الصلت بن مالك لكبر سنه ، وقد خالفه ابنه العلامة الأزهر بن محمد بن جعفر في توجيهه هذا . كانت أسرته أسرة علم حيث كان والده أيضا من العلماء وأخوه سعيد بن جعفر وكان مسكنه محلة اليمن بولاية إزكي . انظر :

أبو المؤثر : سيرته من ضمن السير و الجوابات : ج ١ ص ٧٢ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٠٧ .

(٦) أبو المؤثر : سيرته من ضمن السير و الجوابات : ج ١ ص ٧٢ .

الذي شهدته صحار خلال قرن من الزمان تقريباً لتدخل في عهد الفتن ،
والاضطرابات التي حدثت نتيجة عزل الإمام الصلت بن مالك الذي أدى إلى انقسام
البلاد بين مؤيد ورافض ، وقد ساهمت صحار في خوض غمار تلك الفتنة .
صحار في عهد الإمام راشد بن النضر (٢٧٢-٢٧٧هـ/٨٨٥-٨٩٠م) .

رأى بعض العلماء ، وعلى رأسهم موسى بن موسى بن علي^(١) أن الإمام
الصلت بن مالك قد كبر في السن ، وأنه عاجز عن القيام بكل واجبات الإمامة ،
ففاوضوه على أن يترك الإمامة بنفسه ، فوافق على ذلك وترك بيت الإمامة ، فبويع
بالإمامة لراشد بن النضر^(٢) ، ولما تمت له البيعة بعث الإمام الصلت إليه بخاتم الإمامة
ومفاتيح الخزائن ، إلا أن هناك من كان يقف ضد هذا الموقف فيقول إن الإمام الصلت
قد أجبر على الاعتزال ، وإنه لا يصح عزل إمام إلا بعد قيام الحجة عليه ، وإن الإمام
الصلت لم يعتزل طواعية ، وإنما ترك بيت الإمامة لما رأى حشود القوم حيث
قال: "خفت أن يصل القوم ، ويدخلوا العسكر ، وتلقاهم رجال ، فيقع الحرب
وسفك الدم ، وأنا في البيت .. فرأيت إن تحولت إلى بيت ولدي بلا ترك للإمامة ولا
بخلع لما طوقني الله من هذه الأمانة ، فأمرت بحفظ مال المسلمين وحفظ السجينين^(٣) ،
وأمرت عزان بن تميم بالقيام في ذلك" . فلذا يرى هذا الفريق

(١) موسى بن موسى بن علي بن عزرة الإزكوي من سلالة علمية كبيرة . كان والده من كبار علماء عصره
تولى القضاء للإمام المهنا بن جعفر كما أن جده علي بن عزرة كان من العلماء بالإضافة إلى عمومته كلبي
جابر محمد بن علي بن عزرة وأخي المترجم له محمد بن موسى بن علي . قتل موسى يوم الأحد آخر يرم
من شعبان سنة ٢٧٨هـ بعدما حاول أن يستعيد مكانته في الدولة عقب عزله من منصب القضاء من قبل
الإمام عزان بن تميم الذي عاجله بقوة اشتبكت مع أنصاره وانتهت بمقتله في ولاية أزكى .

(٢) أبو المؤثر : سيرته في نفس المصدر السابق ص ٣٤ ؛ أبو قحطان خالد بن قحطان من علماء القرن الثالث
: سيرته في نفس المصدر السابق : ج ١ ص ١٢٩ ؛ الإزكوي : نفس المصدر السابق والصفحة ؛
السالمي : المصدر السابق ج ١ ص ١٩٧ ، ٢١٣ ؛ الرقيشي : مصدر سابق ص ١٠٨ . و الإمام راشد
ابن النضر هو من الفجح ؛ فرع من قبيلة اليمحمد . انظر : ابن دريد : الاشتقاق ص ٥٠٧ ؛ السالمي :
تحفة الأعيان ج ١ ص ٢١٣ .

(٣) هكذا ورد في النص ، ويبدو أنه كان يتروى سجنان ، وربما بهما مساجين ، فيكون الإمام مسئولاً عنهم .

أن إمامة راشد بن النضر غير صحيحة ، وأنها قامت على الغلبة والجبرية^(١)، ونتيجة لهذا الانقسام الخطير انقسمت البلاد إلى قسمين ، وقد تطور هذا الانقسام فيما بعد إلى فتنة كبرى زجت بالبلاد في أتون حروب عمقت الفقرة وكانت سبباً لدخول القوات العباسية التي أذهبت بدورها الكثير من معالم البلاد الحضارية ، المادية منها والمعنوية .

وقعة الروضة^(٢) .

تمكن أنصار الإمام الصلت بن مالك المتمسكون بإمامته من جمع حشد كبير من القبائل العمانية في مدينة الرستاق ، وكان على رأسهم شاذان بن الصلت بن مالك ابن الإمام ، ومن هذه القبائل قبيلة كلب اليعمري^(٣)، وكان على رأس هؤلاء الفهم بن وارث واستعانوا بقبائل العتيك ، وكان على رأس هذه القبيلة نصر بن المنهال العتكي الهجاري^(٤)، وهم من منطقة الباطنة . كما لى دعوتهم من صحرار سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي ، وكان هو المقدم في قومه آل سليمة ، وفرايد وغيرهم من سائر ولد مالك بن فهم .

وبهذا دخلت صحرار في معمة الفتنة ، وتحولت هذه القضية برمتها إلى صراع قبلي يديره رؤساء القبائل ، حيث انفلت زمام الأمور من أيدي العلماء . وبعد اجتماع تلك القوات في الرستاق خرجت إلى نزوى لتطيح بالإمام راشد بن النضر ، إلا أن عيون راشد بن النضر سبقتهم فجهز هو وأنصاره السرايا والجيوش ، وولى قيادة

(١) أبو المؤثر : نفس المصدر السابق ؛ أبو قحطان : نفس المصدر السابق ص ١٢٥ ، ١٣٠ ؛ العوتبي :

الأنساب ج ٢ ص ٣١٣ ؛ الرقيشي : المصدر السابق ص ١٠٨ ؛ السالمي : نفس المصدر : ص ٢٠٣ .

(٢) انظر تفاصيل هذه الموقعة في : العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٣١٣ ، ٣١٤ ؛ السالمي : نفس المصدر

السابق ج ١ ص ٢٢٨ . والروضة موضع في منطقة تنوف تقع غربي مدينة نزوى عاصمة الإمامة كما

تقع أيضا على سفح الجبل الأخضر .

(٣) كلب اليعمري ينتمون إلى أكلب من بني اليعمري بن حمى بن عبد الله بن نصر بن زهران بن الأزدي . انظر :

ابن دريد : الاشتقاق ص ٥٠٧ .

(٤) الهجاري نسبة إلى هجار قرية قريبة من صحرار تقع الآن في ولاية الخابورة إحدى ولايات الباطنة تفصلها

عن صحرار ولاية صحم .

هذه الجيوش عبد الله بن سعيد الفجحي والحواري بن عبد الله الحداني ، فالتقى الفريقان بمنطقة الروضة ، وأراد غيلان بن عمر أحد قواد السرايا التابعة لوالي صحار أن يكون وسيطا بين الفريقين ليتزع فتيل الحرب ، ولكنه لم يفلح ، فدارت الحرب وكانت العاقبة وخيمة على التحالف المناوئ للإمام راشد حيث ذهب في هذه المعركة الكثير من أبناء البلاد وكان منهم عدد من أبناء صحار منهم حاضر بن عبد الملك بن بلال السليمي وابن أخيه المختار بن سلمان بن عبد الملك السليمي ، ومن قبيلة فراهيد خدش بن محمد الفراهيدي ، وهؤلاء من زعماء قومهم .

وهكذا تطورت الأحداث^(١). وفي سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م عزل الإمام راشد بن النضر بعد ما انشق عنه سنده الأكبر موسى بن موسى الذي ثار عليه وعزله وسعى إلى تنصيب عزان بن تميم الخروصي إماما ، فخرج راشد ومعه أحد قواده إلى صحار ، فاقتتلوا مع واليها ، فهزم راشد ، وأسر ، وسجن في صحار^(٢) في عهد الإمام

(١) أثار هذه الهزيمة حفيظة ابن دريد اللغوي المشهور وهو من صحار فأخذ يحرص بنى قومه من ولد مالك ابن فهم على أخذ الثأر بمن قتل منهم حيث يقول في مطلع أحد قصائده .

نبه نابه وخطب جليل	بل رزايا لمن عبء ثقل
إن بالقاع من تنوف محلا	ليس للمكرمات عنه حويل

إلى أن يقول :

أقليل عزيزكم فتقولوا	إننا في السوغي نغير قليل
أم ضعاف عن ثأركم قتلذوا	مشرب الذل والضعيف ذليل
أم عبيد لراشد ولموسى	أي هذا الإنصاف انتم فقولوا

إلى أن يقول في آخر القصيدة :

ما تضيع الدماء ما طالبتها	فيهم شهمة و صبر جميل
أي يوم لراشد ولموسى	ذاك لو تعلمون يوم ثقل
يوم لا ينفع اتصال بقربي	يوم لا العذر عنده مقبول
فلحى الله مانع الروح منا	حيث يستصحب الضئيل الضئيل

انظر : العوتبي : نفس المصدر السابق : ج ٢ ص ٣١٥ ، البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٨٤-٨٧
 (٢) أبو قحطان المصدر السابق ص ١٣٧ ، ١٣٨ ؛ العوتبي : المصدر السابق ص ٣١٩ ؛ الإزكوي : نفس المصدر ص ٥٦ ؛ ابن زريق : الفتح المبين ص ٢٠٥ ؛ السالمي : نفس المصدر السابق ص ٢٤١ .

عزان بن تميم الخروصي (٢٧٧-٢٨٠هـ / ٨٩٠-٨٩٣م) ، الذي قام بعزل عمال سلفه وتم تعيين الأزهر بن محمد بن سليمان واليا على صحار^(١).

مقتل موسى بن موسى

يعتبر موسى بن موسى هو المدبر الفعلي لما جرى في البلاد ؛ فقد استطاع أن يعزل الإمام الصلت بن مالك ، وينصب الإمام راشد بن النضر ، ثم انقلب على الأخير فعزله وتم تنصيب الإمام عزان بن تميم ، وكان الأخير أكثر قبولا من العلماء حيث اشترك عدد منهم في مبايعته ، ولكن الإمام فيما بعد توجس خوفا من موسى بن موسى من أن ينقلب عليه ، فقام بعزله من منصب القضاء فأراد موسى أن يسترد مكانته ، فأخذ يستعد لحربه في بلده إزكي^(٢) إلا أن الإمام عاجله بجيش ، وانتهت المعركة بمقتل موسى بن موسى بن علي ، وبمقتله اشتعلت نار العنصرية القبلية بين التزارية واليمانية^(٣).

موقعة القاع بصحار (أخذاً بثأر موسى بن موسى).

اجتمعت التزارية ومن ناصرهم من اليمانية في توام ونصبوا الحواري بن عبد الله الحداني السلوقي إماما فخرجوا إلى صحار فملكوها ، وخطب إمام الجمعة ودعا

(١) السالمي : نفس المصدر السابق : ص ٢٤٢ ؛ الإزكوي : المصدر السابق ص ٥٦ ؛ العوتبي : المصدر السابق ص ٣١٩ ؛ أبو قحطان : المصدر السابق ص ١٣٧ . و الأزهر بن سليمان البسيوي نسبة إلى بسيا إحدى قرى ولاية هـلا في المنطقة الداخلية ، وهو أحد علماء النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، وقد شارك في مبايعة الإمام عزان بن تميم وتولى له ولاية صحار .

(٢) إزكي : إحدى ولايات المنطقة الداخلية تجاور ولاية نزوى ، وتبعد عن مسقط ١٣٨ كم ، أما عن صحار فتبعد عنها بـ ٢٩٦ كم ، وقد خرجت هذه الولاية الكثير من العلماء ابتداء من القرن الثاني الهجري ، ومنهم موسى بن أبي جابر الإزكوي ، وقد كان له إسهام كبير في تأسيس الإمامة الثانية في عمان سنة ٢٧٧هـ . انظر : وزارة الإعلام : مسيرة الخير المنطقة الداخلية ص ٧٢ . وزارة المواصلات دليل المسافات ملحق بكتاب العني العادات والتقاليد .

(٣) أبو قحطان : نفس المصدر السابق ص ١٣٩ ؛ ابن رزق : نفس المصدر السابق ص ٢٠٥ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٦٨ ؛ السالمي : نفس المصدر السابق ص ٢٤٤ .

للإمام الجديد ، فلما بلغ الإمام عزان خبر هذا الانشقاق جيش لهم جيشا تحت قيادة الأهيف بن حمحام الهنائي^(١). ودارت معركة فاصلة بين الفريقين في منطقة عوتب ، بموضع يسمى القاع من صحار فحقق جيش الإمام عزان نصرا كبيرا ، وقتل الإمام الحواري بن عبد الله ، وكثير من أنصاره منهم العلامة الفضل بن الحواري ، وكان ذلك يوم الاثنين لأربع ليال بقين من شهر شوال سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١م^(٢)، وعلى أثر هذه الهزيمة التي لحقت بالزارية توالى الأحداث ، ولم تكن هذه نهاية المطاف بل كانت بداية المحن وستم بالبلاد سنوات عجاف ، وبهذا انتهت الإمامة الثانية التي استمرت قرنا من الزمان شهدت عمان خلالها أزهى أيامها ، ويمكن تلخيص الأسباب التي أوصلت البلاد إلى هذه النتيجة من الانقسام والفرقة فيما يأتي :

أولا : فقدان تلك العقول الراجحة التي كانت تعمل وفق منظور المصلحة العليا للبلاد مستندة لتعاليم الدين الحنيف حيث كانوا لا يبتغون وراء ذلك إلا وجه الله عز وجل

ثانيا : نشأ في الدولة أناس يظهرون حب الدين ، ويطنون حب الدنيا ، وبذلك قل بصرهم ، وزالت عقولهم ، وجاروا عن الحق ، وخالفوا سيرة أسلافهم ففرقت بهم السبل ، وتعددت الرغبات^(٣)، فانقلت ذلك الرباط المقدس الذي كان يحمي ذلك التنظيم السياسي الدعوي الذي عاش الناس في ظلاله إخوة فيما بينهم تسودهم العدالة والمساواة .

ثالثا : المجتمع العماني في طبيعته مجتمع قبلي ، وبفقدان الرابط الروحي الذي يؤلف بين هذه القبائل فإن وازع العصبيّة استفحل أمره ، فتغلّبت المصلحة

(١) الأهيف بن حمحام الهنائي : كان رئيس قرية بني هناة ، وصاحب رأيهم تولى قيادة جيوش الإمام عزان بن نعيم في موقعة القاع المذكورة أعلاه كما ترى فيما بعد قيادة الجيوش ضد محمد بن بور قائد الخلافة العباسية فقتل الأهيف في المعركة التي دارت بين الطرفين في دما (السيب حاليا) سنة ٢٨٠هـ . انظر : العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢١ السالمي : المصدر السابق : ص ٢٦٠ .

(٢) أبو قحطان : نفس المصدر السابق : ص ١٣٩ ؛ العوتبي : نفس المصدر السابق : ص ٣١٩ ؛ الإزكوي : المصدر السابق : ص ٥٧ ؛ ابن رزيق : ص ٢٠٥ ؛ السالمي : نفس المصدر السابق : ص ٢١٥ ، ٢٥٠ .

(٣) أبو قحطان : المصدر السابق ص ١٢٤ ؛ السالمي : المصدر السابق ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

الفردية ، فانفلت زمام القوة التي يعتمد عليها الحاكم ، فدخلت البلاد في صراع العصبية القبلية ثم ظهرت عصبية فكرية نزوانية و رستاقية استمرت عقودا من الزمن، وانقسمت البلاد إلى شطرين: صحار ومناطق الساحل صارت تابعة للخلافة العباسية ؛ والداخل إمامات ضعيفة ، وهذا ما سيتضح من خلال البحث الآتي .

المبحث الثالث :

صحار وتبعيتها للخلافة العباسية (من سنة ٢٨٠ هـ إلى نهاية القرن الرابع الهجري)
عرفنا في المبحث السابق كيف تطورت الأمور في عمان وقد افترقت البلاد إلى
فرتين غذّهما العصبية القبلية ، خاصة بين الزارية واليمانية . وبعد انهزام الزارية في
موقعة "القاع" آتفة الذكر سارع كل من محمد بن القاسم وبشير بن المنذر وهما من
بني سامة بن لؤي^(١) من الزارية بالاستنجد بمحمد بن نور وإلى الخلافة العباسية في
البحرين^(٢) لينصرهما على الفرقة اليمانية ، فطلب منهما أن يأخذا الإذن له من الخليفة
العباسي المعتضد بالله فذهب محمد بن القاسم فأعطاه الخليفة عهد الموافقة ، فأعد محمد
ابن نور جيشا معظمه من النزارية^(٣) قوامه خمسة وعشرون ألفا فيهم ثلاثة آلاف
وخمسائة فارس وتوجه بهم إلى عمان عن طريق البحرين^(٤) ، وناصرت هذه القوة
نزارية عمان وقل عدد المناصرين للإمام عزان بن تميم ونتيجة لذلك خرج بعض
أهل صحار وما حولها من الباطنة بأموالهم وأهليهم وذراريهم إلى سيراف^(٥)

-
- (١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٥٦ ؛ العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٣٢٢، ٣٢٣ .
(٢) الإصطخري : المسالك والممالك ص ٢٧ ؛ السالمي : نفس المرجع السابق . و محمد بن نور : جاء
اسمه هكذا في المصادر غير العمانية ، ونظرا لما قام به من أعمال وحشية مثل القتل والنهب غير المشروع
وإحراق الأموال وهدم المنازل وطمر الأفلاج والقضاء على الكنوز العلمية فإن المصادر العمانية سمتة محمد
بن نور بالبلاء بدلا من نور ، وفي مصادر أخرى سمتة محمد بن نور . انظر الطبري : تاريخه ج ٢
ص ٢١٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٤٦٤ .
(٣) مهدي هاشم : الحركة الإباضية في المشرق العربي ص ٢٧٩ ؛ العوتبي : ج ٢ ص ٣٢٣ ؛
الإزكوي : كشف الغمة تحقيق القيسي ص ٥٨ .
(٤) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٥٨ ، الإزكوي : كشف الغمة ص ٥٨ ؛ ابن رزيق : الفتح المبين
ص ٢٠٥ .
(٥) سيراف : مدينة حليلة على الخليج العربي في إيران اشتهرت بالتجارة وكانت فرضة فارس ، وأغنى بلاد
فارس بسبب تجارتها ، ومنازلها بالساج وهي عدة طبقات . ومن علمائها أبو سعيد الحسن بن عبد الله
السيرافي النحوي شارح كتاب سيويه . انظر : الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٢٩٤ ؛ الحميري :
الروض ص ٣٣٣ .

وهرمز^(١) والبصرة خوفا من عواقب هذه الفتنة خاصة أن هؤلاء الخارجين كانوا في صف الإمام ؛ إلا أنهم رأوا أن لا قبل لهم بهذا الجمع فآثروا السلامة . وأول عمل قامت به هذه القوات الغازية هو الاستيلاء على "جلفار" ومن ثم تقدمت إلى توام فدخلتها يوم الأربعاء لست خلون من شهر المحرم في سنة مائتين وثمانين للهجرة^(٢)، ويبدو أنها دخلت نزوى دون مقاومة تذكر ، وفي الخامس والعشرين من شهر صفر من نفس السنة دارت معركة في "سمد الشأن"^(٣) بين هذه القوات وبين الإمام وكان من نتيجتها انهزام قوات الإمام ومقتله وإرسال رأسه إلى الخليفة في بغداد^(٤)، إلا أن الأهيف بن حمحام قائد قوات الإمام والمتنصر على التزارية في معركة القاع بصحار لم يستسلم للهزيمة ، فأخذ يعد العدة مدعوما بعلماء عمان وقبائلها ، وكان على رأس

(١) هرمز : أو "هرمز" ، وهي أيضا من المدن الواقعة على ساحل الخليج في الجانب الإيراني، وقد نزل بها أحد أعلام "صحار" وهو سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي نسبة إلى سليمة بن مالك بن فهم وكان زعيما مطاعا في قومه بالباطنة وكان مسكنه في "بجز" بصحار . نرح إلى هرمز بعد الفتنة التي حدثت بعمان إثر عزل الإمام الصلت بن مالك ، وكان قد شارك في معركة الروضة في "نزوى" عام ٢٧٨ هـ وقتل فيها ولده المختار ، واشترك أيضا في معركة القاع مع قوات الإمام المنتصرة ، إلا أنه آثر السلامة بعد ذلك فخرج من صحار بأهله وماله وبعض قومه ، وبهرمز أعجبه المقام فاتخذها وطنا وبني منازل ، وتأثّل أموالا ، وأسس بها إمارة وأورثها أبناءه فيما بعد ، والذي يؤكد ذلك قول "توران شاه" حاكم هرمز في عام ١٥١٦ م بأن الذي أسس هذه المملكة هو شيخ عربي ، وأورد أحد المؤرخين الإيرانيين أنها كانت تحت سيطرة حكام عرب من سلالة الأزدي من عمان . انظر في ذلك: السالمي : تحفة الأعيان : ج١ : ص: ١٥٨ ؛ د. محمد صابر عرب : هرمز في العصور الوسطى : بحث نشر بمجلة نزوى : العدد الثالث يونيو ١٩٩٥ : ص ١١٦ ؛ العبدلي : هامش كشف الغمة الذي حققه ص ٢٧١ .

(٢) السالمي : تحفة الأعيان: ج١ ص ٢٥٨ ؛ الإزكوي : كشف الغمة بتحقيق القيسي ص ٥٩ ؛ ابن رزيق : الفتح المبين ص ٢٠٥ .

(٣) سمد الشأن : مدينة شهيرة من مدن عمان في المنطقة الشرقية . ويقول المؤرخ العماني الشيخ سالم بن حمود بأنها كانت تسمى سمد الجهاضم نسبة إلى جهضم بن عوف بن مالك بن فهم ، إلا أنها سميت بعد هذه المعركة بسمد الشأن لما وقع فيها من شأن عظيم وأجله مقتل الإمام عزان بن ثيم ، وهي الآن مدينة من مدن ولاية المضبي من المنطقة الشرقية . انظر: السايي : كتاب الاستيعاب : ص ١٠٤ .

(٤) السالمي : تحفة الأعيان: ج١ ص ٢٥٨ ؛ الإزكوي : كشف الغمة بتحقيق القيسي ص ٥٩ ؛ ابن رزيق : الفتح المبين ص ٢٠٥ ؛ الطبري : تاريخه ج٢ ص ٢١٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٢٦٠ .

العلماء يومئذ منير بن النير^(١). ولما رأى محمد بن نور هذه القوة المتحدة آثر الهرب فلاحقته هذه القوة حتى أُلجأته إلى ساحل البحر بـ "دما"^(٢)، وحيث إن التحالف القبلي الذي كان وراء حضور ابن نور إلى عمان لم يرضه ذلك الانهزام ، فإنه أعانته بقوة باغتت القوات المطاردة له فانقلبت موازين المعركة ، وانكشفت عن مقتل الأهيف بن حمحام وكثير من مناصريه ومنهم العالم منير بن النير الجعلاقي ، وكان ذلك يوم الأربعاء لست وعشرين خلت من ربيع الأول سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م . وبذلك خلت الساحة لمحمد بن نور ومن معه يرتكبون أبشع المآسي التي لا يقرها ديننا الإسلامي الخنيف حيث أخذوا يقتلون وينهبون ويمثلون ويسرقون ، وكانت تلك إحدى الحن التي حلت بعمان ؛ فأضاعت الكثير من تراثها العلمي ومعالمها الحضارية^(٣)، وبذلك بسط محمد بن نور سيطرته على عمان ، وما لبث أن غادرها تاركا أحمد بن هلال^(٤) عاملا للخلافة العباسية على عمان فاتخذ "بُهلا"^(٥) مقرا لإدارته^(٦)، ولكن شدة المقاومة الداخلية وما أدت إليه من

(١) منير بن النير الجعلاقي : كان عالما وكان يبلغ من العمر مائة وعشر سنوات ، كان والده المنير بن النير هو الذي تشير إليه المصادر بأنه أحد حملة العلم ، والآخر هذا توفي بصحار وكان من تلامذة الإمام الربيع بن حبيب في النصف الأول من القرن الثاني الهجري . انظر: البطاشي : إتحاف الأعيان ص ١٧١ ،

١٧٢

(٢) سبق التعريف بـ "دما" .

(٣) السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٢٦٠ ؛ ابن رزيق : الفتح المبين : ص ٢٠٨ .

(٤) أحمد بن هلال : لم أعثر له على ترجمة ، إلا أن المسعودي يشير إلى أنه ابن أخت القتال ، كما يشير ياقوت الحموي بإشارة مقتضبة في معجم الأدباء إلى أنه كان كاتباً للمقتدر بالله ، أما في نشوار الحاضرة للتنوخي ، فيحكى عن يوسف بن وجيه أن أحمد بن هلال خاله . انظر : المسعودي : مروج الذهب ج ١ : ص ١٠٧ ؛ الحموي : معجم الأدباء : ج ٢ ص ٤٧٥ ؛ التنوخي : نشوار الحاضرة ج ٨ ص ٢٥٥ .

(٥) بُهلا : من الولايات الشهيرة في عمان تقع غربي نزوى بنحو ٣٤ كم ، في المنطقة الداخلية وتقع جنوبي مسقط وتبعد عنها حوالي ٢٠٨ كم ، وتشتهر بسورها المحيط بها كمدينة ، وقلعتها التاريخية ، وتبعها قرية جبرين التي تشتهر بحصن جبرين الذي بنى في عهد الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي " ١٠٩١ - ١١٠٤ هـ / ١٦٨٠ - ١٦٩٢ م" وتشتهر بصناعات تقليدية أخرى أهمها الفخار .

(٦) انظر : "عمان في التاريخ" : ص ٢٦٢ - ٢٧٠ .

مقتل "بحيرا" عامله على نزوى^(١) جعلته يتخذ مقرا آخر ، فكان اختياره لصحار ، وهو اختيار يبدو أنه كان مدروسا من قبل ، وليس باعثة مجرد الفرار من وطأة المقاومة وإن كانت هي بلا شك السبب الرئيسي والمباشر . ولكن هناك أسباب أخرى يمكن استنتاجها هي :

أولاً: صحار كانت تمثل في تلك الفترة مركزا اقتصاديا وتجاريا ، فالسيطرة عليها أهم من السيطرة على باقي المدن وخاصة للذين ينشدون الثراء والمال ، ولا يعتقد أن الخلافة كانت تريد أكثر من ذلك .

ثانياً: اجتذبت "صحار" بسبب ثرائها كثيرا من الأجناس التي لا تنظر إلى ماهية الحكم بقدر ما تنظر إلى أسباب الارتقاء ، بالإضافة إلى أن بعضها يمكن تجنيده لصالح من بيده زمام الأمور.

ثالثاً: "صحار" و"البصرة" كان الاتصال بينهما بحريا وكثيرا ما يسهل هذا بدوره وصول الإمدادات عندما تطلب من مقر الخلافة ، بالإضافة إلى أن عملية الفرار بحرا هي آمن إذا ما دعت الظروف لذلك .

وبهذا فقد استطاع أحمد بن هلال أن يحافظ على وجوده في صحار والمدن الساحلية الأخرى المجاورة لها رغم أن تلك الفترة بالنسبة لعمان كانت كلها فترة قلاقل وفتن. واستمر الحال على هذا حوالي أربعين سنة^(٢)، إلا أن "صحار" ومنطقة الساحل المجاورة لها ظلت تحت سيطرة الولاة العباسيين الذين تمسكوا بها لما تدر عليهم

(١) ابن رزيق : الفتح المبين ص ٢٠٨ ؛ الإزكوي : كشف الغمة ص ٢٧٥ ، تحقيق العبيدي ؛ السالمى : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٢٦٢ ؛ د . محمد رشيد العقيلي : الإباضية في عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول ص ٤٠ ، الناشر : وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط.

(٢) اربعون سنة بالنسبة لعمان عموما . أما المناطق الساحلية فقد كانت تحت السيطرة الخارجية طوال القرن الرابع الهجري بالإضافة إلى السنوات الأخيرة من القرن الثالث وبدايات القرن الخامس الهجريين وبما أن البحث لا يتناول تاريخ عمان في تلك الحقبة فان التطرق إلى تلك الأحداث وما حوته من قلاقل وفتن يخرج البحث عن إطاره المقصود وهو التركيز على صحار أما الأحداث التي لها تأثير على مجريات البحث فإنها سترد بلا شك . انظر : السالمى : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٢٦٣ ؛ الإزكوي : كشف الغمة ص ٢٨٠ تحقيق العبيدي ؛ ابن رزيق : الفتح المبين ص ٢١٠ .

وعلى خزائن الخلفاء من أموال طائلة . ويبدو أن "أحمد بن هلال" الذي ذكرت المصادر المحلية أنه تسلم الولاية على عمان من "محمد بن نور" بعد نجاح الأخير في القضاء على المقاومة الوطنية قد استمر في منصبه هذا ما يقارب ثلاثة عقود من عام ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م وحتى ما بين عامي ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م و ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م ونستشف هذا من النقود وهي من المصادر التي يجب أن يوثق بها إذا ما عضدتها دلائل من أحداث التاريخ حيث إن هناك عملة حسب ما ورد في كتاب تاريخ النقود العمانية^(١) وهي درهم سك سنة ٢٩٠ هـ يحمل اسم الخليفة المكتفي بالله "٢٨٩-٢٩٥ هـ / ٩٠٢-٩٠٨ م في وسط ظهر العملة وتحت ذلك يظهر اسم أحمد بدون أية إشارة أخرى . ويرجح مؤلف هذا الكتاب بأنه "أحمد بن هلال" بناء على ما ورد في المصادر العمانية من وجوده في صحار بعد أن انتقل إليها بعد عام ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م ، وهذا يتفق أيضا مع ما سيرد لاحقا مما يؤيد هذا الرأي ويقويه رغم أن النقود التي سبقت ذلك بعام واللاحقة حتى عام ٣٠٠ هـ تذكر شخصيات أخرى مثل محمد بن هارون والطاهر بن محمد . فقد ظهر اسم محمد بن هارون مع اسم الخليفة العباسي على درهم عباسي ضرب بعمان سنة ٢٨٩^(٢) . وبالرجوع إلى المصادر يتبين أن محمد بن هارون هذا قد كان له نشاط سياسي في بلاد فارس وكان يعمل خياطاً ثم آل به الأمر إلى قاطع طريق بمفازة سرخس ثم استأمن وتدرج به الحال إلى أن قاد جيش "إسماعيل بن أحمد" صاحب ما وراء النهر لمحاربة محمد بن زيد العلوي في الري ، فانتصر محمد بن هارون هذا ورأى من نفسه القوة فاستقل بالري في سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م . إلا أنه لم يهنأ بما وصل إليه طويلاً ، فقد عاجله إسماعيل الساماني فتغلب عليه فهرب محمد بن هارون نحو الديلم في سنة ٢٨٩^(٣) هـ / ٩٠١ م ، إلا أن ابن الأثير يقول: "وذلك في شعبان سنة تسعين ومائتين ، ثم حمل

(١) دارلي-دوران-آر-إي (Darley-Doran-R-E) تاريخ النقود في سلطنة عمان ص ٢٥ الترجمة : شركة آتا ATA للترجمة والنشر بلندن . الناشر البنك المركزي العماني : مسقط ١٤١١ - ١٩٩١ .

(٢) د. العش : النقود العمانية : ص ١٠ .

(٣) الطبري : تاريخه : ج ١٢ ص ٢٥٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٥ ص ٦٤٣ .

إلى بخارى فأدخلها على جمل وحبس بها فمات بعد شهرين محبوساً^(١).

أما الطاهر بن محمد بن عمرو بن الليث فقد ضرب دراهم في عمان باسمه مع الخليفة المكتفي والمقتدر في عامي ٢٩٤ و ٢٩٥ هـ^(٢). ويذكر الطبري في أحداث سنة ٢٨٨ هـ بأنه دخل فارس وأخرج منها عمال السلطان في ١٦ من شهر صفر من هذه السنة^(٣) ثم يذكر في أحداث سنة ٢٩٠ هـ أن الخليفة المكتفي ولاء على مال فارس^(٤). ويذكر ابن الجوزي أنه استولى على فارس انتقاماً لأسر جده من قبل "إسماعيل بن أحمد الساماني" الذي بعث به إلى المعتضد ، فأنفذ المعتضد مولاه "بدرا" لمحاربة طاهر بن محمد هذا ولكنه أحسن العلاقة مع "إسماعيل بن أحمد" حيث أهده هدايا من جملة ثلاث عشرة جوهرة قومت بمائة ألف دينار ، فرضي عنه إسماعيل وشفع له عند المعتضد^(٥). وفي أحداث سنة ٢٩٧ هـ يذكر الطبري أنه سقط أسيراً في يد سبكري الذي ولاء الخليفة أمر فارس^(٦). وقد ضرب سبكري هذا دراهم في سنة ٢٩٨ هـ باسم الخليفة المقتدر بالله بالإضافة إلى اسمه . وأراد الليث بن علي بن الليث الصفار أن يسترد إمارة أسرته ، ولكن سبكري استنجد بالخلافة^(٨) ، وكان

(١) ابن الأثير: ج ٧ ص ٥١٧ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، وذكره الخوافي في شعره ومنه:

كان ابن هارون خياطاً له إير	وراية سامها عشراً بغيراط
أني ينال الثريا كف ملتزق	بالترب عن ذروة العلياء هباط
صبرا أميرك إسماعيل منتقم	منه ومن كل غدار و خياط

(٢) د. العش : النقود العمانية : ص ١٢ ؛ دارلي : تاريخ النقود في سلطنة عمان ص ٢٤٥ .

(٣) الطبري : تاريخه ج ١٢ ص ٢٤٥ .

(٤) نفس المصدر : ص ٢٥٣ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٦ ص ٧٨ .

(٦) الطبري: ج ١٢ ص ٢٦٨-٢٨٠ . و سبكري : كان مولى لجد طاهر بن محمد وهو عمرو بن الليث

الصغار ، وقد كان عوناً لطاهر حتى سنة ٢٩٦ وربما يكون السلطان قد أغراه بالمنصب في مقابل الانقلاب على أسياده .

(٧) نفس المصدر السابق : ص ٢٨١ .

(٨) الهمداني أبو الفضل : تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق ألبرت يوسف كتعان ص ٨ .

الرأس المدبر فيها الوزير ابن الفرات ، فأنفذ إليه جيشا بقيادة مؤنس الخادم ، فاستطاع التغلب علي الليث ، وفي سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م أراد سبكري الاستقلال بفارس فيما يبدو من سير الأحداث ، إلا أن المقتدر وجه إليه أحد قواده وهو: "وصيف كاماة الديلمي" فهزم سبكري الذي هرب إلي "أحمد بن إسماعيل بن أحمد"، وهذا بدوره أسره وسلمه للخلافة ، وفي سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م أطلق سراحه^(١).

من خلال معرفة مدار نشاط هؤلاء الثلاثة الذين ضربوا نقودا باسم عمان-رغم أن المصادر لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى مدى توليهم السلطة في عمان- يمكن التوصل إلى نتيجة وهي أن مدار نشاطات هذه الشخصيات كان يتمركز في إقليم فارس الذي تربطه بعمان روابط قديمة منذ فترة ما قبل الإسلام حينما هاجر" سليمة بن مالك بن فهم" إلى إقليم فارس خوفا من ثأر إخوته عندما قتل أباهم خطأ^(٢). وقد بقيت قبائل عمانية منذ ذلك الحين في فارس ومكران من بني سليمة وغيرهم من قبائل الأزد مثل "آل عمارة"^(٣) الذين يصفهم الإصطخري بأنهم: "أقدم ملوك الإسلام بفارس وأمنعهم جانبا"^(٤) كما أن "آل الصفار"الذين ينتمي إليهم طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث هم أنفسهم من أصل عماني من "آل الجلندی" كما تذكر المصادر ولهم منطقة تعرف بـ "سيف بني الصفار"^(٥)، ومن الأزد الذين استوطنوا "كرمان" أيضا آل

(١) نفس المصدر السابق : ص ١٦ .

(٢) العرتي : الأنساب : ج ٢ : ص ٢١٠ ، السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٣٨ ؛ مجهول .

تاريخ أهل عمان تحقيق د. سعيد عاشور ص ٣٠ .

(٣) الجهمضي : حياة عمان الفكرية ص ٢٩ .

(٤) الإصطخري : مسالك الممالك ص ١٤١ .

(٥) سيف بني الصفار : على سواحل الخليج العربي ، وبها منازل لبني الصفار تعرف بهم ، وهم من آل الجلندی ، ومنهم آل عمارة الذين يعرفون بآل الجلندی ، ولهم علي سيف الخليج قلعة كبيرة تعرف بهم ومنطقتهم تعرف بالديكدان ولهم بها مملكة عريضة وضياع كثيرة على الساحل متاخمة لحد كرمان وقريية من جزيرة هرمز .

المهلب ، وقد سكنوا مدينة "جيرفت"^(١) ومنهم محمد بن هارون النسابة المشهور^(٢).
وبهذه الإطلالة على علاقة عمان بفارس ، وهجرة كثير من أبناء عمان إلى
تلك الأقاليم فإنه يبدو لي أن ظهور الدراهم المضروبة في عمان يرجع إلى أحد
الاحتمالين الآتين:

الأول : بما أن تلك الأسر لها علاقة بعمان ؛ فربما أرادوا تخليد وطنهم الأصلي،
فأنشأوا دارا لضرب النقود باسم عمان معتبرين تلك الممالك امتدادا لعمان ،
وخاصة أنها قرية منها لا يفصل بينهما سوى الخليج ، وكان التنقل بين الساحلين
غاية في اليسر والسهولة.

الثاني : أن تكون الخلافة العباسية نفسها قد ألحقت الإقليم الذي تسيطر عليه
في عمان بإقليم فارس ، وكل من يولى على ذلك الإقليم تكون عمان تابعة له ،
فتضرب النقود في عمان - وكانت "صحار" هي مكان هذا الضرب - بأسماء الولاية
مباشرة ، لأن عامل الخلافة في صحار حينئذ ما هو إلا نائب لوالي الخلافة العباسية
في فارس ؛ خاصة أنه في بداية الأمر لابد وأن يكون بحاجة إلى دعمهم ومعونتهم ،
فهم الأقرب إليه إذا ما دعت الحاجة إلى الاستنجاد بهم .

إن الاحتمال الثاني من وجهة النظر الموضوعية هو الأقرب إلى الواقع ، وعليه
يمكن القول إن "أحمد بن هلال" قد استمر في حكم صحار منذ أقامه عليها محمد بن
نور وحتى تسلم الوجيهيون الإمارة من بعده ، وبهذا يمكن الجمع بين الروايات

(١) جيرفت : مدينة شهيرة ، وهي بكسر الجيم وسكون الراء في إقليم كرمان وتعد من أعيان مدن كرمان
وأنزهها وأوسعها ؛ بها نهر يعرف "بنهر رود" شديد الجريان وهي متجر خراسان وسجستان وبها أشجار
النخيل والجوز وكثير من الفواكه الأخرى وقد ذكرها الشاعر العماني كعب بن معदान الأشقري - الذي
وصفه الفرزدق بأنه رابع أربعة من شعراء الإسلام - حيث قال في معرض مدحه للمهلب بن أبي صفرة
في أثناء حروبه مع الأزارقة :

وأسلم في جيرفت أشراف جنده إذا ما بدا قرن من الباب يقرع

انظر في ذلك : الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ١٩٨ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ١٨٧، ١٨٨،

أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة ، بيروت ج ١٤ ص ٢٦٦ .

(٢) انظر : الحموي : معجم البلدان : ج ٢ ص ٥٤٣ ، ج ٣ ص ٢٩٨ ، .

التاريخية ، وبين ما أشارت إليه النقود ، فقد ظهر أول نقد يحمل اسم " أحمد بن هلال " مع الخليفة العباسي المقتدر بالله في عام ٢٩٩ هـ ، وهناك درهم آخر يرجع تاريخه إلى سنة ٣٠٠ هـ ، ولكنه يحمل اسم " أحمد بن خليل " ، ويقول (دارلي) Darley مؤلف كتاب "النقود في سلطنة عمان " : " هذا الاسم مشكوك فيه لأن الاسم يكتب "هليل" في جميع النماذج المعروفة ، ويبدأ بالهاء ، وليس بالحاء أو الخاء " .

وفي عام ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م يذكر صاحب كتاب عجائب الهند وجوده - أي أحمد بن هلال - في صحار^(١) ، ومما يعضد ذلك وصول تلك الهدايا منه إلى الخليفة العباسي في عام ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، ومن مجلتها بيعاء بيضاء وغزال أسود^(٢) ، وقد تكرر ذلك في سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٨ م حيث يشاهد المسعودي بنفسه في صحار هدايا أحمد بن هلال محمولة إلى الخليفة العباسي^(٣) ، وأيضاً في سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م ، وربما كانت هذه عادة اتخذها أحمد بن هلال سنوياً ، فبعضها سجلها المؤرخون لندرة ما فيها ، ومن أمثلة ذلك تلك النملة التي ذكرها صاحب كتاب عجائب الهند : " وقد كان أحمد بن هلال أمير عمان حمل في سنة ست وثلاثمائة في جملة هداياه إلي المقتدر غلة سوداء في قفص من حديد وماتت هذه النملة في الطريق..... ، وحملت إلى مدينة السلام صحيحة ورآها المقتدر وأهل بغداد " ^(٤) ، وبعد هذا العام لا توجد إشارة لأحمد بن هلال أو غيره حتى عام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م حيث يظهر في النقود المضروبة بعمان اسم "عبد الحليم" أو "عبد الخاتم بن إبراهيم" . وبالبحث عن هذه الشخصية في المصادر التاريخية المحلية وغيرها لم أستطع

(١) بزرک : عجائب الهند : ص ١٤ ، ١٠٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم : ج ٦ : ص ١٢١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية : ج ١١ : ص ١٢٠ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب : ج ١ ص ١٦٧ .

(٤) بزرک : عجائب الهند : ص ٦٥ . و النملة : ربما تكون سلحفاة ، وحتى اليوم يشتهر الساحل العماني بتوفر أنواع عديدة من هذه السلاحف ، والتي هي من البرمائيات ، وبعضها من الأنواع النادرة عالمياً ، فلذا أنشأت الدولة محميات للسلاحف البحرية في رأس الحد من المنطقة الشرقية . انظر : عمان ٩٦ ص ٢٣٣ ؛ القاسمي : عمان مسيرة قائد وإرادة شعب ص ٣٧٥ .

أن أتبين من هو ، إلا أنه من خلال توفر هذا النقد يبدو أنه هو الذي خلف أحمد بن هلال في السلطة ، وقبل أن يتولاها يوسف بن وجيه ، ولكن متى ترك أحمد بن هلال السلطة ؟ ومن الذي تولاها من بعده ؟ ليس هناك من دليل متوفر يمكن القطع به في هذا الأمر أو ذاك.

إن أول عملة نقدية متوفرة حتى الآن يظهر فيها اسم يوسف بن وجيه تعود إلى عام ٣١٤ هـ ، ومن بين هذه النقود هناك قطعة متميزة ، وهي محفوظة الآن ضمن مجموعة خاصة بسويسرا ، وتميزها يكمن في وزنها المضاعف وتصميمها غير المؤلف في بقية القطع ، ويعلل صاحب كتاب "تاريخ النقود في سلطنة عمان" هذا التميز بأنه يوحى بالهدف من سكها ، وهو تقديمها كهدية خلال مراسم الاحتفال بتسليم يوسف بن وجيه مقاليد السلطة بأمر الخليفة^(١).

ولكن إذا تم التسليم بهذا الرأي فما هو شأن العملة التي يعود تاريخها لعام ٣١٦ هـ باسم عبد "الخاتم بن إبراهيم"^(٢)، فهل يمكن أن يعين يوسف بن وجيه ، ثم يعزل ويعاد إلى السلطة عبد الحليم بن إبراهيم ، ثم يعزل الأخير مرة أخرى ، ويعاد يوسف بن وجيه ، وكل ذلك يحدث في غضون ثلاث سنوات ؟

أقول :نعم ؛ هذا يمكن حدوثه ، ويمكن فهمه إذا ما تأملت الحالة السياسية في ذلك العهد للخلافة العباسية من تقلبات وعدم استقرار ؛ فمن سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤م حتى سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨م قلد المقتدر منصب الوزارة خمسة وزراء ، وبعضهم كان مصيره

(١) دارلي : تاريخ النقود في سلطنة عمان : ص ٢٥ .

(٢) هذا النقد المؤرخ سنة ٣١٦ هـ أشار إليه الدكتور العش إلا أنه لم يذكر صاحبه ، واكتفى بالقول بأنه درهم عباسي ساموي أي ينتسب لبني سامة ، بينما دارلي Darley يقول : يبرز فيه مشكلتان : أولا كتابة اسم الوالي غير واضحة فهل هي "حليم" أم "خاتم" أم "حاتم" لأن اتصال الحرف الثاني بالثالث غير واضح ، فإذا كان متصلا يصبح : حليم ، أما إذا كان منفصلا فإنه يصبح : خاتم ، أو حاتم ، ويرجح هو اتصالهما بدليل وجود اسم عبد الحليم في الدرهم المضروب سنة ٣١٣ هـ ، أما المشكلة الثانية فهي سنة ضربه المذكورة ٣١٦ هـ وليست ٣١٣ هـ . انظر : د. العش : النقود العمانية : ص ١٩ ؛ دارلي : تاريخ النقود ص ٢٦ .

السجن أو القتل كابن الفرات ، وكان مصير عمال الأقاليم مرهونا برضا الوزراء أو سخطهم عليهم^(١) حتى أن الثعالبي يصف تلك الفترة من أواخر عهد المقتدر بعدم الاستقرار: "وأخذ منصب الوزارة يتقاسمه أصحاب النفوذ في السلطة"^(٢) بينما كان الوزراء لا يتعدون في عهد الخلفاء من بني العباس حتى أواخر أيام المقتدر فمرضت الدولة وضعفت السياسة وشغرت المملكة"^(٣) . ولهذا عم عدم الاستقرار كل أرجاء البلاد التي تسيطر عليها الخلافة .

عهد يوسف بن وجيه^(٤) ٣١٧-٣٣٢هـ / ٩٢٩م-٩٤٢م .

في هذه الفترة اتفقت المصادر على أن السلطة في صحار كانت بيد "يوسف ابن وجيه"^(٥) والنقود التي بين أيدينا تدل على وجوده في الحكم سنة ٣١٧هـ وحتى سنة ٣٢٢هـ^(٦) .

علاقة يوسف بن وجيه والإمام المنتخب في عمان .
حاول العمانيون توحيد بلادهم تحت راية الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب حيث انتخب هذا الإمام في سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م^(٧) ، وقد استطاع هذا

(١) ابن الأثير : الكامل : ج ٨ : ص ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٨٣ .

(٢) من الشعر الذي يصور تلك الحالة من عدم الاستقرار قول الشاعر :

أعجب من كل ما تراه كون وزيرين في بلاد

فذا سواد بلا وزير وذا وزير بلا سواد . انظر : الثعالبي : تحفة الوزراء ص ٣٠ .

(٣) أبو منصور الثعالبي : تحفة الوزراء تحقيق الدكتور سعد أبو دية ص ٢٩ . الناشر دار البشير ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

(٤) لم أستطع العثور على ترجمة له إلا أنه يبدو أن أسرته قدمت إلى "صحار" مع أحمد بن هلال وكان والده متزوجا من أخت أحمد وكانت هذه الأسرة عملت بالتجارة لأن يوسف بن وجيه نفسه كان تاجرا ولديه وكلاء تجاريون في "سرنديب" انظر التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٦٤ ، ج ٨ ص ٢٥٥ .

(٥) الساملي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٩٠ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٢١٦ ؛ الهمداني : تكملة تاريخ الطبري ص ١٣٦ ؛ مسكويه : تجارب الأمم ج ١ ص ٣٢٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٣٩٩

(٦) دارلي : تاريخ النقود في سلطنة عمان ص ٢٦ ؛ د. العشي : النقود العمانية ص ٢٦ .

(٧) الساملي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٧٥ . والإمام سعيد بن عبد الله ينحدر من عائلة علمية شهيرة في عمان وكانت صحار هي محل إقامتهم وأصله مخزومي من قريش وستأتي سيرة آبائه خلال فصل الحياة العلمية في "صحار" .

الإمام انتزاع الكثير من مناطق عمان غير المناطق الساحلية التي ظلت تحت نفوذ يوسف بن وجيه . ولكن متى كانت هذه الحروب ؟ المصادر تصمت عن ذكر ذلك ، وكان هناك كتاب بعث به الإمام إلى يوسف بن وجيه يبين فيه منهجه سلما وحربا وفق أحكام الله عز وجل حيث يقول فيه: "من الإمام سعيد بن عبد الله ومن قبله من المسلمين إلى يوسف بن وجيه وإن في شأننا وشأنك لعجبا ، حلقة حديد في رز باب^(١) أتهم بهذا رجل من الرعية عندنا أنه قلعها من معسكر أصحابك "بتروى" فحبسنا الذي أتهم بها لأننا نستحل حبس أهل التهم على قدر استحقاقهم في حكم المسلمين وقتلنا للناس جهرا على رؤوس الملأ إن أموال أهل القبلة علينا حرام كحرمة أموالنا وحجرنا على الناس التعرض لأشياءكم ما دق منها وجل ... ومن ذلك أن الحبوب التي جمعت من الأمصار التي استولينا عليها وجرى عليها حكمنا لما علم الناس منا أننا لا نستحل شيئا ، ولا نقار أحدا على معصية الله ، كائنا ما كان من الناس ، منعهم ذلك من التعرض لأشياءكم كلها التي كانت في جوارنا من بلداننا ولولا خوف العقوبة منا لانتهب ذلك بأيسر مؤونة ولم يكن ذلك تقربا إليك ولا ابتغاء وسيلة منا إليك ولكننا اتبعنا في ذلك كتاب الله وآثار أسلافنا رحمهم الله... وحاربناك محاربة المسلمين لأهل البغي حتى تفتى إلى أمر الله لا نهاية لذلك عندنا أو تفتى أرواحنا أو روحك على إحياء الحق وإماتة الباطل إن شاء الله ، ولا نستحل منك مالا ولا نسبي لك عيالا ، ولا ننسف لك دارا ، ولا نعقر لك نخلا ، ولا نعصد لك شجرا ، ولا نستحل منك حراما ، ولا نجهز على جريح ، ولا نقتل موليا تائبا ، ولا نقتل مستأمنا إلينا ، ولا نغنم ماله ولا ندع أحدا يتعدى عليه بنفس ، ولا ماله فإن فعل ذلك أحد بأحد أخذنا له الحق إذا صح معنا ومن كان في يده مال فهو أولى بما فيه يده لأننا لا نزيل مالا إلا بحجة"^(٢).

إن هذا الكتاب يوضح مسلك أئمة عمان العادل والمتقيد بشرع الله عز وجل. وبهذا تكون القوة الإيمانية وقوة الوحدة والتآلف هي الغالبة حيث استطاع الإمام أن

(١) حلقة حديد في رز باب : هي الحلقة التي توضع عادة لقرع الباب .

(٢) السالمى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٩٠.

ينتزع من يوسف بن وجيه كثيرا من المواقع رغم أنه هو الأقوى ماديا لأن صحار في ذلك العهد كانت شريان الاقتصاد العماني والسوق التي تصدر منها المنتجات العمانية وهي التي كانت تفد إليها تجارات المشرق والمغرب^(١).

وبذلك يتضح أن يوسف بن وجيه في تلك الفترة لم يستطع أن يضم كل مناطق عمان إلى سلطته وبقيت صحار والمناطق الساحلية المجاورة فقط تحت يده. واستطاع أمراء صحار أن يجنوا من ضرائب تلك التجارة أموالا طائلة أهلتهم أن يبنوا قوة استطاعوا من خلالها أن يكون لهم استقلال سياسي . ومن ذلك أن يوسف بن وجيه لم ينفذ تعليمات وزير الخلافة العباسية "ابن مقلة"^(٢) الذي أرسل إليه الوزيرين الأسبقين في الخلافة العباسية وهما "أبو العباس الخصيبي"^(٣)

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٩٨ ؛ بزرگ: عجائب الهند ص ١٣٠

(٢) أبو علي محمد بن علي بن حسن بن مقلة ولد سنة ٢٧٢ هـ وكان أديبا شاعرا تتلمذ على يد أبي بكر ابن دريد . اشتهر بحسن الكتابة وجمال الخط فقبل عنه هو أول من كتب الخط البديع ولقب بإمام الكتابة ومن طريف ما نقل عنه انه رأى يوما في ثوبه نقطة صفراء من أثر تناوله نوعا من الحلوى فأخذ القلم وغمسه في الدواة ثم محا تلك النقطة بنقطة أخرى من القلم ولما سئل عن ذلك قال شعرا :

إنما الزعفران عطر العذارى .. ومداد الدواة عطر الرجال

وقد تولى الوزارة ثلاث مرات للمقتدر وللظاهر وللراضي ما بين عامي ٣١٦ و٣٢٤ هـ وتوفي في سجنه مقطوع اليد واللسان في سنة ٣٢٨ هـ وفي رثائه قيل :

استشعر الكتاب فقدك سالفا .. وقضت بصحة ذلك الأيام

فلذلك سودت الدواة كتابة .. أسفا عليك وشقت الأقلام

انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء (القسم الأول) تحقيق شعيب الأرنؤوطي ، محمد نعيم العرقسوسي ج ١٥ ص ٢٢٤ ، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ ، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت ؛ ابن النديم : الفهرست ج ٢ ص ١٣ ؛ القنوجي : أبعاد العلوم ج ١ ص ٤٩ .

(٣) الخصيبي : هو أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن الوزير أحمد بن الخصيب . تقلد الوزارة مرتين للمقتدر ثم للظاهر وكان مهيبا شديد الوطأة مخوف الجانب أديبا شاعرا مرسلا إلا أن ذلك الحزم أضاعه كثرة الشراب ليلا ونهارا . توفي سنة ٣٢٨ هـ وقيل ٣٣٠ هـ . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ١٩٢ ، ١٩٣ ؛ الهمداني : تكملة تاريخ الطبري ص ٤٧ .

و"سليمان بن الحسن"^(١) ليسجنهما في عمان ويضيق عليهما الخناق^(٢)، ولكن يوسف ابن وجيه عمل عكس ذلك تماما حيث أطلقهما وأكرم ضيافتهما ، فهو لولا ثقته بقوته لما جرؤ أن يخالف تلك الأوامر ، وبهذا أستطيع القول إن هذه الخطوة تنم عن أن الرجل كان يتمتع بثقة في النفس وحسن فهم لاستغلال المواقف ، فهو لاشك يعلم التقلبات السياسية في عاصمة الخلافة ، وأنه من كان اليوم وزيرا فقد يقال بعد أيام أو شهر وكذلك يفهم قدر الرجلين اللذين أمامه فقد يكونان بعد حين على رأس دفعة الحكم المدبر في بغداد ، فلذا استطاع أن يقيم الأمور وإذا ما حدث عكس ما هو في نظره فإن القوة التي يتمتع بها كفيلة بأن تحميه من أي ردود فعل عاجلة يتخذها الوزير "ابن مقلة" ، ولكن الذي حدث كان حسبما توقع ، فسليمان بن الحسن تولى الوزارة بعد ابن مقلة مرتين^(٣).

يوسف بن وجيه ومحاولته احتلال البصرة .

في سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م كانت البصرة في أيدي البريديين^(٤)، ويبدو أن العلاقة ساءت بين يوسف بن وجيه والبريديين ، وذلك بسبب دفع الرسوم العالية على السلع والبضائع التي ترد على البصرة من عمان^(٥)، مما نتج عنه انخفاض في صادرات عمان إليها . وكانت البصرة من أهم الأسواق التي تتبادل صحار معها التجارة^(٦)

(١) أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح البغدادي وزير المقتدر والراضي والمتقى وكان بصيرا بكتابة الديوان خبيرا بالتصرف والسياسة ينتمي لعائلة مقربة من خلفاء بني العباس حيث تقلد عدد من أسرته الوزارة ؛ فوالده كان وزيرا وبعض إخوته أيضا تقلد منصب الوزارة . توفي في عهد المتقي لله ، وهو على رأس وزارته سنة ٣٣٢ هـ . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء (القسم الأول) ج ١٥ ص ٣٢٧ ؛ القلقشندي : مآثر الأناقة في معالم الإنافة ج ١ ص ٢٨٧ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ م ، الناشر حكومة الكويت ، الكويت .

(٢) الحمدي : تكملة تاريخ الطبري ص ٥٩ ؛ مسكويه : تجارب الأمم ج ١ ص ٣٢٣ .

(٣) الحمدي : تكملة تاريخ الطبري ص ١١٠ ، ص ١٣٨ ؛ القلقشندي : مآثر الإنافة ج ١ ص ٢٨٧ .

(٤) الحمدي : تكملة تاريخ الطبري ص ١٣٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٠٣ .

(٥) أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي : الأوراق : أخبار الراضي بالله والمتقى لله ص ٢٤٤ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب : ج ١ ص ٤١٩ ؛ الكندي : المصنف : ج ٢ ص ٢١٩ .

وخاصة أن كثيرا من العمانيين قد استوطنوا البصرة^(١)، فدفعت تلك الإجراءات التي اتخذها البريديون يوسف بن وجيه إلى أن يفكر في احتلال البصرة ، ويحدد ابن الأثير بأن ذلك في سنة ٣٣١ هـ في شهر ذي الحجة^(٢)، وكانت قوته كبيرة واستطاع أن ينتزع الأبله^(٣) وأن يرغم ضامن سيراف على أن يسلم له الأمر^(٤) ، ويبدو أنه كان قاب قوسين أو أدنى من امتلاك البصرة ، لولا تلك الشجاعة التي أبدأها أحد الملاحين المواليين للبريديين حيث استطاع أن يشعل النار في سفن يوسف بن وجيه ليلا بزورقين مملأهما سعفا ، وعندما اقترب بهما من السفن أشعل فيهما النار ، فامتد الحريق إلى سفن يوسف بن وجيه التي كانت مشدودة بعضها إلى بعض ، وبذلك انتهت طموحاته ، وعاد إلى صحار خالي الوفاض ، وقد خسر الكثير من قواته وأمواله التي حملها معه^(٥).

من هذا نستنتج أن يوسف بن وجيه استطاع أن يعبئ قوة حربية بحرية تمكنه من السيطرة على الكثير من مناطق الخلافة العباسية ، ولولا تلك الحيلة الفدائية لما استطاع البريديون مواجهته ، حيث تشير المصادر إلى أن البريديين شارفوا على الهلاك، وهذا يدل على أن القوة المهاجمة لا قبل لهم بها .

(١) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣١٧ ؛ العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١٢٥ ؛ البسيوي : المعرفة والتاريخ ج ٣ ص ٦٣ ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ ؛ الطبري : تاريخه ج ٤ ص ٥٠٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٢٤١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٣٩٩ .

(٣) نفس المصدر السابق . و الأبله : بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة لأن البصرة مصرت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بينما هي كانت قائمة فيها مسالخ من قبل كسرى ، وافتتحها عتبة بن غزوان في عهد الفاروق . انظر : الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٧٧ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٨ .

(٤) ضامن سيراف : أي هو المسؤول عن إدارتها وحماية أموالها . انظر : التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٠ .

(٥) الهمداني : تكملة تاريخ الطبري ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٠٠ ؛ مسكويه : تجارب الأمم : ج ٢ ص ٤٦ ، تحقيق أمروز ، طبع مصر ١٩١٤ ؛ الصولي : أخبار الرازي والمتقي ص ٢٤٤ .

لقد كانت العوامل التي أدت إلى فشل تلك الحملة تتركز في النقاط التالية :

(أ) أن يوسف بن وجيه كان على يقين من أنه يستطيع السيطرة على البصرة بسهولة ، لما يملك من قوة كافية لتحقيق هذا الغرض .

(ب) غروره بما وصل إليه من غنى ورفاهية ، حيث كان يتفاخر وهو في حملته تلك بما يملك من كنوز الجواهر والذهب .

(ج) ارتكابه للمعاصي ، حيث كان يقيم مآدب الشراب في سفينته الخاصة التي كان متوجها بها لاحتلال البصرة^(١).

(د) الهدف من السيطرة على البصرة لم يكن هو تخليص أهلها من ويلات البريديين، وإنما كان هدفا ماديا محضا حسب ما يفهم من الروايات التاريخية .

ومن هنا كانت عاقبة ذلك وخيمة حيث رجع يوسف بن وجيه يجر أذيال الهزيمة ، عاقبته في صحار وكانت الهلاك ، وصدق الله العزيز القليل : ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾^(٢).

نهاية يوسف بن وجيه

بعد الهزيمة التي مني بها يوسف بن وجيه في حملته على البصرة ، يبدو أن موقفه قد اهتز حتى عند أقرب الناس إليه ، حيث تفيد المصادر أنه قتل علي يد مولاه نافع سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م^(٣) ، والذي يؤيد نهاية يوسف بن وجيه في نفس هذه السنة هي النقود حيث إن اسمه لم يظهر بعد هذه السنة ، ففي سنة ٣٣٣ هـ ضرب دينار عباسي يحمل إلى أحد وجهيه اسم المتقي بالله وعلى الوجه الآخر محمد بن يوسف وكلمة عمان^(٤) ، ولكننا نجد تضاربا بين ما ورد في المصادر التاريخية وبين ما تظهره النقود ، فالمصادر تقول إن الذي تولى السلطة بعد يوسف بن وجيه هو نافع مولاه ، أما النقود فتظهر أن الذي تولى السلطة هو ابنه محمد الذي يبدو أنه كان وليا لعهد

(١) قصة تلك المآدب سترد في الباب الذي يتناول صحار من الناحية الحضارية من هذه الرسالة .

(٢) سورة الأنعام : الآية رقم ٤٤ .

(٣) الحمداني : تكملة تاريخ الطبري ؛ ابن الأثير : الكامل : ج ٨ : ص ٤١٧ ؛ ابن خلدون : ج ٤ : ص ٩٤٥ .

(٤) د. العش : النقود العمانية : ص ٢٠ ؛ دارلي : تاريخ النقود في سلطنة عمان : ص ٢٦ .

منذ عام ٣٢٦ هـ حيث ظهر اسمه في هذه السنة مقرونا باسم أبيه ، وكانت العملة التي ضربت في تلك السنة تحمل على أحد وجهيها عبارة : "يوسف بن وجيه/محمد" ، مع عبارة "الراضي بالله" على الوجه الآخر . ومن سنة ٣٢٧ هـ — إلى سنة ٣٣٢ هـ كانت عبارات النقود تحمل "يوسف بن وجيه /محمد بن يوسف" مع عبارة "الراضي بالله" أولا ثم مع الخليفة "المتقي لله" منذ عام ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م .

هذه دلالة توحى أن يوسف بن وجيه قد أشرك ولده "حمدا" في إدارة شؤون الحكم في صحار ، منذ عام ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م ، والأحرى إذن أن يتولى ابنه المسؤولية من بعده ، أي من بعد مقتله . ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا : هل كانت نهاية يوسف بن وجيه هي القتل فعلا ؟ ، أم أنه توفي بسبب آخر ؟ .

إن المصادر التي أشرت إليها آنفا تفيد مقتله ، وبالتحديد علي يد أحد مواليه ، إذا لماذا لم يعاقب الجاني ؟

هل لكونه في منزلة أقوى من العقاب ، أي كان هو المسيطر على مقاليد الحكم فعليا وكان محمد بن يوسف له الاسم فقط ؟
أم أنه كان هناك تواطؤ بين محمد بن يوسف ونافع على نهاية يوسف بن وجيه ، وخاصة بعد فشل تلك الحملة ؟

إن عدم وجود إجابة محددة تستند على أدلة تاريخية لأي من هذه الأسئلة يلقي بظلال كثيفة من الشك حول طبيعة الحكم في تلك الفترة ، إلا أن الدور النشط الذي تبوأه نافع في الحكم كما تشير إليه المصادر^(١) ، وكذلك استبعاد أن يكون محمد بن يوسف ضالعا في مقتل والده — حيث افترض حسن النية هو الأولى ما لم يتوافر دليل على غيره — كل ذلك يوحي بل ويؤكد أن المولى "نافعا" كان يتمتع بنفوذ قوي في أسرة آل وجيه ، جعله يستطيع بسهولة أن يقضي علي يوسف بن وجيه نفسه ، وأن يكون ولده محمد رهين سلطته ، وتحت سطوته ونفوذه .

إلا أن العلاقة بين الحكم في عمان — أيا كانت طبيعته — والدولة العباسية ظلت

(١) سوف يأتي بيان ذلك في الجزء الذي يتناول المحاولة الثانية لاحتلال البصرة من هذا المبحث .

كعادتها ، باستثناء مرحلة من الفتور بعد تولي الخليفة المطيع لله الحكم ، فقد كانت النقود تضرب في عمان باسم "محمد بن يوسف" مع الخليفة المستكفي بالله (٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٤-٩٤٥م) ، وظلت كذلك حتى عام ٣٣٦ هـ أي بعد خلع المستكفي من الخلافة ، وتولي المطيع لله (٣٣٤-٣٦٣/٩٤٥-٩٧٣م) ، دون اعتراف للخليفة الجديد بمنصبه .

ولكننا نلاحظ أن الحكم في عمان قد تعززت مكانته فزيد علي اسم محمد بن يوسف المضروب على العملة في سنة ٣٣٦ هـ لقب "المنصور" ، كأنما هو اتفاق بين الطرفين ، أن يتم إظهار اسم الخليفة على العملة ، مع زيادة هذا اللقب للحاكم في صحار .

استمر ذلك الحكم الذي يحمل اسم "محمد بن يوسف" حتى عام ٣٤٠ هـ — على التقريب ، ففي عام ٣٤١ هـ سك النقود باسم "عمر بن يوسف بن وجيه"^(١) ، أما كيف آل إليه الحكم فهذا ما لا أستطيع الجزم برأي فيه لأن المصادر لا تذكر شيئا عن هذا الأمر ، ولا دليلا يهتدى به في هذا الصدد .

المحاولة الثانية لاحتلال البصرة

يدو أن الاستيلاء على البصرة كان هدفا استراتيجيا لدى أسرة آل وجيه في "صحار" لتوسيع نفوذهم والسيطرة على تجارة الخليج في تلك الفترة المزدهرة اقتصاديا وكانوا ينتظرون الفرصة المواتية لذلك . فقد استغل يوسف بن وجيه توتر العلاقة بين معز الدولة البويهري وقرامطة البحرين وقام بمحاولة ثانية لاحتلال البصرة في سنة ٣٤١ هـ/٩٥٢م حسب رواية مسكويه وابن الأثير^(٢) . أما الروايات في مصادر أخرى فتشير إلى أن هذا الحدث تم في سنة ٣٤٠ هـ/٩٥١م^(٣) ، وإن كانت جميعها تصر على أن صاحب المحاولة هو "يوسف بن وجيه" وليس الابن . وقد تقدم إثبات وفاة

(١) د. العش : النقود العمانية : ص ٢٠ ؛ دارلي : تاريخ النقود في سلطنة عمان : ص ٢٦ .

(٢) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٤٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٩٦ .

(٣) الهمداني تكملة تاريخ الطبري ؛ ابن الجوزي : المنتظم ج ٦ ص ٣٦٨، ٣٦٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٢٥ .

ابن وجيه سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م ، وبذلك يتضح أن صاحب المحاولة هو الابن " محمد بن يوسف بن وجيه " الملقب بالمنصور . وقد آلت هذه المحاولة كسابقتها الى الهزيمة وأسر الكثير من القوات الصحارية ويبدو أن هذه الهزيمة كانت من أسباب انتهاء عهد " محمد بن يوسف " وتولى " عمر بن يوسف " مقاليد الحكم في صحار حسب ما تشير إليه النقود آنفة الذكر . وقد كان نافع هو المخطط والمهيمن على دفعة الأمور كلها بعد رحيل يوسف بن وجيه وذلك حسب ما سنفهمه من سياق الأحداث الآتية .

صحار في عهد بني بويه

بما أن نفوذ البويهيين قوى في دار الخلافة وصاروا هم المسيطرين على مقاليد الأمور فإنه من البديهي أن تكون تبعية صحار لهم لأن ارتباطها بمقر الخلافة لم ينفك وخاصة بعد الهزيمة التي لحقت ببني وجيه . وكما يظهر ، فإن " نافعا " كان هو المسيطر على مقاليد الأمور حيث أخذ يتودد لمعز الدولة البويهي ؛ بإهدائه فيلا نقل في البحر إلى " البصرة " ومنها إلى بغداد^(١) عام ٣٤٢هـ .

وحسب ما يفهم من تاريخ النقود المضروبة باسم أسرة آل وجيه ، فإن آخر نقد باسم " عمر بن يوسف " ضرب في سنة ٣٥٠هـ^(٢) ، وبما أن المصادر لا تذكر أي دور لأبناء يوسف بن وجيه في الحياة السياسية ، فإن آخر عهدهم بالحكم كان ما بين عامي (٣٥٠-٣٥٢هـ/٩٦١-٩٦٣م) حيث تؤكد المصادر دور نافع الفعلي في السيطرة على مقاليد الأمور في صحار وقد استقل بالبلاد عن سلطة البويهيين ، فلذا بادر معز الدولة بإرسال حملة إليه في سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م بقيادة وزيره " المهلي " إلا أن المنية عاجلت " المهلي " وهو في عرض البحر^(٣) مما كتب لهذه الحملة الفشل . وفي سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م عاود معز الدولة الكرة لإخضاع " عمان " فجهز جيشا بقيادة قائده " كردك الديلمي " إلا أن نافعا سلم الأمر لهذا القائد دون قتال فدخل في

(١) عمان في التاريخ ص ١٦١ .

(٢) العش : النقود العمانية ص ٢٨ ؛ دار لي : تاريخ النقود ص ٢٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٥٤٦ .

طاعة معز الدولة وخطب له وضرب اسمه على النقود^(١) وبهذا دخلت عمان تحت السيطرة البويهية فعليا لا اسما فقط .

بداية الانحسار

لم يرتض العمانيون ذلك الاستسلام الذي قدمه نافع للبويهيين ، فلذا ثاروا عليه وأجبروه على الخروج من عمان ، وقدم أهل صحار مكانه رجلا يدعى "النوكاني"^(٢) وكان رد فعل السلطة البويهية في بغداد غاضبا ، لذا أعاد معز الدولة قائده كردك وكان موقف النوكاني كسابقه "نافع" حيث استسلم للبويهيين مما نتج عنه زعزعة الأمن في صحار بسبب عدم الاستقرار السياسي بها ، فقد تولى السلطة بعد "النوكاني" - كما يفهم من سياق الأحداث- أحد القادة الصغار ويدعى ابن طغان^(٣) إلا أنه لم يحسن التصرف مع القادة الذين هم أكبر منه مرتبة فقبض على ثمانين منهم وقتلهم . فاستطاع أحد أقرباء هؤلاء القادة قتل هذا الأمير . ونظرا لهذه الظروف المضطربة ، وخوفا من غضب البويهيين ؛ فقد تم استقدام القرامطة^(٤) من

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٥٦٥ مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٣١ .

(٢) النوكاني : لم أعتز على أن ترجمة له سوى أنه من أهل الغنى واليسر في صحار ولعله كان ممن تحارها البارزين ، فلغناه ومكانته الاجتماعية قدم ليكون أميرا بدلا من "نافع" ، إلا أنه لم يصمد في وجه البويهيين ورغم أنه سلم كل أمره للقائد "كردك" إلا أن الأخير غدر به وهو في عرض البحر طمعا في ما لديه من أموال وذخائر . التنوخي : نشوار المحاضرة ج ١ ص ٢٤٧، ٢٤٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٥٦٧

(٤) تذكر بعض الروايات أن العمانيين استدعوا القرامطة لينجدوهم من سطوة البويهيين وهذا لا يتفق لأن العمانيين قد حاربوا القرامطة من قبل ، والدليل الآخر على ذلك ما يرويه ابن الأثير في أحداث سنة ٣٥٤ هـ وهى تعني السنة التى استنجد بالقرامطة فيها حيث يقول : "ومنها أنفذ القرامطة سرية الى عمان و الشراة في جبالها كثير فاجتمعوا فأوقعوا بالقرامطة فقتلوا كثيرا منهم" . وهو ما لا يتفق إلا أن يكون الذي استدعى القرامطة -إذا صحت هذه الرواية - هم المتنافسون على السلطة في صحار ومعظمهم كانوا من غير العمانيين ، فالوجهيون أنفسهم من غير عمان ، وإنما جاعوا في عهد "احمد بن هلال" الذى ولاه القائد العباسي "محمد بن نور" عمان بعدما أخضعها للخلفاء العباسيين وبعدها أذاق أهلها ذل الطغيان ودمر الكثير من معالمها الحضارية ، فالعمانيون في معظمهم لم يكونوا راضين أساسا على الذين تولوا مقاليد الحكم في صحار ويعتبرونهم جبابرة منذ أن زالت الإمامة الثانية =

البحرين فأرسلوا سرية بقيادة علي بن أحمد الكاتب^(١) فاتخذه الأمير الجديد لصحار عبد الوهاب بن أحمد بن مروان كاتباً له ، إلا أن علياً القرمطي هذا استطاع بدهائه أن يشعل الفتنة بين فئات الجيش فاستمال بعض من رآهم أكثر بأساً وشدة وهم طائفة الزنج وكان عددهم يقدر بستة آلاف ، وبهذا استطاع القرامطة أن يصلوا للرأس الإمارة ؛ وتولاها علي بن أحمد بمساعدة هؤلاء الجند ؛ وبهذا تكون قد دخلت فئة أخرى من فئات الصراع على السلطة في صحار وهي فئة الزنج الذين شاركوا بدور فعال في إنهاء حقبة بلغت صحار فيها ذروة التقدم والتحضر . ولم تدم سيطرة القرامطة في صحار طويلاً حيث هب البويهيون لإعادة نفوذهم فحشدوا قوة كبيرة بقيادة أبو الفرج محمد بن عباس ، ويروي ابن كثير بأنه دخل صحار في التاسع من ذي الحجة من عام ٣٥٥هـ / ٩٦٥م وخطب لمعز الدولة وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وأحرقت مراكبهم وهي تسعة وثمانون مركباً^(٢) ، وبذلك سيطر البويهيون على مقاليد الأمور في صحار ، إلا أن سلسلة الأحداث ستوالى .

بعد وفاة معز الدولة البويهي سنة ٣٥٦هـ ترك أبو الفرج عمان وعهد بالأمر إلى "عمر بن نيهان الطائي" الذي أقام الدعوة لعضد الدولة في صحار^(٣) . وقد أدرك العمانيون خطورة الموقف على بلادهم فاجتمعت كلمتهم ونصبوا "حفص بن راشد"^(٤) إماماً لهم وكان ذلك في حدود سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٥م لتلتئم كلمتهم

= في عمان عام ٢٨٠هـ . انظر : ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٥٦٦ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١

ص ٢٦٧ ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٨٤-٢٨٦ ؛ الإزكوي : كشف الغمة تحقيق القيسي ص ٦١ .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٥٦٨ ؛ ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٤٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٥٦٨ ؛ مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢١٧ ؛ د. العشي : النقود العمانية ص ٢٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٦٤٦ .

(٤) اختلفت الآراء حول زمان تنصيب هذا الإمام ؛ فالسالمي ذكره من أئمة منتصف القرن الخامس الهجري وكذلك ورد عند ابن رزيق في كتابيه الشعاع والفتح ، وعند الإزكوي في كشف الغمة . إلا أن ابن الأثير ذكره في أحداث سنة ٣٦٣هـ أما مسكويه في تجارب الأمم فقد ذكره في سنة ٣٦٤هـ . وبعد تلك المقارنة الدقيقة التي قام بها الشيخ سيف بن حمد البطاشي في كتابه "إتحاف الأعيان" فإنه رجح =

حوله^(١)، إلا أن قوة البويهيين حالت دون ذلك ؛ فبتتبع سير الأحداث فإن الزنج الذين ناصروا القرامطة وأوصلوا "علي بن أحمد" المركز السلطنة في صحار لم يهدأ لهم بال بعد أن استرجع البويهيون سلطتهم على صحار ، ففي عهد عمر بن نبهان الذي كان يحكم باسم عضد الدولة البويهي قام هؤلاء الزنج بثورة عارمة ضده . ويبدو أن قوتهم ازدادت عددا وعدة بحيث استطاعوا السيطرة على مقاليد الأمور وقتل "عمر ابن نبهان" وولوا رجلا منهم يدعى "ابن الحلاج" الإمارة في صحار^(٢) . ولما علم عضد الدولة بذلك الانقلاب الذي أدى إلى مقتل عامله على صحار "ابن نبهان" جيش قوة كبيرة من "كرمان"^(٣) بقيادة "أبي حرب طغان" وما كاد الجيش يتزل من مراكبه حتى حمي وطيس المعركة على ساحل صحار برا وبحرا بين الزنج والجيش البويهي الذي حقق نصرا كبيرا ، فاستولى طغان على صحار وانهمز الزنج وكان ذلك سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م^(٤) ، وأخذ "طغان" يتتبع فلول الزنج الهاربين ودارت

= رواية ابن الأثير ، ويتفق هذا في الحقيقة مع الأحداث المعاشة آنذاك إذ أن العمانيين لابد أن ينتهزوا تلك الفرصة وهو الوضع المضطرب في "صحار" وما حولها ليخلصوا البلاد من الغزاة وتلك القوى المتصارعة والتي ليس لها هدف سوى الاستحواذ على خيرات هذا البلد خاصة وأن عقد الإمامة انقطع بعد ما تغلب البويهيون على يد الوجهيين على الإمام "راشد بن الوليد" وسيطروا على البلاد سيطرة كاملة في سنة ٣٤٢هـ . انظر : السلمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٣١٧ ؛ ابن رزيق : الفتح ص ٢١٦ ؛ الشعاع ص ٧١ ؛ الإزكوي : كشف الغمة تحقيق العبدلي ص ٣١٢ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٢٣١-٢٣٦ .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٦٤٦ ؛ مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٦٤٦ .

(٣) كرماني : بلاد افتتحت في عهد الفاروق رضي الله عنه تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان وجنوبها الخليج وهي بلاد كثيرة النخل والزرع يجتمع فيها الحر والبرد وبها أفلاج وكانت كثيرة الزراعة والأشجار وكانت من أعمر البلاد في أيام الدولة السلجوقية واشتهرت بجمال نسائها . انظر : الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٥٤ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٤٩٢ .

(٤) ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة .

بينهم معركة حاسمة في "البريمي"^(١) انتهت بانكسار شوكة الزنج وتبديد شملهم وأسر جمعهم^(٢)، وفي ظل هذه الظروف المضطربة حاول العمانيون بقيادة الإمام المنتخب (حفص بن راشد) أن يخلصوا البلاد من تلك الفتن والقوى المتناحرة في صحار وما حولها فآخذوا يعدون العدة لذلك إلا أن عيون الدولة البويهية كانت تعمل بنشاط، ويبدو ذلك في سرعة إنفاذ عضد الدولة جيشاً كبيراً تحت قيادة (المطهر بن عبدالله). ومن سياق رواية ابن الأثير يتضح أن نزول هذه القوات كان على الساحل ثم توغلت في الداخل فوجدت مقاومة استطاعت القضاء عليها وواصلت مسيرها حتى وصلت

(١) البريمي : تقع في الركن الشمالي الغربي من عمان وفي الجنوب الغربي من صحار وتبعد عنها بحوالي ١٠٠ كم ، وهي من المدن التاريخية ، عرفت باسم (توام) وهي الآن تجاور مدينة العين في دولة الإمارات العربية وكتلاهما تمثل واحة واحدة وتتبع البريمي ٤٩ قرية ، وبها عدد من المعالم التاريخية كالحصون والبيوت الأثرية . وهي اليوم من المناطق الراقية التي امتدت إليها يد العمران لتشملها بكثير من المرافق لترتقي بها إلى مواكبة المدنية والتحضر بالمفهوم المعاصر . انظر : وزارة الإعلام ، مسيرة الخير ، منطقة الظاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ ص ٢٠ .

(٢) ابن الأثير نفس المصدر والصفحة ٤ : الثعالي : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٧٦ ، و يقول الثعالي إن الكتب أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الذي يجري مجرى الزوراء في البلاط البويهي - حسب تعبير الثعالي في كتابه يتيمة الدهر - كتب إلى صاحب يخبره بانتصار قوات عضد الدولة على الزنج في صحار فيقول : ((وكانت لأولئك الكفرة عادة اشتهرت عنهم في استباحة الناس وأكل لحومهم)) . ويرى الباحث أن في هذا الكلام مبالغة ، فالزنج الذين كانوا يعيشون في صحار هم في بيئة إسلامية إذا لم يكونوا هم أنفسهم مسلمين فكيف يسوغ أن يوصفوا بأنهم من أكلة البشر ؟ كما أن النص يشير إلى الغنائم التي غنمها البويهيون من صحار فيقول ((فيها فيل صغير بقدر الفرس ما عهد ألطف ولا أظرف ... وفي الغنائم كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين)) ، وهذا يدل على أن صحار كانت تتمتع بخيرات كثيرة ، فلذا حاولت تلك الفئات المتصارعة الانفراد بخيراتها ، وبسبب ذلك تعرضت لموجات شرسة من الصراعات هدمت منارها الحضارية والاقتصادية . انظر : الثعالي : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٧٦ ويقول محقق كتاب اللطف واللطائف الدكتور محمود عبد الله الجاد إن كلمة صاحب التي في كتاب الثعالي المقصود بها صاحب بن عباد الكاتب المشهور . انظر : الثعالي : اللطف واللطائف ص ٤٤ ، الناشر : مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٥٤هـ / ١٩٨٤ م .

"دما" ^(١) بالمنطقة الشرقية من البلاد حيث دارت معركة كبيرة بين جيش الإمام بقلادة "ورد بن زياد" ^(٢) والجيش البويهري بقيادة "المطهر" الذي استطاع أن يكسب المعركة. وبذلك دخلت عمان كلها في قبضة البويهريين وكان ذلك سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م حسب رواية مسكويه ^(٣)، أما ابن الأثير فقد جعلها من أحداث سنة ٣٦٣هـ ^(٤). إلا أن الصراع لم ينته؛ فبعد رحيل المطهر من عمان انتهز العمانيون الفرصة واستطاعوا أن يسيطروا على مقاليد الأمور تحت راية الإمام حفص بن راشد الذي تذكر بعض الروايات أنه جددت له البيعة مرة أخرى. وقد تمكن العمانيون سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م من إخراج القرامطة من عمان فهاثيا ^(٥)، وهكذا منيت بهذه الأحداث المؤسفة عمان عامّة وصحار خاصة، حيث كانت ملتقى تلك التيارات المتصارعة، حتى بعد أن انتخب الإمام الخليل بن شاذان الخروصي في سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م حسب رواية الإمام السالمي ^(٦)

(١) دما : في عمان موضعان ، أحدهما في ولاية السيب التابعة لمحافظة مسقط وتطل على خليج عمان وركنت سرقا من أسواق العرب في الجاهلية وتبعد عن صحار بـ ١٨٤ كم تقريبا في الجنوب الشرقي ، أما الموقع الثاني فهو وادي دما المجاور لوادي الطائين بالمنطقة الشرقية من عمان لأن المطهر نزل بـ "دعمر" وعبر "ضيقة" ووادي الطائين ووادي دما . وهذه القرى والمناطق هي كلها مجاورة لدما الثانية وتبعد عن صحار مسافة ٣٥ كم . انظر : الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٦١ ؛ البطاشي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٦٧ ؛ أبو شجاع السروذراوردي : ذيل تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٠٠ ؛ وزارة للمواصلات : جدول للمسافات الملحق بكتاب العادات العمانية لسعود العنسي .

(٢) ورد بن زياد : هو من قبيلة قرّة يعود نسبهم إلى قرّة بن مالك بن عمرو بن لكيز بن قصي بن عبد القيس ينتهي نسبهم إلى معد بن عدنان ويسكنون السر و ثولم في عمان ، ويصفهم العوتري بأنهم أهل بأس ونجدة "منها البطل المشهور ورد بن زياد" وكان قائدا لجيش الإمام حفص بن راشد . انظر : العوتري : الأنساب ج ١ ص ١٥٠ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٤٣٥ .

(٣) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٣٢ ؛ النعالي : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٦٤٧ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٦٠ عمان في التاريخ ص ١٦٣ .

(٦) السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٢٩٦ .

أما ابن رزيق فانه لم يحدد تاريخاً معيناً بل قال : في بضع وأربعمئة سنة من الهجرة^(١). وقد اتفق المؤرخون العمانيون على أن الإمام الخليل بن شاذان كان عهده في عمان عهد رخاء وعدل وأمان ؛ فأمنت بعدله البلاد واستراحت في ظله العباد ، ودامت له الممالك ووفدت إليه الوفود لظهور العدل وانتشار الفضل .

إلا أن صحار بقيت رهينة في أيدي البويهيين الذين عهدوا بولايتها لأسرة (بني مكرم)^(٢). ففي سنة ٣٩٠هـ / ٩٩٩م تم تعيين " أبو محمد بن مكرم " عاملاً لعمان من قبل بهاء الدولة البويهية^(٣)، وتوارث بنو مكرم هذه الولاية نتيجة لإخلاصهم " لبني بويه " ؛ فبعد أبي محمد عين ولده أبو لقاسم علي بن الحسن في عام ٤١٣هـ / ١٠٢٢م^(٤) واستمر في الولاية حتى عام ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م ، وكان أبو القاسم ناصر الدين خلف أربعة بنين هم : أبو الجيش ، والمهذب ، وأبو محمد وآخر صغير ، وولي بعده ابنه أبو الجيش وأقر علي بن هطال صاحب جيش أبيه في منصبه فتسلط علي بن

(١) ابن رزيق : الشعاع الشائع ص ٦٨ ، والبضع ما بين الثلاث إلى التسع ، ويبدو أن هذا الإمام نصب بعد هذا التاريخ حسبما تدل عليه المقارنات، ولكن لا مجال للاستطراد لأنه خارج عن فترة البحث .

(٢) بنو مكرم أسرة غير عمانية ويبدو أنها من العراق رغم أن ابن خلدون ينسبهم إلى عمان إلا أن المؤرخين العمانيين ينفون ذلك ، يقول الإمام السالمي " وليس لبني مكرم ذكر بعمان ولا نعرف من هم " ، وإذا صحت العلاقة بين أبي العباس بن مكرم الملقب بالمعول وهذه العائلة فإن لها بالبلاط البويهية صلة قديمة لأن أبا العباس كان وكيلاً لمعز الدولة البويهية في بناء قصر له وهدم ما جاوره من العقارات وشرائها من أهلها وكان ذلك سنة ٣٥٠هـ ، وقد تلقب ولاة عمان من بني مكرم بألقاب منها ناصر الدين ومؤيد الدولة وناصر الدولة ، وكانوا من ممدوحى الشاعر مهيار الديلمي والشاعر ابزون بن مهرب الكافي الذي سيرد ذكره في فصل الحياة الدينية والعلمية في صحار . أنظر : السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٤٦ ؛ عمان عبر التاريخ ج ٢ ص ٢٠٩ ؛ ابن خلدون : تاريخه ج ٤ ص ٩٣ ؛ الزركلي : الإعلام ج ٤ ص ٢٧٨ ؛ الهمداني : تكملة تاريخ الطبري : ص ١٧٩ ؛ على حسن خميس : التاريخ الحضاري لعمان منذ القرن الرابع وحتى السادس الهجري ص ٢٠ ، ص ٨١ ، ٨٢ ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، الأردن عام ١٩٩٧م / ٨١ - ٨٢

(٣) ابن الأثير : الكامل : ج ٩ ص ١٦٢ .

(٤) ابن خلدون : تاريخه ج ٤ ص ٥٨٠ ؛ الزركلي : الإعلام : ج ٤ ص ٢٧٨ ؛ دارلي : تاريخ النقود ص ٣٨ .

هطال على الأمور واستطاع أن يوقع الفتنة بين أولاد أبي القاسم ناصر الدين ويسيطر هو على زمام الحكم ، ولكنه أساء السيرة وقام بمصادرة أموال التجار ومارس النهب ، مما سبب ازدياد كره الناس لحكم البويهيين وأعوانهم ، ولتهدة الوضع وإعادة الأمور إلى نصابها انتدب القائد البويهي " كاليجار " قائده " منصور بن مافنة " الذي استطاع هزيمة علي بن هطال بمساعدة بعض القوات الموالية لبني بويه في الداخل وتنصيب أبو محمد بن مكرم الابن الثالث لأبي القاسم للحكم ، إلا أن حكمه لم يشهد استقراراً ، مما اضطر القائد البويهي كاليجار في سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م أن ينهي حكم بني مكرم ويولي ابنه أبا المظفر ، وانتهاز العمانيون ضعف الدولة البويهية الآيلة للسقوط فاستطاعوا سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م تحقيق وحدة بلادهم ^(١) .

إلا أن تلك الأحداث المؤسفة التي شهدتها صحار طيلة ما يربو على قرن من الزمان والتي جعلتها لا تعرف الهدوء إلا فترة وجيزة في عهد بني مكرم دفعت كثيراً من الناس إلى الهجرة والبحث عن مكان آمن في داخل عمان وخارجها . والآثار تدل على أن ثلاثة أرباع المناطق السكنية في البلدة قد هجرها أصحابها خلال فترة قصيرة نسبياً في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، كما أن ثلثي المناطق الزراعية أصبحت هي الأخرى مهجورة في الفترة نفسها أو بعدها بقليل ^(٢) . هذا بالإضافة إلى عوامل مساعدة في تلك الفترة أدت إلى الانكسار الاقتصادي لصحار مثل دور الدولة الفاطمية التي استطاعت بسط سيطرتها في أواسط القرن الرابع الهجري على مصر ثم الحجاز وعملت على جلب التجارة إلى البحر الأحمر فتشطت موانئه ، وخاصة ميناء عدن ^(٣) . وبسبب تلك الصراعات التي مر ذكرها خسرت صحار تقدمها وتفوقها الحضاري الذي استطاعت أن تحافظ عليه مسيرة أربعة قرون من الزمان .

(١) ابن الأثير : الكامل : ج ٩ ص ٥٦٥ ؛ عمان في التاريخ ص ١٦٤ ؛ ابن خلدون : العبر ج ٤

ص ٥٨٠ ، ٥٨٧ ؛ دارلي : تاريخ النقود ص ٤٢ .

(٢) اندرو ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) العاني : عمان في العصور الإسلامية ص ١٦ .

وخلص القول في هذا المبحث أن "صحار" قد عاشت طوال الفترة من عام ٢٨٠هـ/٨٩٣م وحتى نهاية القرن الرابع الهجري في يد الخلافة العباسية وشهدت التقلبات السياسية التي مرت بها الخلافة حتى تطلع ولائها الوجيهيون إلى توسيع رقعة ولايتهم فحاولوا احتلال "البصرة" مرتين . كما أنها كانت ملاذاً لبعض وزراء الخلافة وهم : "ابن مقلة" و"الخصيب" و"أبو القاسم بن مخلد" . وخلال هذه الفترة عاشت "صحار" مزدهرة في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، وحاول "يوسف بن وجيه" أن يمد سلطته على كل ربوع عمان ، إلا أن الإمام سعيد بن عبدالله بن محبوب استطاع أن يحول بينه وبين أمنيته ، وقد تحقق ذلك لابنه "عمر بن يوسف" بقيادة مولاهم "نافع" الذي استطاع أن يضم أرجاء عمان بعد ما تغلب على الإمام راشد بن الوليد وكان ذلك في سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م .

ومن خلال ما استوحاه الباحث من المقارنات بين النقود والأحداث التاريخية فإن "نافعا" هذا كان المسير لشؤون السلطة في "صحار" منذ مقتل مولا "يوسف ابن وجيه" رغم أن النقود كانت تضرب باسم ولدي يوسف بن وجيه : محمد بن يوسف من عام ٣٣١هـ/٩٤٢م وإلى عام ٣٤١هـ/٩٥٢م ، وعمر بن يوسف من عام ٣٤٢هـ/٩٥٣م إلى عام ٣٥٠هـ/٩٦٢م . ورغم أن المصادر تذكر أن الذي قتل يوسف بن وجيه هو مولا "نافع" هذا ، فإن ظهوره على مسرح الأحداث بين الحين والآخر وخاصة في العقد الرابع ، ثم استيلائه على السلطة في بداية العقد الخامس وحتى منتصفه تقريبا ومشاركته في الأحداث التي جرت في ذلك العقد يدل على أنه كان هو الرجل القوي في تلك الدولة الوجيحية . ومن منتصف العقد السادس في القرن الرابع بدأ دور صحار في الضمور نتيجة للأحداث المؤسفة ، فالوجيهيون تقلص دورهم بمجيء البويهيين رغم أن "نافعا" حاول أن يستقل ويبدو أن الاستقرار كانت رغبة عامة في صحار بدليل أنه عندما لم يستطع "نافع" الوقوف في وجه البويهيين وسلم مقاليد الأمور إليهم مع تركه هو في السلطة نقت عليه القوى المحلية فقامت بطرده من البلاد وعينت مكانه رجلا من أثرياء البلد وهو النوكاني . ولما كرر فعل نافع باستسلامه للبويهيين لاقى نفس المصير .

وهذا يدل على أن القوى المؤثرة في صحار كانت تقف موقف الرفض من البويهيين؛ ويمكن تفسير ذلك ، على أساس أنها كانت تراهم مقوضين لرخاء صحار وازدهارها الاقتصادي لأنهم كانوا يسعون لنقل ذلك إلى الجانب الآخر من الخليج لبلاد فارس موطنهم ؛ لذا فإن تلك القوى لم تتردد في طلب المعونة من قرامطة البحرين الذين هبوا مسرعين واستطاعوا أن يستولوا على الإمارة في صحار بتحالفهم مع الزنج الذين كانوا أيضا يشكلون قوة لا يستهان بها . ومن طرف آخر حاول العمانيون استرداد ذلك الجزء الغالي من بلادهم فنصبوا الإمام حفص بن راشد إماما ولكن قوة البويهيين كانت هي المهيمنة وكسبت نتائج تلك الصراعات كلها ، وخسرت صحار تقدمها وتفوقها الحضاري الذي استطاعت أن تحافظ عليه مسيرة قرون من الزمن .

الباب الثاني

حضارة صحار منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن
الرابع الهجري
(السابع الميلادي حتى العاشر الميلادي)

الفصل الأول :

الحياة السياسية والاجتماعية والعمرانية
في صحار .

الفصل الثاني :

الحياة الاقتصادية في صحار .

الفصل الثالث :

الحياة الدينية والعلمية .

الفصل الأول

الحياة السياسية و الاجتماعية و العمرانية
في صحار

المبحث الأول

الحكم و الإدارة في صحار

المبحث الثاني

الحياة الاجتماعية في صحار

المبحث الثالث

العمران في صحار

المبحث الأول : الحكم و الإدارة في صحار .

تداول الحكم في صحار منذ دخول أهلها في الإسلام وتحولها إلى جزء من الكيان الإسلامي أنظمة مختلفة تراوحت بين الملكية في عهد ملوكها من بني الجلندي في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين من بعده مع وجود عامل للخلافة من مهامه جمع الصدقات والعمل كرابط سياسي لعمان بعاصمة الخلافة ، وبين وقوعها تحت سلطة الخلافة الأموية ثم العباسية ، وبين نظام الإمامة الذي يعد امتدادا لمنهج النبي والراشدين من بعده في إدارة شئون الحكم عن طريق الانتخاب الشرعي للأئمة من قبل أفراد الأمة ، ورقابة الأمة -مثلة في علمائها- على سياسات حكامها ، وهو الذي يمثل النظرية الإسلامية في الحكم التي أجمع على صحتها فقهاء الأمة على مدى تاريخها وحتى اليوم ، وبين خضوعها للحكم العسكري من الغزاة الطامعين في خيراتها مثل النجدات و البويهيين على فترات من تاريخها ، أو وقوعها تحت سيطرة ولاية مغامرين أغراهم ثراء البلاد بالاستقلال بها ، وجعلها إمارة يتوارث أبناؤهم فيها الحكم كالوجيهيين وبني مكرم ، أو سقوطها فريسة لحكم فوضوي بلا معالم سياسية محددة تتنازع أطراف عديدة من القوى المحلية والوافدة كالفترة التي أدار فيها الزنج والقرامطة دفعة الحكم في صحار .

وبما أن المصادر التي بين أيدينا لا تعيننا على إعطاء صورة واضحة لما كان عليه نظام الحكم والإدارة في الفترة السابقة على قيام الإمامة الأولى في عمان ما عدا كونه حكما ملكيا يتوارثه آل الجلندي ، فإن الآلية التي كانت تدار بها شئون البلاد غير واضحة المعالم بالنسبة لنا. وفي ظل سيطرة الخلافتين الأموية والعباسية سيطر عمالهما على صحار مركز الحكم في عمان ولا شك أنهم طبقوا نفس النظام الذي كان سائدا في بقية ولايات الخلافة آنذاك ، والمصادر لا تتمدنا بأية معلومات حتى عن طريق الإشارة كظهور اسم لأحد عمالهم أو قضائهم أو قواد شرطتهم أو ما شابه ذلك .

والنظام الإداري الذي سنعتني بدراسته في هذا البحث هو نظام الإمامة لكونه النظام الوحيد الذي أفاضت المصادر التي بين أيدينا في شرح آليات تطبيقه ومقوماته شرحا وافيا يكفي لإعطاء صورة حقيقية لما كان عليه الوضع آنذاك ، ولكونه نابعا

من حضارة صحار الإسلامية مستمدا أصالته من عهد النبوة والخلافة الراشدة ،
ولقيامه على يد أبنائها لتحقيق غايات وطموحات العمانيين في حكم عادل ينشر الخير
والأمان في ربوع بلادهم ، ويحقق لهم تقدمهم الحضاري و الاقتصادي .

الإمامة في صحار

الإمام لغة : كل من ائتم به قوم ، كانوا على الصراط المستقيم أو غيره ،
وقال الجوهري : الإمام الذي يقتدي به وجمعه أئمة^(١)، وعرفه الجرجاني فقال : بأنه
هو الذي له الرئاسة العامة في الدين والدنيا جميعا^(٢).

أما الإمامة اصطلاحا فقد عرفها الماوردي فقال: "الإمامة موضوعة لخلافة
النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"^(٣) ، ورأى الإباضية لا يختلف عن هذا ، فإقامة
الإمامة عندهم أمر واجب على المسلمين حيثما وكيفما كانوا^(٤).

و الإباضية يرون أن طاعة الحاكم واجبة في حال وجود حاكم عادل ، ولا
يجوز الخروج عليه ، وهذا ما يعبر عنه أحد علماء الإباضية في قوله: "إمام المسلمين
سواء جاء بطريق الشورى أو بغيره ؛ إذا كان عادلا تجب طاعته والخروج عنه فسق ،
وإذا جار جاز البقاء تحت حكمه ، ولا يطاع في معصية ، و جاز الخروج عنه"^(٥).

والإمامة عند الإباضية متميزة الطابع ، فلها أربعة مسالك تعرف بمسالك الدين .
والمسالك لغة مواضع السلوك وهي الطرق قال تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا
وسلك لكم فيها سبلا﴾^(٦)، أما المسالك اصطلاحا في الفقه الإباضي فهي "الطرق التي
يتوصل بها إلى إنفاذ الأحكام الشرعية ، وهي تعبر عن مراحل الإمامة التي يمكن أن

(١) نقلا عن ابن منظور : لسان العرب ج ١ ص ١٢٩.

(٢) الجرجاني : التعريفات ص ٣٥.

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٣.

(٤) علي- يحيى معمر : الإباضية بين الفرق الإسلامية ج ٢ ص ١٩٧ .

(٥) السير والجوابات (سيرة أبي الحسن) : ج ١ ص ١٧٥ ؛ جهلان : الفكر السياسي عند الإباضية ص ١٢٧.

(٦) سورة طه الآية ٥٣ .

نحتازها في مختلف أدوار حياتنا كمسلمين إزاء واجب الدعوة لدين الله .." (١) .
ومسالك الدين أربعة هي :

أولا : إمامة الظهور : هذه المرحلة هي أرقى المراحل ، حيث نعلن فيها قيام دولة قوية لها كيانها السياسي المستقل تطبق الشرع الإسلامي فتنفذ أحكام الله وتقيم الحدود وتصون الحقوق (٢) ، مثالهم في ذلك الخلافة الراشدة . واستطاع الإباضية تحقيق هذه المرحلة في المغرب المتمثلة في الدولة الرسمية (٣) ، وفي عمان في فترات كبيرة من تاريخها حيث استمرت على مدى أكثر من ألف عام (٤) في فترات متقطعة ، والإمامة تقدم مثلا أعلى للدولة الإسلامية ، وكانت التطبيق الدقيق لمبادئ الإجماع والتعاقد الضامن للفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ، وكان العلماء عبر تاريخ الإمامة يمثلون المجلس التشريعي الدائم فيها (٥) . وهذه المرحلة تعلن عندما يكون المسلمون ذوى عدة وقوة في المال والعلم بدين الله وإقامة أمره وحدوده (٦) ، فهنا يحتم عليهم الواجب أن يختاروا من أفاضلهم إماما يقيم شأن دينهم ، وتتم مبايعته بالإمامة ويسمى : إمام الظهور أو إمام البيعة (٧) .

ثانيا : إمامة الدفاع : وهذه المرحلة أدنى من المرحلة السابقة ، ويلجأ إليها عندما تكون الأمة ضعيفة عن إقامة إمامة الظهور ، كأن يتسلط على الأمة حاكم جائر مستبد ، أو يداهمهم عدوان خارجي ففي هذه الحالة يجتمع المسلمون على إمام ينصبونه ، وتجري عليه الأحكام التي تجري على الإمام الشرعي ، ويكون الدفاع تحت

(١) جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية ص ١٤٩ .

(٢) على يحيى معمر : الإباضية بين الفرق الإسلامية ج ٢ ص ٥٤ .

(٣) د. حسن على : أخبار الأئمة الرسميين ص ٨٤ ، مكتبة الشباب سنة ١٩٨٨هـ - ١٤١٠هـ الحريري : الدولة الرسمية بالمغرب العربي ص ٢٢٤ ، ٩١ ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م .

(٤) د. حسين غباشي : عمان الديمقراطية الإسلامية ص ٢٤ .

(٥) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٦) محمد بن يوسف أطفيش (قطب الأئمة) : شرح كتاب التل وشفاء العليل ج ١٤ ص ٣٠٨ ، الطبعة الثانية دار الفتح بيروت ١٩٧٢ م .

(٧) محمد صالح ناصر : منهج الدعوة عند الإباضية : ص ٢١٧ ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، ١٩٩٧ م .

رأيته فرض عين على كل قادر ، حتى يحقق الله النصر ، وعندما يزول القتال تنتهي إمامة الإمام^(١).

ثالثاً: إمامة الشراء : وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾^(٣) ، واصطلاح الشراء لفظ يقصد به جماعة تتكون من أربعين رجلاً فما فوق^(٤) ، واشترط هذا العدد تأسيساً بالنبي صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة للإسلام ، حيث إنه عليه الصلاة والسلام لم يؤمر بالجهاد بالدعوة إلا عندما اكتمل عدد من آمن به أربعون^(٥) ، وعندئذ نزل قوله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾^(٦) وسموا شراً لأنهم اشتروا الجنة بأنفسهم ، وهم لا يجوز لهم الرجوع إلى أهلهم وديارهم حتى يتم ما أرادوا من تحقيق النصر ، أو يموتوا دون ذلك ، وقد رخص بعض العلماء إذا نقص العدد عن ثلاثة أن يعودوا إلى أهلهم^(٧).

وهؤلاء الشراء يجب عليهم تنصيب إمام لهم ، ويسمى بالإمام الشاري ، ويباع على القتال وجهاد الأعداء حتى النهاية ، والشراء لا يستقرون في مكان معين ، أوطانهم سيوفهم^(٨) ، ويلجأ الشراء إلى هذه المرحلة عندما يتسلط عليهم العدو من خارج أو داخل البلاد ، وتنتهك حرمة الله ، فإنه يجوز حينئذ تشكيل إمامة الشراء

(١) نفس المرجع السابق والصفحة ؛ جهلان : الفكر السياسي عند الإباضية : ص ١٥٦ ؛ د. نايف عيد جابر

السهيل : الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين . مطابع الوطن . الكويت ١٩٩٤ م

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٧ .

(٣) سورة التوبة الآية ١١١ .

(٤) جهلان نفس المرجع السابق ص ١٦٠ . د. محمد ناصر : نفس المرجع السابق ص ٢١٩ .

(٥) نفس المرجعين السابقين ونفس الصفحات .

(٦) سورة الحجر الآية ٩٤ .

(٧) د. محمد ناصر : منهج الدعوة عند الإباضية ص ٢١٩ .

(٨) نفس المرجع السابق والصفحة .

حسب الشروط السابقة لضرب مضاجع ومعاقلة السلطة الجائرة وزعزعة هيئتها^(١).
يقول الشيخ علي يحيى معمر: "إنه تنظيم رائد للفدائية في الإسلام عندما يتحكم الظلم وتعطل أحكام الله^(٢)، ومن الشروط التي يجب أن يلتزم بها الشراة^(٣):"

١- أن لا يعترضوا سبيل المسلمين ، ولا يروعوا الأمنين ، وأن لا يمسوا
الشيخوخ والنساء والأطفال وكل ضعيف بسوء.

٢- أن لا يهلكوا الحرث والزرع والغلال وأن لا يهدموا الأسوار والمباني إلا
لضرورة تقتضيها المصلحة.

رابعاً: إمامة الكتمان : وهي أدنى مراحل الإمامة ، ويلجأ إلى هذه المرحلة إذا
ضعفت الأمة عن تحقيق أي مرتبة من المراتب السابقة ، وهنا يأتي دور الإرشاد
والتوجيه عن طريق المساجد والمؤسسات الخيرية لكي تثبت القلوب على الهداية
والسعي إلى فرض فضائل الإسلام وقيمه الخلقية وتربية النشأ تربية صالحة وهو أدنى
درجات الجهاد^(٤) . إن هذا التنظيم الدقيق الذي يتميز به الإباضية منذ فجر نشأة هذا
المذهب واضح الدلالة على وعي سياسي عميق ، وتفهم للأوضاع الصعبة التي مرت
بها دعوتهم ، ولولا أنهم اتخذوا هذا النمط من التنظيم لكانت دعوتهم قد قضى عليها
منذ زمن بعيد حيث ضمن هذا التنظيم أسباب التكيف والتأقلم مع الحياة وتطوراتها ،
ومع الأمم وسياساتها ، ومع المخالفين وعقائدهم . كل ذلك ضمن الإطار الشرعي في
حمى الكتاب العزيز والسنة المطهرة^(٥).

كيفية اختيار الإمام

عندما تتوفر الفرصة السانحة لإقامة الإمامة يجتمع علماء البلاد وذوو الرأي
وأهل الفضل منهم ، ويجتهدون لله في النصيحة ، فيختارون رجلاً طاعة لله ، لا

(١) علي يحيى معمر : الإباضية في موكب التاريخ ج ١ ص ٩٥ .

(٢) جهلان : نفس المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٣) د. محمد ناصر : نفس المرجع السابق ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ؛ د. السهييل : نفس المرجع السابق ص ٦٢ .

(٤) جهلان : نفس المرجع السابق ص ١٤٩ ؛ د. محمد ناصر : نفس المرجع السابق ص ٢٢٠ .

(٥) د. السهييل : الإباضية في الخليج العربي ص ٦٢ ؛ د. غباشي : عمان الديمقراطية الإسلامية ص ٦٩ .

John C. Wilkinson , The Imamate tradition of Oman , Cambridge University Press , P.156

لطاعتهم ، ولا يملكونه لمصلحة فانية لهم ، ولكن بهدف إقامة العدل^(١)، ومن الشروط التي يجب أن تتوافر في الإمام:

- أن يكون عاقلا ذا بصيرة وفطنة ، عالما فقيها ، قويا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

- أن يكون رجلا قياديا ، ذا بأس شديد لكي يتمكن من مواجهة العدو ، والمحافظة على حرمان المسلمين .

- أن يكون تقيا ورعا ، متواضعا في غير ضعف ، خاشعا في غير ذل .

- أن يكون سليما من كل العاهات البدنية .

- أن يكون فصيحاً متمكناً من إقامة الحجة وإزالة الشبهة^(٢).

وخلاصة هذه الشروط أوردها الماوردي^(٣) في الأحكام السلطانية ، وزاد عليها شرط النسب الذي لا يعول عليه الإباضية^(٤) ، لأنهم يرون أن كل مسلم تتوافر فيه شروط الصلاحية مؤهل لتولي منصب الإمامة دون اعتبار اللون والجنس ، ويحملون حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " الأئمة من قريش"^(٥) على الترجيح باعتبار ما كانت عليه قريش في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وانطلاقاً من هذا الاعتبار فإن هذا الشرط يكون مرجحاً إن وجدت وتساوت الكفاءات الأخرى^(٦).

(١) أبو الحسن على بن محمد البسيوي ، من علماء القرن الرابع : سيرته من ضمن كتاب السير والجوابات : ج ٢ ص ١٨٧ ؛ الكندي : أبو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى : المصنف : ج ١٠ ص ٦٣ ، الناشر وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٣/١٩٨٣ م .

(٢) أبو الحسن : سيرته من ضمن السير والجوابات : ج ٢ : ص ١٧٨ ؛ جهلان : الفكر السياسي عند الإباضية : ص ١٨١

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية : ص ١٥ .

(٤) د. حسن علي : أخبار الأئمة الرستمين ص ٨٣ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٨٣٤/١٢٩/٣ برواية أنس و٤/٢١١ عن أبي برزة .

(٦) الكندي : المصنف ج ١٠ ص ٧٩٤/٧٨ ؛ جهلان : نفس المرجع السابق ص ١٨٠ ، ١٨١ ؛ د. سهيل :

نفس المرجع السابق ص ٣٩ . John C. Wilkinson , The Imamate tradition , P.170 .

كيفية تنصيب الإمام .

أولا : مرحلة الترشيح و الانتخاب .

يتشكل مجلس للتشاور في اختيار الإمام سواء أكان هذا الإمام خلفا لإمام مضى بالوفاة أو بالعزل ، أم كان لإقامة إمامة جديدة . وأعضاء هذا المجلس من علماء البلاد البارزين . وقيل إن عدد أعضاء هذا المجلس لا يقل عن ستة تأسيسا بعمل الفاروق رضوان الله عليه ، وقيل إنه يجوز أقل من ذلك العدد ، حتى قال البعض بالاكفاء باثنين من كبار أهل العلم والفضل^(١)، ويجوز أن يختار الستة الذين يشكلون مجلس الشورى واحدا منهم^(٢)، كما يجوز للإمام الحالي أن يرشح خلفه خاصة إذا خاف التفرق والتمزق من بعده ، ومع هذا فإن ترشيحه لابد أن يخضع لموافقة أهل الحل والعقد في البلاد^(٣) كما فعل الصديق رضى الله عنه في استخلاف عمر بن الخطاب رضى الله عنه^(٤)، وبعد أن يتم اختيار المرشح سواء أكان بإجماع أصوات مجلس الشورى ، أم بأغلبية أصواتهم تأتي مرحلة مبايعة الإمام ، علما أن الترشيح يخضع لاعتبارات أهمها معرفة أحوال البلاد . ففي حالة السلم والأمن يقدم الأعلام ، والأعراف بالعلوم الشرعية أما إذا كانت البلاد تشهد فترة اضطرابات ، فإن المرشح المفضل هو من يملك صفات القيادة العسكرية^(٥)، ويستطيع أن يحقق للبلاد ما تصبو إليه من أمن و أمان وعزة ومنعة .

والمرشح للإمامة تركيه أهليته وفقا للشروط التي أشير إليها ، دون النظر إلى انتمائه القبلي أو العقائدي ، وذلك لضمان وصول المرشح إلى السلطة من خلال مبدأ

(١) الكندي : المصنف : ج ١٠ ص ١٠٠ ؛ جهلان : مرجع سابق ص ١٨٨ ؛ د.غباشي : مرجع سابق ص ٧٢ ، ٧٣ .

John C. Wilkinson , The Imamate tradition , P.171.

(٢) الكندي : نفس المرجع السابق ؛ سالم بن حمود السيابي : الحقيقة والجواز في تاريخ الإباضية باليمن والحتجاز ص ٨٢ الناشر وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .

(٣) أطفيش : شرح كتاب النيل ج ١٤ ص ٢١٣ .

(٤) الطبري : تاريخه . ج ٤ ص ٧٨ ؛ الكندي : المصنف ج ١٠ ص ١٠١ .

(٥) د.غباشي : مرجع سابق ص ٧٣ .

الانتخاب الحر^(١)، وقد يحدث أن يتسلسل عدة أئمة من بيت واحد أو قبيلة واحدة فهذا مرده إلى توفر الشروط في الشخص المرشح مع الرضا التام و الإجماع على أهلية ذلك البيت أو تلك القبيلة ، ولكي لا يحدث انشقاق في صفوف المجتمع ، فإنه يُرجح الشخص الذي يُرى أن التسليم له سيتم بالإجماع^(٢)، لكن إذا خلا ذلك البيت أو تلك القبيلة من الشخص الذي تنطبق عليه مواصفات الإمامة فإن الانتماء لا يكون شافِعاً لأي أحد منهم أن يتقدم لنيل منصب الإمامة .

البيعة

بعد أن يتم الاتفاق على الإمام الجديد ، فإن البيعة تتم في محفل يضم العلماء ووجهاء البلاد وفضلاءهم ، وتبدأ المبايعة بأن يتقدم كبير العلماء فيمد له يده ويصافحه قائلاً له : " قد بايعتك على طاعة الله وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، فيقول الإمام نعم ، ثم يقبل الثاني ، والثالث إلى السبعة ، وكلما كانوا أكثر كان أفضل ، ثم يجعل الكُمة^(٣) على رأسه والخاتم في يده وتنصب الراية بجانبه ، ثم يتقدم الخطيب ويحمد الله ويثني عليه ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يذكر أمر الإمام بالعقد له والحث على بيعته وطاعته ، ثم يتقدم الناس إليه يبايعونه وبهذا تكون البيعة

(١) د. غباشي : نفس المرجع السابق و الصفحة .

(٢) مثال ذلك : تسلسل أئمة الإمامة الثانية في عمان من بني خروص ، فالرابط بينهم هنا القبيلة . ولكنها ليست هي التي حولتهم للارتقاء إلى هذه المكانة بل هي أهليتهم لها مع توافر الرضا لهذه القبيلة . وأيضاً تسلسل أئمة اليعاربة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين ، حيث كانت أهلية بعض أفراد هذا البيت هي التي حولتهم لأن ينالوا رضا المجتمع العماني خاصتهم وعامتهم . وقد تحقق على يد هؤلاء الأئمة إنجازات عظيمة ما تزال عمان تشهدها حتى اليوم ولكن من أعظم أعمالهم تطهير عمان والخليج من البرتغاليين انظر أبو بشير السالمي : نهضة الأعيان ص ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩-مكتبة التراث ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة بدون تاريخ .

(٣) الكُمة : القلنسوة المدورة لأنها تغطي الرأس وهي عند العمانيين عمامة تشبه القلنسوة . انظر : ابن منظور : لسان العرب ج ٥ ص ٤٣ .

قد صحت له^(١)، وهناك مراسم أخرى كالتكبير و التحميد ، و بعد أن تتم البيعة للإمام يصبح هو المسؤول الأول في الدولة ،وفق الصلاحيات التي يكفلها له الشرع^(٢).

مجلس أهل الحل والعقد

وهو أعلى مؤسسة في الدولة ،ويتكون من كبار العلماء الموجودين ورؤساء القبائل ، ويختار أكبر العلماء سنا وعلمًا ليكون على رأس هذا المجلس ، وليس هناك عدد محدد إلا أنه لا يقل عن ستة أفراد ، وليس شرطًا أن يمثلوا كل مقاطعات الدولة ، فالعلماء يكونون مرتضين من قبل أفراد الأمة لعلمهم وفضلهم^(٣).

ومن خلال هذا المجلس تتجسد مبادئ الشورى ويصبح الحكم من خلاله غير مستبد خاصة وأن أعضاء هذا المجلس هم صفوة أهل البلد العلماء المجتهدون من أهل الخير والصلاح ، و كبراء القوم الذين رجحت عقولهم وانصاعت لهم أقوامهم ، وهذا المجلس تكون له صلاحيات كبيرة منها كما تقدم اختيار الإمام ومراقبته في أعماله كما يقوم المجلس بالنظر في القرارات المصيرية التي يود الإمام إصدارها مثل إعلان الحرب أو الهدنة أو إعلان تدابير اقتصادية حسب ظروف البلاد ، وأيضًا النظر في الأشخاص الذين يرشحهم الإمام لتولي مناصب قيادية كالولاية و القضاة ورؤساء الشرطة وغيرهم^(٤).

كما يقوم المجلس بمراقبة أعمال هؤلاء بعد تعيينهم في مناصبهم ، وله الحق في أن يطالب الإمام بعزل أي واحد منهم إذا ما ظهر عدم صلاحيته لذلك المنصب

(١) الكندي : المصنف ج ١٠ ص ٩٢ ، John C. Wilkinson, The Imamate tradition, P.170,171.

(٢) الكندي : المصنف : ج ١٠ ص ٨٠ ؛ أبو الحسن : سيرته في السير والجوابات . ج ٢ ص ١٨٤ ؛

د . قرقرش : عمان والحركة الإباضية : ص ٢١٤ ؛ د. السهيل : الإباضية في الخليج ص ٧١ .

(٣) الكندي المصنف ج ١٠ ص ١٠٠ ؛ جهلان : الفكر السياسي عند الإباضية ص ١٨٨ .

(٤) الكندي : المصنف ج ١٠ ص ١٧٥ ؛ جهلان : الفكر السياسي عند الإباضية ص ٢١٧ .

كإخلاقه بواجباته المحددة له^(١). كما أن هذا المجلس هو الهيئة الوحيدة التي تستطيع عزل الإمام نفسه إذا ما حاد عن طريق الحق^(٢)، وبهذا تكون المشورة على الإمام فرضاً فإذا أخل به زالت إمامته وسقطت عن الرعية طاعته^(٣).

الوزير

أورد الثعالبي في أصل اشتقاق الوزارة أقوالاً^(٤) منها أنه مشتق من الوزر وهو الثقل ، لأن الوزير يحمل الثقل عن الملك الموزور له ومنه قوله تعالى : ﴿ ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم ﴾^(٥) ، وقيل إنه بمعنى الإعانة لأن الوزير يعين الملك على ما هو بصدده واستشهد بقوله تعالى : ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري ﴾^(٦) . وقيل هو فارسي معرب وأصله من الزرر ، وهو عندهم اسم للشدة فاستعير وعرب^(٧) . والأظهر أنه من المساعدة والإعانة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا أراد الله بعبد خيراً ، أو قال بالأمير خيراً ، جعل له وزير صدق إن ذكر أعانه وإن نسي ذكره ، وإذا أراد به غير ذلك ، جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه " ^(٨) . والوزير في الإمامة الإباضية هو مستشار الإمام ومساعدته وناصحه ، و يكون مقرباً من الإمام يتدارس معه كل ما يخص شؤون الرعية^(٩)

(١) أبو الحسن : سيرته من ضمن السير والجوابات ج ٢ ص ١٧٨ ؛ جهلان : نفس المرجع السابق ؛ د. غباش : مرجع سابق ص ٧٨ .

(٢) جهلان : نفس المرجع السابق والصفحة .

(٣) الكندي : المصنف ج ١ ص ٨٠ .

(٤) الثعالبي : تحفة الوزراء ص ٢٢، ٢١ .

(٥) سورة طه الآية ٨٧ .

(٦) سورة طه الآية ٣١، ٣٠، ٢٩ .

(٧) الجواليقي : المعرب ص ١٦٥ .

(٨) حديث صحيح أخرجه أبو داود ، والبيهقي ، و صححه ابن حبان ٤٤٩٤ ، كما أورده محمد أطفيش في كتابه جامع الشمل والفرع أيضاً برواية أبي داود والبيهقي ص ٢٩٧ .

(٩) جهلان : نفس المرجع السابق ص ٢١٩ .

وقد عرف هذا المنصب في الإمامة الإباضية في المغرب في الدولة الرستمية^(١) أكثر منه في المشرق في عمان ، إلا أن أئمة عمان كانوا يتخذون لهم أصفياء بمثابة الوزير أو المستشار ، وخير مثال على ذلك هو الإمام الجلندي بن مسعود وعلاقته بالعلامة هلال بن عطية الخراساني^(٢)، وقد أشار العالم الجليل منير بن النير في سيرته للإمام غسان بن عبد الله في معرض نصائحه للإمام : " فإن عرفت صوابه ، وثقت من نفسك ومن أتباعك ووزرائك بالاستقامة عليه فالتوبة خير لنا ولكم"^(٣). وهذا يفيد أن الأئمة كانوا يتخذون الوزراء لكي يساندوهم في حكم البلاد إلا أن منصب الوزارة لم يكن بالصورة المثلى التي يجب أن يتم عليها ، ولذا يقول الإمام ابن بركة من علماء القرن الرابع الهجري : " إن القائمين بعمان تركوا الوزارة ، وينبغي أن يكون للإمام وزراء مأمونون ثقات"^(٤).

الولاية

يجب أن تتوافر في الوالي شروط قرية من شروط الإمام . والذي يعين الولاية هو الإمام بعد تركيتهم من قبل أهل الحل والعقد^(٥)، كما أن لأهل الولاية رأيا معتبرا في قبول الوالي أو رفضه ، فإذا ما اعترض أهل الولاية - وكان هذا الاعتراض مبررا بمبررات وجيهة - فإن الإمام عليه أن يعدل عن تعيين الوالي الذي رشحه ويختار

(١) د. الحريري : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ص ٢٣٠ .

(٢) هلال بن عطية الخراساني من خراسان جاء إلى عمان واستقر بصحار مع الإمام الجلندي بن مسعود بعد انتهاء إمامة طالب الحق في اليمن ، وكان راسخ القدم في العلم بطلا شجاعا ، وقد شارك الإمام الجلندي في القضاء على الصفرية في غزوهم لعمان ، وفي موقعة جلفار التي قامت بين الإمام والقوات العباسية بقيادة خازم بن خزيمة قال للإمام أنت إمامي فكن أمامي ولك أن لا أعيش بعدك وقد أبر بقرله فقتل بعد الإمام . أنظر : الشماخي : السير ج ١ ص ١٠٢ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩٤ ؛ د. الراشدي : الإمام أبو عبيدة وفقهه : ص ٤٥ .

(٣) منير بن النير الجعلافي : سيرته من ضمن السير والجوابات ج ١ ص ٢٥١ .

(٤) ابن بركة : كتاب التقييد ص ١٦٥

(٥) الكندي : المصنف ج ١٣ ص ٦٤ - ٦٦ ؛ سيرة القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى من علماء

القرن الخامس توفي سنة ٥٠١ هـ من ضمن السير والجوابات ج ١ ص ٤٠٢ .

شخصية أخرى تكون مقبولة^(١)، وعندما يتم اختيار الوالي فان الإمام يزوده بعهد الولاية^(٢)، ومن العهود التي حفظها لنا التاريخ عهد الإمام الصلت بن مالك من أئمة القرن الثالث الهجري^(٣). والولاية في الإمامة نوعان : ولاية تفويض ؛ والوالي في هذه الحالة يكون لديه صلاحيات واسعة ، إلا أنه يشترط أن لا يعين الإمام والي تفويض ولو كان تقيا إلا أن يكون عالما متضلعا في العلم ، لأنه سيعهد إليه بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية . ويستطيع المفوض في حدوده أن يصدر الأوامر ، ويطلب الطاعة أما النوع الثاني من الولاية : فهي ولاية مشروطة ، و يكون الوالي عالما ، لكن أقل درجة من الوالي الأول ، وهذا تكون سلطاته محدودة ، وفي المسائل الأساسية عليه أن يرجع إلى الإمام^(٤).

وبما أن صحار هي العاصمة الأولى لعمان فقد أعطاها الأئمة أهمية خاصة بعد انتقال مركز الحكم عنها لما لها من إسهام أساسي في رقي عمان الحضاري في تلك الحقبة ولما تمثله من أهمية كبرى للبلاد ، فكانت لديهم هي الولاية الكبرى حيث كان الوالي الذي يعين عليها يعطى صلاحيات واسعة كتنفيذ الحدود والأحكام وتزويج النساء والمحاربة وإجراء الصفقات وإدخال من يرى إدخاله في الدولة وكان يطلق عليه الوالي الأكبر^(٥)،

(١) سيرة القاضي : السير والجوابات ج ١ ص ٤١٣ ؛ د. غباشي : نفس المرجع السابق ص ٧٩ .

(٢) سيرة القاضي : نفس المصدر : ص ٤٠٢ .

(٣) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ - ص ١٨١ . ونص العهد من ص ١٨١ إلى ص ١٩٠ ويشتمل على وصايا وأوامر في كيفية تعامل الوالي مع أهالي ولايته من إنصاف المظلوم إلى جباية الصدقات إلى كيفية معاملة أهل الذمة وإظهار الشدة مع أهل البدع لكي لا تنتشر بدعهم كالقدرية والخوارج والمرجئة ، وعهد الإمام يعتبر دستورا يسير عليه الوالي في ولايته ، وهو جزء من الدستور العام لأن الإمام لا يأمر بشيء ليس يطبقه

(٤) سيرة القاضي : مصدر سابق ص ٣٩٧؛ ٣٩٩ ؛ ويندل فيلبس : تاريخ عمان ص ١٧

(٥) الكدسي : الجامع المفيد من جوابات أبي سعيد : ج ١ ص ٩٤ ، الناشر وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ؛ الكندي : محمد بن إبراهيم بن سليمان : بيان الشرع : ج ٨ ص ٦٢ ، وزارة التراث القومي والثقافة ؛ الشقصي : منهج الطالبين وبلاغ الراغبين تحقيق سالم ابن حمد الحارثي ج ٨ ص ١٤٩ ، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان .

ويعين له مساعدين كوالي السوق^(١)، والمعدي^(٢).

وكثيرا ما كان يعهد الأئمة لوالي صحار بتولي قيادة الجيوش في حالة نشوب أي فتنة داخلية أو دحر أي عدو خارجي^(٣)، كما أن تنفيذ التهم بالقتل والحبس أو البراءة مرده للإمام ، أو والي صحار^(٤).

القضاء

الإسلام دين العدل ؛ فلذا كان للقضاء مكانة سامقة منذ أن بزغ فجر الإسلام . وقد نوه القرآن الكريم في كثير من آياته عن قيمة العدل بين الناس منها قوله تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى)^(٥)

ولأهمية القضاء فإن الأئمة تولوا القضاء بأنفسهم في مقر الإمامة ، إلا أنهم كانوا لا يستبدون بالحكم بل يتشاورون مع أهل العلم خاصة في القضايا الكبيرة. وقد وضع العلماء شروطا لمن يريد أن يوليه الإمام القضاء وهي^(٦):

١. أن يكون عالما بتأويل القرآن وتفسيره وناسخه و منسوخه وحدوده و متشابهه.
٢. أن يكون عالما بالسنة وآثار الأئمة العدول .
٣. أن يكون لديه الفطنة التي تؤهله أن يتولى الحكم بين الناس .
٤. أن يكون موثوقا في عدالته ونزاهته.

بالإضافة إلى الشروط الأخرى ، وهي الحرية ، والإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، وأن لا

(١) الكندي : بيان الشرع ج ٦٧ ص ٢٠٥ ؛ أبو المؤثر : الصلت بن خميس من علماء القرن الثالث

الهجري : الأحداث والصفات من ضمن كتاب السير والجوابات . تحقيق سيده إسماعيل كاشف

ج ١ ص ٣١ . وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .

(٢) المعدي : انظر تعريفه في الفصل الثالث من الباب الأول ص ٨٨ .

(٣) أبو المؤثر : مصدر سابق ج ١ ص ٥١ ؛ أبو الحوارى محمد بن الحوارى من علماء القرن الثالث

الهجري : سيرته إلى أهل حضرموت : السير والجوابات ج ١ ص ٣٤٦ .

(٤) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٥٢ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٨ .

(٦) الكندي : للمصنف ج ١٣ ص ٦٥، ٣٩ ؛ أبو إسحاق إبراهيم بن قيس : مختصر الخصال ص ١٩٥ ؛

الناشر وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ١٩٨٤ م

يكون أعمى ، أو ضعيفا لا يقوى أن يقوم بأمور المسلمين . ومجمل هذه الشروط قد اتفق عليها جمهور المسلمين^(١).

وعندما يريد الإمام أن يعين قاضيا فإنه لابد له من عرض الأمر أولاً على جماعة العلماء فإذا زكى الشخص من قبلهم فإن الإمام يقوم بتعيينه ، كما أن لأهل البلد عليهم رأيا في ذلك ، فإذا اعترضوا على هذا التعيين ، فإن من واجب الإمام أن يعيد النظر فيه ، فحق الاختيار مكفول مثل ما يحق لهم انتخاب الإمام نفسه^(٢)، ومن أشهر القضاة الذين عرفتهم صحار العلامة محمد بن محبوب بن الرحيل^(٣) الذي تولى أمر القضاء من عام ٢٤٩/٨٦٣م إلى أن توفي عام ٢٦٠هـ/٨٧٣م ، في عهد الإمام الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧ - ٢٧٥هـ/٨٥١ - ٨٨٨م)^(٤).

والقضاء له استقلاليته ونزاهته ، ومما يدل على ذلك موقف الإمام غسان بن عبد الله (١٩٢هـ - ٢٠٧هـ/٨٠٧م - ٨٢٢م) حينما حكم أحد قضاياه على أناس استحقوا القتل ، إلا أن القاضي حكم بخلاف ذلك ، فنفذ الإمام حكمه ، ثم إن القاضي ناظر العلماء في الحكم الذي أصدره ، فتبين له أنهم كانوا مستحقين للقتل ، فرجع للإمام عادلا عن حكمه الأول ، فلم يقبل الإمام منه ذلك إلا بشرط إعلان حكمه على الناس ، لأن الحكم الأول كان أيضا على مشهد من الناس ففعل القاضي ما أمره به الإمام ، و حينها نفذ الإمام الحكم ، وموقف الإمام كان مرده هو عدم التدخل في الأحكام ونفي كل شبهة توحى بذلك^(٥).

وكان الأئمة يترلون على حكم القضاء إذا ما طلب منهم أحد رعاياهم ذلك ، فيقف الإمام والمدعي أمام القاضي سواسية ، وقد يكون الحكم لصالح المدعي ، فينفذ

(١) المارودي: الأحكام السلطانية ص ١٠٧، ١٠٩ ؛ د. أحمد شلي: موسوعة الحضارة الإسلامية ج ٨

ص ٢٧١ ، ٢٧٣ الناشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٨٩م .

(٢) جهلان: مرجع سابق ص ٢٢٢ ؛ أمير سعيدي : عمان في عصر الإمامة الثانية ص ١٢١ .

(٣) سيرد المزيدي عن حياته ودوره العلمي في صحار في الحياة الدينية والعلمية في صحار .

(٤) الكندي: المصنف ج ١٣ ص ٣٩ ؛ السالمي: تحفة الأعيان ج ١ ص ١٦١، ١٦٤ .

(٥) السالمي: نفس المصدر السابق ج ١ ص ١٢٩ .

الإمام الحكم بطيب نفس^(١)، ولهم في سيرة الخلفاء الراشدين خير منهاج لهذه العدالة الحقة.

الحسبة

عرف ابن خلدون الحسبة بقوله: "هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين"^(٢). والنظر إلى نظام الحكم في عمان في تلك الحقبة يرى أن هذه الوظيفة كانت موجودة، إلا أنها لم تأخذ مسمى معيناً. ففي الإمامة الأولى أمر الإمام الجلندي بن مسعود بأوامر^(٣) تحفظ كيان المجتمع من الانحلال، والانحراف وراء الشهوات، وكل هذه الأوامر تحتاج إلى هيئة تقوم بمراقبة الالتزام بها وبغيرها من التعاليم الإسلامية، ومراقبة الأسواق ومراقبة الأسعار، وفرض الأسعار مخافة الاستغلال في حالة الضرورة^(٤). وفي عهد الإمام الصلت بن مالك في القرن الثالث الهجري عين على صحار والياً على السوق، وهو محمد بن فيض، كما أشارت المصادر إلى غيره وهو ابن أبي المقارش، وكان يشرف على الأسواق في صحار^(٥)، وكل هذه الأعمال تدخل في إطار أعمال الحسبة التي عرفت منذ عهد الفاروق رضي الله عنه^(٦)، فلذا وجدت هذه الوظيفة في عمان لمنع الفساد والأمر بالمعروف^(٧)، خاصة وأن صحار كانت مدينة تجارية، فتقتضي المعاملات التجارية والنشاط الاقتصادي والحركة اليومية للسكان وجود تنظيم يتولى الإشراف على هذا النشاط الإنساني في المدينة.

(١) د. غباش: المرجع السابق ص ٨١.

(٢) ابن خلدون: المقدمة: ص ٢٣٧.

(٣) منير بن النير: سيرته في السير والجوابات: ج ١ ص ٢٢٤.

(٤) الكندي: المصنف ج ١٢ ص ٣٧.

(٥) أبو المؤثر: الأحداث والصفات ضمن السير والجوابات ج ١ ص ٧٤، ٣١.

(٦) د. شلي: موسوعة الحضارة الإسلامية: ج ٣ السياسة في الفكر الإسلامي: ص ٢٣٥؛ جهلان:

مرجع سابق ص ٢٢٤؛ وقد كان الفاروق رضي الله عنه يتولى بنفسه هذه المهمة فيرى عنه أنه

ضرب بعض التجار الذين اجتمعوا حول الطعام في الطريق العام وقال لهم "لا تقطعوا علينا سبيلنا"،

وضرب مرة حملاً لأنه حمل جملة أكثر من طاقته. انظر د. شلي: نفس المرجع السابق والصفحة.

(٧) الكندي: المصنف ج ١٣ ص ٩٥، ٩٤.

الشرارة

شرحنا سابقا معنى الشرارة وذكرنا أن تكوينهم يهدف إلى إظهار الحق في دولة الظلم ، ولكن الملاحظ أن عمل الشرارة توسع واعتمد عليهم الأئمة في توطيد أركان الحكم ، والسهر على تطبيق أحكام الله من أمر بمعروف ونهي عن منكر وأصبح عملهم شبيها بأعمال الشرطة وأعمال المحتسب ؛ فلذا استطاع الأئمة تنظيم عمل الشرارة وتوسيع دائرة خدماتهم . وأول من نظم الشرارة هو الإمام الجلندي بن مسعود في صحار^(١) . وهؤلاء الشرارة جاءوا بأنفسهم منقادين بآعين أنفسهم الله عز وجل فلذا كانت نفقاتهم قليلة^(٢) ، ومن مهامهم :

- المحافظة على الدين والأخلاق تنفيذا لتعليمات السلطة فيبحثون عن العصاة ويقودونهم إلى الحاكم سواء كان الإمام أو الوالي لينفذ فيهم حكم الله
- مراقبة الأسواق وما يباع فيها ومن أدلة ذلك ما أورده صاحب كتاب المصنف في مسألة عن أبي عبد الله^(٣) قال : هل يغرم الشاري إذا كسر الجرار الخضر وغيرها من الخزف الصيني إذا وجد فيها شراب من الحرام ؟ قال: لا أرى بأسا في كسرها ولا غرم عليه^(٤) .
- إعانة المواطنين في قضاء مآربهم ومساعدة الفقراء في شؤونهم وهداية الضال وإغاثة الملهوف وقيادة الأعمى وإرشاد الغريب .
- الاعتناء بالنظافة العامة وحث الناس عليها .
- رعاية الحيوان وحمايته والرفق به ، فإن رأى أحدهم دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزل حملها وأمر صاحبها بالتخفيف عنها .

(١) منير بن النير الجعلائي : سيرته في مصدر سابق : ج ١ : ص ٢٤٢ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١

ص ٨٧ ؛ د. قرقيش : عمان والحركة الإباضية ص ٢١٥ .

(٢) جهلان : مرجع سابق ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٣) إذا أطلقت هذه الكنية مجردة ، فإنه يقصد بها في الأثر العماني العلامة الصحاري : محمد بن محبوب

ابن الرحيل .

(٤) الكندي : ج ١٢ ص ٧٤ .

– حماية الناس من الكوارث وكل ما يضرهم و مراقبة الأبنية ، فإن رأوا بنياناً يتداعى أخلوه من سكانه ، وأمروا أصحابه بهدمه ، وإن رأوا حريقاً أخذوه ، إلى غير ذلك من الأعمال .

ولم يتوقف عمل الشراة عند الأئمة فقط بل امتد عملهم إلى الولاية أيضاً ، ومن أدلة ذلك أن سليمان بن الحكم والي صحار خرج ومعه بعض الناس إلى بعض قرى ولايته وبينما هم قعود في الهواء الطلق ليلاً إذ جاء شباب وقعدوا قريباً منهم ثم قبضوا بالكريب^(١) ، فقام بعض الشراة لينكروا عليهم فقال لهم سليمان: اقعدوا ، فقعدوا ، إلى أن بدأ الشباب في الغناء وعندئذ قال لهم الوالي الآن قوموا إليهم^(٢) .

والشراة كانوا في مقدمة الجيوش خاصة وانهم يجاهدون بروح متشوقة للقاء الله عز وجل ، فهم قد باعوا دنياهم بما يرجونه من فضل الله في الدار الآخرة ، فهم الذين وصفهم أبو حمزة الشاري بقوله: "شباب والله مكتهلون في شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادته وأطلاح سهر ، ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلاهم على أجزاء القراءان الكريم .." إلى أن قال: "حتى إذا رأوا السهام قد فوقت والرماح قد شرعت والسيوف قد انتضيت وأرعدت الكتية بصواعق الموت وبرقت استخفوا بوعيد الكتية لوعد الله ، ولقوا شبا الأسنة وشائك السهام وظباء السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم ومضى الشاب قدما ، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت محاسن وجهه بالدماء"^(٣) . هؤلاء هم الشراة الذين نذروا أنفسهم في سبيل الله ، ورغم أن الشاري يقدم نفسه طواعية إلا أن العلماء حددوا شروطاً لمن يريد أن يلتحق بهم وهي^(٤):

(١) الكريب : هو الزمار وبعضهم يسميه الفيكون وقيل شعرا :

لا يستوي الصوتان حين تجاوبا .. صوت الكريب وصوت ذئب مقفر

انظر : ابن دريد : الاشتقاق : ص ٣٢٨ ؛ ابن منظور : لسان العرب مادة كرب : ج ٥ : ص ٣٨٧ .

(٢) الكندي : المصنف : ج ١٢ : ص ٦٣ .

(٣) الأصفهاني : الأغاني ج ٢٣ ص ٢٥٦-٢٥٧ ؛ ابن قتية : عيون الأخبار : ج ٢ : ص ٢٧٢

(٤) الشقصي : منهج الطالبين : ج ٨ ص ١٩٤ .

أولا :أن يستأذن والديه ولا يخرج إلا برضاهما .
ثانيا :أن لا يكون عليه تبعات أو حقوق تجاه الله ، أو عباده .
ثالثا :أن يدع لأهله زادا إلى حين رجوعه .
رابعا :أن تكون نفقته من حلال .
خامسا :أن يكون مطيعا لأمره ولو كان عبدا حبشيا ، وأن يكون لديه حب الإيثار بحيث لا يقدم على شئ يكون زميله في حاجة إليه .
سادسا :لا يدخل دار مسلم إلا بإذن أميره .
سابعا :أن لا يفر من الزحف ، فإنه من الكبائر ولا يغل من الغنيمة قليلا ولا كثيرا وأن يريد بجهاده إعزاز دين الله ، وإقامة العدل ونصر المؤمنين .
واستمر عمل الشراة في أيام الإمامات المتعاقبة على عمان ، فالأئمة كانوا يحرصون على الاهتمام بالشراة وأن تدفع لهم مستحقاتهم . وقد تقدم ذكر الإمام الجلندي بن مسعود وهو أول إمام في عمان في النصف الأول من القرن الثاني الهجري ، وكيف اهتم بالشراة ، و فرض لهم أعطياتهم واستمر الأمر على ذلك الحال ، وإذا كان الشراة يقومون بمهام الشرطة المتعارف عليها في البلاد الإسلامية آنذاك^(١)، فإنهم يتفوقون عليهم بأنهم يقفون في الصفوف الأولى إذا ما داهم البلاد عدوان خارجي أو داخلي ، فهم يبذلون أنفسهم رخيصة في سبيل المبدأ الذي باعوا أنفسهم من أجله لله عز وجل والفوز برضوانه سبحانه وتعالى ، ولهذا فإن لفظة الشراة أطلقها الإباضية عموما على أنفسهم وفيما بعد أخذت بعدا خاصا في الفقه السياسي الإباضي .
والشرطة في العهد العباسي توسعت صلاحياتها فشملت إقامة الحدود^(٢)، إلا أن الشراة لم يضطلعوا بهذه المهمة لأن إقامة الحدود لها قدسية لا يستطيع القيام بها إلا الإمام نفسه ، أو الوالي المفوض بعد ثبوت كفاية الأدلة الشرعية على الذي يقام عليه الحد^(٣). وقد حظرت على الشراة المتاجرة مثلهم مثل الأئمة والولاة والقضاة

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٤ ؛ د. شلي : موسوعة الحضارة الإسلامية ج ٣ "السياسة في الفكر الإسلامي" ص ٢٣٣ .

(٢) نفس المصدرين السابقين بصفتيهما .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٢٨ ص ٥٩ ؛ الكندي : المصنف ج ١٣ ص ١٢٤ .

وأصحاب المناصب العلية ، وذلك مخافة الاستغلال والقضاء على مصالح الناس ، وقيل إن الأئمة والولاة إذا أرادوا ابتياع شيء فلا يقومون بذلك بأنفسهم بل يرسلون غيرهم بشرط أن لا يصرح بذلك^(١). وكذلك يحظر عليهم جميعا قبول الهدايا ما داموا في وظائفهم ، وكل ذلك استمسك بالهدي النبوي الكريم وبعمل الراشدين من بعده^(٢). وهذا النظام لم يكن مقصورا على عمان ، بل عرفته الدولة الرستمية في المغرب العربي^(٣)، لأن منهج الإمامة واحد إلا أن المسميات قد تختلف حسب البيئة المكانية والزمانية . وصحار قد عرفت الشراة في عهد الأئمة ، أما في العهود التي تكون خارج نطاق حكمهم فيطبق فيها ما يطبق في مركز الخلافة خاصة في أواخر القرن الثالث والقرن الرابع الهجري عندما كانت تبعيتها للخلافة العباسية مباشرة .

الجيش

ساهمت صحار في انطلاق جيوش الفتح الإسلامي من عمان لفتح بعض بلاد فارس^(٤) والهند والسند^(٥). ورغم أهمية وجود جيش منظم يكون دائما مستعدا لأي طارئ ، فإن فقه الإمامة ينص على عدم حاجة الإمام إلى جيش دائم . والمقعدون لهذا الفقه قالوا بأنه إذا بويع الإمام وجبت طاعته فإذا ما دعت الحاجة إلى الحرب وجب على الجميع نصرته والمساعدة لتلبية أمره^(٦)، ومع أن بعض العلماء يرى عدم جواز إرغام الإمام لرعيته على الجهاد إلا أنهم قالوا بجواز ذلك في حالة دفع العدو عن

(١) الكندي : بيان الشرع ج ٢٨ ص ٢٠٤ ؛ الكندي : المصنف ج ١٣ ص ٩٩ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٨٥ .

(٢) الكندي : بيان الشرع : ص ١٩٥ ؛ الكندي : المصنف : ص ١٠١ .

(٣) يقول محمد على دهبوز في كتابه تاريخ المغرب الكبير : " إن الشرطة في الدولة الرستمية لا يتقاضون أجرا ، بل متطوعون ولذلك سمي النظام بالحسبة لاحتساب الأجر عند الله . انظر ج ٣ ص ٣٦١ من الكتاب الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٣ م .

(٤) العوتبي : الأنساب : ج ٢ : ص ٣٢٤ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٦٨ .

(٥) د. عبد الله جمال الدين : التاريخ والحضارة الإسلامية ص ١٧، ٢٩، ٣٠ .

(٦) الكندي : المصنف ج ١٠ ص ١٢٧ ؛ أبو المؤثر : مصدر سابق ج ١ ص ٧٤، ٧٣ .

أموالهم وحرمتهم^(١). والسبب وراء رفض تكوين جيش نظامي هو ألا تتحول الإمامة إلى نظام استبدادي يفرض فيه الإمام نفسه وأوامره بقوة السلاح^(٢). ورغم نبل الغاية من ذلك إلا أن الجيش النظامي له منافع كثيرة منها أنه أسرع بكثير في الحالات الطارئة للقيام بصدد العدوان بالإضافة إلى أن مهاراته القتالية لها إسهام كبير في ترجيح الغلبة ، وتحقيق النصر ، ومثال ذلك عندما هجم النجدات على عمان فقد كان هجومهم مفاجئاً فيما يبدو ، ولهذا استطاعوا أولاً تحقيق النصر وسيطروا على صحار ، ولما توحدت صفوف العمانيين ، وكروا عليهم كرة أخرى ، لم يستطع النجدات الصمود ، وحاولوا برا وبحرا المحافظة على مكاسب نصرهم ، فلم يستطيعوا . وقد كان هذا الأمر مختلفاً في حروب الحجاج على عمان ، فالعمانيون كانوا يعلمون أخبار حملاته من إخوانهم في البصرة ، ولهذا لم يستطع تحقيق النصر إلا بعد محاولات عديدة ولولا إمداداته المتتالية لجيشه الأخير لما استطاع ذلك^(٣).

و القوات التي كان الأئمة يعتمدون عليها تكمن في استنهاض قادة القبائل ليستنفروا أفراد قبائلهم عندما تدعو الحاجة لذلك ، وبموجب عقد بيعة الإمام فإن هؤلاء عليهم واجب تلبية ندائهم^(٤). ومع أن هذه القبائل كانت تسلح أفرادها وتضعهم دائماً موضع الاستعداد لمثل هذه الحالات فإن الأئمة لم يغفلوا جانب الاستعداد بالعدة ، ففي الإمامة الثانية في عهد الإمام المهنا بن جعفر (٢٢٦-٢٣٧هـ/٨٤٠-٨٥١) حسب ما يروى كان لديه ستة آلاف ناقة ، وخمسة آلاف فرس تركب عند أول صارخ^(٥)، وبلغ عدد العساكر الذين يمكنه استنفارهم في نزوى فقط عشرة آلاف مقاتل^(٦)، فلا غرو أن يجتمع تحت رايته أربعون ألفاً بين راكب وراجل

(١) الشقصي : منهج الطالبين ج ٨ ص ٨٥ ؛ أبو الحسن : مصدر سابق ج ٢ ص ٣٨٤ .

(٢) John C. Wilkinson, The Imamate tradition, P.183

(٣) سبق تفصيل ذلك في الباب الأول .

(٤) الكندي : المصنف ج ١٠ ص ١٢٦ .

(٥) السيابي : عمان عبر التاريخ ج ٢ ص ٩٧ .

(٦) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٤٨ .

كلهم حامل للسلاح في أحد الاستنفارات^(١) . هذا من جانب القوة البرية ، أما القوة البحرية فإن موقع عمان يفرض على أهلها أن يكونوا بارعين في ركوب البحر فمنذ آلاف السنين اشتهرت عمان بسفنها التي تتراد البحار شرقا وغربا ، وكانت صحار من أوائل المدن العمانية التي اشتهرت بصناعة السفن^(٢) . واهتم أئمة عمان بالناحية البحرية ؛ ففي عهد الإمام غسان بن عبد الله^(٣) تطورت البحرية العمانية وانتقل الإمام بنفسه إلى صحار سنة ٢٠١هـ / ٨١٦ م ومكث بها خمس سنوات ، ليتابع بناء هذه القوة التي استطاع بها القضاء على قراصنة البحر واتخذ لذلك الشذاة^(٤)، وقيل هو أول من اتخذها في عمان^(٥).

(١) ابن رزيق : الصحيفة القحطانية ج ٢ ص ٧٩٥.

(٢) انظر فصل الحياة الاقتصادية .

(٣) الإمام غسان بن عبد الله الهمدي الأزدي ببيع بالإمامة يوم الاثنين لست خلون من جمادى الأول سنة ١٩٢هـ / ٨٠٧ م وذلك قبل وفاة لخليفة هارون الرشيد بعام . يعتبر عهده في عمان عهد رخاء وأمن وطمأنينة . وقد ازدهرت البلاد في عهده اقتصاديا وفكريا وعم الخير كل أرجاء البلاد ، ومكث في الإمامة حتى توفي يوم الأحد لأربع خلون من شهر ذي القعدة سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢ م. انظر السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ : ص ١٢٠؛ ١٢٤ ؛ ابن رزيق : الشعاع الشائع ص ٣٥ .

(٤) شذاة أو شذاة والجمع شذا أو شذوات وهي نوع من السفن سريعة الحركة تستخدم في التصدي للغزو البحري ، ويذكر النخيلي أن أول ذكر لها فيما سجله المؤرخون سنة ٢٥٥ ، وهذا ربما تكون صحار هي أول من عرف هذا النوع من السفن في المدن الإسلامية آنذاك . السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢١ ؛ درويش النخيلي : السفن الإسلامية على حروف المعجم ص ٧٥؛ ٧٦ جامعة الإسكندرية ١٩٧٤ م .

(٥) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢١ . مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٦١ ، ابن رزيق : الشعاع الشائع ص ٣٦ .

وفي عهد الإمام المهنا بن جيفر^(١) تقدمت القوة البحرية العمانية تقدما كبيرا فبلغ تعداد القطع البحرية ثلاثمائة قطعة^(٢) ، وفي عهد الإمام الصلت بن مللك ازدادت وقيل إنه امتلك أكثر من ألف قطعة^(٣) ، وبما أن تمرکز هذه القوة البحرية عادة ما يكون في صحار فإنه يبدو أن عمال الخلافة العباسية الذين سيطروا على صحار والمناطق الساحلية من بعد الإمامة الثانية قد استفادوا من هذه القوة حيث أغرت هذه القوة يوسف بن وجيه سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م ، وأبناءه من بعده سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م باحتلال البصرة . ومما يدل على تواجد القوة البحرية في صحار أن الزنج حينما حاولوا الاستقلال بصحار بمساعدة القرامطة لم يمهلمهم البويهيون فاسترجعوا سلطانهم في صحار ، وأحرقوا من القوة البحرية العمانية التي كانت بأيدي الزنج حينذاك ، وقدرت بتسعة وثمانين مركبا^(٤) .

هذه هي قوة الجيش العماني في عهد الإمامة والذي كان لصحار مشاركة فاعلة في بنائه ، ورغم أنه لم يكن حكوميا ، إلا أنه اتخذ صفة شبه رسمية بحكم العلاقة الوطيدة بين الحاكم والمحكومين .

(١) المهنا بن جيفر اليعمدي الأزدي بويح بالإمامة يوم الجمعة لثلاث خلون من رجب سنة ٢٢٦هـ / ٨٤٠م ويعتبر من الأئمة العظام حيث استطاع في عهده القصير نسبيا أن يخطو بعمان خطوات وثابة نحو التقدم والرفي والازدهار في ذلك العهد فتمت في عهده القوة العسكرية ، وساد الأمن والرخاء ربوع عمان ، واستطاع بحزمه أن يقضي على كل الفتن التي حاولت أن تعصف بكيان الإمامة إلا أن الأجل لم يمهله فقد توفي يوم الجمعة في السادس عشر من ربيع الآخر سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١م وهذا تكون إمامته إحدى عشرة سنة تقريبا . انظر السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٤٨ ، ١٥٠ ؛ السيابي : عمان عبر التاريخ ج ٢ ص ٨١ ، ١٠٠ ، ابن رزيق : الشعاع الشائع ص ٤٣ ، ٤٧

(٢) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٤٨ ؛ السيابي : عمان عبر التاريخ ج ٢ ص ٩٧ .

(٣) البوسعيدي : عمان في عصر الإمامة الإباضية الثانية ص ٢٠٣ .

(٤) انظر تفاصيل ذلك في الفصل الثالث من الباب الأول ص ١١٩ .

ورغم قلة عدد هذا الجيش فانه كان الدرع الواقى والسياج المتين للإمامة وللأمة في سلمها وحربها . ومع تغير أحوال الدولة أصبح الجيش النظامي في الدولة الحديثة ضرورة حتمية ، ولهذا فإن علماء الإباضية حرصوا على مواكبة احتياجات العصر وضروراته وقالوا بوجوب وجود مثل هذا الجيش^(٤) لكي تنعم البلاد بالأمن والأمان في ظل عقيدة إسلامية راسخة .

(١) أطفيش : شرح النيل ج ١٤ ص ٢٨٤ ؛ جهلان : مرجع سابق ص ٢٢٩ .

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية في صحار أولا : أجناس المجتمع الصحاري

من أخص سمات المدن ذات الثراء المادي والفكري تعدد الأجناس وطبقات المجتمع من حكام وأعوافهم ، وتجار وأصحاب مهن مختلفة . وكان الجنس الغالب في صحار هم العرب أصحاب الأرض . ولكون صحار هي العاصمة السياسية ثم العاصمة التجارية والثقافية ، فإن معظم القبائل العمانية كان لها وجود في صحار ، إلا أن الكثافة كانت للقبائل التي تنتمي لأبناء مالك بن فهم الأزدي ، وهم : بنو هناة : وقد تولى بعض رجالهم صحار^(١).

بنو سليمة : ووجودهم في صحار وما جاورها ، واشتهر العديد من رجالهم في صحار كأبي حمزة المختار بن عوف ، وسليمان بن عبد الملك وكان من زعماء هذه القبيلة في صحار في القرن الثالث الهجري^(٢) .

بنو فراهيد : واشتهر العديد من رجالهم في صحار ، ومنهم الإمام الربيع بن حبيب وهو الإمام الثالث للمذهب الإباضي ، والعالم اللغوي ابن دريد ، والقائد بلج بن عقبة. وتنتشر هذه القبيلة في معظم أرجاء ساحل الباطنة في تلك الفترة التي يتناولها البحث^(٣).

بنو اليحمد : ومن هذه القبيلة تولى العديد منصب الإمامة في عمان منذ بدايات الإمامة الثانية سنة ١٧٧ هـ ، ومن أشهر رجالها الإمام جابر بن زيد الإمام الأول للمذهب الإباضي^(٤).

بنو شمس : وهو شمس بن عمرو بن غنم ، ينتهي نسبه إلى مالك بن نصر بن الأزدي ، وكان من سلالة بنو معولة الذين تولوا ملك عمان في الجاهلية والإسلام .

(١) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٢ ؛ ابن رزيق : الفتح المبين ص ١٩٤ .

(٢) العوتبي : نفس المصدر ص ٢١٨ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٦٦ .

(٣) العوتبي : نفس المصدر ص ٢٢٨، ٢٢٩ ؛ الجهمضي : حياة عمان الفكرية ص ٣٠ .

(٤) العوتبي : نفس المصدر ص ٢٤٣ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ص ٥٠٦، ٥٠٧ ؛ الدرجيني : الطبقات

ج ٢ ص ٢٠٥ .

وهم آل الجلندی ، وكانت صحار هي عاصمة ملكهم^(١).
بنو الحدان : والحدان أخ معولة بن شمس ، وقد عرفنا من مشاهيرهم في صحار
مسلية بن هزان الحداني الذي شرف بلقاء النبي ﷺ مع وفد من بني قومه^(٢).
بنو ثماله : ومنهم عبد الله بن علس الثمالي وكان رئيس وفد قومه في لقاء الرسول
ﷺ بعد فتح مكة^(٣).

العتيك : وتنتشر هذه القبيلة في ساحل الباطنة في صحار وما جاورها حتى دبا ،
واشتهر العديد من رجالهم ، ومن أشهرهم أبو صفرة وابنه المهلب وبنوه ، وقد تولى
بعضهم عمان وكانت صحار هي مستقرهم^(٤).

بنو طاحية : من أشهر رجالهم في صدر الإسلام كعب بن برشة الطاحي ، وأسد بن
يرح الطاحي ، وقد شرفا بنيل صحبة المصطفى ﷺ^(٥). وهناك العديد من القبائل
العمانية الأخرى التي كان لها وجود في صحار .

وقد شارك العرب السكني في صحار العديد من الأجناس ومنهم الفرس ،
وكان وجودهم قبل دخول الإسلام إلى صحار ، إلا أن عددا منهم قد بقي أو قدم
فيما بعد ، وكان منهم تجار كبار ، ومنهم من كان يدين بالمجوسية^(٦)، وكانت اللغة
الفارسية متداولة بشكل ملحوظ في صحار^(٧). ومن الأجناس الأخرى الهنود

-
- (١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٤ ؛ العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٤٦ .
(٢) الكلبي : جمهرة النسب ص ٢٤٠ ؛ العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٤٥ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ١
ص ٢٦٥ .
(٣) ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٦٥ ؛ النويري : نهاية الإرب ج ١٨ ص ١١٦ .
(٤) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١١٨ ، ١٢١ ؛ أحمد السيائي : العوتبي نسابه . بحث من كتاب قراءات في
فكر العوتبي الصحاري ص ٧٨ .
(٥) ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٦٤ ؛ العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٥٩ ؛ ابن رزيق : الصحيفة
القحطانية ص ٢٦٩ .
(٦) البكري : المسالك والممالك ج ١ ص ٣٦٩ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٤١٣ .
(٧) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٩١ .

والعديد منهم دخل الإسلام^(١)، واستعان بهم الولاة حتى في أثناء الحروب^(٢). ومن الأجناس التي وجدت في صحار الزنج وذلك للعلاقة القوية التي ربطت عمان بشرق أفريقيا^(٣)، وقد تبوأ هؤلاء مكانة في المجتمع الصحاري حتى صارت لهم قوة مؤثرة في الحياة السياسية في صحار^(٤)، فلذا طلب منهم ألا يتشبهوا بالمسلمين في زيهم، وطلب من المسلمين أيضا أن لا يتشبهوا بغير المسلمين^(٥).

هذه هي أهم الأجناس التي كانت صحار تحتضنها لكونها مدينة ذات ثراء، فسعى إليها أجناس من بلاد مختلفة خاصة تلك البلاد التي كان الصحاريون يرتبطون بها بعلاقات تجارية كفارس والهند وشرق أفريقيا والصين، وغيرها من البلاد. فاستفاد هؤلاء الوافدون من صحار وأفادوا، وهذه التعددية العرقية التي شكلت المجتمع الصحاري أيقظت فيه روح المنافسة والعمل الدؤوب، وسنلقي الضوء فيما يلي على أهم طبقات هذا المجتمع.

ثانيا : طبقات المجتمع الصحاري طبقة الحكام والولاة :

دخل الإسلام عمان وكانت من الدول ذات الكيان السياسي الملكي المتوارث في صحار، ومن الأحداث التاريخية نلمح أن حياة ملوكها-وهم من آل الجلندي^(٦)- تتصف بالأبهة والعظمة مثلهم في ذلك مثل سائر الملوك خاصة وأن الفرس كانوا متغلغلين في الحياة الصحارية في فترة ما قبل الإسلام، وتربطهم بآل الجلندي المصالح المادية المشتركة من خلال التجارة^(٧). ونتيجة لهذه العلاقة القوية فإن تأثير حياة ملوك

(١) العوتبي : الضياء ج ٥ ص ٣٤٨ .

(٢) أبو الحواري : سيرته في السير والجوابات ج ١ ص ٣٤٥ ؛ الكندي : كتاب الاهتداء ص ١٩٢ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٠٧ .

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٥٦٧ ؛ مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٤١٦ .

(٥) منير بن النير : سيرته في السير والجوابات ج ١ ص ٢٤٤ .

(٦) ابن الكلبي : نسب معد واليمن الكبير ج ٢ ص ٢٢٥ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٤ ؛

العوتبي : الضياء ج ٢ ص ٢٤٦ .

(٧) ابن حبيب : المحرر ص ٢٦٥ ؛ المرزوقي : الأزمنة والأمكنة ص ٣٨٢ .

الفرس بدا واضحاً في حياة ملوك عمان من آل الجلندی في صحار ، ويتمثل ذلك في الأبهة الملكية من اتخاذ القصور والحرس ، وعدم الدخول إلا بإذن مسبق ، والوقوف بين يدي الملك وهو جالس على سرير ملكه ، وما يتبع ذلك من مراسم أخرى . ومن دلائل ذلك أنه لما قدم عمرو بن العاص إلى صحار التقى أولاً بعبد بن الجلندی الذي هياً له الدخول على أخيه الملك جيفر ، فيقول عمرو في ذلك: " فمكنت ببابه أياماً ، ثم دعاني يوماً فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي ، فقال : دعوه ، فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس ، فنظرت إليه . فقال : تكلم بحاجتك" (١) ..

والملاحظ أن ملوك عمان كانوا في ذلك العهد لم يتشربوا بعد روح الإسلام . وفي ظل الإسلام كانت حياتهم تنسجم وفق تعاليمه ومبادئه ، خاصة وأنهم دخلوا في الإسلام طواعية ، وتنازلوا عن بعض صلاحياتهم للولاة الذين تم تعيينهم من قبل المصطفى ﷺ وخلفائه الراشدين. (٢)

الأئمة :

عاشت صحار أكثر من قرن من الزمان في ظل الإمامة الأولى والثانية في عمان . وكانت حياة هؤلاء الأئمة تتسم بالبساطة والزهد في زخارف الحياة متأسين في ذلك بسيرة المصطفى ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده ، ويقول عنهم العلامة منير بن النير: " ليس الدنيا من ذكرهم ، ولا جمع المال من شأنهم ، ولا الشهوات من حاجاتهم " (٣) . وعندما يتم تنصيب الإمام تجعل على رأسه الكُمَّة ، وهي عمامة بيضاء خاصة ويوضع الخاتم في يده ، وينصب العلم الأبيض بحذائه (٤) ، ثم ينتقل الإمام إلى منزل

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٦٢ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ٣٥٤ ؛ الحلبي

: السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣٠٢ .

(٢) انظر في ذلك : الفصل الأول من الباب الأول : صحار في العهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٣٢ .

(٣) منير بن النير : سيرته في السير والجوابات ج ١ ص ٢٤٢ .

(٤) الكندي : المصنف ج ١٠ ص ٩٣ .

الإمامة للسكن فيه ، بالإضافة إلى كونه المقر الإداري للإمامة الذي يزاول منه الإمام أعماله ويعقد فيه المجالس العامة ، فيستقبل الناس ويتولى معالجة أمورهم . وكثيرا ما كانت هذه المجالس عامرة بأهل العلم والفضل الذين يستشيرهم الإمام في كل ما يستجد من أحداث وقضايا (١).

وحياة الإمام خالية من كل ألوان البهرجة وموكبه يمتاز بجلال التقوى والورع ، وكل فرد من أفراد رعيته يمكنه المثول بين يديه ، وهو يقدم روحه فداء لأي فرد منهم إذا ما رأى أن حياتهم يهددها الخطر (٢) . وكان لهذا السلوك القويم الذي طبقه الأئمة في حياتهم انعكاسه على مظاهر الحياة الاجتماعية من تقيد بمبادئ الدين ، وعدم الغلو في المظاهر الاجتماعية .

ومن حرص الأئمة على أن يوثق العدل ثماره كانوا يتفقدون كل شئ ، وحدث أن كان الإمام غسان بن عبد الله - رحمه الله - يتفقد المياه ومجاريها فرأى الطحالب في الماء على غير العادة فخاف أن يكون حدث شئ في البلد يستوجب عقوبة الله عز وجل ، فأخذ يتحسس ويسأل حتى بان له أن بعض وزرائه وأرباب دولته لا يليقون بمستوى المسؤولية ، فقال في نفسه : الغير من ها هنا ، فاستبدل بهم غيرهم (٣).

وهكذا كانت رقابة الضمير ومحاسبة النفس والخوف من مسؤولية الحساب والحرص على أداء الأمانة وإرساء العدل . كما كانت حياة هؤلاء الأئمة خالية من ألفاظ التفخيم والتعظيم فيخاطبون بلقب منصبهم ، فهذا علامة صحار أبو عبد الله

(١) أبو الحسن : سيرته من ضمن السير والجوابات ج ٢ ص ١٨٤ ؛ الكندي : المصنف ص ٨٠ .

(٢) من أمثلة ذلك ما قام به الإمام الوارث بن كعب الخروصي (١٧٩-١٩٢هـ/٧٩٦-٨٠٧م) حين هب بنفسه لإنقاذ المساجين من الغرق وكانوا قد سجنوا بالقرب من أحد الأودية ، وكانت السيول غزيرة ، فرفض أن يذهب أحد غيره لإطلاقهم وقال : " أنا أمضي إذ هم أمانتي وأنا المسؤول عنهم يوم القيامة " ففاجأته المياه وتوفي غرقا . انظر : السلمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١١٨ .

(٣) السلمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢٤ .

محمد بن محبوب بن الرحيل يكتب جواباً للإمام الصلت بن مالك يقول فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم إلى الإمام الصلت بن مالك أما بعد " إلى أن يقول : " وصل كتابك إليّ . أحبك في الله والذي أحب من معرفة سلامتك وحسن حالك " . كما أن العلامة هاشم بن غيلان يكتب للإمام عبد الله بن حميد في أمر المرجئة والقدرية في صحار فيخطبه قائلاً : أما بعد أيها الإمام ^(١) ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وهم في ذلك يتأسون برسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم .

الولاية :

عرفت صحار ثلاثة أصناف من الولاية وهم :

ولاية النبي ﷺ والخلافة الراشدة :

وكان دورهم دور الموجه والمرشد ، فقاموا بالتعليم وجباية الصدقات ، بالإضافة إلى ما أنيط بهم من قيادة الجيوش المنطلقة من عمان لنشر الإسلام . وقد كان دورهم في الحياة الاجتماعية هو إرساء تعاليم الدين الحنيف وتطبيق أحكامه ^(٢) ، إلا أنهم لم يكونوا جهة تنفيذية ، فملوك آل الجلندی هم الجهة المنفذة ، ويبدو أن العلاقة بين الطرفين كانت على خير ما يرام ، حيث لا تروي مصادرها أي خلاف قد حدث بين السلطتين ، ولا شك أن هؤلاء الولاية كانوا هم القدوة الصالحة في المجتمع باعتبارهم مختارين من قبل هادي البشرية النبي ﷺ وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم من بعده .

ولاية الأئمة : سبق أن ذكرنا أن الأئمة اعتبروا صحار من أهم ولايات دولتهم ، وحياة هؤلاء الولاية شبيهة جداً بحياة الأئمة ، وكان الأئمة حريصين على اختيار ولائهم من ذوي العلم والورع والتقوى لأنهم يمثلونهم في حكم الولاية

(١) هاشم بن غيلان : سيرته من ضمن السير والجوابات ج ٢ ص ٣٦ .

(٢) سبق ذكر هؤلاء الولاية في فصل صحار في العهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٣٢ وما بعدها .

وكانوا -مع دقة الاختيار- يزودونهم بالتوجيهات اللازمة ، ومن ذلك عهد الإمام الصلت بن مالك لأحد ولاته حيث يقول فيه : " قد ائتمنتك على أمانتي ووثقت بك على حمايتي بالقيام بالقسط في رعيتي ، والمساعدة لي على ما أنا قائم لسبيله من أمر ربي ، وكن كما رجوت فيك وعند ظني بك " (١).

فلذا عرفت صحار ولاية علماء ، وهذا شرط أساسي في اختيار الشخصية المناسبة لتتولى هذا المنصب وخاصة ولاية صحار . وقد قام هؤلاء الولاية بدور فاعل في إرساء النظام والتطبيق الفعلي لما أمر به الإسلام ونهى عنه (٢).

وكانت صلاحيات والي صحار واسعة ، ولذلك كان عليه أمانة استقرار المجتمع وحمايته من الفساد ، خاصة وأن المجتمع الصحاري ملئ بالأفكار الرافدة لكثرة الأعراق ؛ فلا بد للوالي أن يحسن التعامل مع البيئة التي يعيش فيها ، وأن يكون حكيما في تصرفه . فمن مهماته إطفاء البدع وإيضاح الشرع ، وإنكار اللهو والمعازف والاجتماع على شرب الخمر وإظهار بيعها ، وصرف الأذى كله عن الطرق والمنازل والمجتمع بصفة عامة (٣) . إلا أنهم كانوا يراعون عادات الوافدين على صحار إذا كان ذلك لا يتناقى مع تعاليم الدين الحنيف ، ومن ذلك لعب الزنج وأهل الهند ، وكانوا بصحار لا يمنعون من ذلك مع وجود الأئمة أنفسهم وولائهم ، ويقول صاحب المصنف: " وذلك على عهد موسى بن علي ، وسليمان بن الحكم والوضاح بن عقبة وغيرهم ، وكانوا يفعلون ذلك في عسكر الإمام المهنا بن جيفر " (٤).

وكانت حال الولاية المعيشية شبيهة بحياة الأئمة ، حيث كانوا يتقاضون من مال المسلمين راتباً يسد حاجاتهم

(١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) الكندي : بيان الشرع ج ٢٨ ص ٤٠ .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٢٨ ص ٦٣ .

(٤) الكندي : المصنف ج ١٢ ص ٦٦ ؛ وهؤلاء كانوا علماء يتولون مناصب عليا في صحار في عهد الإمام

المهنا بن جيفر ؛ فأولهم كان قاضيا والثاني واليا والآخر معديا .

وكان لهم خدم تصرف رواتبهم أيضا من بيت المال^(١)، ومع أنهم كانوا من أهل العلم والصلاح فإنهم كانوا يخضعون لرقابة شديدة من قبل الأئمة والعلماء^(٢)، ولهذا صاروا قدوة للمجتمع في سلوكهم ومعاشهم يشاركون الناس في أفراحهم وأتراحهم؛ حالهم كحال من ولاهم، ينصفون الضعيف من القوي، والفقر من الغني، والعبد من المولى^(٣)، وبهذا عاش المجتمع الصحاري في أمان وطمأنينة، فازدهرت الحياة وأصبح الناس في رخاء وسعة من العيش.

ولاية الدولة الأموية :

خضعت صحار للدولة الأموية مباشرة كما تقدم ذكره في سنة ٨٣هـ / ٧٠٢م، وكان أول وال عليها من قبل الحجاج هو الخيار بن سيرة المجاشعي. إلا إن ولاية الدولة الأموية لم تطل مدة إقامتهم بعمان، فكانوا سرعان ما يتغيرون بتغير الخليفة الأموي. وبهذا لم يكن استقرار هؤلاء الولاة استقرارا طويلا، فكان أثرهم على الحياة الاجتماعية ضئيلا، بالإضافة إلى أن العمانيين أنفسهم كانوا لا يمالئوهم، فمن أساء السيرة طالبوا الخليفة بتغييره^(٤).

ولاية الدولة العباسية :

منذ استطاع العباسيون السيطرة على عمان في سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٢م تحولت صحار إلى مركز لهؤلاء الولاة، وكانت صحار في أوج ازدهارها فجنى هؤلاء ثمرة الرخاء الاقتصادي كما أن الترف بدأ ينخر في جسم الخلافة العباسية

(١) الكندي : بيان الشرع ج ٢٨ ص ٦٣ .

(٢) الكندي : نفس المصدر ج ٢٨ ص ٨٤ .

(٣) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٨٤ .

(٤) انظر في ذلك صحار في عهد الدولة الأموية من الباب الأول ص ٥٦ .

فلذا وجد هؤلاء الولاة أنفسهم في وضع يسمح لهم بأن يكونوا لأنفسهم استقلالاً ذاتياً .

ومنذ بداية القرن الرابع ضرب أحمد بن هلال النقود باسمه واسم الخليفة ، وجنى أحمد بن هلال الكثير من خيرات صحار ، ولمعرفة مدى ثراء صحار في تلك الفترة فإننا ننظر إلى الضرائب التي كان يدفعها التجار حيث دفع أحدهم حسب رواية صاحب كتاب عجائب الهند ستمائة ألف دينار^(١) ، كما أخذ أحمد بن هلال من تاجر آخر أمتعة قيمتها خمسمائة ألف دينار^(٢) . وقد يكون في ذلك مبالغة إلا أن ذلك يعطي دلالة واضحة على مدى استفادة هؤلاء الولاة من النشاط التجاري الذي كانت تزخر به صحار . و من أدلة ذلك ما تناقله المؤرخون عن طرافة تلك الهدايا التي كان أحمد ابن هلال يرسلها للخليفة المقتدر ، وهي أجود السلع وأندرها التي كان التجار يجلبونها من شرق أفريقيا والهند والصين ، ومن ضمن تلك الهدايا الكافور والعود وبيغاء^(٣) .

كما أن أسرة آل وجيه التي آل إليها زمام الحكم في صحار بعد أحمد بن هلال عملت بالتجارة ؛ فيوسف بن وجيه الذي تقلد السلطة في عمان في الفترة (٣١٧٠-٣٣٢هـ/٩٤٣-٩٢٩م)^(٤) كان يتاجر في المجوهرات ، وله وكلاء خارج عمان يمدونه بأنفس ما لديهم^(٥) حتى صرح بنفسه قائلاً : " والجوهر إلينا يصل أولاً ثم يتفرق من عندنا إلى البلاد "^(٦) ، وسيطر البويهيون على صحار وتمكنوا في بعض الفترات من أن يمدوا نفوذهم على كامل تراب عمان ، وكانت صحار تمد خزائنها بأنفس الذخائر سلماً وحرباً ، فعندما تغلبوا على الزنج في

(١) برك : ص ١٣٠ .

(٢) برك : عجائب الهند ص ١١١ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٦ ص ١٢١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٠ ؛ المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١١٧ ؛ برك : عجائب الهند ص ١٠٩ - ١١١ .

(٤) انظر الفصل الثالث من الباب الأول ص ١٠٩ .

(٥) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٦٤ .

(٦) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٥ .

منتصف القرن الرابع الهجري كتب لهم أحد كتابهم في فتح عمان ، فقال: "ووصل
أمس غنائم تلك الناحية ، وفيها فيل صغير بقدر الفرس ما عهد ألطف ولا أظرف
منه، وفي الغنائم كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين"^(١). وهذا دليل آخر على ما
كانت تنعم به صحار من ازدهار مادي . وعندما ولي بنو مكرم عمان في العقد
الأخير من القرن الرابع نعموا أيضا بذلك الثراء على رغم ما حل بصحار من ويلات
الحروب، ومن دلائل ذلك ما يروى من أن صاحب عمان الملقب بناصر الدين أبي
القاسم علي بن حسن بن مكرم أهدي الكعبة محاريب زنة المحراب أزيد من قطار
فضة ، وقناديل فضية في نهاية الإحكام ، وسمرت في جوف الكعبة مما يقابل بابها^(٢).

فهذا الثراء المادي الذي انسال إلى خزائن هؤلاء الولاة كان له أثر ملحوظ في
نمط حياتهم في قصورهم ، فاتخذوا الغلمان والجواري . وينقل التنوخي خبر إحدى
موائد يوسف بن وجيه التي أقامها في سيرا ف وهو في طريقه للاستيلاء على البصرة
سنة ٣٣١هـ حيث صنع وليمة لضمان سيرا ف ابن مكتوم الشيرازي^(٣)، ومما ينقله
التنوخي عن ابن مكتوم قوله: " وخرج يوسف ، وجلسنا معه ، وأحضرت مائدة
فضة بزرافين فجلسنا عليها ، ونقل علينا من الطعام ما لم أر مثله حسنا في أوان كلها
صيني . قال : وتأملت ، فإذا خلف كل واحد منا غلام صغير مليح قائم بمشارب من
ذهب وكوز بلور فيه ماء "^(٤).

(١) الثعالي : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٧٧ .

(٢) البكري : المسالك والممالك ج ٣ ص ٣٧٠ ؛ الحميري : الروض العطار ص ٤١٣ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة ما عدا الإشارة التي ذكرها صاحب نشوار المحاضرة .

(٤) التنوخي: نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٢ . والزرافين : واحدها زرفين : فارسية وتعني الحلقة . انظر عبود

الشابي : هامش نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٢ ، والصواني الكبيرة التي فيها مثل هذه الحلقة ما تزال
موجودة ، ومستخدمة في عمان حتى يومنا هذا للموائد والذي يميز المشار إليها أعلاه أنها مصنوعة من
الفضة حسب ما ورد ، أما الأخرى التي أشرت إليها ، فإنها تصنع إما من النحاس أو من معدن رخيص
آخر .

وكان يتغير الغلمان الأصاغر في كل مرحلة من مراحل تلك الوليمة ، فيأتي آخرون بعدد الضيوف . فكثرة هؤلاء الغلمان وأنواع الأطعمة والأشربة من أنبذة العنب وغيرها ، مع تلك الأدوات المستخدمة من البلور والفضة والذهب ، وفرش الحرير والديباج ، وأنواع العطور المختلفة^(١) ترمز إلى حقيقة تلك الحياة المترفة التي كان يحياها أولئك الولاة في حلهم وترحالهم رغم ما في القصة من مبالغة وتحويل.

وكانت قصورهم مليئة بالعديد من أنواع اللآلي والجواهر النادرة . وأشار البكري إلى أن لؤلؤتين سرقتا من قصر صاحب عمان ، فاشترهما رجل سمرقندي في مكة بعشرة آلاف دينار ، فبعث صاحب عمان في طلبهما ، فوصل الرسول بعد فوات الأوان ثم أهديت هاتان اللؤلؤتان لصاحب سمرقند فكافأ من أهدها بخمسة وعشرين ألف دينار^(٢).

وهكذا عاش هؤلاء الولاة حياة بذخ وترف حتى أن يوسف بن وجيه كان يتباهي بما يملك من الجواهر الثمينة ، والمصوغات الذهبية المرصعة بأنفس اللآلي والجواهر ، وقد انعكس ذلك على الحياة في صحار ، فالتجار وأصحاب الأموال يسعون إلى التشبه هؤلاء الولاة ، وقد وفد على بلاط بني مكرم الشعراء ، فأسهبوا في مدحهم^(٣). ومن الشعراء الذين نالوا حظوة كبيرة عند بني مكرم أبزون الملقب بالكافي العماني^(٤).

وبهذه الإطلالة على بعض الجوانب في حياة ولاة الدولة العباسية في صحار يتبين مدى الفرق بين حياة هؤلاء وحياة الأئمة في عمان وولاتهم في صحار؛ بين التطبيق الدقيق والفعلي لحكم الإسلام وأوامره ونواهيه عند الأئمة وولاتهم ، وبين التجاوزات الخطيرة والصريحة لشرع الله عند الآخرين .

(١) التنوخي : نشرار المحاضرة ص ٢٥٢ - ٢٥٤ .

(٢) البكري : المسالك والممالك ج ١ ص ٣٦٩ .

(٣) حميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ٢٢ .

(٤) سترد ترجمة حياة هذا الشاعر ونماذج من شعره في مبحث أدباء صحار في الفصل الثالث من هذا الباب .

على أننا يجب أن نلاحظ أن لولاة الدولة العباسية جوانب إيجابية ؛ فقد عملوا على ترقية البلد اقتصاديا بتشجيعهم التجارة وسكهم النقود ، كما أسهموا في البناء المعماري الذي تحدث عنه الجغرافيون من بناء المنازل ذات الطوابق المتعددة والجوامع وغيرها من وسائل الرقي المادي الذي ذهب وبقيت شذرات من ذكره في المصادر^(١).

العلماء :

كان دور العلماء في المجتمع الصحاري دورا رائدا خاصة في ظل حكم الإمامة في عمان وقد كانوا رقباء هذا النمط من الحكم الإسلامي .

وقد تعددت مسؤولياتهم نحو المجتمع ؛ فهم الموجهون لسير الحياة فيه على النحو الذي رسمه الدين الحنيف ، وكانوا يأمررون الحاكم بتتبع أحوال المجتمع والتشديد على الالتزام بالسلوك الإسلامي . ومما ورد في ذلك أنهم كانوا يطالبون الحاكم أن يأخذ على يد أهل السفه والجهل والخيلاء في مشيتهم الذين يرخون الأزر على أقدامهم ويطيلون شواربهم ، ويقصون لحاهم ، والذين يتشبهون من الرجال بالنساء ، ومن النساء بالرجال ، و السفهاء الذين يحملون السلاح في المدن ، وكانوا يطالبون كذلك بمراقبة الأسواق ، وأمر أهل الذمة أن لا يتزوا بزوي المسلمين^(٢)، والتشدد في محاربة جلب الخمر والخنازير إلى أرض المسلمين . وكذلك فهي النساء عن التبرج ، والقعود على الطرق ، إلى غير ذلك مما يعكس حرصهم على تطبيق مبادئ الإسلام وآدابه الاجتماعية .

وكان بعض العلماء إذا ما رأى بنفسه أي مخالفة يقوم بنفسه بفعل ذلك ، ومن أمثلة ذلك ما يروى عن علامة صحار محبوب بن الرحيل من أنه كان يقوم بكسر ما وجد فيه نبيذ من الجرار الخضراء ، وغيرها من الجرار ، وكان الناس يستفتون العلماء فيما يتصل بحياتهم ومعاشهم وتعاملهم ، وكانت فتاوى العلماء نافذة التطبيق ،

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ . البكري : المسالك والممالك ج ١ ص ٣٧٠ ؛ الإدريسي نزهة المشتاق ج ١ ص ١٥٦ ؛ الحميري : الروض العطار ص ٤١٣ ؛ الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٩٣-٣٩٤ .

لمجرد الوعظ والتحذير ، وكانوا أنفسهم قدوة في الزهد والورع . ومن ذلك ما يرويّه ابن بركة عن شيخه أبي القاسم سعيد بن عبد الله عن أبي عبد الله من أن أبا معاوية^(١) كان يضع إصبع يده بالحائط ثم يرى ما لصق بها من غبار ، فيقول: هذا مال، والمرء أحق بمنافع ماله من غيره وإن قل ، إلا بإذن من صاحبه " . وأضاف صاحب الكتاب: "والأخبار بمثل هذا عن أبي معاوية أكثر من أن يحصيها أهل زماننا هذا"^(٢) ، فإذا كان بعضهم يتورع عن الاتكاء على الحائط خوفا من إزالة شيء من ترابه ، فكيف بما هو أعظم من ذلك ؟ . وبهذا السلوك ربوا مجتمعاً فاضلاً يقظ الضمير شديد الحذر من الوقوع في الشبه قبل الاقتراب من الحرام .

التجار:

التجارة في صحار كانت هي عصب الحياة الاقتصادية ، فشكل التجار طبقة هامة في المجتمع الصحاري ، واشتهر العديد من أبناء عمان عامة بالعمل في التجارة ، وكان هؤلاء من أوائل التجار المسلمين الذين تاجروا مع بلاد مختلفة مثل شرق أفريقيا والهند والصين . وكانت مراكزهم تؤم تلك البلاد ، وتربط بين الشرق والغرب ، وقد عرفنا من أولئك التجار أبا عبيدة عبد الله بن القاسم الذي حاز قصب السبق علماً وفضلاً ، وغاص في بحور الزهد والتقوى شاباً وكهلاً فأبّت نفسه إلا أن يكون رجلاً من التجارة حلالاً خالصاً^(٣) . ومن تجار صحار أسرة ابن دريد^(٤) ، وكذلك الفضل ابن جندب^(٥) ، وهناك العديد غيرهم ممن اشتهر بالفضل والصلاح ، ومما روي في ذلك أن العلامة سعيد بن محرز^(٦) كان يجلس إلى أحد تجار البهارات بصحار ، وكان

(١) أبو معاوية عزان بن الصقر التروي أحد الأعلام البارزين في القرن الثالث الهجري تتلمذ على يد العلامة محمد بن محبوب ، وتوفي بصحار سنة ٢٩٨هـ . انظر: البطاشي: إتخاف الأعيان ج ١ ص ١٩٥-١٩٦ .

(٢) ابن بركة : كتاب التعارف ص ٢٠ .

(٣) الشماخي : السير ج ١ ص ٨٧ .

(٤) البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ . د. محمد ناصر : ابن دريد حياة من أجل الأدب ص ٣٩ .

(٥) الشماخي : السير ج ١ ص ٩٨ .

(٦) سعيد بن محرز بن سعيد التروي من علماء القرن الثالث الهجري المشهورين في زمانه كان معاصراً للعلامة محمد بن محبوب ، واشتهر بالعلم أيضاً ولداه عمر بن سعيد ، والفضل بن سعيد .

هذا التاجر من أهل الفضل^(١). ومن الأسر المشهورة بالتجارة في صحار أسرة بني وجيه التي تولت مقاليد الحكم في صحار من قبل الخلافة العباسية في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، وقد تخصصت هذه الأسرة في تجارة الجواهر والأحجار الكريمة التي كانت أكثر التجارات مكسبا ، وكانت تصل إليهم أولا ثم تتفرق من عندهم إلى بلاد أخرى^(٢) ، وكانت لهم وكالات تجارية في خارج عمان^(٣). وتقلد أحد التجار ويدعى النوكاني السلطة في صحار ، ويصفه التنوخي بأنه كان يملك من العقار والضياع في البصرة وعمان الشيء الكثير ، ولديه العديد من الجواري ، وتمتلى خزائنه بالجواهر والذخائر مما يدل على حياته المترفة^(٤).

كما أن هناك تجارا من الفرس يمثلون أكثر الجاليات وجوداً في التجارة حتى لفت أنظار الرحالة والجغرافيين ، فالمقدسي خيل إليه أن أهل صحار لا يتكلمون إلا الفارسية حين قال: "أهل هذا الإقليم لغتهم العربية إلا بصحار ، فإن نداءهم وكلامهم بالفارسية"^(٥)، ولكن هذا الكلام فيه مبالغة شديدة ، فصحار عربية وأهلها عرب وحكامها عرب ، وكل مجريات الحياة فيها بالعربية إلا أنه يمكن أن تكون هناك لغة ثانية ، ويتقنها بعض العمانيين إضافة إلى الفرس ، وكان هؤلاء يشاركون في الحياة العامة ، وتقبل شهادة بعضهم على بعض في الأحكام ، فقد كتب والي صحار أبو مروان إلى العلامة أبي علي قائلاً له : " إنك كتبت إلي بالمسألة عن شاهدين شهدا معك من الجوس بصحار ، رجل مجوسي على مجوسي ، وإني أمرت بالسؤال عنهما ، ومن يعرفهما من أهل الصلاة ، وأمرت الذي يسأل عنهما ، أن يسأل عن معاملتهما وأمانتهما وبيعتهما وشرائهما ، فزعموا أنهما محمودان في ذلك كله في دينهما"^(٦).

(١) ابن بركة : كتاب التقييد ص ١٦٦ .

(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٥ .

(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٦٤ .

(٤) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ١ ص ٣٤٦ .

(٥) أحسن التقاسيم ص ٩١ .

(٦) الكندي : المصنف ج ١٥ ص ١٤٥ .

وأسهلهم التجار الفرس في بعض الإصلاحات الاقتصادية حيث شق أحدهم بعض القنوات المائية ، وبنى خانات للتجار^(١).

ومن الجاليات الأخرى التي كان لها وجود ملحوظ في صحار الهنود ، وعملوا بالتجارة ، وعرف منهم فتحي الهندي^(٢)، وقد سبقت الإشارة إلى اشتراكهم في إحدى المعارك التي كان يقودها والي صحار^(٣).

و شارك التجار في حياة المجتمع الصحاري ؛ ومن ذلك إيجاد فرص عمل للناس حيث عملوا في محلاتهم التجارية بإدارة شؤونها كالبيع والشراء واقتضاء الديون وإجراء الحسابات اللازمة إضافة إلى أنهم ساهموا في عمليات الغوص بحثا عن اللؤلؤ خاصة التجار المهتمين بذلك^(٤)، وقد حقق بعض هؤلاء التجار ثراء فاحشا من خلال رواج التجارة في صحار ، فبنوا المنازل ذات الطوابق المتعددة ، وسادت بينهم التقاليد غير العربية وابتكار الأزياء وتعدد أنواع الطعام والشراب ، وإحياء مجالس اللهو ، حتى الشباب تأثر بتلك الحياة فكانوا يخرجون ليلا ومعهم المزامير وأدوات اللهو الأخرى^(٥). كما دخلت إلى المجتمع الصحاري ألعاب مختلفة كالشطرنج ، وقد أباحه بعض العلماء إذا كان القصد منه تعلم الحرب^(٦)، كما شاعت لعبة النرد وساد الاجتماع على اللهو واللعب من البالغين من الرجال والنساء في قصور أهل الفن ، وشاعت الأفكار الفاسدة كالزندقة^(٧) ، فلذا وقف العلماء وولاة الأمر والشراسة لهذه التجاوزات بالمرصاد فقاوموها وخفضوا كثيرا من وطأة أثرها على الحياة الاجتماعية ، وذلك في ظل الإمامتين الأولى والثانية^(٨).

(١) البكري : المسالك والممالك ج ١ ص ٣٦٩ . الحميري : الروض المعطار ص ٣١٤ .

(٢) الكندي : المصنف ج ١٦ ص ١٠٦-١٠٧ .

(٣) انظر في ذلك الفصل الثالث من الباب الأول ص ٩٧ .

(٤) ابن تركة : التعارف ص ٤٤ ؛ خميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ٢٦ .

(٥) الكندي : المصنف ج ١٢ ص ٦٣ .

(٦) الكندي : نفس المصدر والصفحة .

(٧) الكندي : نفس المصدر ص ٦٦ .

(٨) هاشم بن غيلان : سيرته ضمن السير والجوابات ج ٢ ص ٣٨ ؛ الكندي : المصنف ج ١٢ ص ٦٣ .

الأجراء :

بفعل النشاط الاقتصادي الكبير الذي شهدته صحار لزمها الكثير من الأجراء الذين يعملون في الزراعة والصناعة والتجارة ، وقد قام على كواهل هؤلاء تقدم صحار ورقيا . وبما أن صحار من البلاد الزراعية فإن العاملين بالزراعة كانوا يمثلون غالبية هؤلاء الأجراء . وكانت حياتهم يسودها الاستقرار للدخل الجيد الذي يحصلون عليه من الزراعة . والعامل في الفلاحة قد لا يحصل على مرتب معين بل على نسبة من الإنتاج^(١)، وشاع في المجتمع الصحاري أن الأجير قد يشارك صاحب المزرعة في الثلث أو الربع حسب الاتفاق ، وهنا يشارك العامل صاحب المزرعة بقدر نصيبه في مستلزمات الزراعة أو حسب اتفاقهما^(٢) . وقد وضع العلماء الكثير من القواعد التي تحدد العلاقة بين أرباب العمل والأجراء ليصل الجميع إلى حقوقهم ويعرف كل منهم ما له وما عليه .

وإذا استخدم أرباب العمل أجراء كالكراء ، والكيال ، والدلال ، والوزان ، والجمال دون أن يكون بينهم اتفاق مسبق على الأجرة فلهم أجرة الوسط مما عليه الناس من دفع في مثل تلك الأعمال^(٣) .

وفي أجرة المعادن التي اشتهرت بها صحار ، وخاصة استخراج النحاس وغيره إذا أعطى صاحب العمل الأجراء معدنا يعملون فيه ثم اختلفوا ، ولم يكن بينهم شرط على شيء معروف ، فلأصحاب المعدن معدنهم ، وللعمال فيه بقدر عنائهم بنظر العدول^(٤) .

وهناك من كان يعمل في السفن والقوارب ، فإذا تعاقد العامل مع صاحب السفينة أن يعمل معه لمدة معلومة بأجر معلوم فعلى كل منهما أن يوفي بشروط العقد لأن العامل هنا قد ينتابه الخوف من العمل في البحر فيريد فسخ العقد ، فاشترط

(١) الكندي: المصنف ج ٢١ ص ٢٩ ؛ الكندي : بيان الشرح ج ٣٩ ص ٢٦١ .

(٢) الكندي نفس المصدر والجزء ص ١١ .

(٣) الكندي : المصنف ج ٢١ ص ١٣٢ .

(٤) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٣١٤ .

العلماء أن يكون بالسفينة أو القارب خلل أو عيب يؤدي بحياة العامل^(١).

واشتهرت صحار بعمل النسيج والعاملون فيه يقدر عناؤهم حسب طول الثوب وعرضه ، وفي صناعة الغزل يتم احتساب عنائهم بالوزن ، وإن عمل أحد بدون اتفاق مسبق فللعامل وصاحب العمل أن ينقضا عقد العمل ، وللعامل أجر مثله ، وإن اختلفوا في العمل فيحكم بينهم برأي عدول الصنعة^(٢)

ومن المهن الأخرى التي كان الأجراء يعملون بها في صحار الصباغة ، وهي صبغ الثياب ، ومغاسل الثياب . وأنواع الأعمال كثيرة ومتعددة ، ولكل مهنة من المهن شروطها وقواعدها . وكانت صحار تعج بتلك الأعمال المختلفة التي ذكرت ، وغيرها كثير^(٣) . وكانت المرأة تشارك في بعض الأعمال كالطحن وعمل الخبز ، أو قطف الثمار والتقاطها^(٤)، فلذا كان المجتمع الصحاري مجتمع نشاط وحيوية وعمل دؤوب ، فعرف الكل مسؤولياته ، ووضعت القواعد والأسس التي تنظم تلك الحركة ، وهذا بدوره انعكس على استقرار المجتمع فشاع فيه الأمن والأمان وبات الكل في طمأنينة ورضى .

العبيد والجواري

عرفت صحار كغيرها من المدن هذه الطبقة في المجتمع ، وكان الرق سائدا في مجتمع ما قبل الإسلام ، ولما جاء الإسلام أكرم هذه الطبقة ورغب في تحريرها ، فكثير من الكفارات في الإسلام تتم بعق رقبة ككفارة الظهار والصيام والقتل غير العمد . وورد عن الرسول ﷺ العديد من الأحاديث التي تدعو إلى إكرام هذه الطبقة التي ساقطها أقدارها للوقوع في الرق .

(١) الكندي : المصنف ج ٢١ ص ١٥٤ .

(٢) الكندي : المصنف ج ٢١ ص ١٧٧ ؛ العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٩٦ .

(٣) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٣٠١، ٣٠٤ .

(٤) الكندي : المصنف ج ٢١ ص ١٥٢، ٢٠٣ .

وعند مبعث النبي ﷺ سارع العديد منهم إلى الدخول في هذا الدين الجديد الذي رفع من مكانتهم بمبادئه السامية وقيمه العادلة ، ولذا حظيت هذه الطبقة في عمان باهتمام الأئمة والعلماء ، فهذا الإمام غسان بن عبد الله يقول : "عدلنا إلا في عبيد الباطنة"^(١)، لما بلغه أن سادتهم يستخدمونهم بالليل رغم أن هذا الاستخدام كما يقول الإمام السالمي للضرورة الداعية ، وكانوا يريحونهم بالنهار وفق قدر عملهم بالليل ، إلا أن الإمام غسان رأي التشديد في ذلك ^(٢). وأقر الفقهاء " أن استخدام العبد من طلوع الفجر إلى وقت العشاء الآخرة ، فإذا كرهوا خدمة الليل لم يستخدموا . فإن طابت أنفسهم بذلك فلا بأس ، وإن استحلهم سيدهم من ذلك فهو خير "^(٣).

واشترطوا أن تكون أعمال العبد لا مشقة فيها ولا نصب ، وأن يجعل له سيده وقتا في النهار يستريح فيه ، وعليه نفقته وكسوته بما يوفر له الحياة الهائلة ، وعليه أن يعلمه خاصة فيما يتعلق بأمور دينه ، وإذا شك العبد أو الأمة أي تقصير فعلى الحاكم إنصافهما ^(٤)، وقيل إن امرأة من بني الجلندي يقال لها "رجع الفؤاد" شكت أنهم يكلفونها الزجر ، فأنصفها الحاكم أن لا يستعملها مولاها إلا بالطحين والخبز ونظافة البيت ، ولا يكلفها من الأعمال ما يشق عليها ^(٥) .

وكان كل ضيم يقع على هذه الفئة يلقي اهتماما عند ولاية الأمر في عمان . ولكن الغالب على أهل صحار الإحسان إلى العبيد والجواري ، وورد في وصية رجل من أهل صحار يدعى معمر أنه أوصى بعنق غلامه فرج الهندي إذا قام بإيصال عائلته إلى البصرة بعد وفاته ، كما أوصى بعنق جواريه حمدونة ومؤنسة وأم ولده زين ، وأوصى لكل واحدة منهن بنصيب من ماله ^(٦).

(١) الكندي : المصنف ج ٣٠ ص ٢٧ ، والباطنة كما سبق الإشارة إليها هي المنطقة التي تقع صحار فيها في عمان .

(٢) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢٩ .

(٣) ابن جعفر : الجامع ج ٥ ص ١٣٨ ؛ الكندي : المصنف ج ٣٠ ص ٩٤ .

(٤) الكندي : المصنف ج ٣٠ ص ٣٨، ٣٧ .

(٥) الكندي : المصنف ج ٣٠ ص ٢٤ ؛ والزجر : هو رفع الماء من الآبار بواسطة الدلاء .

(٦) الكندي : المصنف ج ٢/٢٧ ص ٣٧، ٣٦ .

وكان الرقيق يجلب لصحار من شرق أفريقيا والهند وبلاد فارس وخراسان^(١). وكانت التجارة في ذلك موجودة في صحار حيث يذكر العلامة ابن بركة بأن "الأمّة يزيناها سيدها للبيع فيأمر بحفها ومشط شعرها ودهنها وكحلها ليرى أنّها حسنة جميلة وأنّها صافية اللون" ، وقد سأل شيخه أبا مالك الصلاّني: "هل يكون هذا من التغيّر"، فأجاب: "لا"^(٢).

وقد شارك العبيد في نهضة صحار ورقيا حيث عملوا في استصلاح الأراضي بزراعتها ، وعملوا في التجارة والمضاربة وفي صناعة النسيج والصباغة^(٣). أما الجوّاري فقد كان غالب أعمالهم في المنازل في الطبخ والطحن ونظافة المنازل وما شابهها من أعمال^(٤)، وقد يشاركون في بعض الأعمال الزراعية مثل جني الثمار وقطفها والتقاطها^(٥). وكان لا يسمح لغير المسلمين بامتلاك الجوّاري المسلمين ، فإذا حصل أرغم على بيعها ، أما الذكور فقليل إنه لا بأس في ذلك^(٦).

وهكذا كانت هذه الفئة في المجتمع الصحاري فئة عاملة نشيطة شاركت في كل مجريات الحياة حتّى وصلت إلى الحكم في منتصف القرن الرابع الهجري عندما استطاع نافع مولى يوسف بن وجيه أن ينفرد بالسلطة لنفسه^(٧). وقد نقل بعضهم العديد من عادات وتقاليدهم التي وفدوا منها إلى المجتمع الصحاري "كطبول الزنج وجميع الطبول ، وقد ثبت الرخصة عن بعض أهل العلم في ترك ذلك خاصة إذا أريد بذلك إظهار الهيبة للعدو والنكاية به ، والبعض لم يبيع ذلك ، بل أباح كسرهما ، وقالوا ليس ترك منكر مما توحى به الهيبة بمحمود"^(٨). وقد بقيت بعض مظاهر تلك

(١) ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ١٨٣ ؛ الكندي : المصنف ج ٣٠ ص ١٢١،٩٤ .

(٢) ابن بركة : كتاب التقييد ص ٣٩٦ .

(٣) الكندي : المصنف ج ٣٠ ص ٤٨،٢٧ .

(٤) المصدر السابق ج ٣٠ ص ٩٥،٢٧ .

(٥) المصدر السابق ج ٢١ ص ١٥٢ .

(٦) المصدر السابق ج ٣٠ ص ١٥ .

(٧) سبق الحديث عن ذلك . انظر الفصل الثالث من الباب الأول ص ١١٥ .

(٨) الكندي : المصنف ج ١٠ ص ١٧٢ .

العادات في المجتمع الصحاري حتى اليوم متمثلة في بعض أنواع الأطعمة والألبسة ،
وبعض مظاهر الفرح كضرب الطبول وغيرها^(١).

المرأة ودورها الأسري والاجتماعي في صحار
كرم الإسلام المرأة ورفع من مكانتها ، وهذا التكرم أصبحت المرأة هي
جوهره الأسرة المسلمة . وفي صحار - كسائر بلاد المسلمين - نشأت المرأة في عزة
وكرامة ، وأتيح لها حق التعليم منذ الصغر حتى أن العلامة العوتي يقول في
حق الصبية اليتيمة : " وعلى الوصي تعليم الجارية مثل الغلام "^(٢) . فإذا كان هذا في
حق اليتيمة فإن الآباء كانوا أحرص على تعليم بناتهم في حال حياتهم .

ورغم ندرة المعلومات عن تبوأ المرأة في صحار مكانتها العلمية والاجتماعية ،
إلا أن بعض الإشارات توحى بسمو مكانتها وزهدها وورعها وحسن تعلقها
والإخلاص لزوجها . ومن دلائل ذلك ما يروى عن زوجة العلامة الصحاري محمد
ابن محبوب بأن والدها العلامة موسى بن علي جاء يوما لزيارتهم بعد طول غيبة عنهم،
فلما وصل صحار ، وجد حفيديه - وكان لم يرها - من قبل يتحاوران على عود
شوك سقط في الطريق ، فقال أحدهما إن هذا الشوك سقط من هذا الجدار ، وهذا أثر
موضعه من الجدار ؛ فينبغي أن نرده فيه ، وقال الآخر بل ألقناه الريح في الطريق
ويحتاج إلى أن نخرجه إلى مكان آخر ، فأعجب الشيخ بكائهما وهو لا يعرفهما ،
فأخبراه فاحتضنهما وسار معهما إلى طريق البيت ، فأخبرا أمهما بمقدم جدهما ، إلا
أنها اعتذرت إليه بعدم استطاعتها إدخاله احتراماً لزوجها صاحب الأمر لأنه كان غير
موجود . فلما عاد الشيخ ابن محبوب وجد صهره تحت ظل شجرة قرب البيت ، فسر
به وعاتب زوجته إلا أن والدها قال إنها على حق ، ولا لوم عليها "^(٣) . ومن هذه
الحادثة نستنتج ورع المرأة وحرصها الشديد على عدم مخالفة زوجها في أصعب

(١) حميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ٣١ .

(٢) العوتي : الضياء ج ١ ص ٢٧٠ .

(٣) البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٩١، ١٩٢ . فعلت للمرأة ذلك من باب الورع إذ لا يوجد نص

فقهي يمنع المرأة من إدخال والدها في غياب زوجها ، ولكنها فعلت ذلك احتراماً لزوجها وحقه في
الإذن لمن يشاء بدخول داره .

المواقف ، فمن المؤكد أنها كانت تتنازع نفسها عاطفتان : الأولى : حبها واحترامها لوالدها وخاصة أنها لم تره من مدة طويلة ، والثانية : إخلاصها لزوجها وعدم التفريط في حق من حقوقه المشروعة فضحت بالأولى لتنال رضا ربها بإطاعة زوجها مع علمها بأن والدها سيتفهم وضعها لأنه عالم بإخلاص ودها له وعالم يقينا بواجب حقوق الزوجية ، ونتيجة لهذا الورع والزهد كان نتاجها طيبا ، فكان ولدها من كبار علماء عمان في عصرهما ، وحفيدها أحد أئمة عمان الذي اشتهر بغزارة العلم مع عظم فضله وتقواه . وتسلسل من تلك الأسرة علماء أجلاء على مدار عصور لاحقة^(١).

ومن نساء صحار اللاتي بلغن قمة التضحية والفداء امرأة أبي حمزة الشاري التي كانت رفيقته حتى في ساحات القتال ، وكانت مثل زوجها أديبة شجاعة . ولما استشهد زوجها آلت على نفسها إلا أن تكون معه في الدارين الأولى والآخرة فقاتلت حتى قتلت^(٢). وبهذين النموذجين ندرك أن المرأة في صحار قد كان لها إسهام عظيم في تنشئة جيل حمل مشعل نور العلم والفضل والتقوى في صحار . وبلغ من الاعتماد عليها في تربية النشء أن بعضهم جعلها وكيلا بيته في ماله وولده في حياته وبعد وفاته^(٣).

وقد تعددت أدوار المرأة في صحار ، فبالإضافة إلى دورها الأساسي في الحياة وهو رعاية بيتها وتنشئة أبنائها ، فإنها شاركت في معترك الحياة العامة ، فكان البعض منهن معلمات لبنات جنسهن ، وكان الفقهاء يحرصون على أن تكون المرأة هي التي تتولى تعليم الفتيات^(٤). وقد عملت بعض النساء بالتجارة^(٥) وبعضهن عملن أعمالا

(١) انظر : مبحث علماء صحار من الفصل الثالث من هذا الباب .

(٢) الأزدي : تاريخ الموصل : ص ٧٩ ؛ مجهول : العيون والحدائق : ص ١٧٣ .

(٣) الكندي : المصنف ج ٢/٢٧ ص ٢٦ ، ج ٢٩ ص ٣٢ .

(٤) الهروي : الضياء ج ١ ص ٢٧٠ .

(٥) الكندي : المصنف ج ٢٩ ص ٣٤٠ .

تناسب مع طبيعة المرأة كطحن الدقيق وعمل الخبز ، أو الغزل والنسيج وحياسة الملابس^(١)، وشاركت بعض النساء في حصاد الثمار^(٢)، وبهذا كانت المرأة لا تأنف من العمل الشريف الذي يحفظ لها كرامتها ويصون لها عرضها إذا ما اضطررتها ظروف الحياة لذلك ، وإلا فإن الواجب اقتضى في صحار وغيرها أن يكون الرجل هو المسؤول عن توفير مستلزمات الأسرة . والمصادر الفقهية العمانية ملأى بالمسائل التي توجب على الرجل هذا الأمر .

وفي حالة الانفصال بين الزوجين فإن أولاد الرجل الصغار من ذكر وأنثى تقع عليه مسؤولية نفقتهم وكسوتهم وأدهم وإيجاد المنزل المناسب لهم . أما أولاده البالغون من الذكور فلا تلزمه نفقتهم ، بينما عليه نفقة الإناث حتى يتزوجن ، ويلزمه الإنفاق على تعليمهم بعض الصناعات أو الأعمال المناسبة حتى يستطيع الأبناء الارتزاق منها^(٣). وإن تزوجت المرأة خارج بلدها وأرادت الرجوع إلى بلدها بولدها ، فإن الفقهاء يرون لها الحق في ذلك ، فيروى أن امرأة من صحار تزوجها رجل من أهل دما ثم طلقها وله منها ولد وأرادت الرجعة إلى صحار وتأخذ فريضة ولده فقالوا لها ذلك إذا كان قد تزوجها في صحار ، أو أنه قد تزوجها بدما وهي بالغة . وقال البعض إن لها ذلك في مطلق الحالات^(٤).

(١) الكندي : المصنف ج ٢١ ص ٢٠٤ .

(٢) أبو الحواري : الجامع ج ١ ص ١٧٨ .

(٣) أبو جعفر : الجامع ج ٤ ص ١٧٤، ١٧٥ ؛ أبو الحواري : جامعه ج ١ ص ١٠٦ ؛ العوتبي : الضياء ج ١٣ ص ٥٧ ؛ وأورد العلامة ابن جعفر حكما للقاضي موسى بن علي من علماء النصف الأول من القرن الثالث لامرأة تدعى سعيدة بنت محمد يذكر فريضتها : " من الكسوة درعان من كتان وجلبابان سداسيان وخمار من حرير أسود وملحفة لينة ثمانية وإزار ، وأما النفقة فعشرة مكابيل حبا ولا ينيه خمسة عشر مكوكا حبا ومن التمر ثلاثون منا ، فإن احتاجا أكثر من ذلك فلهما ، ومن الدراهم في كل شهر ستة دراهم ولا ينيه لكل واحد منهما ثلاثة دراهم ، ولخادما سبع مكابيل ونصف ذرة وثلاثون منا من تمر ودرهما فضة . انظر : أبو جعفر : الجامع ج ٤ ص ١٧٤ . وهذا التفصيل الدقيق في ما يلزم الزوجة يدل على قدر إكرامها وإنصافها إذا ما أضررت من زوجها .

(٤) أبو الحواري : جامعه ج ١ ص ١٢٠ .

وبما أن أهل صحار يكثرون الترحال من مكان لآخر ، فإذا ما أراد أحدهم السفر لمدد طويلة كان ولي الأمر يلزمه بدفع نفقة للزوجة والأولاد ، أو بتوكيل شخص يقوم مقامه في مسألة الإنفاق إلى أن يعود^(١). وهكذا عاشت المرأة في صحار معززة مكرمة فشاركت بجهدها في صنع حياة مزدهرة أثرت تلك الحضارة التي شهدتها صحار في تلك الفترة من تاريخها .

العادات الاجتماعية

قد لا تختلف العادات الاجتماعية كثيرا في مختلف المدن الإسلامية خاصة تلك العادات التي تنبثق من روح الإسلام ، ومن تلك عادات الأعياد الإسلامية . أما عادات الأفراح والأتراح فقد تختلف في شكلها بعض الشيء حسب مقتضيات البيئة المكانية والاجتماعية ، وكذلك العادات عند الأتراح ، ورغم أن للمعلومات عن هذه الجوانب شحيحة ، فلا بد من الحديث عن ذلك بما تيسر من معلومات وبصورة مجملة.

عادات الأعياد

يحتفل المسلمون في كل عام بعيدين هما عيد الفطر المبارك وعيد الاضحى . والأعياد هي ظواهر اجتماعية عرفها البشر منذ القدم ، وأقر الإسلام مبدأ الأعياد ورسم منهجا متميزا للاحتفال بها . ويبدأ عيد الفطر برؤية هلال شوال ، وفي صحر سائر مدن عمان يعلن الإمام أو السلطان أو الوالي ثبوت رؤية الهلال ، فإذا نادى منادي السلطان في أهل البلد بأن هذه الليلة من رمضان ، أو هذا يوم الفطر يصوم الناس أو يفطرون طبقا لهذا النداء^(٢)، وعادة ما يقرع المنادي الطبل مع مناداته تلك^(٣). وفي صبيحة يوم عيد الفطر يخرج القادرون زكاة الفطر وذلك قبل الخروج لصلاة العيد لتشيع الفرحة والسعادة في النفوس جميعا . وتؤخر صلاة

(١) الكندي : المصنف ج ٢٣ ص ٢١٢ .

(٢) ابن جعفر : الجامع ج ٢ ص ٤١٥ .

(٣) الكندي : المصنف ج ٧ ص ٥١ .

عيد الفطر ليتمكن القادرون من إخراج زكاتهم^(١)، وجرت العادة أن يأكل الناس في عيد الفطر قبل الخروج إلى المصلى^(٢). والمصلى في صحار في تلك الفترة تحف به النخيل من كل جانب كما يذكر المقدسي^(٣). ويخرج الكل إلى المصلى رجالا ونساء صغارا وكبارا، ويكون في مقدمة المصلين الحاكم والعلماء. وخروج النساء والأطفال للعيد اتباعا للسنة المطهرة، وسئل الشيخ ابن محبوب: "هل تستأذن المرأة زوجها إن أرادت الخروج للعيدين"، قال: "نعم. وما أحب أن يحبسها وما أرى للزوج أو الأب أن يحبسها عن الخروج للعيدين، ولا نحب لهما أن يخالفا"^(٤).

ومن العادات المتبعة عقب الصلاة أن يتجه الناس للتسليم على الحاكم أو من ينوب عنه. ويذكر العلامة ابن محبوب بأن ذلك من بر الرعية براعيها، وتعظيم حقه، ومن لم يفعل فليس بمغضوب عليه^(٥). وهذه العادة الحسنة باقية حتى الآن. وبعد الصلاة وعند وصول الحاكم إلى حيث يستقبل الناس في موكب مهيب تحفه الرعية تطلق مدافع الفرع.

ومن العادات القديمة في صحار أن تجرى سباقات الفروسية عقب الصلاة، حيث يتبارى الفرسان في ميدان طويل يقف الناس على جانبيه، ويكون الإمام أو الوالي في مقدمة الحضور، وتستمر احتفالات الأعياد ثلاثة أيام فأكثر يتبادل الناس خلالها الزيارات والتهاني ويتم فيها تواصل ذوي القربى^(٦). ومظاهر احتفالات عيدي الفطر والأضحى لا تختلف، والفارق بينهما هو تعجيل الصلاة في عيد الأضحى. والعلة في ذلك كما ورد "تأخير الصلاة يوم الفطر لاشتغال الناس بإخراج زكاة الفطر، وأن يأكل الناس قبل الخروج". وتعجيل الصلاة يوم الأضحى لما فيه من

(١) ابن جعفر: الجامع ج ٣ ص ٢٥٥ ؛ العرتي: الضياء ج ٦ ص ٢٢٩.

(٢) ابن جعفر: الجامع ج ٢ ص ٤١٣.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٨٧.

(٤) ابن جعفر: الجامع ج ٢ ص ٤١٧.

(٥) الكندي: المصنف ج ١٠ ص ١٢٨.

(٦) خميس: التاريخ الحضاري لعمان ص ٥١.

الأصاحي امثالاً لقوله تعالى : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾^(١). ثم إن الأكل في عيد الأضحى يتم بعد الصلاة^(٢).

عادات الزواج

منذ فجر التاريخ البشري والزواج نظام قائم بين الرجل والمرأة ، وإن تعددت صورته . وقد جعل الله الزواج صلة مشروعة منذ خلق آدم عليه السلام حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾^(٣) ، وقد امتن الله على عباده بنعمة الزواج فقال عز من قائل : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾^(٤)

وللزواج عاداته وتقاليده التي تختلف من مجتمع لآخر باختلاف الثقافات والموروثات. ومن هذه المظاهر في المجتمع الصحاري أن من يريد الزواج عليه أن يدفع الصداق بعد موافقة الفتاة وأهلها على تزويجه ، وكثيراً ما أشارت المصادر عن صداق يتراوح ما بين ألف درهم وألفي درهم^(٥). وقد تُصدق المرأة بغير ذلك من مثل مائة نخلة أو عشرة وصفاء^(٦). وبعد الاتفاق يأمر الولي بعقد القران ، وعادة ما يتولى العلماء هذا العقد في أحد المساجد التي تتسع لأكثر عدد من المدعوين ، أو في مجلس عام أو في مجلس أحد الطرفين ، وتعد موافقة الولي شرطاً لصحة الزواج . ومن لم يكن لها ولي فالسلطان ولي من لا ولي له^(٧). وعندما كان الإمام غسان بن عبد الله بصحار أخته امرأة تطلب التزويج وأقامت شاهدين أنهما لا يعلمان لها ولياً بعممان ، فأمر الإمام من زوجها^(٨).

(١) سورة الكوثر : الآية ٢ .

(٢) ابن جعفر : الجامع ج ٢ ص ٤١٣ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٣٥ .

(٤) سورة الروم : الآية ٢٦ .

(٥) العوتبي : الضياء ج ٨ ص ٣٩٦، ٣٢٤ ؛ الكندي : المصنف ج ٣٤ ص ٤٤، ٣٣-٤٧ .

(٦) العوتبي : الضياء ج ٨ ص ٣٨٥ ؛ الكندي : المصنف ج ٣٤ ص ٤٥ .

(٧) ابن جعفر : الجامع ج ٥ ص ٣٤٤ .

(٨) العوتبي : الضياء ج ٨ ص ٣٤٣ .

والإسلام يقرر ضرورة إعلان الزواج وذلك ليفرق بين النكاح والسفاح . ومن هنا فقد أباح العلماء استعمال الدف لإشهار النكاح^(١)، وفيما يظهر أن مظاهر الزواج في صحار كانت بسيطة ولا تكاد تختلف عنها في بقية المجتمعات الإسلامية ، فكانت الوليمة^(٢) من أساسيات مظاهر الزواج ، وهي من السنن التي حث عليها الإسلام يقول النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف : " أوم ولو بشاة "^(٣).

عادات العزاء

من السنن الحميدة في الإسلام تشييع المسلم لأخيه المسلم إلى مثواه الأخير والصلاة عليه . ويدفن الميت عادة في قبر منفرد ، وقد شدد العلماء أن لا يترك للقبر ما يشير إلى تعظيم المتوفى ، وبعضهم شدد فأوجب " أن تسوى الحفرة بالأرض سواء لا يزداد عليها "^(٤). ولهذا فإن عادة البناء على القبور لا توجد في صحار ولا في غيرها من بلاد عمان ، ولا يضعون عليها أية إشارة تدل على آثار للميت سواء أكان رفيعا أم وضيعا ، وإذا كان الميت من العلماء أو غيرهم ، فإن معرفة قبره تتم بتوريث هذه المعرفة جيلا بعد جيل ، وقد يضع جيل لاحق عليه فيما بعد لوحا من الحجارة يكتب عليه اسمه وهذا من أجل تخليد ذكره ومآثره الحسنة لا من أجل التعظيم أو التبرك . كما شدد العلماء في النواح على الميت واعتبروه من البدع التي يجب على الإمام أو الوالي محاربتها^(٥). والعزاء للميت ثلاثة أيام ، وجيران الميت هم الذين يقومون بخدمة

(١) الكندي : المصنف ج ١٢ ص ٥٥ .

(٢) الوليمة : هي طعام العرس خاصة ولا تطلق على غيره إلا مجازا ، أما الأطعمة الأخرى التي تصنع عند المناسبات السارة فلها أسماء أخرى مثل : الإملاك وهو الطعام الذي يصنع عند العقد على الزوجة ، وفي عمان يطلق على حفل العقد : الملكة ، والوكيرة هو الطعام الذي يصنع بمناسبة بناء دار ، والعقيقة هو الطعام الذي يصنع احتفالا بمولود . انظر : د. أحمد شلبي : موسوعة الحضارة الإسلامية ج ٧ ص ١٧٨ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ج ٣ ص ١٢٦، ٥٢٣ ؛ ابن حجر : الإصباح ج ١ ص ٢٥٦ ، ج ٧ ص ٢٩٥ ، ج ٨ ص ١٦٩ .

(٤) ابن جعفر : الجامع ج ٢ ص ٤٥٨ .

(٥) الكندي : المصنف ج ١٢ ص ٣٣ .

أصحاب العزاء ، وبعض الموسرين يوصي من ماله لإطعام من يحضر للعزاء ، والبعض يوصي بإطعام الفقراء والمساكين^(١). وعادة ما يقدم للحاضرين للعزاء التمر ، وقد شدد العلماء في تقديم الطعام في المأتم فقال بعضهم إنه بدعة^(٢). ويعقد مجلس العزاء في منزل المتوفى ، ويفهم ذلك من إباحة الشيخ الصلاني الدخول إلى بيت المأتم بغير إذن من أصحابه لأنهم سمحوا بدخولها ، ويعلم ذلك بدليل من القلب وسكونه^(٣).

اللباس

لم يكن هناك اختلاف في اللباس العربي خاصة في بلاد الجزيرة العربية . وعرفت صحار بجودة نسيج ثيابها فاشتهرت بالثياب الصحارية^(٤) ، وكانت متداولة في باقي بلدان الجزيرة العربية ، ومن أنواع اللباس المستخدم في صحار :
القميص : من الألبسة القديمة . ورد ذكره في القرآن الكريم : " وجاءوا على قميصه بدم كذب " وهو لباس شائع في كل عمان . وقد حجب النبي ﷺ لبس البياض فقال : " اليسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا بها موتاكم " ^(٥). واقتداء بهذا الهدي الكريم فإن الغالب في لباس أهل عمان قاطبة قديما وحديثا هو البياض .
الإزار : هو لباس يحيط بالإنسان ويستره^(٦)، وهذا اللباس شائع الاستخدام في عمان حتى قيل إن رجال عمان مشهورون بهذا اللباس^(٧) ، ويلبسه الرجال تحت

(١) الكندي : المصنف ج ٢٨ ص ٣٧، ٣٨ .

(٢) الكندي : نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن بركة : التعارف ص ٣٤ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٦ ص ٨٥ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٦٦ ؛ ابن

سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ٤١٨ .

(٥) الطبراني : المعجم الكبير ج ٧ ص ٢١٦ ، ج ١٢ ص ٦٦ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى : ج ٢

ص ٣٤٧ .

(٦) ابن منظور : لسان العرب ج ١ ص ٦٨، ٦٩ .

(٧) دوزي : المعجم للفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة د. أكرم فاضل ، نشر في مجلة اللسان

العربي ، المجلد الثامن ج ٣٠ ص ٣٧ ، ذو القعدة ١٣٧٠هـ / يناير ١٩٧١ .

السرة إلى الأسفل إلى منتصف الساقين ودون الكعبين . يقول ابن عباس رضي الله عنهما : رأيت النبي ﷺ يأتزر تحت سرتة وتبدو سرتة ، ورأيت عمر يأتزر فوق سرتة^(١) . وقد اتخذ النبي ﷺ الأزر العمانية " وترك النبي ﷺ يوم مات ثوبي حبرة ، وإزارا عمانيا ، وثوبين صحاريين ، وقميصا صحاريا "^(٢) **العمامة**

لباس الرأس وهو لباس العرب منذ القدم وانتشر بينهم . ويقولون للرجل إذا سود : قد عمم ، بينما تقول العجم : توج ، فالعمامة هي تيجان العرب^(٣) . وقد حافظ العمانيون على العمامة ، وفي ظل الإسلام ازداد تمسكهم بها اقتداءً بنبي الهدى ﷺ . فقد ورد عنه ﷺ أنه اعتم ، وكان لا يخرج عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة إلا معتما بعمامة يرسلها بين كتفيه ويديرها ويغرزها^(٤) . وكان صلى الله عليه وسلم يعتم بألوان عدة ، إلا أن البياض هو المحبب إليه .

والتأمل لهذا يرى أن العمامة التي يرتديها العمانيون منذ ذلك العهد شبيهة بعمامته ﷺ خاصة العمامة البيضاء التي كان الأئمة يحثون على ارتدائها حتى صارت فيما بعد شعارا لرجال العلم والفضل ؛ يرخون ذوائبها على صدورهم و يتطوقون بها خاصة عند تأدية الصلوات حيث يروى عن أبي المنذر بشير^(٥) قوله : "من صلى بعمامة ولم يتطوقها فحائر . وإنما التطوق بالعمائم لأن إمام المسلمين أمر المسلمين به حتى يعرفوا ولا يخالف أمر الإمام"^(٦) . وما تزال العمامة حتى اليوم هي اللباس المحبب

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٣٥٦ ؛ ابن جعفر : الجامع ج ٢ ص ١٤٨ ؛ ابن بركة :

التعارف ص ٢٠ ؛ العوتبي : الضياء ج ٥ ص ٣١٧ .

(٢) ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ٤١٨ . والحبرة هي ضرب من البرود اليمنية (لسان العرب ١٠/٢)

(٣) ابن منظور : لسان العرب ج ٤ ص ٤٣٢ .

(٤) ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ٤١٨ .

(٥) أبو المنذر بشير : يوجد عالمان بعمان بهذا الاسم : أحدهما بشير بن المنذر التزوي توفي سنة ١٧٨ هـ ،

والثاني بشير بن محمد بن محبوب الرحيل الصحاري ، توفي في العقد الثامن من القرن الثالث الهجري .

وصاحب القول هو الأخير لأنه معاصر وزميل للمؤلف ابن جعفر .

(٦) ابن جعفر : الجامع ج ٢ ص ١٥٠، ١٥١ .

والرسمي في عمان وتعددت أنواعها ، فالعمامة السعيدية خاصة بالأسرة الحاكمة ، والعمامة البيضاء التي تقدم ذكرها يرتديها في الغالب علماء الدين . وعمامة "المصر"^(١) للكافة .

الكمة :

هي كل ظرف غطيت به شيئاً وألبسته إياه . ومن ثم قيل للقلنسوة كمة لأنها تغطي الرأس^(٢) . وهي في عمان غطاء من قماش مستدير مبطن من الداخل^(٣) . وتعرف في بلاد أخرى بـ "الطاقية" ، وهي تلبس بنفسها أو مع العمامة . وورد أن للإمام كمة خاصة وهي أحد رموز الإمامة مع الخاتم يرتديها الإمام في حفل مبايعته بالإمامة^(٤) ، وقد تقدم ذكر ذلك ، وما تزال الكمة في عمان من اللباس الشائع بين كل فئات المجتمع ، وهي تطرز بالحرير قتماً أشكالها بثقوب صغيرة جداً لا يتعدى حجمها ثقب إبرة ، و يطلق على تلك الثقوب المطرزة نجوم ، وتطريزها يسمى تنجيماً ، وعادة ما تقوم به النساء .

الرداء : لباس عرفه العرب منذ العصر الجاهلي . يقول طرفة :

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها عليه نقي اللون لم يتحدد^(٥)

والرداء يلبس فوق القميص وقيل إن الرداء والبردة شيء واحد^(٦) . وقد شاع الرداء في عمان وهو من الملابس التي يتجمل الناس بها خاصة في المناسبات

(١) المصر : اصطلاح عماني يطلق على العمامة التي يرتديها أغلب الناس في عمان ، وتعدد ألوانها وبعضها مطرزة بأشكال جميلة . والمصرة في اللغة الثياب التي فيها صفرة خفيفة . انظر : لسان العرب ج ٦ ص ٦٢ . وهذه التسمية موجودة في الفترة التي تناولها هذه الرسالة وحتى الآن . انظر : ابن جعفر : الجامع ج ٢ ص ١٤٢ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ج ٥ ص ٤٣٦ .

(٣) حميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ٤٧ .

(٤) الكندي : المصنف ج ١٠ ص ٩٣ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ج ٣ ص ٦٣ ؛ العروتي : الضياء ج ٥ ص ٣١٩ .

(٦) دوزي : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ص ٤٤ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٣٤٩ .

كالأعياد والأعراس وغيرها ويرتديه في الغالب العلماء ورجال الدولة وأعيان البلاد^(١).
ويصنع الرداء من الصوف والحرير ، فللرجال الصوف وللنساء الحرير . وقد تعددت ألوانه كالأحمر والأسود والأبيض والرمادي ومنه الثقيل ومنه الخفيف^(٢) . وقد يكون هذا هو أشهر ما كان الرجال يرتدونه في صحار .

وبما أن صحار كانت تعج بكثير من الأجناس فقد كان لكل منهم زيہ الخالص . وكما مر ذكره شدد العلماء على المسلمين في عدم التزيي بزي غير المسلمين والعكس حيث يؤمر الرجال من غير المسلمين بشد الكسائيج وهي الزنانير^(٣) في أوساطهم ، وأن لا يلبسوا أكوار عمائمهم على حلوقهم لأن ذلك من زي المسلمين ، وإذا أرادوا أن يتزوا بالخواتم فعليهم أن يجعلوها في أيماهم^(٤) . أما النساء فلا يتمنطقن ويجعلن على رؤوسهن علامة يشهرن بها ويعصبن على رؤوسهن فوق الرداء خرقة سوداء أو حمراء ليعرفن بذلك من زي المسلمات وهيئتهن^(٥) .

لباس المرأة :

تعددت أنواع زي المرأة في صحار ، وبعض المسميات شبيهة بمسميات أزياء الرجل كالقميص والإزار وهو المئزر والرداء وغيرها ، وقد تتشابه المسميات لكن ملابس المرأة يجب أن تتناسب مع أنوثتها وعفتها ، فالقميص لابد أن يكون واسعا طويلا فضفاضاً^(٦) . أما الرداء فإنه يلف الجسم كله تقريبا ويخفي كل قطع الخلل

(١) حميس : تاريخ عمان الحضاري ص ٤٩ .

(٢) ابن جعفر : الجامع ج ٢ ص ١٤٩ ؛ العوتبي : الضياء ج ٥ ص ٣١٩ ؛ حميس : تاريخ عمان الحضاري ص ٤٩ .

(٣) الزنار هو ما يلبسه اللامي يشده على وسطه . انظر : لسان العرب ج ٣ ص ٤٨ .

(٤) الكندي : المصنف ج ١٢ ص ٤٨ .

(٥) الكندي : المصنف ج ١٢ ص ٤٩ .

(٦) الكندي : المصنف ج ٣٥ ص ٥٧ .

الأخرى الملبوسة^(١)، ورداء المرأة غالبا ما يصنع من الحرير ويسمى في عمان "العباءة". ومن أزياء المرأة المسلمة الخمار الذي ورد ذكره في كتاب الله العزيز ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾^(٢)، ولون الخمار السائد في عمان هو اللون الأسود^(٣)، وينسج الخمار من الحرير أو الصوف أو غيرهما^(٤). ومن الألبسة الشائعة الجلباب^(٥) الذي ورد أيضا في القرآن الكريم ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾^(٦).

وهناك ألبسة أخرى للمرأة أشارت إليها المصادر كالدرع والملحفة^(٧). وبما أن المجتمع الصحاري يجتمع متحضر فقد كانت نساء الأغنياء تقتني من وسائل الزينة مثل المجوهرات وقلائد الذهب واللؤلؤ والخواتم المرصعة بالأحجار الكريمة^(٨)، وكلت هناك حلي لزينة الرأس والوجه وزينة اليدين والرجلين والقدمين وأصابعهما.

مواد النظافة والعطور:

استعمل الرجل والمرأة الكثير من مواد النظافة كالسدر وأنواع عديدة من البخور والعطور كالعود والعنبر والمسك والزعفران^(٩). وكانت مداخن البخور محلاة بالجواهر، ومضارب العطر من البللور المرصع، وكان يقدم ذلك في صوان مسبكة بالذهب^(١٠)، وكانت قصور الأغنياء تمتلئ بالكثير من ذلك نتيجة للرخاء المادي الذي كانت صحار تحياه في تلك الفترة من تاريخها.

(١) دوزي : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ص ٣٧ .

(٢) سورة النور : الآية ٣١ .

(٣) ابن جعفر : الجامع ج ٤ ص ١٧٤ .

(٤) ابن جعفر : الجامع ج ٤ ص ١٧٤ ؛ الكندي : المصنف ج ٣٥ ص ٦٧ .

(٥) ابن جعفر : الجامع ج ٤ ص ١٧٤، ١٧٣ ؛ الكندي : المصنف ج ٣٥ ص ٦٧، ٥٧، ٣٥ .

(٦) سورة الأحزاب : الآية ٥٩ .

(٧) ابن جعفر : الجامع ج ٤ ص ١٧٤ ؛ الكندي : المصنف ج ٣٥ ص ٦٧، ٥٧، ٣٥ .

(٨) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٤ .

(٩) خميس : تاريخ عمان الحضاري ص ٤٦، ٤٥ .

(١٠) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٢، ٢٥٣ .

الأطعمة و الأشرية

من سمات المدن المزدهرة تعدد أنواع الأطعمة فيها ، وهذا ينطبق على صحار خاصة أنها تستقبل من رزق المأكولات من كل مكان في عمان ومن خارجها. وتشير مصادر الفقه المعاصرة لفترة الدراسة أو ما بعدها إلى أنواع الحبوب التي يصنع منها الخبز كالحنطة والشعير والذرة ، وأوجب الفقهاء على رب الأسرة توفير ذلك^(١) دون الإشارة إلى الأرز الذي أصبح الوجبة الرئيسية في عمان ، إلا أن البكري يذكر أن الأرز كان من بين المأكولات في صحار حيث قال: "وطعامهم الحنطة والشعير والأرز والجاوروس"^(٢) . وكان الخبز يخبز في تنانير عامة وخاصة^(٣) ، وعملت بعض النساء في الطحن والخبز^(٤) . ومن أهم وجبات الخبز الثريد الذي كان شائعاً في جزيرة العرب^(٥) .

وكان اللحم والسّمك من أهم ما يرافق الموائد في عمان ، ومن اللحم ما كان يشوى في التنور أو على الجمر أو الحجارة الساخنة^(٦) . وبما أن عمان من البلاد البحرية فإن الأسماك قد تعددت طرق إعدادها وحفظها ، فالغالب ما يطبخ أو يشوى وهو طري ، إلا أن الفاضل يملح ويحفف ليؤكل فيما بعد^(٧) ، واعتبر جرير أكل السمك المملح إحدى المعايير فهجا آل المهلب بذلك فقال:

كانوا إذا جعلوا في صيرهم بصلا ثم اشتروا مالخاً من كنعد جذفوا^(٨)

(١) ابن جعفر : الجامع ج ٤ ص ١٧١، ١٧٤، ١٧٥ ؛ الكندي : المصنف ج ٣٥ ص ٤١، ٣٩، ٤٣ .

(٢) البكري : المسالك والممالك ج ١ ص ٣٦٩ .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٨٧ .

(٤) الكندي : المصنف ج ٢١ ص ٢٠٣، ٢٠٤ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٨٢ .

(٥) د. شوقي أبو خليل : الحضارة العربية الإسلامية ، الناشر دار الفكر ، دمشق ١٤١٧هـ / ١٩٩٦، ص

٤١٥

(٦) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٧٢ .

(٧) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٣٣ .

(٨) الجواليقي : المعرب ص ٢١٦ . والصير هو السمكات الملوحة (لسان العرب ٩٣/٤) ، أما الكنعد فهو

ضرب من السمك (لسان العرب ٤٤٢/٥) ، وجذفوا أي دفع السفينة بالجذف (لسان العرب ٣٨٩/١)

وما تزال تلك الأكلة التي عنها جريز منتشرة في عمان . وكان الخل والملح والخضار والماء والفلفل من مستلزمات الموائد في صحار^(١). ويوضع الطعام على الأخوين^(٢). ومن الحلويات التي كانت -وما زالت- موجودة الخبيص^(٣)، وتصنع من السكر والطحين والسمن . أما أشهر هذه الأصناف فهي الحلوى العمانية وهي تصنع من نشا البر والسكر والسمن ، وقد يستبدل العسل بالسكر فتسمى حلوى العسل^(٤). أما أهم المشروبات فهو شراب السكر^(٥) وشراب الرمان^(٦) وشراب النارجيل (جوز الهند)^(٧) والحليب واللبن المخيض^(٨) وشراب السويق ويتخذ من الحنطة والشعير^(٩).

وكانت الفاكهة توجد في صحار وكان لها تجار مختصون ببيعها ، ومن فواكه صحار المشهورة البطيخ والرمان والأترج^(١٠)، وهناك فواكه أخرى كالموز والعناب والرطب والتين والنبق والبوت والجوز^(١١)، واشتهرت عمان بإنتاج الموز وهناك نوع

(١) ابن بركة : كتاب التقييد ص ٣١٥، ٣١٦ . الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٥٠ .

(٢) ابن بركة : كتاب التقييد ص ٣١٦ . والخوان يطلق على المائدة أو ما يوضع عليه الطعام ، وهي كلمة معربة عرفها العرب قديما ، وتجمع : أخونة أو خون أو أخوين . انظر : الجواليقي : المعرب ص ١٢٩، ١٣٠ ؛ ابن منظور : لسان العرب ج ٢ ص ٣٣٤ .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٧١ .

(٤) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٧١، ٣٨٧، ٣٨٨ .

(٥) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٧١ .

(٦) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٧٦ .

(٧) الكندي : بيان الشرع ج ٢٧ ص ١٨٢ .

(٨) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٣٨ .

(٩) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٧٩ .

(١٠) ابن بركة : كتاب التقييد ص ٣٩٥، ٣٩٦ .

(١١) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٩٠، ٣٩١ . والبوت : من منتجات الجبل الأخضر بعمان وهو شبيه بالعناب إلا أنه صغير الحجم ، ومن منتجات الجبل أيضا الجوز والرمان .

من الموز يعرف بالموز العماني^(١)، ومن أنواع العسل في عمان عسل النحل وعسل السكر وعسل النخيل وهو الدبس^(٢).

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٦٢ .

(٢) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٦٩، ٣٩٣ .

المبحث الثالث : العمران في صحار

رغم ذلك الازدهار الذي شهدته صحار في الفترة التي تناولتها هذه الدراسة فقد اندثرت الآثار الجغرافية العظيمة التي أشار إليها الجغرافيون . ويعلل ويلكنسون ذلك بأن الأحداث التي جرت منذ بداية القرن الثالث الهجري كانت سببا في غياب تلك الآثار . ففي بداية القرن الثالث كان الحريق الذي تمت الإشارة إليه في أكثر من موضع في هذا البحث والذي التهم الكثير من المباني والمتاجر في صحار المدينة ، كما أن الأمطار وفيضان وادي صلان في منتصف القرن ذاته كان له دور في اجتياح كل شيء حسب تعبير ويلكنسون ما عدا الحصن ، وفي سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٩م وقع زلزال كبير أخذ الكثير من معالم البلد^(١).

ولكن حضارة صحار -رغم كل تلك المآسي- ظلت مزدهرة ، ومعظم الذين وصفوها كان وصفهم لها بناء على ما كانت عليه خلال القرن الرابع الهجري ، وكان ذلك الازدهار امتدادا لما كانت صحار عليه في القرن الثالث الهجري وما قبله ، ولعل التعليل الأكثر قبولا هو الذي يقول بأن الزراعة هي التي زحفت إلى المناطق العمرانية فدمرتها . فمزارع النخيل قد وصلت حتى القرب من ساحل البحر رغم أن المناطق الزراعية التي كانت في تلك الفترة تقع خلف المنطقة العمرانية المشار إليها ، وما تزال آثارها باقية ، وكانت المنطقة الأثرية في القرن الرابع تحتل حوالي ٧٣ هكتارا ، غير أن هذا لا يمثل إلا نسبة ضئيلة من امتداد التوسع العمراني ، ورغم ذلك فإن تلك المساحة تعادل أضعاف المساحة التي تشغلها البلدة الآن^(٢). وفي ضوء الإشارات سالفة الذكر قد يمكننا أن نتصور ما كانت عليه صحار في تلك الفترة من الرقي العمراني .

حصن صحار

تعددت أسماء العماثر الحربية والرسمية في عمان والتي يبلغ عددها أكثر من

(١) صحار تاريخ وحضارة ص ٣٣، ٣٤ .

(٢) ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٢٥، ٢٧ .

(٥٠٠) عمارة^(١). والحصن - كما يعرفه المختصون - أكبر العماير آنفة الذكر^(٢)، وكان المقر الطبيعي لإقامة الحكام وأتباعهم. وأسوار الحصون تحوي العديد من المباني، أما المبنى الرئيسي للحصن فكان يحتوي على عدد من الطوابق، وكان هو المقر الرئيسي للحاكم بالإضافة إلى ما يوجد به من مخازن المؤن والآلات الحربية وأماكن الدفاع عن الحصن، وعادة ما يستخدم الطابق الأخير لهذا الغرض. ويمكن أن يشتمل الحصن على قلعة أو أكثر ضمن مبانيه وتخصص لإقامة العسكر والجنود^(٣).

وتدل الحفريات الأثرية التي تمت داخل سور قلعة صحار الحالية على بقايا منازل فخمة يرجع تاريخها إلى فترة البحث^(٤). والغالب أن وصف المقدسي لقصبة صحار ومنازلها الفخمة الشاهقة المبينة بالآجر والساج يتطابق مع ما دلت عليه الآثار، ويؤكد ذلك ما ذكرته دائرة المعارف الإسلامية^(٥) من وصف قصر أمير صحار وهناك من الشواهد ما يشير إلى أن القلعة الحالية أقيمت على أنقاض حصن صحار الكبير الذي كان يشتمل على قصر الحاكم الذي وصفته دائرة المعارف الإسلامية بما يلي: "أهم عماير المدينة قصر أميرها وقد زين زينة فاخرة، وبه عقود وأعمدة مستديرة رفيعة وأقبية متعارضة وأبراج وشرفات بارزة. ويقوم القصر على ربوة صغيرة داخل المدينة، ويحيط به سور وخنق يمكن عبوره على جسر يؤدي إلى الباب الكبير الداخلي، وعلى السور بعض مدافع الميدان القديمة وأربعة مدافع ضخمة أمام المدخل، وثمة ميدان مكشوف أمام القصر غرس فيه أشجار تمتد على ساحل البحر. والبلدة محاطة بأسوار لا تزال تقوم عليها بعض المدافع القديمة، ويحيطها خندق من جهة البر"^(٦). وهذا الوصف تدعمه الشواهد القائمة والأدلة الأخرى ومنها:

(١) د. سعاد ماهر: الاستحكامات الحربية في مسقط: بحث نشر من ضمن حصاد ندوة الدراسات العمانية

ج ٢ ص ١٣٣.

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٣) نفس المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦.

(٤) وليامسون: صحار عبر التاريخ ص ٢٦.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٨٧.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية. حرف الصاد: مادة "صح" كلمة "صحار" ج ٢١.

أولاً : أن القلعة القائمة حالياً هي فوق ربوة قريبة من البحر . وهذا الموقع يتوافق مع ما ذكر عن القصر من أنه على ربوة صغيرة .

ثانياً : المدخل الكبير المقابل للبحر وأمامه ميدان مكشوف حتى البحر .

ثالثاً : كان يحيط بالبلدة سور إلى وقت قريب ، وما تزال بعض بوابات هذا السور موجودة حتى الآن^(١).

ويضاف إلى ذلك أن الحصن والجامع متجاوران الآن ، وهذا ينطبق مع وصف المقدسي له أن الجامع أقيم في مكان بروك ناقة رسول النبي صلى الله عليه وسلم^(٢)، كما أن رواية عمرو بن العاص بأنه وقف بباب ملك عمان حتى يأذن له بالدخول^(٣) تفضي إلى هذا التصور للحصن ، كما تدعم الرأي القائل بأن حصن صحار كان أول من بناه الجليلندي بن المستكبر وجدد بناءه الإمام الوارث بن كعب في أواخر القرن الثاني للهجرة^(٤)، وبسبب الحروب الطاحنة والكوارث الطبيعية تهدم القصر ، فبنيت القلعة مكانه في بداية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) . وإذا صح هذا الاستنتاج فإنه يمكن القول إن قلعة صحار الحالية ما هي إلا رمز لمكان ذلك الحصن الذي شهد حضارة صحار المزدهرة ، وكان قصبتها ومقر حكامها وخليّة عمل إدارة شؤونها .

جامع صحار : هذا هو أول مسجد قيل إنه بني في صحار ، وقد اختار له بانيه مكان بروك ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥) تيمناً بدخول الإسلام إلى صحار ، واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أقام مسجده المبارك مكان

(١) السماحي : صحار: الماضي والحاضر ص ٤١

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ .

(٣) سبق توثيق ذلك في الفصل الأول من الباب الأول انظر ص ٣٣ .

(٤) عمان في التاريخ ص ٢٦٣ ؛ د. سعاد ماهر : الاستحكامات الحربية ، حصاد ندوة الدراسات العمانيّة ص ١٤٦ .

(٥) المقدسي : المصدر السابق والصفحة .

بروك ناقتة عليه الصلاة السلام حين قدم مهاجرا من مكة إلى المدينة^(١)، ويقع هذا الجامع مكان الجامع الحالي بصحار الذي يقع مجاورا للحصن من الجهة الجنوبية ، وقد وصفه المقدسي بأن له منارة حسنة طويلة^(٢). وسواري المسجد من خشب الساج ، أما جدره فمن حجر وآجر^(٣)، وكان للمحراب سلم حلزوني تبتدى من جوانبه المختلفة ألوان شتى كالأصفر والأخضر والأزرق والأحمر فيظهر كأنه يدور^(٤).

ومع هذا الوصف الجميل لجامع صحار فإنه لم يمثل قمة ما وصلت إليه صحار خلال تلك الفترة من رقي وازدهار لأن العلماء كانوا لا يرغبون في التماذي في تزيين المساجد فلذا اتسمت في القلم بطابع البساطة في تخطيطها وفي عناصرها المعمارية والزخرفية . وجوامعها الكبيرة غالبا ما تكون ذات صحن مكشوف تحيط به الأروقة كغيرها من مساجد العالم الإسلامي ، وكانت مآذن المساجد في صحار وبقية مناطق ساحل عمان لا تتعدى أن تكون بناء صغيرا مربع الشكل أو مستديرا قليل الارتفاع جدرانه مفتحة بنوافذ بطابقيين على الأكثر وسقف المئذنة قبة بيضاوية الشكل مدببة غالبا . وقد يتم رفع الآذان من أعلى سطح مجاور للمسجد أو من فوق مجموعة من الدرجات بنيت على الجدار الخارجي للمسجد كما كان عليه الحال في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام^(٥).

وترجع بساطة بناء المسجد في عمان إلى دور العلماء في التحذير من تزيين المساجد . يقول العلامة العوتي الصحاري : " لا تبني بالتصاوير ولا بالقوارير ... ولكن زيتنها نظافتها وتعظيمها بالذكر "^(٦). وكانت تفرش بالحصى

(١) ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ١٨٤ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٦٠ ؛ حيث شبه مسجد النصبورة بالسند مسجد صحار .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ - ٨٨ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : مادة صحر ج ٢١/١ .

(٥) عمان في التاريخ ص ٢٨٥ .

(٦) العوتي : الضياء : ج ٥ ص ٢٤ .

أو الحصر ، و تضاء بالقناديل الزيتية ^(١). ومن المساجد المشهورة في صحار في تلك الفترة غير جامعها المذكور مسجد جناح . وقد بناه جناح بن عبادة الهنائي خلال توليه عمان في بداية الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ^(٢). ويقع الآن في محلة الحجرة القديمة ^(٣)، ومن بينها أيضا مسجد بشار ، ولكن لم يبق سوى اسمه . ذكره الشاعر الصحاري أبو علي محمد بن زوزان بقوله :

إذا ما حللت في صحار فآلموا بمسجد بشار وجوزوا به قصدا ^(٤).

البيوت

تعددت أنماط البيوت في صحار ؛ فبعضها وصف بأنها بنيت بالآجر و الساج، شاهقة نفيسة ^(٥). وبما أن صحار مدينة ساحلية فقد بنيت منازلها مواجهة للبحر للاستفادة من نسيم البحر مع وجود مسافات كافية بين هذه الصفوف للسماح بمرور نسيم البحر إلى المنازل الخلفية . أما منازل التجار والأثرياء فإنها كانت أكثر اتساعا ، وتقع وسط حدائق تحيط بها ^(٦). وهناك بيوت تتكون من طابق واحد وأخرى تبني من جريد النخيل الذي يعتبر أمرا شائعا في ساحل الباطنة ^(٧).

(١) العوتي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٢) الكندي : المصنف ج ١٩ ص ١٢ .

(٣) دليل المساجد في سلطنة عمان : أصدرته وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤١٦ هـ — / ١٩٩٥ م ص ٨٠ .

(٤) الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٩٤ .

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ .

(٦) د. هلال بن علي الهنائي : الأنماط المعمارية في عمان عبقرية البناء وكفاءة الأداء . مقال نشر في مجلة نزوى العدد الأول نوفمبر ١٩٩٤ م : ص ١٣-١٤ ؛ م . كيرفران Miss.M.Kervran :

البيوت التقليدية في صحار . بحث نشر في حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ٧ ص ١٠-١١ .

(٧) ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٢٥ .

وكانت الحجارة والطين والطوب الأحمر هي المواد الأساسية لتشييد المنازل^(١)، وهذا يعطيها ميزه امتصاص الحرارة صيفا وإبقاء الدفء شتاء . كما كانت تلك المنازل تكثر بها الفتحات الكبيرة المواجهة للبحر ، وبعض المنازل عرفت بذات الصفين حيث خصص الصف الأول من الحجرات المواجهة للبحر للاستعمال خلال الصيف أما الصف الثاني المقابل فكانت تطل على ساحة داخلية واسعة وهذه للاستخدام الشتوي^(٢).

والبيوت ذات الطوابق المتعددة تكون خدماتها في الطابق الأرضي من مجالس الضيوف والمطابخ وغيرها من مرافق البيت^(٣). وكانت تستخدم الشرفات في بعض المنازل لأغراض زخرفية كما أنها تساعد على انتشار الهواء الداخل إلى المنزل ، وهي غالبا ما تكون ذات شكل مربع ضلعه العلوي على شكل مثلث أو مستدير ، وقد تغطي هذه الشرفات بطبقة من الجص والألوان ، وهو ما يعطي الجدران شكلا زخرفيا جميلا^(٤). ويعتبر استخدام الخشب من أساسيات البناء . ومعظم الأخشاب التي استخدمها الإنسان العماني من البيئة المحلية مثل خشب جذوع النخل ، وأشجار السمر والغاف والسدر^(٥).

أما الأغنياء فكانوا يستخدمون خشب الساج الذي أشار إليه المقدسي^(٦)،

(١) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩-٤٠ ص ٤٤٠ ؛ وليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٢٥ ؛ انجيسورج جوبا : الاستخدام الفني الإبداعي للحجر في عمان : ترجمة عبد الله الحراصي . مقال نشر في مجلة نزوى ، العدد الرابع . سبتمبر سنة ١٩٩٥ م . ص ٨ .

(٢) د . الهنائي : الأنماط المعمارية ص ١٤ .

(٣) كهرفران : البيوت التقليدية في صحار ص ١٤ ؛ خميس : تاريخ عمان الحضاري ص ٣٦ .

(٤) عمان في التاريخ ص ٢٨٥ ؛ الهنائي : الأنماط المعمارية ص ١٧ .

(٥) الكندي : المصنف ج ٢٢ ص ٨٦ ؛ البكري : معجم ما استعجم مج ٢ ص ١٢٢٢ . عمان في

التاريخ ص ٢٨٨ . والسمر جمع السمرة من شجر الطلح (لسان العرب ٣/٣٣٤) والغاف شجر ينبت في الرمل مع الأراك وله ثمر حلو (لسان العرب ٥/٧٨)

(٦) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ ص ٢٢٩ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم ج ٨٧ .

وهو يعد من أرقى الأنواع الخشبية . واستخدمت الأخشاب في الأسقف وصناعة الأبواب والنوافذ والستائر الخشبية التي تسمى في بعض البلاد بالمشربيات ، وتعمل على ترشيح الهواء من الأتربة ، وتساعد على تلطيف الهواء . كما استخدم الخشب كفواصل للجدران ، وكدعائم للأقواس والعقود ، واستخدم الخشب بكثرة في عمائر صحار في العصر الإسلامي لتوفره وخفته وسهولة الحصول عليه^(١)، ولذا برع العمانيون في تشكيل الأبواب والنوافذ والسقوف إلى لوحات فنية وتنفذ بطريقة الرسم أو الحفر ثم تلون بألوان زاهية متناسقة ، وبعضها زينت بالخط العربي خاصة في العصور اللاحقة .

كما أن الزجاج المتعدد الألوان استخدم قطعتم به النوافذ والستائر الخشبية مما أعطى المكان جمالا وشاعرية تريح النفس وتمنحها البهجة والانشراح^(٢)، خاصة إذا ما علمنا أن تجارة الزجاج كانت رائجة في صحار ، وكان له مصانع خاصة فيها^(٣). وبما أن عمان بلاد جبلية وكثيرة الأودية التي تكثر فيها الحجارة مختلف ألوانها وأحجامها فإن العمانيين استطاعوا أن يزينوا بها منشآتهم العمرانية حيث مزجوا بين الحجارة والمواد التزيينية الأخرى ، وقد استخدموا في ذلك الحصى الكبير والحصى البلوري المصقول اللذين ليسا بحاجة إلى طرائق تعدين أو تفجير أو حفر منجمي ، فهذا موجود بكثرة في البيئة الصحارية بالإضافة إلى أنواع عديدة من الحصى يمكن استخدامها في البناء والتزيين ، وما على صاحب الحرفة الحاذق إلا أن يختار ما يشاء^(٤).

(١) بيان الشرع : الكندي ج ٣٩-٤٠ ص ٢٠٧-٢٠٨ ؛ د. سعاد ماهر : الاستحكامات الحربية ص ١٣٨ عمان في التاريخ ص ٣٨٣-٣٨٥ .

(٢) د. سعاد ماهر : الاستحكامات الحربية في مسقط حصاد ندوة الدراسات عمانية ج ٢ ص ١٣٨ . عمان في التاريخ ص ٢٨٤ .

(٣) عمان في التاريخ ص ٢٨٤ .

(٤) ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٢٩ .

(٥) جوبا : الاستخدام الفني للحجارة في عمان ص ٩٠٨ .

وبهذا فإن الحجارة دخلت في بناء المنازل لتعطيها الثبات والقوة ولتضفي عليها لمسات من الجمال الذي يظهر الذوق الرفيع المستمد من نفس البيئة المحلية . هذا ومن منازل صحار المعروفة التي استمرت لقرون عديدة منزل الفضل بن جندب الذي بيع بخمسين ألف درهم في أوائل القرن الثاني الهجري واستمر هذا المنزل حتى القرن العاشر الهجري وهو الذي عرف فيما بعد بدار مسلم بن خالد^(١) . وابتنى التاجر مسلم بن بشر دارا عظيمة عقب بيعه الدرة اليتيمة التي حصل عليها من خليج عمان وأصبحت داره من بين الدور المعروفة في صحار^(٢) .

ونظرا للرقى المادي الذي شهدته صحار فقد استخدمت الكراسي في مجالس بيوتهم وبعض هذه الكراسي سهلة الحمل ، فتؤخذ إلى فناء المنزل الخارجي للجلوس عليها^(٣) . والبعض وضع كراسي ثابتة من الطين والجص أطلق عليها الدكاكين أمام المنازل للجلوس عليها أثناء فترات المساء والليل خاصة في فصل الصيف^(٤) .

الخانات

اقتضت الحياة المزدهرة في صحار ، وتوافد الناس إليها من داخل عمان وخارجها أن تتوفر فيها الخانات أو غرف السوق كما يسميها فقهاء عمان^(٥) . وقد وصفها الحميري بأنها كانت مفروشة مكان الآجر باللبن^(٦) ، وهذا يدل على أنها ذات بناء راق ، ومكونات بنائها قد لا تختلف عما هو موجود في بيوت تجار صحار الراقية خاصة وأن الذي يؤم هذه الخانات بصفة غالبية هم التجار . أما المرافق فلا شك أنها تختلف حيث إن معظم مرافق الخانات هي غرف الإقامة مع اشتغالها على المطاعم لتلبية حاجات زبائنهم من الطعام ، وكان البعض يفضل الأكل في نفس

(١) تواريخ العلماء ص ٥ ؛ السعدي : قاموس الشريعة ج ٨ ص ٣٥٤ .

(٢) بزرك : عجائب الهند ص ١٣٤-١٣٧ .

(٣) ابن بركة : كتاب التقييد ص ٣٦٦ .

(٤) حميس : تاريخ عمان الحضاري ص ٣٩ .

(٥) ابن بركة : كتاب التعارف ص ٥٠ .

(٦) الحميري : الروض المعطار ص ٤١٣ .

الغرف ، فيحمل الغلمان الذين يخدمون فيها إلى زبائن الغرف ما يحتاجونه من طعام ومستلزماته من خل وملح وماء ، ويضعونه على أخونة الغرف^(١).

الأفلاج

الماء هو شريان الحياة ، وقد حبا الله صحار بعدة وسائل توفر المياه العذبة لها ومنها الأفلاج والآبار ، وإلى هذا يشير المقدسي في قوله : "ولهم آبار عذبة وقناة حلوة"^(٢). وبما أن الأفلاج تعد إحدى الخصوصيات العمانية فإن العمانيين قد تفننوا في تشييد مجاري الأفلاج فأصبحت تشكل نمطا معماريا فريدا انتشر في عمان كلها . وتبدأ عملية إنشاء مجاري الأفلاج بإجراء الفحوصات اللازمة لوجود المياه التي ستبدأ منها عملية تسيل الماء من باطن الأرض إلى سطحها وتتطلب هذه العملية قياسات هندسية دقيقة وخبرة عميقة . وقد كانت التجربة العملية هي التي أهلت المختصين في ذلك^(٣).

(١) ابن بركة : كتاب التقييد ص ٣٦٦ .

(٢) أحسن التقاسيم : ص ٨٧ .

(٣) العبري : البيان في بعض الأفلاج ص ١٥-١٦ . يسبق بناء قناة الفلج عدة خطوات كلها تؤكد على نعمة الله في رقي العقل الإنساني حيث يقوم المختصون بإجراء التجارب على كمية الماء المتوفر وقياسات المسافة بشكل دقيق بين منبع الماء ، وحتى للوقوع المراد تسيله إليه ، وأي خطأ في ذلك قد يسبب عرقلة المشروع ، والأفلاج في عمان قديمة ولعظمة بنائها وبديع هندستها رويت حولها الأساطير ، ف قيل إن أول من قام بشقها في عمان وبنائها هم الجن الذين سخرهم النبي سليمان بن داود عليه السلام ، وماتزال هناك أفلاج يطلق عليها حتى الآن أفلاج داودية ، ولكن هذه المقولة تحجر عقل الانسان الذي منحه الله التفكير والإرادة فجعله أكرم مخلوقاته ، كما أن عمان شهدت عبر تاريخها الطويل حتى العصر الحديث شق الكثير من الأفلاج حتى أن العلماء قسموا الأفلاج إلى فلج جاهلي وفلج إسلامي . والبعض قال إنها من عمل الفرس ، وهذا ينكره الواقع التاريخي حيث إن الفرس كان معظم تواجدهم على الساحل الذي تقل فيه الأفلاج ، إلا أنه لا يستبعد أن يكون لهم إسهام في شق عدد قليل من الأفلاج على الساحل خاصة . انظر : العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٣٨ . الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ ص ٤١ ؛ العبري : البيان في بعض أفلاج عمان ص ١٥-١٦ ؛ العبيدي : الدولة العمانية الأولى ص ٥٦ ؛ ولكنسون : الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٤٥-٤٦، ٦٥ .

ثم تأتي مرحلة بناء قناة الفلج وتستخدم في ذلك الحجارة المسبوكة بعضها ببعض بطريقة فنية لا يتقنها إلا المختصون ، وقلة منهم من يبرع في ذلك لأنها تحتاج إلى دقة وبراعة إنشائية لكي تكون الجدران محكمة البناء متقنة التداخل لا يعترئها خلل بين الحجر المصقوف ، وعند سقف القناة تكون العملية أشق فلا بد من ترابط الحجارة خوفا من الانهيارات وقد استخدم الإنسان العماني الطين المحروق (الخص) في تثبيت الحجارة وتغطيتها ، وكل ذلك يتم في أجواء خافتة لأن عمق حفرة القناة خاصة عند بداية الفلج قد يصل إلى ستين مترا في بعض الأفلاج إلا أن متوسط العمق هو ٢٠ مترا في أغلب الأفلاج . وأما معدل طول الأفلاج إلى أن تظهر القناة على سطح الأرض فعشرة كيلومترات^(١).

وقد يصادف مرور القناة جبال صلبة فيتم التعامل معها بثقبها . وبما أن ثقب الجبل عملية شاقة في ذلك العمق ، فكانوا يسبقونها بدراسات محاولين خلالها تجنب ذلك فيحفرون من كلا جانبي الجبل مجرى القناة ، وإذا لم يجدوا مناصا فإنهم يحددون مسافة الجبل المراد ثقبه ، ثم يقومون بثقب قناتين أولاهما مساوية للمجرى الرئيسي للقناة والأخرى موازية لها من الأعلى ، فيربطون بينهما بفتحات كل مترين ، وذلك من أجل التهوية^(٢).

وعمل العمانيون أماكن خاصة للانتفاع بماء الفلج قبل أن يصل إلى مناطق الري الزراعي ، وتخصص تلك الأماكن لحاجات الناس للشرب والطهي والاستحمام والغسيل ، وبعض تلك الأماكن المبنية تسقف وتنمق بفن معماري جميل ، وتخصص أماكن للرجال وأخرى للنساء . وتتعدد تلك الأماكن حسب حاجة سكان المدينة والكثافة السكانية ، ويعتمد بعض الأغنياء إلى أن يبنوا منازلهم فوق الأفلاج لتكون لهم فتحات خاصة من الفلج داخل منازلهم كما يتم تشييد المساجد

(١) العبري : البيان في بعض الأفلاج ص ١٩ ؛ العبيدي : الدولة العمانية الأولى ص ٥٧ .

(٢) العبري : البيان في بعض الأفلاج ص ٢١ . لا توجد تقديرات عن التكلفة المادية لشق الأفلاج وبنائها ،

إلا أنه يرد عن إصلاحات بعض الأفلاج في القرن الثالث الهجري في عمان ١٠٠٠٠٠ درهم فشق

الفلج لابد أن يكون أكبر من ذلك المبلغ بأضعاف كثيرة . انظر : الكندي : بيان الشرع ج ٣٧ ص ١٢١ .

قريبا من الأفلاج للغرض نفسه^(١)، وبهذا فإن بناء الأفلاج يعتبر نمطا معماريا برع الإنسان العماني فيه من أجل استخراج الماء من باطن الأرض إلى سطحها مستفيدا من انحدار مستوى سطح الأرض من عند سفوح الجبال وحتى السهول المنخفضة .

وإذا أراد أهل صحار أن يستفيدوا من الماء قبل أن يصل إلى المناطق المنخفضة أو يتفادوا بجاري الأودية عمدوا إلى أسلوب الطواحين الرافعة للماء حيث أمكن استغلال انحدار المياه لإدارة الطاحونة التي ترفع الماء إلى سطح الأرض . ويبدو أن صحار قد اختصت بعمل تلك الطواحين^(٢) في تلك الفترة المزدهرة من حياتها ، وذلك نظرا للتوسع العمراني فيها وتوسع الرقعة الزراعية بها .

وقد اكتشف الأثريون إحدى تلك الطواحين ، وتبدو غرفة الطاحونة و قد بنيت بإحكام على نمط معماري راق مستخدمين في ذلك أربعة أنواع رئيسة من الأحجار وهي : حجر الوديان ، وحجر من الأصداف البحرية ، وحجر رملي وصخور بركانية ملونة زرقاء ورمادية بالإضافة إلى الحصى المخلوط بالصاروج ، وهذا له خاصية مقاومة الماء^(٣) .

وإذا كانت الأفلاج قد وجدت ذلك الاهتمام لما تمثله من أهمية قصوى في تنمية الموارد الاقتصادية للبلاد ، فإن الآبار التي اشتهرت بها صحار وما تزال قد حظيت أيضا باهتمام كبير حيث يتم بناء جدرانها الجانبية بالحجارة والجص بطريقة الطي اللولي وهذا يحتاج أيضا إلى إتقان بالغ ، وكانت معظم منازل صحار تتوفر فيها هذه الآبار لسهولة حفرها ، وقرب المياه الجوفية العذبة من سطح الأرض ، وقد بنيت حول هذه الآبار الأحواض والمرافق اللازمة للاستخدام المنزلي . ويستخرج الماء من هذه الآبار يدويا عن طريق البكر والدلاء^(٤) .

(١) الكندي : المصنف ج ١٧ ص ٦٧ - ٧٠ .

(٢) ولكنسون : حقول صحار القديمة ص ٣-٤ .

(٣) ولكنسون : حقول صحار القديمة ص ٦٤ ، ٦٥ : انجيبورج : الاستخدام الفني الإبداعي للحجر في عمان ص ٨ . والصاروج هو النورة وأخلطها التي تصرج بها التل وغيرها (لسان العرب ٢٩/٤) .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ ؛ م كيرفران : البيوت التقليدية في صحار من ضمن حصاد ندوة

الدراسات العمانية ج ٧ ص ١٣ .

الطرق :

الاهتمام بالطرق يعد من أولويات التخطيط العمراني لكل مدينة ، ومن خلال كتب مصادر الفقه العمانية يمكن أن يلحظ الإنسان ذلك الاهتمام . فقد حدد العلماء كل ما يتعلق بالطرق ، ومن ذلك :

الطرق الجائزة : حدد عرض هذه الطرق بثمانية أذرع ، وإن كان أنشئ الطريق أوسع من ذلك عند إنشائه فيترك بحاله .

طرق البيوت : يبنى عرضها بعدد البيوت الواقعة عليها ؛ فإن كانت أربعة بيوت ومادون ذلك فعرض الطريق أربعة أذرع ، وإذا زاد عدد البيوت عن ذلك فيكون عرض الطريق ستة أذرع .

طرق السوق : مثل الطريق الجائر ، وقيل أوسع من ذلك .

طرق الأموال : ويقصد بها الطرق الداخلية ما بين البساتين والحدائق ، فهذه حدد لها ثلاثة أذرع ، وكذلك الطرق المحاذية للماء وهي غالبا للفلاح الذي يريد السقي بالماء وقيل يجوز أن تكون الطرق الأخيرة أقل من ذلك .

أما الطريق العام الذي يكون خارج القرية أو المدينة ، فقد وضع له الشرع حرما من كلا جانبيها بما لا يقل عن أربعين ذراعا^(١).

وكانت الطرق ومراقبتها من مسؤولية الدولة حيث يقول العلامة الصحاري العوتي: " وللحاكم أن يأمر بصرف المضار عن طرق المسلمين ، ولا يجوز فيها حدث من بناء ولا حفر ولا يطرح فيها شيء من حجارة ولا تراب ، ولا بناء سقف بطين ولا خشب ولا سعف ولا غمار ولا كنيف يؤذي المسلمين "^(٢)، ومن فعل شيئا من ذلك فعلى الحاكم ردعه ، وإذا تأذى أحد مما وضع في الطريق فيلزم المتسبب في ذلك بضمان قدر الأذى ماديا أو معنويا^(٣).

(١) ابن جعفر : الجامع ج ٤ ص ١٩٣ ؛ العوتي : الضياء ج ١٨ ص ١٦٣ ؛ الكندي : بيان الشرع

ج ٣٩ ص ١٤٨ . والأحرام هي مرافق لا يحل انتهاكها (لسان العرب ٦٧/٢) .

(٢) العوتي : الضياء ج ١٨ ص ١٥٥ .

(٣) العوتي : نفس المصدر والصفحة .

كما أن للحاكم أن يأمر الناس بإصلاح الطرق إذا كانت جائزة بين أموالهم من نخيل وزراعات^(١).

ولهذا الاهتمام بالطرق في عمارتها وإصلاحها فإن أهل الخير جادوا بمالهم في سبيل ذلك حتى بعد وفاتهم حيث يوصون ببعض أموالهم لتنفق في إصلاح الطرق كتمهيدها وإزالة الأشجار الضارة والأشواك التي تعوق مرور الناس ، والبعض أوصى بإقامة المنشآت التي تخدم مستخدمي الطريق كتوفير المياه وزرع الأشجار للاستظلال بها ، وآخرون أوصوا بالإتفاق على حراسة الطرق من العابثين وقطاع الطرق والصوص^(٢). ومن أفعال الخير التي كانت شائعة في صحار ترك خروس الماء^(٣) في الطرق أمام منازلهم ليستعمل الناس المياه التي فيها للشرب والمسح وغسيل اليدين ، وما يتقرب به صاحبه إلى الله عز وجل ، وهذه من الأشياء المتعارف عليها^(٤).

وبما أن الشاطئ البحري يعد أحد المسالك الهامة في مناطق الساحل-وصحار منها- فإن العلماء وضعوا أحراما للبحر لا يجوز تعديها ، وهي أربعون ذراعا من آخر نقطة يصل إليها مد البحر^(٥).

وكانت مدينة صحار ذاتها محاطة بمياه البحر وملحقاته من ثلاث جهات فمن الشرق كان خليج عمان وله ذراعان^(٦) يمتدان في البداية أحدهما خور الحصن وهو من الجهة الجنوبية ، ويمتد من البحر حتى الركن الجنوبي من القلعة ، أما الثاني فهو خور السوق ويقع في الجهة الشمالية ، ويمتد من البحر شرقا وينتهي مع سور صحار^(٧).

(١) العوتبي : الضياء ج ١٤ ص ٥-٦ .

(٢) الكندي : المصنف ج ١-٢٨ ص ٢١-٢٢ ؛ خميس : تاريخ عمان الحضاري لعمان ص ٦٢ .

(٣) الخروس : مفردا خرّس وهي جرة فخارية كبيرة ، وتسمى أيضاً في اللغة الحُب. انظر لسان العرب ج ٢ ص ٨ .

(٤) ابن بركة : التعارف ص ٢٤ .

(٥) ابن جعفر : الجامع ج ٢ ص ١٩٣ ؛ العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ١٦٣ .

(٦) في عمان يطلق على الذراع البحري اسم الخور وهو منتشر في مناطق الساحل .

(٧) السماحي : صحار الماضي والحاضر ص ١٤ .

سور صحار

اشتهرت المدن الإسلامية بكثرة التحصينات ، وقد كانت صحار من بين المدن التي وصفت بالحصانة^(١). والسور الذي نتحدث عنه قد لا يمثل تلك الحقبة من تاريخ صحار التي يتناولها البحث ، وإنما بني في فترات لاحقة ، لأن صحار في الفترة الأولى من تاريخها الإسلامي كانت أكبر من المنطقة التي تقع داخل السور الموصوف بأنه كان يمتد من القلعة جنوبا ، وحتى خور السوق شمالا وفي وسطه بوابة صحار^(٢). ورغم ما في وصف ابن الجاور من مبالغة إلا أنه يمكن أن يستدل من قوله: " أن صحار كان تحوى اثني عشر ألف قصر"^(٣) على كبرها ، وما تحويه من منازل وعمران كبير يفوق المساحة التي يحويها سورها السابق الذكر . كما عرفت صحار أيضا الخنادق التي توازي الأسوار من الخلف وذلك من أجل الزيادة في تحصين المدينة ، بالإضافة إلى نفق طويل يربط القلعة بجبل حوراء أحد جبال وادي الجزري ، الممر البري الهام لصحار ، وطول هذا النفق أربعة وعشرون كيلو مترا وهذا من أجل تأمين وصول الإمدادات في حالة تعرض المدينة لأي حصار^(٤).

(١) البكري : المسالك والممالك ج ١ ص ٣٦٩ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٤١٣ .

(٢) السماحي : صحار الماضي والحاضر ص ١٤ .

(٣) تاريخ المتبصر ص ٣١٥ ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

(٤) ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٢٢ ؛ السماحي : صحار الماضي والحاضر ص ١٤ .

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

المبحث الأول :

النشاط الزراعي .

المبحث الثاني :

النشاط الصناعي .

المبحث الثالث :

الأسواق التجارية .

المبحث الرابع :

النظم المالية .

المبحث الخامس :

التبادل التجاري .

من أهم ملامح ازدهار صحار قديماً ازدهارها الاقتصادي الذي يعد أساس تقدمها وتطورها . وكانت قبل الإسلام تمثل أحد الأسواق العربية الشهيرة في جزيرة العرب ، حيث كانت تقام بها سوق في أول شهر رجب من كل عام^(١)، وهو من الأشهر الحرم ، وهذه ميزة لأن من يقصدها يكون آمناً في طريقه إليها لا يحتاج إلى خفارة ، وكان يعشرهم الجلندي بن المستكبر وهو من أشهر ملوكها قبل الإسلام ، وقد أشار ابن حبيب بأنه يفعل ذلك فعل الملوك^(٢). ونظراً للعلاقات الملاحية والتجارية التي كانت تربط صحار بالعالم الخارجي وقدم هذه العلاقة فقد انعكس ذلك على نوعية المنتجات المعروضة فيها حيث تتوفر بضائع الهند والصين وشرق أفريقيا بالإضافة إلى ما تنتجه مصانعها وخاصة المعدنية منها والمنسوجات التي اشتهرت بها وهذا ما أشار إليه المرزوقي إذ يقول: "فيشترون من بزها و يباعها"^(٣). إلا أن ذلك الازدهار توسع توسعاً كبيراً خلال العصر الإسلامي الأول ، وكانت الزراعة والتجارة هي أساسيات ذلك النمو الاقتصادي .

المبحث الأول : النشاط الزراعي

اشتهرت عمان بتنوع المناخ وطبيعة البلاد الواسعة المتنوعة بين مرتفعات وسهول ساحلية وأخرى داخلية ، وهضاب ووديان وأدى ذلك إلى تنوع المحاصيل والغلات الزراعية^(٤).

وكانت الزراعة هي مصدر الاقتصاد الثاني بعد التجارة في صحار ، وكان لطبيعة سطح صحار ومناخها أثر كبير في إنتاجها الزراعي ، فقد كشفت الآثار عن

(١) ابن حبيب : المحرر ص ٢٦٥ ؛ المرزوقي : الأزمنة والأمكنة ص ٣٨٣ ؛ اليعقوبي : تاريخه ج ١ ص ٢٧٠ .

(٢) المحرر : ص ٢٦٥ .

(٣) الأزمنة والأمكنة ص ٣٨٣ . والبز هو الثياب والبياعات : الأشياء التي يتبايع بها في التجارة (لسان العرب ٢٨١/١)

(٤) د. عاشور و د. خليفات : عمان والحضارة الإسلامية ص ٢٥٤ .

أن النظام الزراعي في صحار كان مزدهراً ، وأن السهل الساحلي في صحار يتكون من الحصى الطينية والأحجار الجيرية ، وبالقرب من البحر يقل سمك هذه الطبقة نسبياً ويصبح سطح الماء موازياً لسطح الأرض^(١).

ويصف الرحالة والجغرافيون الحالة الزراعية في صحار خلال فترة الدراسة بالازدهار ، وأنها كانت تنتج كميات هائلة من البلح وقصب السكر بالإضافة إلى الموز والتين ، والفواكه شبه الاستوائية . وكان الزّراع يتوسعون في زراعتها ، وكان لهم اتصال وثيق بالتجار ، إذ انتشرت في عمان خلال القرن الرابع الهجري الحمضيات التي نقلوها من الهند^(٢).

الأراضي الزراعية :

تميزت صحار بوجود الأراضي الخصبة فتوسعت الرقعة الزراعية فيها خلال الفترة التي تناولها البحث حيث كانت تقدر بأربعة أضعاف الرقعة الزراعية الحالية أي بما يزيد على ٦١ كيلو متراً مربعاً^(٣). وتدل الآثار على وجود قنوات مائية جوفية طويلة يتراوح عددها بين ١٥ و ٢٠ قناة يتم دفعها إلى تلك المنطقة الزراعية وأغلب هذه القنوات الأفلاج . وقد اندثر أغلبها ولم يبق إلا القليل منها مثل فلج العوهي وفلج القبائل في شمال صحار . أما أفلاج مدينة صحار فكلها اندثر ولم يبق منها إلا إشارات المصادر^(٤).

ومن أدلة توسع رقعة الزراعة في صحار آنذاك الامتداد بها نحو الأراضي المرتفعة والقريبة من مجاري الأودية ، و للتغلب على مشكلة الري قاموا بعمل الطواحين التي عثر الأثريون على بقاياها^(٥).

(١) د. ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٣٠ .

(٢) الاصطخري : مسالك الممالك ص ٢٥ ؛ البكري : المسالك والممالك ص ٣٧١ .

(٣) ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٣٢ ؛ جون ويلكنسن : صحار تاريخ وحضارة ص ٩٠٨ .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ ؛ البكري : المسالك والممالك ص ٣٦٩ ؛ ويليامسون :

صحار عبر التاريخ ص ٣٢ .

(٥) ويلكنسن : مشروع التنقيب عن حقول صحار القديمة ص ٦ .

كما تدل الآثار على أن النظام الزراعي كان أكثر ازدهاراً في صحار منه في أي منطقة أخرى في الشرق الأدنى حسب تعبير ويليامسون^(١). ومن عوامل ازدهار الزراعة في صحار وجود المياه العذبة الجوفية حتى بالقرب من شاطئ البحر وفي هذه النقطة القريبة لا يزيد عمق الآبار عن متر واحد ، وكلما ابتعدنا عن الشاطئ إلى الداخل ازداد عمق هذه الآبار . والذي يؤسف له أن الاضطراب والقتل والفتن التي حدثت في صحار في النصف الثاني من القرن الرابع كانت لها انعكاساتها الحادة على الزراعة بصفة خاصة حيث دمرت أنظمة الري التي يعتمد عليها السكان في معيشتهم مما دفعهم للهجرة فأصبحت ثلثا المناطق الزراعية مهجورة في آخر القرن الرابع الهجري أو بعدها بقليل^(٢).

وسائل الري :

تعددت وسائل الري وأساليبه في عمان وقد اجتمعت في صحار كلها ، فمثلتها خير تمثيل في ذلك ، ومن أهمها :

الأفلاج^(٣): تم الحديث عن الأفلاج من ناحية تعريفها وبنائها وهنا سيتم الحديث عنها من جانب الاستفادة منها في الري الزراعي الذي من أجله تم شقها وبنائها. وبما أن الأفلاج من أهم وسائل الري في عمان فإن العلماء قد أولوا هذا الجانب اهتماما كبيرا منذ بواكير تأليفهم متناولين فيها كل ما يكتنف هذه الأفلاج من قضايا ومشكلات ومتحدثين عن تقسيم مياهها وعما يترتب على الاشتراك فيها من حقوق كحق الاشتفاع للمبيع وغيره . "وكل هذا لا يكاد يوجد له ذكر بهذه الدقة في غير

(١) ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٣٠ .

(٢) ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٣٣- ٤٣ .

(٣) تمت الإشارة إلى أن صحار للمدينة كانت لها أفلاج فاندثرت ، ولم يبق سوى فلجي : العوهي و القبائل القرين منها وهما في الجانب الشمالي من الولاية . أما القرى الداخلية والجبالية التابعة لولاية صحار فإنها ما تزال بها عدد كبير من الأفلاج يصل مجموعها إلى ٤١٦ فلجا وهي تمثل نسبة ١٠ / ٠ من أفلاج عمان البالغة ٤١٩٥ فلجا . أنظر: إحصائية وزارة موارد المياه بسلطنة عمان لحصر الأفلاج والعيون

المؤلفات العمانية ، وكانت صحار تكاد تأخذ قدم السبق في هذا المضمار من مدن عمان^(١). كما وضع العمانيون نظاماً دقيقاً للاستفادة من مياه الفلج وأساليب توزيعها.

ومجمل القول في هذا أنه بعد النظر في كمية مياه الفلج و مخزونه المائي ومساحة الأرض التي يسقيها الفلج وتنوعية المزروعات ، فإنه بناء على ذلك يتم قسمة مياه الفلج وتشتمل على مراحل :

المرحلة الأولى : وضع مدار ثابت تدور عليه قسمة الماء لمدة تتراوح بين سبعة أيام إلى عشرة أيام غالباً ، ومنها يصل إلى خمسة عشر^(٢) يوماً وتبدأ يوم الجمعة .

المرحلة الثانية : قسمت هذه الدورة إلى قسمين خلال الأربع والعشرين ساعة والقسم يسمى " بادة " فالبادة الأولى من طلوع الشمس إلى غروبها والثانية من الغروب حتى طلوع الشمس^(٣).

المرحلة الثالثة : قسمت كل بادة إلى أربعة وعشرين أثراً ، وكل أثر قسم إلى أربعة أرباع وسموها ربعة ، وكل ربعة قسمت إلى قياسات ، وكل قياس مقداره دقيقة وربع دقيقة من الزمن وكل إنسان له الحق أن يمتلك من الفلج حسب قدرته ورغبته لمدة خمس ساعات كل أسبوع أو حسب دورة الفلج^(٤)، وله حق التصرف في مائه بيعاً أو تأجيراً للغير إذا لم يكن بحاجة إليه^(٥).

وللفلج نفسه بادة أو أكثر يكون عائدها لصالح الفلج من خلال تأجير آثارها للذين لا يملكون أنصبه في الفلج أو لمن يريد أن يستزيد من الماء . وتأجير الماء إما أن يتم أسبوعياً أو سنوياً أو نصف سنوي حسب مقتضيات الحال وسنة أهل البلد^(٦).

(١) سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي : من محاضرة له بالمنتدى الأدبي نشرت في حصاد المنتدى ٩٤/٩٣ ص ٢٠٢ .

(٢) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ ص ٢١ ؛ العبري : البيان في بعض أفلاج عمان ص ٢٤ .

(٣) الكندي : المصنف ج ١٧ ص ١٨-٢٩ ؛ العبري : أفلاج عمان ص ٢٤-٢٦ .

(٤) العبري : البيان في بعض أفلاج عمان ص ٢٥ .

(٥) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٤٠ .

(٦) العبري : البيان في بعض أفلاج عمان ص ٢٥ .

ومعرفة وقت استحقاق الفلج لكل مشترك علم يحتاج إلى تفصيل لا يدركه إلا المختصون في ذلك بحكم الممارسة في العمل ، وقد وضعوا ضابطين أساسين يهتدي بهما أرباب الفلج لمعرفة مواعيد سقيهم وهما ضابط فحاري ومدايره على حركة الشمس وظلها ، وضابط ليلي يرتبط بعلم النجوم^(١).

الآبار :

الآبار من وسائل الري الزراعي الرئيسية في صحار . وقد أشار إلى ذلك الجغرافيون كالمقدسي^(٢) والبكري^(٣) والإدريسي^(٤). وهذا مما يدل على شهرة استعمالها حيث حفرت الآبار في المنازل للاستخدامات المنزلية وفي المزارع للري^(٥). والآبار أنواع طبقا لاستخدامها وكمية المياه الموجودة فيها ، ومن أهمها:

البئر المستبحرة^(٦): وهي أكثر شيوعا في المزارع لكثرة مياهها وتستخرج مياه آبار المزارع بالزاجرة^(٧)، ويستخدم في ذلك الدولا ب " ويسمى في عمان المنجور"^(٨) ،

(١) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ ص ٨٤ . الكندي : المصنف ج ١٧ ص ٨٨ ؛ العري : البيان ص ٢٧ . الضابط النهاري يختار له مكان مناسب وضعوا عليه عمودا لقياس حركة الظل بقياسات دقيقة يطول شرحها ويسمى مكان هذا الضابط " اللمد " أما الضابط الليلي فهو أكثر صعوبة لأنه معرفة عدد من النجوم وطلوعها وغروبها وسر حركتها وتسمى تلك النجوم " نجوم المحاضرة " ولكل فلج من الأفلاج خصوصيته في تقسيم مياهه وهناك أفلاج تسمى بالعينية أو الغيلية وهي تناسب من عيون متدفقة لذاها من باطن الأرض وأشهر تلك العيون عين الكسفة بولاية الرستاق . وللمزيد من معرفة جوانب علم الأفلاج وأماكنها انظر : العرتي الصحاري : الضياء ج ١٨ ص ٢٣٣-٢٤٠ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ ص ٨-١٢١ ؛ الكندي : المصنف ج ١٧ ص ١٠٤ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ .

(٣) البكري : المسالك والممالك ج ١ ص ٣٧٠ .

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ١٥٥ .

(٥) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ ص ٥ .

(٦) الكندي : المصنف ج ٣ ص ٣٣٢-٣٣٥ . والبئر المستبحرة هي الكثيرة المياه الواسعة (لسان العرب ١٦٧/١)

(٧) الزاجرة : مصطلح عماني لآلة نرف الماء من الآبار للزراعة . انظر : الكندي : المصنف ج ٣ ص ٣٣٤ .

د. الحارثي : بنو نبهان ص ٧٦ .

(٨) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ ص ٧ ؛ الكندي : المصنف ج ١٧ ص ١٢ .

وهو عبارة عن بكرة خشبية كبيرة ، أما الوعاء الذي يرفع الماء فهو الدلو وهو كبير مصنوع من جلد البقر . ويربط الدلو بحبل طويل يمر على الدولاب . أما الطرف الآخر من الحبل فيوصل بخشبة على شكل سنام الثور وتوضع على السنام ويحفر في جهة من جهات البئر حفرة تسمى الحلب ، وهي تبط تدريجياً ابتداءً من المصب في الأعلى إلى أن تساوى البئر نزولاً وتستخدم الثيران في جذب الماء^(١) .

البئر البدعة : هي البئر يكون مأوها أقل من سابقتها وغالباً ما تستخدم في المنازل والحدائق الصغيرة وترفع يدوياً بواسطة الرشاء والدلاء والبكرة الحديدية .

وقد وضع العلماء بعض الشروط لمن أراد أن يحفر بئراً سواء كانت للاستخدام المتري أو للزراعة ومنها إذا كانت قريبة من الطريق فقالوا يقدر لها عشرون ذراعاً أو تقدر لها المسافة التي لا ينشأ عنها ضرر على الطريق^(٢) ، كما أنهم لم يجيزوا حفر الآبار بالقرب من الأفلاج ، كما وضع العلماء قواعد تنظم المشاركة في حفر الآبار وامتلاكها سواء كانت للاستخدام المتري أو للزراعة^(٣) .

وهكذا كانت الآبار إحدى الوسائل الهامة للري الزراعي في صحار وغيرها خاصة في منطقة الباطنة حيث وفرة المياه الجوفية ، وقد تمت الإشارة إلى أن خاصية الآبار في صحار هي عذوبتها حتى ولو كانت على سيف البحر أو قريبة من سطح الأرض ، وهناك بعض الآبار تخصص للنفع العام وتسمى طوي الورد^(٤) .

الأودية :

هي مجاري مياه الأمطار المنحدرة من الجبال . ولا يوجد في عمان أودية دائمة الجريان إلا القليل في بعض المناطق ، ولكن أهمية الأودية أن تغذي المخزون الجوي من المياه عند تدفقها في حالة سقوط الأمطار كما تستفيد بها بعض المزارع

(١) د. عبد الله الحارثي : بنو نيهان في عمان والأوضاع الاقتصادية في عصرهم ص ٧٧-٧٨ .

(٢) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ ص ٦ .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ ص ٧ .

(٤) الكندي : المصنف ج ١٧ ص ٢٢ ؛ ج ٢٨ ص ٢٢ . والطوى البئر المطرية بالحجارة وجمعها أطواء .

لسان العرب ج ٤ ص ٢١٠ .

الواقعة على ضفاف هذه الأودية فتدخلها حاملة معها الطمي الذي يعتبر من المنشطات الزراعية فلذا يحاول عدد كبير الاستفادة من هذه الأودية مما تسبب في بعض الحالات في المنازعات بسبب تغيير مجاري الأودية^(١). وقد عرفت صحار العديد من الأودية من أهمها :

وادي الجيزي : وهو أطول مجرى مائي في المنطقة الوسطى من الباطنة وكما سبق الحديث هو لا يجري على مدار العام ، ولكن مياهه تتحول إلى قنوات جوفية فتجعل المنطقة التي في صحار وحولها أفضل المناطق على الساحل^(٢) ، وقيل إنه بسبب وادي الجيزي كانت صحار دائما المركز الطبيعي للتطور الزراعي في إقليم الباطنة الساحلي^(٣). ومن الأودية الهامة الأخرى وادي عاهن ووادي حبي ووادي الحليسي ووادي صلان ووادي مَجَز^(٤).

المحاصيل الزراعية في صحار :

اشتهرت صحار بإنتاج العديد من المحاصيل الزراعية من فواكه وحبوب وخضراوات وبقول وغيرها ، إلا أن التمور تعد في مقدمة هذه المحاصيل كلها وهي أحد الموارد الاقتصادية الهامة في عمان حتى الآن ، فلذا سيكون الحديث عنها أولاً.

التمور:

اهتم العمانيون بالنخيل اهتماما بالغاً وذلك لما تمثله من مورد هام ، كما تعد التمور من أجود ما يمكن أن يعتمد الإنسان عليه في معيشته لقيمتها الغذائية العظيمة العالية . وقد استفاد العمانيون من كل مكونات النخلة وهذا ما نلاحظه في إجابة أحد بني الحدان وهو من صحار عندما سئل عن اهتمامه بالنخلة حيث رد قائلاً :

" إن النخل حملها غذاء ، وسعفها ضياء ، وجذعها بناء ، وكرمها صلاء ، وليفها

(١) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ ص ٢١ ؛ كتاب موارد المياه في سلطنة عمان ، دليل إرشادي أصدرته

وزارة موارد المياه في سنة ١٩٩٥ . ص ٢٩ .

(٢) ويليا مسون : صحار عبر التاريخ ص ١١ ؛ جون ولكنسون : صحار تاريخ وحضارة ص ٨ ؛

السماحي : صحار الماضي والحاضر ص ٧٤ .

(٣) ويليا مسون : صحار عبر التاريخ ص ١٢ .

(٤) الكندي : المصنف ج ٥ ص ٣٤٦ ؛ السماحي : صحار الماضي والحاضر ص ٧٤ .

رشاء ، وخصوصها وعاء ، وقرورها إناء ^(١) ، فلذا نجد أن كل من ذكر عمان ومواردها الاقتصادية قديماً أكد أن التمور كانت في مقدمة حاصلاتها الزراعية ^(٢) . ومن أنواع التمور التي اشتهرت صحار بإنتاجها وتناقلتها المصادر الفرض والبلعق والخبوت وصرفان والقب والقش ، ويصف ابن الفقيه الثلاثة الأولى بأنها أجود تمور عمان ^(٣) . وما تزال النخلة في عمان تحتل المرتبة الأولى في الزراعة ، وهناك ما يربو على مائتي نوع من أنواعها من أشهرها وأجودها الخلاص والخصاب والخنيزي والزبد والبرني . ومن أشهر نخيل ساحل الباطنة " أم السلا " . ويستمر عطاء النخيل بمختلف أنواعها أكثر من خمسة أشهر سنوياً تعطي رطباً جنياً .

وصناعة التمر تمر بمراحل من قطف الثمرة ، ويسمى " الجداد " ، ثم يوضع الجداد في مكان مكشوف تحت الشمس حتى يجف ثم يجمع وينقى ثم يعبأ في أوعية خاصة تصنع من سعف النخيل يسمى واحداً " جراب " ^(٤) ويوضع كل صنف من أصناف التمر وحده لأنه يتميز في النوعية والقيمة . وخلطه يعتبر من الغش إلا إذا بين البائع للمشتري ذلك ^(٥) .

الفواكه :

وصفت صحار بأنها كثيرة النخيل والفواكه والثمار الطيبة ^(٦) . ومن تلك

(١) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٤٥-٢٤٦ ؛ والكرب هو كعب سعف النخيل (لسان العرب ٣٨٧/٥)

والصلاء ما يستخدم للوقود (لسان العرب ٦٨/٤) ، والقرو : أسفل النخلة (لسان العرب ٢٤٩/٥)

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧-٨٨ ؛ الإصطخري : مسالك الممالك ص ٣٥ ؛ الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٣١١ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٤ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ١٥٥ ؛ ابن الفقيه : البلدان ص ٣١ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٤٣١ ؛ الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ١٥٠ .

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣١ ؛ ابن جعفر : الجامع ج ٥ ص ٢٠٦ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٤٥ ص ٢٦-٢٧ .

(٤) د. الحارثي : بنو نبهان ص ١٠٧ .

(٥) الكندي : المصنف ج ٢٤ ص ١٠٨ ؛ خميس : تاريخ عمان الحضاري : ص ٨٣ .

(٦) الكندي : المصنف ج ٢٤ ص ١٠٨ .

الفاكهة الموز وبعضه سمي بالموز العماني^(١)، والرماني^(٢)، ووصف الدينوري رمان عمان بأنه في منتهى الجودة^(٣). ومن الفاكهة الموجودة التين والعنب والسفرجل والبطيخ والفرصاد (التوت) والنبق^(٤). وأشار الدينوري إلى ثمرة الأنبيج ووصف الأنبيج بأنه : كثير بأرض العرب من نواحي عمان وهو يغرس غرسا وهو لوان أحدهما ثمرة في هيئة اللوز والآخر في هيئة الإحاص حامضا ثم يحلو إذا أُنِع ، ولهما جميعا ريح طيبة ... وشجره يعظم كشجر الجوز ... فإذا أدرك فالحلو منه أصفر والمر منه أحمر^(٥)، ويصنع منه المربيات^(٦).

المواالح : من أشهرها الليمون^(٧)، وانتشرت زراعته في صحار وكان يجفف في الشمس ويصدر وهو يابس . وتوجد عمان منه سلالات عالية الجودة غزيرة الإنتاج^(٨). ومن أنواع المواالح أيضا الأترج ، ويبدو أن منه الحامض ومنه الحلو ، فالحامض قشره سميك ، أما الحلو منه فرمما هو الذي يسمى الآن بالسفرجل^(٩)، والذي يطلق عليه الليمون الحلو كما هو شائع في مصر^(١٠). واشتهرت صحار أيضا

(١) الإصطخري :مسالك الممالك ص٢٥ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم ص٧٨ ؛ ٤ الإدريسي : نزهة المشتاق ص ١٥٥،٦٢ .

(٢) ابن بركة : كتاب التقييد ص٣٩٥ .

(٣) كتاب النبات ج٣ ص١٧١ .

(٤) ابن بركة : كتاب التقييد ص ٣٩٦،٣٩٥ ؛ الكندي : بيان الشرع ج٢٦ ص٣٩٠،٣٩١ ؛

الإصطخري : مسالك الممالك ص٢٥ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ص٥٤ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ص١٥٥ ؛ الحميري : الروض للعطار ص٣١٤ .

(٥) كتاب النبات ج٥ ص٤٥ .

(٦) ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ص٦٦ .

(٧) القزويني : عجائب المخلوقات ص٣٠٣ . ويشير القزويني إلى أن العمانيين يستخدمونه كمضاد لسم الحيات ، وقالوا أنه يقوم مقام الترياق بالإضافة إلى استخداماته الكثيرة وفوائده العظيمة .

(٨) الحارثي : بنو نبهان ص١٠٨ .

(٩) ابن بركة : كتاب التقييد ص ٣٩٦،٣٩٥ . ومن دلائل ذلك أنه يوضع عند الباعة من ضمن الفواكه

كالبطيخ والرماني . انظر كتاب التقييد : نفس الصفحات .

(١٠) الحارثي : بنو نبهان ص١٠٩ .

بإنتاج التارنج الذي جلب من الهند فانتشرت زراعته فيها وانتقل منها إلى بغداد في القرن الرابع الهجري إلى قصر الخليفة القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ / ٩٣٢-٩٣٤م) ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر^(١).

الحبوب والبقوليات :

عرفت صحار العديد من الحبوب منها الذرة والشعير والحنطة . ومن البقوليات: اللوبيا والحمص والفل (الباقل) و الحلباء والعدس والسوسم^(٢). وتنقى الحبوب بعد أن تحصد وتجمع في مكان يطلق عليه (الجنور) وتستخرج الحبوب من سنبليها بطريقة الضرب ويسمى "الدوس"^(٣).

الخضراوات : جادت أرض عمان ومنها صحار بمحاصيل زراعية موسمية كثيرة منها الخضراوات مثل البصل والثوم والفجل والباذنجان والقثاء والجزر وهو نوعان الحلو وهو البطاطس الحلوة ، والجزر المعروف ؛ والقرع بأنواعه والفلفل والخيار والجلجلان والخردل^(٤).

محاصيل متنوعة :

شهدت صحار زراعات عديدة فزرع القطن وقامت عليه صناعة النسيج^(٥)، كما زرع العصفور وهو نبات لونه أحمر يستخدم في صبغ المنسوجات^(٦)، وزرع نبات الشوران وأيضا استخدم في صبغ الملابس ولونه أصفر^(٧)، وانتشرت أيضا زراعة قصب السكر^(٨).

(١) المسعودي : مروج الذهب ج٤ ص ٣٧٨-٣٧٩ .

(٢) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٥٥-٢٦٠ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٤١ ص ١٠٦ ؛ البكري : المسالك والممالك ج١ ص ٣٦٩ .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٤١ ص ١٠٦-١٠٧ ؛ الكندي : المصنف ج ٩ ص ١٥٦ ؛ د. الحارثي : بنو بهان ص ١٠٦ ؛ خميس : تاريخ عمان الحضاري ص ٨٦ .

(٤) الكندي بيان الشرع ج ٤٢ ص ١٥٧-١٦٦ ؛ د. الحارثي : بنو بهان في عمان ص ١٠٦ .

(٥) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٦٠ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٤٢ ص ١٥٩-٢٨٢ .

(٦) الكندي : المصنف ج ٣ ص ٣٤٧ ؛ خميس : تاريخ عمان الحضاري ص ٨٨ .

(٧) الكندي : بيان الشرع ج ٤٢ ص ١٦٠ .

(٨) البكري : المسالك والممالك ص ٣٧٠ . الكندي : المصنف ج ٢١ ص ٥٨ .

وتنتج صحار أيضا الحمرة (التمر الهندي) ويستعمل في الطبخ^(١). ومن الشجر الطيب الرائحة الكاذي وفي عمان يطلقون عليه (الكذا) ويطيب به الدهن حيث يقطع من طلعها ويلقى في الدهن ، فتطيب رائحته^(٢).

ومن أشجار الرياحين أيضا نبات الريحان الأخضر^(٣)، كما يزرع أيضا الورد الجبلي الذي يستخلص منه ماء الورد . ومن الأشجار التي تنمو في صحار شجر السدر ومن ثمارها النبق^(٤)، ومنه شجر الغاف الذي يتعاطم وتستخدم أخشابه للصناعات الخشبية أما ثماره فتستخدم للحيوانات^(٥). وأيضاً ينمو شجر السمر وشجر القرط^(٦)، وهذه كلها أشجار كبيرة تستخدم أخشابها لصناعات مختلفة كالأبواب والنوافذ ويستخدم في سقوف المنازل وغير ذلك . أما زراعات علف الحيوانات ، فكان في مقدمتها البرسيم ويسمى في عمان "القت"^(٧).

الثروة الحيوانية :

تعتبر الثروة الحيوانية من دعائم الاقتصاد فهي تمثل أحد أساسيات الغذاء كما تقوم عليها صناعات مختلفة بالإضافة إلى أنها كانت وسيلة من وسائل الفلاحة^(٨)، فلهذا شاعت تربية الحيوانات في صحار فانتشرت حظائرها في مزارع صحار وفي منازلها الريفية تعلق هذه الحيوانات بالبرسيم (القت) والحشائش والقصب والتمر كما يقدم لها بقايا الطعام وخاصة تلك التي تربي في المنازل^(٩)، ومنها الخيول التي

(١) الدينوري : النبات ج ٥ ص ١٣٤ ؛ ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ج ١ ص ١٤٠ .

(٢) الدينوري : النبات ج ٥ ص ٢٦١ ؛ ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ج ٢ ص ٤٥ .

(٣) الدينوري : النبات ج ٥ ص ٧٢ ؛ الجواليقي : المغرب ص ١٧٤ .

(٤) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٦٤ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٤٢ ص ١٦٣ .

(٥) الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ١٨٣ .

(٦) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٦٤ ؛ الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ١٨٣ .

(٧) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٧٧ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٤٣ ص ١٥٧ .

(٨) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٩٠ ؛ الكندي : المصنف ج ٢٥ ص ٧٨ .

(٩) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ١٤٢ . الكندي : المصنف ج ٢٥ ص ٧٨ .

شاعت تربيتها وكثر استخدامها في الفروسية والحرب أو للزينة والركوب ، ولم تستخدم في الفلاحة ^(١).

ومن أشهر الحيوانات التي عرفتها جزيرة العرب الإبل لأنها تلائم الحياة العربية لقطع المسافات البعيدة والشاقة عبر الصحراء والجبال فقد كانت تسير دون كلل أو ملل ، فلذا شاع تربيتها واستخدامها في صحار خاصة في التنقل ^(٢)، كما شاع استخدام الحمير في صحار ^(٣) للتنقل من بلد لآخر داخل عمان ، ولحمل الأثقال داخل المدينة الواحدة ويكاد لا يستغني عنها كل مزارع ، فينقل منتجاته الزراعية إلى الأسواق بواسطتها ^(٤)، وكانت تتم مراقبة أصحاب الدواب لكي لا تحمل فوق طاقتها .

أما الأغنام والأبقار فقد اعتنى بتربيتها لما تمثله من أهمية خاصة ولأن سوق صحار كانت تمثل رواجاً ، فيتطلب توفير كل مستلزمات المعيشة من اللحوم واللبين ومشتقاته ^(٥)، بالإضافة إلى أن الأبقار كانت إحدى وسائل الحرث الهامة حيث كانت تستخدم في جذب المياه من الآبار في المزارع التي كان تعتمد على الآبار كما كانت تستخدم في تقليب الأرض ^(٦) . وكانت سوق صحار تشهد بيع الأغنام والأبقار . وقد رخص العلامة محمد بن محبوب بيع الإبل بالأغنام والحمير بالبقر والبقر بالإبل ^(٧)، كما كان يستفاد من شعرها ^(٨) لصناعة النسيج ولكي لا تترك هذه الثروة سائبة ، فإنه تم في عهد الإمام عبد الملك بن حميد (٢٠٧-٢٢٦ هـ / ٨٢٢-٨٤٠ م) تعيين مسؤول عن ذلك قدر له راتب من قبل الإمام مسئوليته

(١) السلمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٤٨ . د. عبد الله الحارثي : بنو نيهان ص ١٢٣ .

(٢) العوتي : الضياء ج ١٨ ص ١٤٢-٢٠٢ .

(٣) المصدر السابق ج ١٨ ص ٢٩٤-٢٩٥ .

(٤) نفس المصدر ج ١٨ ص ١٣٨-١٤٣-٢٠٢ .

(٥) نفس المصدر ج ١٧ ص ٢٠٣-٢٠٦-، ج ١٨ ص ٣١٧ .

(٦) نفس المصدر ج ١٨ ص ٢٩٠ .

(٧) نفس المصدر ج ١٧ ص ٢٠٢ .

(٨) نفس المصدر ج ١٨ ص ١٠٣ .

الإنصاف بين الناس في ذلك^(١). أما الدواجن ، فكانت أيضاً تربي في الحقول
والمنازل^(٢).

الثروة البحرية :

من عوامل رقي صحار موقعها البحري الذي أتاح لأهلها أن يستخرجوا
خيرات البحر وثرواته السمكية ولآله الثمينة وعطره الفائق ، فلذا امتهن العديد من
أهل صحار صيد الأسماك والغوص للبحث عن اللؤلؤ الذي تخرجه شواطئ عمان من
جنوب البلاد إلى شمالها .

صيد الأسماك : مهنة الصيد تعتبر من المهن الأساسية في عمان و يعتمد عليها عدد
كبير من السكان نظراً لطول السواحل العمانية فشكل الصيد أحد متركزات الدخل
القومي قديماً وحديثاً . وساهم أبناء صحار في ذلك خاصة أن أسواقها تستوعب
القدر الأكبر من تلك الثروة وتختلف أشكال وطرق الصيد باختلاف الفصول
وتحركات الأسماك ، فبعضها يحتاج إلى عناء كبير حيث يذهب لمسافات بعيدة في
البحر وبعضه يكون في الأعماق والبعض الآخر يكون أسهل ، فيتواجد في المناطق
القريبة من الساحل وفي المياه السطحية^(٣). وأغلب فترات الصيد تكون ليلاً لتعود
القوارب في الصباح الباكر محملة بالأسماك ، فتعرض في الأسواق أو تباع للزبائن
المنتظمين ، ومن وسائل الصيد في عمان القوارب والشباك^(٤) ، التي تسمى "ليخ"^(٥)
، والسنارة وهي من نوع خاص فهي مدورة بدون أشواك ومصنوعة من الحديد^(٦).
واستطاع أهل صحار أن يجنوا من خيرات البحر بكميات كبيرة تفيض عن
الاستهلاك المحلي مما دفعهم إلى إيجاد طرق لحفظه وهي التجفيف أو التمليح . ومن

(١) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ١٤٠ .

(٢) المصدر السابق ج ١٨ ص ١٣٨-١٤٢ .

(٣) مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٢٨ ؛ د. الحارثي : بنونيهان في عمان ص ١٢١.

(٤) العوتبي: الضياء ج ١٨ ص ٣١١ ؛ الكندي : للصف ج ٩ ص ٢٠٦ ٢٠٧ ؛ د. شلي : عمان في

التاريخ بحث من ضمن حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ٣١ ص ٣١ .

(٥) د. الحارثي : بنونيهان في عمان ص ١٢١ .

(٦) مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٢٩

أنواع الأسماك الجيدة التي يشيع استعمالها في صحار سمك الكنعد ومن هذا السمك ما يملح فيستعمل في فترات لاحقة^(١). ومن الأسماك ذات الأهمية الاقتصادية سمك القرش ، ويؤكل طازجا أو مجففا ، وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك فقال: " يشرح ويقدد ويقتنات به"^(٢)، ويستخرج من كبد أسماك القرش دهن يستخدم في طلاء أخشاب السفن . ويقول الإدريسي بأن: " هذا الدهن مشهور في بلاد اليمن وبلاد فارس وساحل عمان .. وهو عمدتهم في سد خروق المراكب بعد خرزها"^(٣).

ومنها كذلك سمك السردين وهو نوع من الأسماك صغيرة الحجم ويصطاد بكميات كبيرة ويجفف ويستخدم كعلف للحيوانات والفائض منه يصدر^(٤)، وهناك الكثير من أنواع الأسماك التي تزرع بها سواحل صحار والتي لفتت انتباه المؤرخين والجغرافيين ، فصاحب كتاب عجائب الهند يتحدث عن عجائب ما يصاد من الأسماك يبحر عمان وعظم أحجامها ، وأن الناس تستفيد من لحومها ودهونها وقد حمل من صحار للخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٧-٩٣٢م) في سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م من تلك الأسماك سمكة كبيرة لطرافة كبر حجمها^(٥).

ولكثرة الأسماك في سواحل عمان وجودة أنواعها عدها الأصمعي بأنها ريف الجزيرة في الأسماك^(٦). إلا أن ابن الفقيه الراوي لقول الأصمعي لم يكتف بذلك وإنما قال في موضع آخر بأنها ريف الدنيا^(٧)، فلذا كان الخلفاء يأخذون زكاة الأسماك

(١) الجوالقي : العرب ص ٢١٦ ؛ مايلز : الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٢٩ .

(٢) ابن بطوطة رحلته ص ٢٦٧ .

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٩٤ .

(٤) ابن حوقل ص ٤٤ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ص ١٥٥ . ويذكر العبدلي بأن اسمه السرزف وليس الزوف كما ذكره الإدريسي وابن حوقل ذكره الورق ويعلل أن الخطأ من النساخ . انظر : الدولة العمانية الأولى ص ٧٤ .

(٥) بزرگ : ص ١٤-١٥ ويسمى في بعض المناطق في عمان " القاشع " .

(٦) ابن الفقيه : البلدان ص ١٠١ ، وريف الدنيا أي أنها مصدر الأسماك (لسان العرب ١٥٧/٣ مادة ريف).

(٧) نفس المصدر ص ٤٣ .

العمانية فقد أورد ابن سلام أن الخليفة عمر بن العزيز وجه عاملة على عمان بأن لا يأخذ زكاة السمك حتى يبلغ مائتي درهم^(١).

استخراج اللؤلؤ^(٢) :

شكلت مهنة الغوص لاستخراج اللؤلؤ من أعماق البحر مورداً طيباً في صحار . وقد برع في ذلك العديد من الناس . ويعتبر خليج عمان والذي تقع عليه صحار والخليج العربي من أغنى البحار باللؤلؤ . ويذكر الإدريسي بأنه يوجد ثلاثمائة مكان مقصود للغوص وأكثرها يوجد في الخليج وهي أنفعها^(٣) . بينما عدّها القلقشندي من أحسن المغاصات وأشرفها وأعلاها قدراً في حسن اللؤلؤ^(٤) . ويورد الجاحظ عن أصحاب المعرفة قولهم : إن معرفة جواهر اللؤلؤ على ضربين عذب المذاقة عماني وملح المذاقة قلزمي ... وخير اللؤلؤ العماني المستوى الجيد الشديد التدرج والاستواء^(٥) ، كما ذكر البيروني بأن أحسن اللؤلؤ هو العماني^(٦) .

ومن أغلى الآلي ما عرفت باليتيمة وسميت بذلك لأنها لا يوجد نظير لها كما قيل ، واستخرجت من بحر عمان للتاجر الصحاري مسلم بن بشر فباعها للرشيد بسبعين ألف درهم . وكانت لديه أخرى أقل منها اشتراها الرشيد بثلاثين ألف درهم ، فرجع مسلم وابتنى داراً كبيرة أصبحت محط أنظار للجميع ، واشترى ضياعاً كثيرة^(٧) . ومن الآلي الثمينة اللؤلؤتان اللتان بيعتا في مكة ، ويذكر البكري بأنه لم يُر مثلهما قدم بهما رجل من عمان^(٨) .

(١) ابن سلام : الأموال ، مؤسسة ناصر للثقافة . الطبعة الأولى نوفمبر ١٩٨١م ص ١٤٢ .

(٢) اللؤلؤ : هو حيوان رخوي يعيش داخل صدفة فإذا صادف دخول جسم غريب كحبة رمل مثلاً أو طفيلي إلى داخل صدفة هذا الحيوان الرخوي فإنه يفرز مادة هي بعينها تلك اللؤلؤة الثمينة الغالية .

انظر : الموسوعة العربية الميسرة ج ٢ ص ١٥٨ ؛ د. الحارثي : بنو نبهان في عمان ص ١٣٧

(٣) نزهة المشتاق ص ٣٩١ .

(٤) صبح الأعشى : ج ٤ ص ٤٠٨ .

(٥) الجاحظ : التبصر ص ١٧ .

(٦) كتاب الجماهر في معرفة الجواهر (تمة) ص ١٠ .

(٧) بزرگ : عجائب الهند ص ١٣٧ .

(٨) البكري : المسالك والممالك ص ٣٦٩

ويبدأ موسم الغوص من أول نيسان (إبريل) إلى آخر أيلول (سبتمبر) من كل سنة^(١)، ويبدأ عمل الغواص من الضحى حتى الظهر^(٢)، ويعاود الغواص في تلك الفترة الغوص من ثلاث مرات حتى أربع وهو على الریق فإذا فرغ من عمله تناول طعامه^(٣). وأجرة الغواص خمسون درهما في الشهر^(٤). وفي المساء يتم شق الأصداف لاستخراج ما بداخلها من لؤلؤ وقد تباع أصداف غير مفتوحة على اعتبار أنها لا يوجد بها شيء من اللآلئ فيجد المشتري في صدفة منها لؤلؤة ، فهل هي للبائع أم للمشتري ؟ . فالإمام العوتبي يورد بأن الصدفة وما فيها للمشتري^(٥)، ويتم شراء الصدف عادة لاستخدامه للزينة كما هو معروف .

العنبر :

من الثروات البحرية التي حبا الله بها سواحل عمان العنبر ، ويصفه المسعودي نقلا عن بحارة سيرا فيين وعمانيين أنه ينبت في قعر البحر ويتكون كتكون أنواع الفطر من الأبيض والأسود و الكمأة ونحوها ، فإذا ماج البحر واشتد قذف من قعره الصخور والأحجار وقطع العنبر . ومنه ما يتلعه الحوت فيقتله ، فيطفو الحوت فوق الماء فيطرح فيه الصيادون الكلايب والحبال ، فيجذبونه إلى الساحل ثم يشقون عن بطنه ، فيستخرجون منه العنبر^(٦). وكثيرا ما يلفظ به البحر في عمان إلى الشواطئ وهو أشبه بكتل صلبة ويعتقد البعض أن الحيتان هي التي تلفظه نتيجة علة أو مرض تصاب به^(٧). وفي البداية تكون رائحة العنبر كريهة ثم بعد ذلك تحول إلى رائحة عطرية .

(١) البكري : المسالك والممالك ص ٢١٠ .

(٢) البيروني : كتاب الجماهر ص ١٤٧ . البكري : المسالك والممالك ص ٣٦٨ .

(٣) البيروني : كتاب الجماهر ص ١٤٧ .

(٤) ابن بركة : كتاب التقييد ص ٤٣١ .

(٥) العوتبي : الضياء ص ١٧ ص ١٩٠ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٥٤ ؛ البكري : المسالك والممالك ص ٢٠٠ .

(٧) مايلز : الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٣٣ .

والعنبر العماني وصف بأنه أجود الأنواع ، وهو من شجر عمان وخير أوصافه الخفة والبياض والدهنية ، أو أن يميل لونه إلى الخضرة والصفرة ميلاً يسيراً^(١)، وكانت صحار هي المُستقبل لخيرات البر والبحر التي حبا الله بها عمان ومنها يصدر إلى مناطق أخرى من العالم .

(١) أبو الفضل الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق محمود الأرناؤوط ص ٣١ . الناشر دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٩ م .

المبحث الثاني : النشاط الصناعي

بناء على ما تقدم ذكره من وجود ثروات متعددة الجوانب في صحار فإن ذلك استلزم أن تقوم صناعات عدة ؛ بعضها فرضه النشاط البحري ؛ ومنها ما اتصل بالثروات المعدنية ؛ أو بالإنتاج الزراعي . ومن أهم الصناعات التي عرفت في صحار ما يلي :

صناعة السفن :

فرض موقع صحار البحري واشتغال الناس فيه بالصيد والملاحة وتوسع نشاطها التجاري إيجاد صناعة السفن بكل أحجامها وأشكالها المعروفة في زمان تلك الفترة من تاريخها بما يناسبها مع المهام التي تؤديها تلك السفن وطبيعة البحار والمحيطات التي تعمل فيها . ومن أدلة سبق صحار في مضمار هذه الصناعة قيام الإمام غسان بن عبد الله ببناء السفن التي كانت مهمتها مطاردة قراصنة البحر ، فأقام في صحار خمس سنوات في أوائل القرن الثاني الهجري من أجل الإشراف المباشر على تلك المهمة ^(١).

بناء السفن ولوازمها :

تطلبت صناعة السفن أنواعا من الخشب المتين وكانت معظم الأخشاب التي اعتمد عليها الصحاريون في صناعتهم متوفرة في البيئة العمانية مثل خشب النارجيل "جوز الهند" الذي تجود به ظفار ^(٢)، وبعضه يستورد من الهند وجزيرة سرنديب وجزر المالديف ^(٣). ومن الأخشاب المحلية أيضاً السدر والقرط وهما نوعان من شجر السنط ^(٤). أما أهم الأخشاب المستوردة لهذه الصناعة فهو خشب الساج ^(٥)، وتقتل

(١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢١ ؛ د. سعيد عاشور ؛ د. خليفات : عمان والحضارة الإسلامية ص ٢٦٨ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ص ٢٦٢ .

(٣) السيرافي : أخبار الصين والهند ص ٨٨ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٣١٢ .

(٤) عمان وتاريخها البحري : ص ١٥٦ .

(٥) بزرگ : عجائب الهند : ص ١٤٥ ؛ ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ص ١١٩ ؛ حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة د. السيد يعقوب بكر ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨ : ص ٢٤٠ .

ألياف النخيل و النارجيل لصناعة الحبال الخاصة بشد السفن . ويذكر السيرا في أن العمانيين يقصدون الهند أو إحدى الجزر الآنفة الذكر ومعهم آلات النجارة ، فيقتطعون من خشب النارجيل ما أرادوا ، فإذا جف قطع ألواحاً ، ويفضلون من ليف النارجيل ما يخرزون به ذلك الخشب^(١) . وأغلب السفن الكبيرة يبنى من خشب الساج فهو شديد الاحتمال من الاستعمال ؛ أما السفن الأصغر حجماً ؛ فتصنع من خشب السدر والقرط وهي أخشاب صلبة ، أما القوارب الصغيرة فتصنع من جذوع النخل^(٢) . أما خشب النارجيل فيستخدم لصناعة الدُّقْل " صاري السفن " ، وينسجون من خواصه الأشرعة^(٣) .

وكان هيكل السفينة يثبت على أبسط وجه يمكن ، فتوضع العارضة أولاً على الأرض ثم تربط إليها ألواح أفقية على الجانبين بحبال من ليف وتكون ألواح الجانبين متلاصقة الأطراف يُشد بعضها إلى بعض وتقاط بخيوط تغرز خلال ثقب على أبعاد معينة قرب الألواح المتجاورة^(٤) ، ولا تستخدم في ذلك المسامير وذلك لأكثر من مبرر منها وفرة الألياف التي تصنع منها هذه الحبال وقلة تكلفتها ، وبسبب وجودها الدائم على المياه واشتداد الرطوبة في البحر والتي تسبب سرعة صدأ المسامير ، فإذا استخدمت فلابد من حمايتها كما كان موجوداً في المراكب اليونانية والرومانية حيث يستخدمون الرصاص فوق رؤوس المسامير لحفظها وهذا مما يزيد العناء والتكلفة . ويفسر البعض استخدام الحبال بوجود جبال مغناطيسية حسب ما يذكر صاحب كتاب عجائب الهند وأنه لا سير في ذلك النهر بمركب من حديد لئلا يجذبه

(١) أخبار الصين والهند ص ٨٨ .

(٢) الكندي : المصنف ج ١٩ ص ٩٧-١٧٢ . عمان وتاريخها البحري ص ١٥٦ ؛ د. الخارثي : بنو نهان في

عمان ص ٢١٥ ؛ حميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ١٨٧ .

(٣) السيرا في : أخبار الصين والهند ص ٨٨ .

(٤) حوراني : رحلة العرب والملاحاة في المحيط الهندي ص ٢٤٨ ؛ عمان في التاريخ ص ٣٣٩ .

لقوتها^(١). كما أن لف السفن بالحبال يساعد على امتصاص أي صدمة يتعرض لها جسم السفينة ويقلل من احتمال تكسر ألواحها وتفكك أجزائها بالإضافة إلى قدرة تحمل السفينة لصدّات أمواج البحر^(٢). ومن هذه الأسباب نخلص إلى أن قوة تحمل الحبال وملاءمتها للبيئة البحرية وقدرة امتصاصها لأي صدمة يتعرض لها جسم السفينة هي التي دعت العمانيين إلى الاعتماد عليها في ربط أجزاء سفنهم دون غيرها من الأساليب. وبعد إكمال بناء السفينة تأتي عملية القلفطة "أي سد خروز السفينة" وطلاء جسمها بمزيج من القار أو الراتنج ودهن الحوت^(٣).

و تعددت أنواع سفن صحر ، فمنها الصغيرة التي تستخدم للمسافات القريبة ومنها الكبيرة التي كانت تجوب البحار والمحيطات ولا تعين المصادر على تحديد أي الأنواع كان أكثر انتشاراً في عمان في تلك الفترة إلا نوع الشذاءات^(٤) التي بناها الإمام غسان بن عبد الله للقضاء على قراصنة البحر كما سبق ذكره ، وفي مصادرنا ما يشير إلى أنواع أخرى مثل السنبوق أو سنبك أو سنبوك أو صنبوق بضم السين المهملة وهو فارسي معرب وسنبك السيف طرف نصله^(٥)، والسنبوق من أكثر المراكب العمانية عراقاة بالإضافة إلى شهرته في الخليج والبحر الأحمر . والطراز العماني من هذه السفن يمتاز بكبر حجمه ويستخدم في الرحلات التجارية البعيدة وتتراوح حمولته من ٢٠ طناً إلى ١٥٠ طناً^(٦).

(١) بزرک : ص ٩٢-٩٣ . والنهر المقصود هنا موجود بالصين وهو شديد الجريان بماء عذب تقصده المراكب . انظر بزرک عجائب الهند ص ٩٢-٩٣ .

(٢) د. شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية سلسلة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت (١٤١٠-١٩٩٠) العدد ١٥١ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٩٤ ؛ ابن جبير : الرحلة ص ٦٥ ؛ د. عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار ص ٨٢ .

(٤) سبق التعريف بهذا النوع من السفن في الفصل السابق ص .

(٥) الجواليقي : العرب ص ١٧٨ ؛ النخيلي : السفن الإسلامية ص ٧٠ .

(٦) النخيلي : السفن الإسلامية ص ٧٠-٧١ ؛ الحارثي : بنو نبهان في عمان ص ٢١٩ ؛ خميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ١٨٦ .

ومن الأنواع الأخرى ما يعرف باسم "الغراب" لأنه كان يطلى بالقار وهو من المراكب الحربية شديدة البأس وهو يسير بالقلع والمجاديف ، وكان استخدام هذا النوع من السفن أمراً شائعاً في مشرق العالم الإسلامي ومغربه^(١). وهكذا كانت صحار في تلك الفترة من تاريخها هي محور هذا النشاط الواسع والمتعدد الجوانب وكان أحد مقومات رقيها وازدهارها .

صناعة النسيج :

كانت صحار من أهم مراكز النسيج في عمان ، فاشتهرت منسوجاتها وانتشرت في بلاد الجزيرة العربية . وقد توفرت لهذه الصناعة عوامل النجاح وأهمها وفرة المواد التي تصنع منها وهي القطن والكتان والصوف^(٢) والحرير الذي تعتبر صحار إحدى موانئ طرقه في تلك الفترة التاريخية^(٣). وقد ذكرت المصادر الفقهية العمانية الكثير من المسائل المتعلقة بعملية صناعة النسيج^(٤)، مما يدل على وجودها البارز حينذاك . وقد عمل في هذه المهنة الرجال والنساء وكانت مهام النساء أكثر ما تكون في عملية غزل النسيج بالأنوال والمغازل اليدوية المصنوعة من الخشب ومشاركة المرأة أيضاً في جني القطن^(٥)، وكان وفير الإنتاج جيد الأنواع .

وقد برع الصحاريون في هذه الصناعة وشرفت صحار بأن يرتدي الرسول صلى الله عليه وسلم من نسيجها حيث كان له صلى الله عليه وسلم رداء طوله أربعة

(١) النخيلي : السفن الإسلامية ص ١٠٤ ؛ عمان في التاريخ ص ٣٥٠ . تاريخ عمان البحري ص ١١٠ .

(٢) ابن بركة : التعرف ص ١٩-٢٠ ؛ أبو الحواري : الجامع ج ٣ ص ١٧٨ ؛ العوتي : الضياء ج ١٧

ص ٢٢٤ ؛ د. سعيد عاشور ، وعوض خليفات : عمان والحضارة الإسلامية ص ٢٧٢ .

(٣) بزرك : عجائب الهند ص ١٠٨ ؛ ابن خردادبه : المسالك ص ٧١،٧٠ ؛ ابن الفقيه : كتاب البلدان

ص ١٦-٢٥١ ؛ د. مونيك كارفران : مدينة صحار وعلاقتها بطرق الحرير البحرية : بحث ضمن

حصار الندوة الدولية لطرق الحرير ص ٩٣ .

(٤) انظر على سبيل المثال : ابن جعفر : الجامع ج ٤ ص ٢٢٣،٢٠٩ ؛ أبو الحواري : الجامع ج ٣

ص ٧٢،٧٤،١١٠،١١٥ ؛ العوتي : الضياء ج ١٨ ص ٣٠٠،٣٠٢،٣١٨،٣٢٤ .

(٥) أبو الحواري : الجامع ص ١١٩-١٧٣ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٣٩-٤٠-٤١٧

أذرع وعرضه ذراعان وشبر من نسيج عمان^(١)، وفي حجة الوداع خرج عليه الصلاة والسلام من المدينة مغتسلاً مترجلاً في ثوبين صحاريين إزار ورداء^(٢)، وعندما انتقل المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه كفن في ثوبين صحاريين^(٣)، وقد ترك عليه الصلاة والسلام يوم مات إزاراً عمانياً وثوبين صحاريين وقميصاً صحارياً^(٤)، وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يرتدي من الملابس العمانية يوم الجمعة ويوم العيد^(٥)، بالإضافة إلا أنه صلى الله عليه وسلم كان يهدي بها الوفود التي تفد إليه^(٦).
كما اقتنى صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من نسيج صحار. وقد كفن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٧) وكفن الصحابي سعد بن معاذ رضي الله عنه بثلاثة أثواب صحارية^(٨)، وكل هذا يدل على رقي نسيج صحار، وكانت هذه الملابس تنقش^(٩) وتصبغ. وورد بأن هناك محلات خاصة بصبغ الملابس^(١٠) وأخرى بخياطة النسيج^(١١)، وهناك من تخصص في تقصير الثياب^(١٢)

-
- (١) الحلبي: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٥١ .
(٢) ابن سعد: الطبقات الجزء الخاص بالسيرة ج ٢ ص ١٧٣ .
(٣) ابن هشام: السيرة ج ٦ ص ٨٥ .
(٤) ابن سيد الناس: عيون الأثر ج ٢ ص ٤١٨ .
(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٠ .
(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٣٥١ .
(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٦٦ .
(٨) الواقدي: المغازي ج ٢ ص ٥٢٧ .
(٩) العوتبي: الضياء ج ٨ ص ٩١٠ .
(١٠) ابن جعفر: الجامع ج ٤ ص ٢١٣ ؛ الكندي: ج ٣٩-٤٠ ص ٤١٦-٤١٧-٤٢٠-٤٢١ .
(١١) ابن جعفر: الجامع ج ٤ ص ٢١٣ ؛ العوتبي: الضياء ج ٨ ص ٣٠٠ .
(١٢) ابن بركة: كتاب التقييد ص ٣٩٧ ؛ أبو الحواري: الجامع ج ٣ ص ١٥٩ .

الصناعات المعدنية :

ازدهر التعدين في صحار ، وقد أشارت الدراسات الأثرية إلى وجود عدد من المناجم وأفران التصنيع القديمة ، وعرفت صحار بإنتاج النحاس منذ الألف الثالث قبل الميلاد^(١). إلا أنه في ظل ازدهارها في العهد الإسلامي توسع نشاط التعدين فيها وكان النحاس في مقدمة هذه الصناعات المعدنية ، وقد تركزت هذه الصناعة في مشارف البلدة عند الطريق الطبيعي المتجه إلى المنطقة الداخلية ، وذلك لسهولة وصول المواد الخام التي كانت تأتيها من مناجم النحاس^(٢).

ومن عوامل ازدهار هذه الصناعة في صحار :

أولاً : وجود المعادن الكثيرة في جبال الحجر الغربي وخاصة في المناطق القريبة من صحار .

ثانياً : توفر المياه والأرض الزراعية التي ساعدت على الاستقرار في المناطق الداخلية لصحار حيث كانت الزراعة مزدهرة وعمل السكان بجانب ذلك على استخراج النحاس وتصنيعه^(٣). فلذا عرفت قري تابعة لصحار تخصصا في إنتاج النحاس مثل (عَرَجَا) و (لَسِيل) والعديد من القرى الأخرى^(٤). وأغلب القرى المكتشفة أثريا تقع بالقرب من وادي الجزري الذي يعد الممر البري الرئيسي لصحار إلى باقي مناطق شبه الجزيرة العربية^(٥). وقد وجدت المئات من القطع في المناطق التي جرت فيها الحفريات في السنوات الأخيرة وهي تعود إلى الفترة ما بين القرن الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) وتذكر الدراسات الأثرية أيضا وجود كميات من مخلفات صهر المعادن تعادل (٤٠) ألف طن موزعة على أرض منطقة التعدين، كما تم اكتشاف فرن

(١) د. جي فايجاربر : استغلال النحاس في عمان في الألف الثالث قبل الميلاد بحث نشر في حصاد ندوة الدراسات العمانية ج٧ ص ١٨٩ . وقد تم توضيح ذلك في تمهيد هذه الرسالة ص ٣ .

(٢) ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٢٨ .

(٣) د. كوستا : مستوطنة عرجا لتعدين النحاس ص ٢٨-٣٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٥) ويليامسون : المرجع السابق ص ١١ .

حراري كان يستعمل لصهر المعادن بالإضافة إلى اكتشاف بكرة خشبية لرفع المعادن من المناجم حيث وجدت على عمق (٨٧ م) تحت سطح الأرض^(١)، وهذه تعد من أهم الأدلة على استغلال معدن النحاس وغيره من المعادن في صحار. ومن أنظمة التعدين في عمان ما يعرف بالتقيبيل ، وهو استغلال الأرض ، ومن أوجه استغلال الأراضي التقيب عن المعادن فيها ، فإذا كانت الأرض مملوكة فلا بد أن يكون هناك عقد بين الطرفين يبين فيه أولاً : حق أهل الأرض في ذلك هل هو العشر أو أقل أو أكثر ، ويبين ثانياً مساحة الأرض وحدودها ، ويبين ثالثاً المدة المتفق عليها وأقصاها مائة عام .

والذي جعل صحار تحتل هذه المكانة المتميزة في الصناعة المعدنية توفر آلات التصفية والصهر للمعادن ووجود أهل الخبرة في ذلك، وكان النحاس هو أكثر الخامات تواجداً ، وقد تعددت طرق استخدامه ، فاستخدمه بعض التجار في فرش أرضيات محلاتهم التجارية كما فرشوا به بيوتهم^(٢). ومن بين المعادن التي كان يحصل عليها المنقبون النحاس والفضة والذهب والجواهر^(٣)، ومن النحاس والفضة والذهب تم سك العملة في صحار في أواخر القرن الثالث أو الرابع الهجري^(٤).

وكانت صناعة الأسلحة لها وجود بسبب توفر الخامات اللازمة لها كالحديد والنحاس الذي كان يستخدم في صناعة الأسلحة البرونزية المختلفة ، وذلك كالسيوف والنبال والرماح والحرايب والدروع الواقية والمنجنيقات^(٥)، ودخلت

(١) د. كوستا : الشواهد الأثرية على وجود التبادل التجاري بين عمان الشرق الأقصى بحث نشر ضمن

حصاد ندوة الدولية لطرق الحرير ص ١٢٩ ؛ ابن عمير : حضارة عمان القديمة ص ١٨ .

(٢) الكندي : المصنف ج ٢١ ص ١٣٢ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ص ٤١٣ .

(٤) ابن جعفر : الجامع ج ٥ ص ٢٦٦ ص ٢٩٠ .

(٥) دارلي : تاريخ النقود ص ٢٢-٣٥ . العش : النقود العمانية ص ١٠-١٩ .

(٦) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩-٤٠ ص ٣٦٨ . حميس : تاريخ عمان الحضاري ص ١٨٩ .

دي . نيكول Mr . D . Nicolle صناعة وتجارة السلاح في جنوب شرقي الجزيرة العربية في العهد

الإسلامي الأول : بحث ضمن حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ٧ ص ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤٢، ٢٤٣ .

الصناعات المعدنية النحاسية والحديدية في معظم مجالات الحياة مثل أدوات المنازل والزراعة والبناء ، فمن أدوات المنازل السكاكين وأواني الطبخ والأكل والأقفال والنوافذ والأبواب والمسامير والسلاسل الحديدية^(١)، ومن أدوات الزراعة في صحار الفؤوس والمساحي والمخالب وغيرها من أدوات ما تزال تستخدم حتى اليوم بنفس مسمياتها .

الصياغة :

توفر المعادن الثمينة والآلئ القيمة التي زخرت بها البيئة العمانية بركة وبحرية بالإضافة إلى ما كانت تستقبله من هذه المنتجات من مصادر خارجية ، ازدهرت صناعة الصياغة ، فصنعت الحلبي من الذهب والفضة^(٢). وبعض الحلبي رصعت باللؤلؤ والجواهر الثمينة ، واتخذ الأغنياء آنية الذهب والفضة وغيرها من أدوات الزينة التي كانت أسواق صحار ومصانعها تجود بها ، ومن تلك المصاغات المتعلقة بحلي النساء الحلق والخلائيل والخواتم والأقراط والعقود والقلائد^(٣)، وهناك أيضا أدوات الزينة كالأباريق الفضية والصواني الذهبية والفضية ، ومجامر البخور^(٤) المحلاة الحسنة والقناديل والمحاريب الفضية والذهبية لتزيين المباني. وما يكشف عن مدى الجودة التي بلغتها تلك الصناعة أن صاحب عمان أهدي في سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م الكعبة منها وقد علق فيها^(٥).

(١) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ - ٤٠ ص ٣٦٧ . المساحي مفردا مسحاة وهي أداة لحث الأرض شبيهة بالفأس والمخبل هو المنجل بلا أسنان غالبا ما يستخدم لتشذيب النخل ، أما المنجل فهو موجود ويسمى في عمان المنجز .

(٢) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٣٠١ .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٣٩ - ٤٠ ص ٤١٥ - ٤١٩ - ٤٦٦ .

(٤) التنوخي : نشرار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٥) البكري : المسالك والممالك ص ٣٧٠ .

صناعة الفخار والزجاج :

عرفت عمان صناعة الفخار منذ القدم. وقد دلت الآثار في كثير من مناطق عمان على وجود بقايا من الأواني الفخارية وبعضها كان بألوان خضراء مشوبة بزرقة وقد اكتشف بعضها في منخفضات الطواحين في صحار ويعود تاريخها إلى القرن الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين)^(١)، كما تم اكتشاف قطع عديدة في مناطق أخرى من صحار وهو من السيراميك المتميز جدا . و بين علماء الحفريات الأثرية بأن هذه القطع هي أصلا أوعية فخارية مصقولة ذات لون أحمر وتعود إلى القرن الأول الميلادي.

كما عثر على نوع آخر من الخزف وهي قطع لأوعية صلبة ذات لون يميل إلى السواد أو بلون أسود رمادي ومغلقة بطبقة زجاجية والأخيرة تعود إلى عهود لاحقة أقرب إلى العصر الإسلامي^(٢)، وينسب الأثريون هذا التنوع في ما عثر عليه من الفخار إلى الصلات القائمة بين صحار وكل من الهند والصين وبلاد فارس منذ القدم^(٣). وكانت مراكز صناعة الخزف في صحار بعد المنطقة الزراعية التي تمتد إلى ما يزيد على ٦,٥ كيلو مترات من البحر ، ويرجع تاريخ أغلب تلك البقايا من التلال والفخاريات إلى القرون الثالث والسادس والتاسع والعاشر الميلادي^(٤)، ويشير ويليامسون إلى أن صناعة الأواني الزجاجية إحدى المنتجات الهامة التي كانت تصدر إلى الشرق ويقول: "ومن المحتمل أن يكون الزجاج في صحار قد خصص إنتاجه للتصدير والاسـتـهـلاك المحلي"^(٥). وقد أشارت المصادر إلى

(١) كوستا : مستوطنة عرجا ص ٢٠ ؛ د. الحارثي : بنو بهان ص ٢١٣ .

(٢) عمان في التاريخ ص ٩٥ . مونيك كارفان : مدينة صحار وعلاقتها بطرق الحرير بحث ضمن حصاد

الندوة الدولية لطرق الحرير ص ٨٩ . عمان في فجر الحضارة ص ١١ .

(٣) عمان في التاريخ ص ٩٥ .

(٤) ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ٢٦ .

(٥) صحار عبر التاريخ ص ٢٩ .

استخدام الآجر والطوب الأحمر وأيد ذلك ما عثر عليه من بقايا الطوب في أجزاء كثيرة من المنطقة وكان يتم الحصول عليه من أفران الطوب الكبيرة التي استمرت إلى القرن الرابع الهجري^(١).

ومن الأواني الفخارية الجرار : وهي ذات أحجام مختلفة فمنها ما يستخدم لتبريد الماء أو لحفظ السوائل كالخل وغيره . بعضها تحفظ فيه المأكولات الجامدة، وهي تستعمل في المنازل والمتاجر، وبعض الجرار عرفت بالجرار الخضر^(٢) ، والكبير من هذا يطلق عليها في عمان الخروس واحدها "خرس" . وبعض الناس يضعونها خارج منازلهم على الطرقات لينتفع المارة بالماء الذي فيها^(٣) . كما كانت هناك أوان للطهي صنعت أيضا من الفخار وأقداح الشرب وبجامر البخور وغير ذلك^(٤)، أما صناعة الزجاج فشملت مضارب العطر وأواني الشرب من الأقداح والأكواز والأكواب^(٥).

صناعة المنتجات النباتية والحيوانية :

اشتهرت صحار بالصناعات النباتية والحيوانية كصناعة التمور والأصباغ والزيوت وما يتصل بها من صناعات ، وصناعة السمن والجبن وتجفيف الأسماك^(٦)، كما أسهمت في صناعة الأصماغ حيث ذكر الدينوري صناعة الصبر فقال : وأما ما يجمد من عصارات نباتات أرض العرب فمنه الصبر يؤخذ ذلك الورق فيقذح في المعاصر وتسيل عصارتها إلى أحباب^(٧) وتقر حتى تمتن ثم تجعل في الجرب

(١) الكندي : بيان الشرع ص ٣٩، ٤٠ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ ؛ د. كوستا : مستوطنة

عرجا ص ٢٠، ٢١ ؛ ويليا مسون : صحار عبر التاريخ ص ٢٨ .

(٢) الكندي : بيان الشرع ج ٢٧ ص ٢١٨-٢١٩ .

(٣) ابن يركة : التعارف ص ٢٤ .

(٤) الكندي : بيان الشرع ج ٢٧ ص ٤٠٥ . الكندي : للمصنف ج ٣١ ص ١٢٤ .

(٥) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٣ . ويليا مسون : صحار عبر التاريخ ص ٢٩ .

(٦) الكندي : بيان الشرع ج ٢٧ ص ٢١٨-٢١٩ .

(٧) أحباب جمع حب وهو الجرة الضخمة أيضا . انظر لسان العرب مادة حب ج ٢ ص ٣ .

وتشمس حتى تشتد ثم تحمل في البلاد وأكثر ما يعمل ببلاد عمان^(١). كما تتم صناعة الزيوت النباتية كزيت النارجيل وزيت السمسم وزيت أخرى ، وصناعة تكرير السكر^(٢) ومشتقاته كالعسل ، وصناعة الطحين والخبز^(٣)، وصناعة الخل . وقد وجدت صناعة المشروبات من الفاكهة كالرمان والعنب والزبيب وشراب النارجيل والتمر والحنطة والشعير^(٤).

ومن الصناعات النباتية غير الغذائية التي اشتهرت بها صحار صناعة الحصر : وهذه تصنع من نبات ينمو على ضفاف الأودية يسمى الغصف أو من سعف النخيل أو النارجيل وتستخدم كفرش للمنازل والمساجد وما تزال صناعة الحصر قائمة حتى الآن^(٥)، وصنع العديد من الأوعية من نفس السعف الآنف الذكر ومن هذه الأوعية السلال التي خصصت لنقل المحاصيل الزراعية وهي بأحجام مختلفة .

وهناك صناعات عديدة اعتمدت على سعف النخيل منها المسرواح اليدوية وأغطية الطعام وأجربة التمر^(٦)، كما يتم صناعة الحبال من ليف النخيل والنارجيل وبعض هذه الحبال تخصص لصناعة السفن^(٧)، وازدهرت في صحار أيضا صناعة النجارة لوجود الأشجار التي تقطع منها الأخشاب كالسدر والقرط والغاف ، فقد صنعت منها الأبواب وأثاث المنازل والنوافذ الخشبية والبكرات الخشبية وهي ما

(١) النبات : ص ٩٥، ٩٦ .

(٢) ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ٦٦، ٦٧ . العوتبي : الضياء ج ١٧، ٢٠٣، ٢٠٦ ؛ الكندي : بيان الشرع

ج ٤٢ ص ١١٩، ١٦٢ ؛ خميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ١٩٤ .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٢٦ ص ٣٩٣ ؛ الحارثي : بنو نبهان ص ٢٣٢ .

(٤) الكندي : بيان الشرع ج ٤٢ ص ١١٩، ١٦٢ .

(٥) حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ٤ ص ٢٣٣ . الغصف : نبات كالتخل لكنه لا يطول ويتخذ من

خوصه الحصر . انظر لسان العرب ج ٥ ص ٤٣ .

(٦) ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ٦٦ ؛ حصاد ندوة الدراسات العمانية ص ٢٣٦-٢٣٧ .

(٧) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٣١١ . عمان في التاريخ ص ٢٨٨ .

تعرف (بالمناجير) لتزف مياه الآبار للري في الزراعة^(١) إلى غير ذلك من الصناعات التي قامت على الثروة النباتية . ومن المنتجات الحيوانية قامت الصناعة الجلدية ، فصنعت منها بعض الأوعية كدلاء الماء التي كانت تستخدم في استخراج المياه من الآبار وخاصة في المزارع حيث تصنع دلاء كبيرة تجذبها الثيران بواسطة المناجير الأنف ذكرها^(٢)، ودلاء صغيرة للاستخدام المنزلي كما قامت على الصناعات الجلدية صناعة الأحذية والأحزمة وأغمدة السيوف والخناجر و محافظ النقود ومحافظ أخرى كبيرة تسمى جراب كانت تستعمل للتمر وللماء خاصة للمسافرين . كما تم استخدام الأجرة بدل الجرار الفخارية لتبريد الماء في المنازل^(٣) إلى غير ذلك من الاستخدامات . وبهذا ندرك أن الصناعة في صحار كان قوامها غالب الثروات الموجودة في البيئة العمانية النباتية والحيوانية والمعدنية ، ولا بد أن تكون هناك صناعات لم نتطرق إليها وذلك لندرة المعلومات التي يمكن الاستناد إليها في ذلك خلال الفترة موضوع الدراسة .

(١) خميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ١٩٦ .

(٢) تم توثيق ذلك والتعريف بها في للبحث السابق من هذا الفصل ص ٢٠٣ .

(٣) د. الحارثي : بنو نيهان ص ٢٢٨ ؛ خميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ١٩٩ ؛ حصاد ندوة

للدراستات العمانية ج ٤ ص ١٩٧، ١٩٨ .

المبحث الثالث : الأسواق التجارية .

مثلت التجارة في صحار حتى القرن الرابع الهجري عصب الحياة الاقتصادية، وقد توفرت لهذا الرقي التجاري الذي شهدته صحار عوامل من أهمها :

— العمق التاريخي لهذه المدينة حيث بدأت نشاطها التجاري والملاحي منذ وقت طويل قبل الميلاد ومن ثم كانت سوقا من أسواق العرب الشهيرة^(١).

— الموقع حيث كانت بالقرب من مدن شهيرة بالتجارة بالشرق والغرب خاصة بعد الفتح الإسلامي كمدن بلاد فارس والهند والسند .

— انتقال مركز الخلافة من الشام إلى العراق ، فانتقلت الأهمية من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج العربي وازدهرت المدن المطلة عليه كالبصرة و سيراف .

— كانت مدينة صحار تقع بين خليجين صغيرين ارتبطا بساحل خليج عمان وهما ما يعرفان في عمان بالخورين وكانا يمثلان مرسين طبيعيين للسفن خاصة الصغيرة منها^(٢).

— قربها من مصادر الإنتاج الزراعي والمعدني ، فازدهرت فيها صناعة النسيج والتعدين حتى أن العرب يقصدونها خصيصا للشراء من بزها المشهور^(٣).

— اهتمام الأئمة والولاة بالتجارة وتأمين طرقها والحفاظ علىها وتخفيض الضرائب عنها إلا بما تقتضيه أحكام الدين الإسلامي^(٤)، خاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين .

— بالإضافة إلى العوامل المناخية التي تم ذكرها سابقا كالرياح الموسمية التي ساعدت على انتظام الحركة الملاحية بين صحار والعالم الخارجي .

وهكذا ازدهرت التجارة في صحار وتعددت أسواقها وأشكال البيع وغيرها من الأعمال والتجارة التي سيتناول هذا المبحث بعض جوانبها المتعددة .

(١) ابن حبيب: المحرر ص ٢٥٦ ؛ المرزوقي : الأزمنة والأمكنة ص ٣٨٤ .

(٢) انظر الخريطة التوضيحية المرفقة في آخر البحث ضمن الملاحق .

(٣) المرزوقي :- الأزمنة والأمكنة ص ٣٨٤ ؛ عمان في فجر الحضارة ص ٢٤ ؛ وليا مسون : صحار عبر

التاريخ ص ٣٢ ؛ د. كوستا : مستوطنة عرجا ص ١٦ .

(٤) الكندي : بيان الشرع ج ١٩ ص ٣١٤ ؛ بزرك : عجائب الهند ص ١٠٩ ، ١١٠ .

الأسواق : تعددت الأسواق في صحار بتعدد البضائع وأنواعها، وقد أشار المقدسي عند حديثه عن صحار إلى أنها أسواق وليست سوقا واحدة حينما قال: " و بها مسجد جميل يقع على البحر في آخر الأسواق "(١) .

وقد قام تعدد الأسواق في صحار على أساس تعدد أصناف التجارة فكل صنف له جانب معين أطلق عليه سوق باسم الصنف الموجود فيه ، وقد يجمع هذه الأسواق سور واحد فتكون متصلة بعضها ببعض أو تكون منفصلة عنها وخاصة تلك الأسواق التي تتسم بنمط معين من البيع كالأسواق الأسبوعية التي يستدل على وجودها من خلال ذكر المصادر لها كسوق الجمعة (١). ولا شك أن أهم الأسواق التي كانت بصحار هي :

سوق الطعام :

يعد هذا السوق هو الأهم لأنه يلي حاجات كل الناس بمستوياتهم المختلفة فالغذاء هو قوام الحياة ، ولهذا لا بد أن تتوفر في هذا السوق كل مستلزمات المعيشة ، وهي كثيرة ومن أهمها :

التمور التي تشكل جزءا مهما في القوت اليومي للناس فإنها لا بد أن تشغل حيزا من سوق الطعام يعرض فيه أنواع التمور للبيع ، كما أن بعض التمر يكال إذا لم يكن مرصوصا أما التمر المكنوز (المرصوص) فإنه يوزن (٢)، وتختلف أيضا أحجام أجربة التمر فجراب نزوى خمسون قفيزا ، أما جراب السرفلائون قفيزا (٣)، وتختلف أثمان التمور باختلاف أنواعها وجودتها . أما طرق بيع التمور فتتم بالمناذاة أو بالمساومة (٤).

وقد أنتجت صحار العديد من أنواع الحبوب ، وكان لا بد أن تزرع بها سوق الطعام خاصة ما كان يمثل الغذاء الرئيسي لأهل البلد ومن تلك الأصناف البر والشعير

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ .

(٢) العوتبي: الضياء ١٣ ص ٩٧ .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٤٥ ص ٢٢ ، وأرض السر في عمان تشمل عدة بلدان في منطقة الظاهرة الواقعة في الجنوب الغربي من صحار .

(٤) ابن جعفر : الجامع ج ٥ ص ٦٩ .

والذرة والحنطة^(١)، وأصناف البقوليات كاللوبيا والباقل (الفول) والحمص والعدس
والسمسم^(٢)، وبالإضافة ذلك الأرز وهذا غالبا ما يستورد من الهند .

كما كانت صحار تستقبل العديد من أنواع البهارات التي تستعمل لحفظ
المأكولات وتنويع طعمها وزيادة الشهية فيها ومنها القرفة^(٣)، والقرنفل^(٤)، والفلفل
الأحمر والأسود والأبيض^(٥)، والزعفران الهمداني، واليماني^(٦)، والزنجبيل^(٧)،
والجلجلان^(٨)، والملح، والسكر^(٩)، والزيوت النباتية^(١٠)، والحيوانية^(١١)، والجبين^(١٢)،
والخل^(١٣)، والعسل بأنواعه^(١٤).

الفواكه والخضراوات :

وتشير المصادر إلى العديد من أصناف الفاكهة والخضروات في عمان،
وكانت أسواق صحار تزخر بها ومنها الرمان والأترج والبطيخ^(١٥)، والموز الغض

(١) البكري : المسالك والممالك ص ٣٦٩ . ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ٣٤ ؛ العوتبي : الضياء ج ١٨
ص ١٥٩

(٢) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ١٦٣ . ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ١١٣ ؛ د. الحارثي : بنو بهان ص
١٠١ .

(٣) ابن البيطار : الأدوية والأغذية ج ٢ ص ٨٣ . الجاحظ : البصر بالتجارة ص ٢٦ .

(٤) د. شلاش : الأدوية والأدواء في معجم تارح العروس للزبيدي ص ٦٠ .

(٥) ابن البيطار : الأدوية والأغذية ج ٣ ص ١٦٦ . ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ١٣٣

(٦) ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ١٩٩ .

(٧) الدينوري : النبات ص ٢١٤ . ابن البيطار : الأدوية والأغذية ج ١ ص ٢٦٧ .

(٨) ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ١١٣ .

(٩) المصدر السابق ج ٥ ص ١١٢ .

(١٠) المصدر السابق ج ٥ ص ١١٤ . الكندي : بيان الشرع ج ٤٢ ص ١١٩ .

(١١) ابن جعفر : نفس المصدر ج ٥ ص ٦٦ . العوتبي : الضياء ج ١٧ ص ٢٠٣-٢٠٦ .

(١٢) ابن جعفر : نفس المصدر ج ٥ ص ١٤٤ . الكندي : بيان الشرع ج ٤٥ ص ٢٤ .

(١٣) ابن جعفر : نفس المصدر ج ٥ ص ١٤٤ . الكندي : نفس المصدر ص ٤٢ ص ١٦٩ .

(١٤) الكندي : نفس المصدر ج ٢٦ ص ٣٦٩-٣٩٣ .

(١٥) ابن جعفر : نفس المصدر ج ٥ ص ٣٤ . ابن بركة : التقييد ص ٣٩٥ .

والناضج^(١)، والعنب بأنواعه^(٢)، والسفرجل^(٣)، ومن الثمار النارجيل^(٤)، واللوز^(٥)،
ومن الخضروات الثوم والبصل والجزر والقثاء والخيار^(٦). بالإضافة إلى بيع لحوم الإبل
والبقرة والغنم كما يباع الشحم وقديد اللحم^(٧)، والطيور^(٨)، والأسماك بأنواعها
ويباع السمك طريا أو مجففا أو مملحا^(٩).

ومن الطعام الجاهز الذي يباع : الهريسة^(١٠)، والباقلا^(١١)، ومن الأشربة
شراب السكر والنارجيل وشراب الرمان^(١٢)، واللبن بأنواعه^(١٣).

سوق المنسوجات :

كانت صحار إحدى المدن الشهيرة بإنتاج المنسوجات في الجزيرة العربية ،
ومن هنا كان من الطبيعي أن تزدهر فيها تجارة المنسوجات سواء أكانت هذه
المنسوجات من إنتاج صحار نفسها أم من إنتاج المدن العمانية الأخرى ، وقد رأى
ياقوت الحموي المنسوجات التي كانت تنتج في نزوى وأشاد بجودتها حيث قال: " فيها
صنف من الثياب منسقة بالحرير جيدة فائقة لا يعمل شيء في بلاد العرب مثلها ومازr

-
- (١) ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ١١٧ . الكندي : بيان الشرع ج ٤٥ ص ٢٦ .
(٢) الكندي : نفس المصدر ج ٢٢ ص ١٦٢ ج ٢٥ ص ٢٧ . ابن جعفر : نفس المصدر ج ٥ ص ١٨٣ .
(٣) ابن جعفر : نفس المصدر ج ٥ ص ١١٧ . الكندي : نفس المصدر ج ٢٥ ص ٢٦ .
(٤) ابن جعفر : نفس المصدر ج ٥ ص ٢٧٣ . الكندي : نفس المصدر ج ٤٢ ص ١٦٣ .
(٥) الكندي : نفس المصدر ج ٤٢ ص ١٥٧ .
(٦) ابن جعفر : نفس المصدر ج ٥ ص ٨٨ . الكندي : نفس المصدر ج ٤٥ ص ٢٦ .
(٧) العوتبي : الضياء ج ١٧ ص ٢٠٤ . الكندي : نفس المصدر ج ٤٥ ص ١٥-١٧ .
(٨) العوتبي : نفس المصدر ج ١٧ ص ١٧٣ ، ج ١٨ ص ١٣٨ ؛ الكندي : نفس المصدر ج ٤٥ ص
١٧، ١٥، ١٤ .

- (٩) العوتبي : نفس المصدر ج ١٧ ص ١٧٤-١٩٠ ؛ الكندي : نفس المصدر ج ٤٥ ص ١٦-١٧ .
(١٠) العوتبي : نفس المصدر ج ١٧ ص ٢٠٥-٢٠٩ .
(١١) ابن جعفر : نفس المصدر ج ٥ ص ١١٧ .
(١٢) الكندي : نفس المصدر ج ٢٧ ص ١٨٢ .
(١٣) العوتبي : نفس المصدر ج ١٧ ص ٢٠١-٢٠٣ ؛ الكندي : نفس المصدر ج ٤٥ ص ١٥ .

من ذلك الصنف يبالغ في أثمانها رأيت منها واستحسنتها"^(١)، وهذا يدل على أن هذه الصناعة منتشرة في مدن عمان فلذا نرى في المصادر منسوجات صحارية ومنسوجات عمانية^(٢)، وربما الأخيرة هي التي كانت تنتج في غيرها من المدن العمانية خاصة نزوى عاصمة عمان السياسية من أواخر القرن الثاني للهجرة^(٣). ولا شك أن صحار كانت هي السوق التي تستقبل كل المنتجات العمانية الزراعية والصناعية ولهذا قال البكري عنها بأنها "سوق عمان"^(٤). وصحار كذلك هي المستقبل الأول لكل ما يأتي من أصناف التجارة الخارجية وكانت إحدى الموانئ الرئيسية للتحرير خلال فترة البحث^(٥)، بالإضافة إلى بيع كل مستلزمات هذه الصناعة من الخامات والأصباغ وغيرها من المواد والأدوات اللازمة للإنتاج النسيجي .

سوق الجواهر والحلي والمعادن :

ازدهرت صناعة المعادن والصبغة في صحار وهذا يستلزم سوقا لتسويق تلك المنتجات ولم يكن الأمر مقصوراً على المنتجات المحلية ، وإنما كانت صحار تستقبل من البلاد الأخرى كالصين ، وشرق أفريقيا ، وبلاد الهند والسند العديد من أصناف تجارة الحلي والمصوغات والمعادن الأخرى^(٦).

سوق العطور والنباتات الطبيعية:

اشتهرت عمان بعدد من العطور التي حباها الله بها كالعنبر^(٧) ، بالإضافة إلى ما كان يجلب من البلاد الأخرى كالعود والصندل الأبنوسي ، والكافور^(٨)،

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٠ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ٤١٨ .

(٢) تم بيان ذلك في الباب الأول .

(٣) المسالك والممالك ص ٣٦٩ ؛ بزرگ : عجائب الهند ص ١٠٨ .

(٤) د. فونيك كارفران : مدينة صحار وعلاقتها بطرق التحرير : حصاد الندوة الدولية لطرق التحرير ص ٩٣ .

(٥) بزرگ : عجائب الهند ص ١٠٨ - ١١١ . الكندي : بيان الشرع ج ١٩ ص ٣٠٤ .

(٦) الدينوري : النبات ص ٩١ ؛ ابن البيطار : الأدوية والأغذية ج ٢ ص ٨٣ .

(٧) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ص ٣١ ؛ الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠٠ .

(٨) سليمان التاجر والسيرافي : أخبار الصين والهند ص ٧٥ ؛ الشماخي: السير ج ١ ص ٨٧ .

والمسك^(١)، والورس^(٢). وفي محلات العطارين يوجد الصبر الذي يتداوى به لكثير من الأمراض حسب قول ابن البيطار^(٣). يعمل ببلاد عمان^(٤)، وفي جبل قهوان بعمان ينبت شجر يشبه اللبان يسمى الضجاج وينتج صمغا أبيض ويستعمل لتنظيف الملابس وشعر الرأس^(٥)، ومن جبال عمان يجلب أيضاً نبات "المُقل" واستخدمه الأقدمون في الأدوية وهو صمغ أحمر طيب الرائحة^(٦).

أسواق أخرى :

وقد عرفت صحار عدداً آخر من الأسواق غير تلك كسوق الدواب وأعلافها وأسواق المصنوعات الفخارية والأعمال السعفية وغير ذلك مما كانت تزخر به من نشاط وعمل دؤوب . ومن الأسواق التي كانت موجودة أيضاً أسواق المنسادة وغالباً ما تكون هذه الأسواق أسبوعية تعقد يوم الجمعة وذكرتها المصادر الفقهية تحت اسم "أسواق يوم الجمعة"^(٧)، وتعقد هذه الأسواق في ساحات عامة تكون معروفة ومن ضمن ما يباع في هذه الأسواق بضائع من عجز عن الوفاء لمديونيته^(٨)، وقالوا : لا يباع فيها مال الأحياء إلا مال مفلس ومن أمر الوالي والقاضي ببيعه ، فمن أراد ثوباً أو بضاعة ، فيدور به و يعرضه على الناس ويقول أعطيت كذا وكذا^(٩) وتباع في أسواق المنسادة العديد من البضائع كالتمور والثمار والدواب يأتي

(١) سليمان التاجر والسيرافي : أخبار الصين والهند ص ٨٢ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٤٢ ص ٢٧٥ .

(٢) الكندي : بيان الشرع ج ٤٢ ص ١٥٥ ؛ الأدوية والأغذية ج ٢ ص ٧٧-٨١ .

(٣) الصبر : شجر ثقيل الرائحة مر جدا عرقها واحد ، ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ٧٧/٣

(٤) الدينوري : النبات ص ٩٥-٩٦ .

(٥) الدينوري : نفس المصدر ص ٩٠ ؛ ابن البيطار ج ٢ ص ٩٢ .

(٦) الحمري : معجم البلدان ج ٤ ص ٤١٩ .

(٧) العوتبي : الضياء ج ١٣ ص ١٩٧ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٤١-٤٢ ص ٢٢٧ .

(٨) العوتبي : نفس المصدر ج ١٣ ص ١٠٠، ١٠١ ؛ الكندي : نفس المصدر ج ٤١-٤٢ ص ٢٢٧ .

(٩) العوتبي : نفس المصدر ج ١٣ ص ١٠١ .

بها أصحابها بكميات كبيرة وغالبا ما يشتريها الباعة الذين يعودون لعرضها بالتجزئة^(١) بالإضافة إلى أن عملية المناداة قد تكون داخل حرم الأسواق المعتادة وبشكل يومي ويخصص لها مكان معلوم يقصده الباعة والمشترون. وقد أحيت الدولة حديثا نظام سوق الجمعة وأصبح في معظم ولايات عمان مكان خاص أطلق عليه سوق الجمعة وذلك إحياءاً للتراث وتشجيعا للتجارة. وفي صحار أقيمت له بوابة خاصة على أحد شوارعها الرئيسية المؤدية إلى هذا السوق. والبوابة والسوق يعتبران أحد المعالم الحديثة في ولاية صحار ذات الدلالة الحضارية الأثرية لما كانت عليه المدينة من رقي وازدهار^(٢).

تنظيم الأسواق ورقابتها :

كانت أسواق صحار مصانة بأسوار ولها بوابات خاصة ومن دلائل ذلك ما يشير إليه شاعرهما محمد بن زوزان عندما قال :

إلى سوق أصحاب الطعام فإنه

يقابلكم بابان لم يوثقا شدا

ولم يرددا من دون صاحب حاجة

ولا مرتج فضلا ولا أمل رفا^(٣)

ووجود البوابات مما يستدعي وجود الحراسات عليها. وفي ظل الإمامة الثانية استحدثت وظيفة والي السوق. ومن تولى هذا المنصب محمد بن فيض^(٤)، وهذا من دلائل الاهتمام البالغ لدى الأئمة بصحار وحركتها الاقتصادية والتجارية ، وقد يكون دور والي السوق هو دور المحتسب في المدن الإسلامية الأخرى ، إلا أن وظيفته بلا شك أكثر شمولية ، فهذا لابد أن تكون تحت مسؤوليته إدارة تشرف على تنظيم

(١) ابن جعفر : الجامع ج ٥ ص ١١٧ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ٤١ ص ٢٢٦ .

(٢) نشرة عن التجميل في صحار ، أعدها مكتب تطوير صحار سنة ١٩٩٧ م .

(٣) الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٩ .

(٤) تم ذكر في المبحث الأول من الفصل الأول من هذا الباب ص ١٤٣ .

الحركة التجارية في الأسواق ومراقبتها والتحقق من تطبيقها ، فكانوا يراقبون الأسعار والغش في البضاعة وينهون عن مدح البضاعة ، فمن وجد أنه مدح بضاعته وباعها بسعر أعلى من ثمنها أجبر برد الزيادة^(١)، وكذلك إذا ذم المشتري البضاعة وأخذها بأقل من ثمنها أجبر على دفع المتبقي من سعرها أو بردها .

وهناك العديد من القواعد التنظيمية التي كانت تكفل حرية التجارة في الأسواق وعدم الاستغلال ، ويأتي على رأس هذه القواعد ما فرض على الأئمة والولاة والقضاة وأصحاب المناصب العليا من عدم الاستغلال بالتجارة ، وذلك مخافة الاستغلال وتضييع مصالح الناس^(٢) .

الأوزان والمكاييل و المقاييس :

عرفت صحار الأوزان والمكاييل السائدة في مدن العالم الإسلامي بمسمياتها وقد تختلف بعض الأوزان من حيث مقاديرها وقد يحدث هذا الاختلاف بين مناطق البلد فضلا عن المدن الأخرى ومن أمثلة ذلك سلس صحار الذي يقل في الوزن عن سدس الجبال في عمان^(٣) فلذا اعتبره الفقهاء ليس معيارا مناسباً لإخراج الزكاة التي تخرج بالكيل أو بالوزن^(٤)، وقد جرت العادة علي مراقبة الموازين والمكاييل بصفة مستمرة من قبل الولاة والقائمين علي شؤون الأسواق ، وكان يتم صنع تلك الأوزان محليا من الحديد والنحاس والخشب والسعف . واعتبر العلماء حبة الرز هي أصل القياس الوزني وكان متوسط عيار الدرهم مائتي رزة ورزة وثلاثة أخماس رزة^(٥) . ومن الأوزان والمكاييل والمقاييس السائدة في تلك الفترة :

أولا :الموازين

البهار : كان أكبر الوحدات الوزنية وذكر المقدسي بأن البهار في عمان ويساوي

(١) ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ٧٤ .

(٢) الكندي : بيان الشرع ج ٢٨ ص ٢٠٤ ؛ الكندي : المصنف ج ١٣ ص ٩٩ ؛ السلي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٨٥ .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٢٨ ص ٥٨ .

(٤) الكندي : المصنف ج ٧ ص ٢٤٩ .

(٥) الكندي : بيان الشرع ج ٤٢، ٤١ ص ٣١٠ .

ثلاثمائة رطل أي ما يعادل ٢٤٣،٧٥ كجم^(١)
 المن : من الأوزان السائدة في عمان خلال القرن الرابع ويساوي رطلين بغداديين وهذا
 المن يقدر ب ٨١٩ جم^(٢) .
 الرطل : ذكرت المصادر الفقهية بأنه يقاس علي الأوقية . وفي اليمن وعمان كان
 يستخدم الرطل البغدادي ، هو يساوي ٢٥ ، ٤٠٦ جم^(٣)
 الأوقية : تعادل أربعين درهما أو سبعة مثاقيل وتقدر ب ١٢٥ جم^(٤)
 المثقال : المثقال الشرعي يعادل ٤،٢٥ جم^(٥)
 الدرهم : وهو أصغر وحدات الوزن ويساوي ٢٠١،٦ رزة أي ما يساوي
 ٧٣٥،٣ جم^(٦) .
 الكياس : وهي وحدة وزن معروفة في عمان إلى وقت قريب وهي تساوي عشرة
 دراهم^(٧) .

-
- (١) الكندي : للمصنف ص ٢٤ ص ٢١٨ .
 (٢) الكندي: بيان الشرع ج ٤٢، ٤١ ص ٣٠٢ ؛ المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٩٤ ؛ هنتس: المكايل ص ٢١ .
 (٣) الكندي : بيان الشرع ج ٤١-٤٢ ص ٣١٢ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٩٤ ؛ هنتس المكايل
 ص ٤٦
 (٤) الكندي : بيان الشرع ج ٤١-٤٢ ص ٣٠٩ ؛ الكندي : للمصنف ج ٢٤ ص ٢١٧ ؛ المقدسي :
 أحسن التقاسيم ص ٩٤ ؛ هنتس : المكايل ص ٣١ .
 (٥) الكندي : للمصنف ج ٣٤ ص ٦ .
 (٦) الكندي : بيان الشرع ج ٤١-٤٢ ص ٣١١ ؛ د. أبو خليل : الحضارة العربية والإسلامية ص ٣٨٩ .
 (٧) الكندي : بيان الشرع ج ٤١ ص ٣١٠ ؛ الكندي : للمصنف ج ٢٤ ص ١١٧ ؛ هنتس : المكايل ص ١٨ .

ثانياً : أهم المكايل :

الكرّ: أكبر المكايل حجماً وعادة ما يكال به الشعير والحنطة والقمح ويعادل بالنظّم المتري ٢٧٠٠ كجم^(١).

القفيز : في صحار أحجام مختلفة^(٢)، والكبير منها هو نفس حجم القفيز الكبير الذي كان يستعمل في بغداد والكوفة ويعادل ٤٥ كجم^(٣).

المكوك : هو من المكايل التي استخدمت خلال فترة الدراسة في صحار، ويكال به التمور والحبوب واللبن ويساوي صاعاً ونصفاً ويعادل ٥,٦٢٥ كجم^(٤).

المد : رغم أنه من وحدات الوزن إلا أنه استعمل في صحار خلال فترة الدراسة كمكيال ، ويعادل ٥, ٨١٢ جم^(٥)

الصاع : من المكايل الشائعة عند المسلمين لارتباطه بإخراج زكاة الفطر ويعادل الصاع في صحار خمسة أرطال وثلث أو ثلاثة أمان إلا ثلثاً فإذا ما قيس المن بالأرطال البغدادية فإن وزن الصاع لكلا القياسين يعادل ٣,٢٤٥ كجم تقريباً^(٦).

الجري : كيل ذكرته المصادر العمانية^(٧)، ويرجح بعض الدارسين أن يكون هو نفسه الجريب المعروف في بعض البلاد و الجريب يساوي أربعة أقفزة والقفيز يساوي ثمانية مكايل^(٨) أو أربعة وعشرين كيلة^(٩).

(١) الكندي : بيان الشرع : ج ٤٢، ٤١ ص ٣٠٦ ؛ الكندي : المصنف ج ٢٧ ص ١١ ؛ هنتس : المكايل ص ٦٩.

(٢) الكندي : بيان الشرع ص ٤١-٤٢ ص ٣١١ .

(٣) هنتس : المكايل ص ٦٦ .

(٤) ابن جعفر : جامعه ص ٥ ص ١٦٧ ؛ هنتس : المكايل ص ٧٨ .

(٥) الكندي : بيان الشرع ص ٤١-٤٢ ص ٣٠٦ ؛ هنتس : المكايل ص ٧٤ .

(٦) ابن جعفر : جامعه ج ٣ ص ٢٦٢ ؛ هنتس : المكايل ص ٦٣ .

(٧) ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ١٩٦ ؛ الكندي : المصنف ج ٢٧ ص ١٤ .

(٨) خميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ١٣٠ .

(٩) الكندي : بيان الشرع ج ٤١-٤٢ ص ٣١١ .

ثالثا : أهم المقاييس

الدراع : و هو وحدة القياس السائد في صحار يستخدم في قياس الأراضي والطرق و أحرام المزروعات والمباني وقياس الأقمشة والملابس في الأسواق وغيرها ويعادل ٤٩,٨٧٥ سم^(١).

القامة : استخدمت قامة متوسط طول الإنسان كوحدة قياس في علو الجدران أو عمق حفر الآبار^(٢) .

الرمح : من المقاييس التي استخدمت في صحار^(٣) لقياس الأراضي ويبدو أنه شبيه بما عرف في مصر مثلا بالقصبة التي طولها ٣,٩٩ متر^(٤).

(١) ابن جعفر: جامعه ج ٤ ص ١٩٣ - ١٩٥ . ج ٥ ص ١٦ . هنتس : المكايل ص ٨٤ .
(٢) الكندي : الصنف ج ١٧ ص ٢٠٥، ١٦ والقامة مقدار كهيئة رجل يني على شفير البئر يوضع عليه عود البكرة (لسان العرب ٣٤٧/٥) .
(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٣٥-٣٦ ص ٢١٢، ٢١٤ ؛ الكندي: المصنف ج ١٦ ص ٥٦ .
(٤) هنتس : المكايل ص ٩٤ .

المبحث الرابع : النظم المالية أولا : المعاملات التجارية

تعددت أشكال التعامل التجاري داخل أسواق صحار وخارجها ومن أهم صور تلك المعاملات ما يلي :

(١) التعامل النقدي :

وهذا هو أكثر الأشكال شيوعا في أسواق صحار^(١)، وهو أن يكون يبع البضاعة بالنقد فقط ، أما العكس ، فيقول العوتي لا يجوز لأن الذهب والفضة هي أثمان للأشياء وليس الأشياء هي ثمن الذهب والفضة وجواز ذلك أن يقول قد بعست لك هذا الجري بدينار ولا يقول بعث لك دينارا بهذا الجري^(٢).

(٢) المعارضة :

وهو أن يتم البيع بالعروض مثل خبز بتمر ، أو لحم بدجاج ، أو تمر بذرة ، أو أكل جاهز كالباقلا بالتمر ، أو بغير ذلك من العروض مثل التمر بالتمر^(٣).

(٣) الرهن :

معناه الاصطلاحي هو المال الذي يجعل وثيقة ليستوفي من ثمنه إن تعذر استيفاؤه من ذمة الغريم^(٤)، وهو كأن يرهن الرجل شيئا عنده مثل البيت أو النخل^(٥)، ويكون لأجل معلوم ، فإن حان موعد سداد الدين ولم يسدد الراهن ما عليه من دين للمرهن يبع الرهن بعد أن ينادى عليه ثلاث جمع^(٦) متوالية ويوجب في الرابعة. هذا في الأصول ، أما في غيرها فيباع في يوم واحد بالنداء في جمعة أو غيرها^(٧).

(١) ابن بركة : المعارف ص ٤٤-٤٥ ؛ المقدمي : أحسن التقاسيم ص ٩٣ .

(٢) العوتي : الضياء ج ١٧ ص ١٧٩ .

(٣) العوتي : الضياء ج ١٧ ص ٢٠٢ .

(٤) د. الفضيلات : هامش كتاب الجامع لابن جعفر ج ٥ ص ١٩ .

(٥) ابن جعفر : الجامع ج ٥ ص ١٩ . العوتي : الضياء ج ١٧ ص ٧٠ .

(٦) المقصود هنا أن ينادي عليه في سوق الجمعة الذي تمت الإشارة قبل ذلك .

(٧) ابن جعفر : الجامع ج ٥ ص ٢٥ .

(٤) الكفالة :

وهو أن يتكفل أحد الأشخاص بضمان تسديد دين على آخر ، ثم يقوم الأخير المكفول بتسديد ما عليه من دين لمن كفله^(١).

(٥) المضاربة :

أن يدفع شخص للآخر مقداراً من المال على أن يتحملا الربح والخسارة حسب حصة كل منهما ويحق للمضارب أن يكون له جزء منه مقابل عنائه إذا اتفقا على ذلك ولا تجوز المضاربة إلا بالدراهم والدنانير^(٢).

(٦) القرض أو السلف :

ويسمى أيضاً السلم والقرض في الدنانير والدراهم لا يجوز إلا بوزن لا بالعدد وفي الطعام لا يكون إلا بوزن أو كيل^(٣)، وقال العلامة ابن محبوب: "كل ما لا يعرف بكيل ولا وزن ولا صفه معلومة أو كان ينقطع ولا يوجد في أيدي الناس فلا يجوز فيه السلف"^(٤)، والسلف في الثياب جائز بذرع معلوم وصفه معلومة الطول والعرض من صنف معلوم إلى أجل معلوم^(٥).

(٧) الشركة :

وهي أن يتفق شخصان أو أكثر على دفع مبلغ من المال نظير حصة محددة لكل منهم في الشركة ، وغالباً ما تكون في التجارة .

(١) العوتبي : الضياء ج ١٧ ص ٩٥ . الكفيل والضمين معناهما متقارب والكفيل في لغة العرب هو الزعيم قال الله عز وجل " ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم " سورة يوسف الآية ٧٢ ، أي كفيل بذلك ضامن به . ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ١٦٨ . العوتبي : الضياء ج ١٧ ص ٥ . كان النقد المعروف هي الدراهم والدنانير والآن كل ما يقوم مقامهما .

(٢) ابن جعفر جامعه ج ٥ ص ١٩٥ . العوتبي ج ١٧ ص ٦٤ .

(٣) العوتبي : الضياء ج ١٧ ص ٦٦ .

(٤) المصدر السابق ج ١٧ ص ٦٧ .

ثانياً: النقود

عرف العرب قبل الإسلام النقود الساسانية والبيزنطية بحكم التبادل التجاري القائم بينهم . وكانت صحار إحدى الملتقيات التجارية الهامة . وكانت الدراهم^(٤) الساسانية هي العملة المتداولة ، ودل على ذلك الدراهم التي عثر عليها من خلال التنقيبات الأثرية في ساحل الباطنة^(٥) . وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب تم إصدار أول نقد إسلامي مماثل للنقود الساسانية في الوزن والشكل نقش على بعضها "لا إله إلا الله" وعلى بعضها الآخر "الحمد لله" . ولكن النقلة الكبيرة في سك النقود الإسلامية كانت على يد الخليفة عبد الملك بن مروان^(٦) . ففي عهده كانت أول قطعة نقدية تحمل اسم دار الضرب "عمان" ، وهي درهم من الفضة يعود تاريخه لسنة ٨١ هجرية .

وتعد أول قطعة معدنية إسلامية مؤرخة في شبه الجزيرة العربية ، وثمة درهم آخر يعود لعام ٩٠ هجرية . ويحمل الدرهمان النقوش المتعارف عليها في العملات الأموية ففي الوجه نقش الجزء الأول من شهادة التوحيد على ثلاثة سطور كما يلي :

لا إله إلا الله

الله وحده

لا شريك له

-
- (١) ابن بركة : التعارف ص ٢٦،٢٥ .
- (٢) خميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ١٢٤،١٢٥ .
- (٣) في الأصل القيم بالأمر ثم اشتهر في متولي البيع والشراء لغيره ، ومن قال السمسرة : البيع والشراء . انظر : لسان العرب ج ٣ ص ٣٣٤ ؛ ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ١٠٣ .
- (٤) الدراهم من الفضة ، والكلمة مأخوذة بالأصل من اليونانية "دراهما" ، وانتقلت إلى إيران "درم" ولفظها العرب "درهم" ؛ أما الدينار وهو من الذهب ؛ فإن الكلمة من أصل لاتيني استعملت في أسبانيا في العهد الروماني ، كما استعملت في البلقان ، ويبدو أن الكلمة أيضاً انتقلت إلى العرب عن طريق إيران ، وكلمة الفلّس أتت من اليونانية FOLLIS ، والفلّس من النحاس أو البرونز . انظر : د. العش : النقود العمانية ص ٤ .
- (٥) دارلي : النقود العمانية ص ١٣ .
- (٦) د. محمد ضياء الدين الرئيس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية (دار الأنصار ، ط ٤، ١٩٧٧) ص ٢٠٤، ٢٠٥ ، أبو خليل : الحضارة العربية الإسلامية ص ٢٨٦ ؛ د. محمد رواس قلعجي : تدخل الدولة في السوق في عهد الخلفاء الراشدين : مقال نشر بمجلة الوعي الإسلامي العدد ٤١٥ ربيع الأول ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ص ٢٣ .

وفي الحاشية نقشت العبارة التي تظهر التاريخ وهي : " بسم الله ضرب هذا الدرهم
بعمان في سنة إحدى وثمانين". وفي وسط ظهر العملة نقشت عبارة من أربعة سطور؛
مأخوذة من سورة الإخلاص (جزء من الآية الأولى ثم الآيتان الثانية والثالثة):

الله أحد الله

الصمد لم يلد و

لم يولد ولم يكن

له كفوا أحد

أما في الحاشية فقد نقشت عبارة أخذ معناها وبعض كلماتها من الآية ٣٣ من سورة
التوبة وهي : " محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون "(١).

وقد عثر على قطعتين من النقود أصدرتا في عمان خلال القرن الثاني الهجري ؛
وهما فلسان مصنوعان من النحاس ؛ فالقطعة الأولى سكت في صحار بأمر الوالي روح
ابن حاتم في سنة ١٤١ هـ ، وهي القطعة الوحيدة التي تحمل اسم هذا الميناء الشهير ،
وتظهر على وجه العملة عبارة :

لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

مع ظهور اسم الوالي في الحاشية . أما في وسط ظهر العملة فقد نقشت العبارة :

محمد

رسول

الله

بينما تحتوي الحاشية على عبارة " بسم الله ضرب هذا الفلّس بصحار سنة إحدى
وأربعين ومئة "(٢).

(١) دارلي : تاريخ النقود ص ١٣، ١٤ .

(٢) دارلي : تاريخ النقود ص ١٧ .

أما القطعة الثانية فيعود تاريخها إلى سنة ١٥١ هجرية ؛ ويختلف ترتيب
كلمات شهادة التوحيد المنقوشة على وجه هذه العملة اختلافا ضئيلا عن العبارة
الموجودة على العملة السابقة كالآتي :

لا إله إلا

الله وحده لا

شريك له

وتوجد تحت هذه العبارة نجمة بخمسة رؤوس محاطة بكرة صغيرة من كل جانب ، أما
النقش فمحاط بحاشية مسلسلثة بثلاث حلقات مزدوجة صغيرة ، وتظهر في وسط ظهر
العملة العبارة المعهودة :

محمد

رسول

الله

مع عبارة : بسم الله ضرب بعمان سنة إحدى وخمسين ومائة " على الحاشية ^(١).
ورغم الازدهار الكبير الذي شهدته صحار في ظل الإمامة الثانية ١٧٧-٢٨٠هـ
إلا أنه للأسف لم يعثر على أية عملة تعود لتلك الفترة . ولكن هناك ما يشير إلى اهتمام
الأئمة وولاةهم في صحار بقيمة العملة وجودها وعدم قبول العملة المزيفة ، ومن ذلك
ما يرويه العلامة بشير بن محمد بن محبوب ^(٢) من أنه كان هو والعلامة الفضل بن
الحواري ^(٣) في سوق صحار " إذ نادى المنادي على الناس أن الوالي غدانة ^(٤) يقول : لا
يأخذ المزيفة ^(٥) . (أي يمنع تداول العملة المزيفة المغشوشة).

(١) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٢) هو العلامة بشير بن محمد بن محبوب بن الرحيل من علماء صحار في القرن الثالث الهجري وسيرد المزيد
عنه في فصل الحياة الدينية والعلمية .

(٣) الفضل بن الحواري : من علماء القرن الثالث الهجري ، وكان يضرب به المثل في سعة العلم . توفي مقتولا
في معركة القاع بعوتب من أعمال صحار سنة ٢٧٨هـ . انظر : البطاشي: اتحاف الأعيان ج ١
ص ١٩٧ .

(٤) سبق التعريف به وكانت ولايته لصحار في عهد الإمام الصلت بن مالك في القرن الثالث الهجري .

(٥) الكندي : المصنف ج ٢٤ ص ٢٠٧ .

كما تشير المصادر إلى أن النقود تتغير قيمتها من حين لآخر ، ومن أمثلة ذلك: "رجل أقرض رجلا ألف درهم وهي جواز الناس يومئذ -أي العملة المتداولة في ذلك الوقت- ثم طرحت تلك الدراهم فصارت لا تساوي شيئا ... فليس له أن يقضيه إياها بعينها وقد طرحت ، وسواء استهلكها أو كانت باقية معه ، وعليه أن يقضيه ألف درهم نقد الناس يوم يطلب حقه إليه- أي من الدراهم المتعامل بها يوم السداد- "(١).

وغالبا ما يكون الدينار هو المعيار لقيمة الدراهم ، فعندما ترتفع قيمة الدينار عن عشرين درهما فإن هذا يعود إلى عدم نقاء الدراهم ، وعندما " يرجع نقد الناس صحاحا يسوي الدينار عشرين درهما "(٢).

وعندما سيطرت الدولة العباسية على عمان في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري بدأ سك النقود حيث ظهرت بعض النقود التي تحمل اسم عمان منذ عام ٢٨٩هـ ، إلا أنه في القرن الرابع الهجري بلغ سك النقود في صحار أوج ازدهاره^(٣)، ويعود الفضل في ذلك لولاة الدولة العباسية ، خاصة في عهد أحمد بن هلال ، وعهد بني وجيه . فمن سنة ٣٠١ هـ وحتى ٣٦١ هـ كانت النقود تحمل النقوش العباسية المألوفة التي يظهر عليها اسم والي الإقليم تحت شهادة التوحيد على وجه العملة ، واسم الخليفة تحت العبارة الأخيرة من لفظ الشهادتين على ظهرها .

أما النقود التي ظهرت من سنة ٣٦٢ هـ حتى نهاية القرن الرابع ؛ فقد حذفت الآيات الرابعة والخامسة من سورة الروم من حاشية وجه العملة ، وظلت النقوش التي تحمل اسم دار الضرب وتاريخه ، هي العبارات الوحيدة المحيطة بشهادة التوحيد^(٤).

ثالثا : موارد الزكاة

من عدالة الإسلام أن جعل أحد أركانه الزكاة التي ترسم النهج القويم لإزالة الفوارق الطبقية ، وليكون المال هو وسيلة لرفعة الإنسان لا أداة لانهطاطه ، فلذا كان

(١) ابن جعفر : جامعه ج ٥ ص ٢٣٥ .

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٣) دارلي : تاريخ النقود ص ٢٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠ .

المحتم على الدولة القائمة بالعدل أن تكون الزكاة أحد أولياتها تؤخذ من الأغنياء لتنفق في مصارفها الشرعية .

وكانت صحار تمثل المركز الاقتصادي المزدهر في عمان في تلك الفترة ، فلذا أولاهما الأئمة جل عنايتهم خاصة في هذا الجانب حيث تعددت مناشطها الاقتصادية وتنوعت مصادر الدخل من زراعة وصناعة وتجارة ، وقد يكون لكل منشط أكثر من جانب لكل جانب حكمه الشرعي في جباية الزكاة .

وأحكام الزكاة كثيرة وليس لنا أن ندخل في تفاصيل جبايتها واستحقاقها ، ولكن الذي ينبغي التأكيد عليه أن ولاية الأمر في عمان لم يستحلوا أخذ شيء أكثر مما أوجبه أحكام الإسلام ، ويتضح ذلك جليا من عهد الإمام الصلت بن مالك (٢٣٧-٢٧٢هـ) لأحد ولاته ، وهذا العهد يعد وثيقة هامة أجمل فيه الإمام مسؤوليات ولاته ومن ضمنها جباية الأموال^(١) ، وهو يعبر تعبيرا دقيقا عما كان عليه العمل جاريا في هذا الشأن في ظل الإمامتين الأولى والثانية في عمان مع العلم أنهم لم يستحلوا أخذ الزكاة إلا ممن استطاعوا تقديم الحماية له ؛ يقول العلامة منير بن النير: "لم يأخذوا الصدقة بغير حقها ، ولم يضعوها في غير موضعها ، ولم يستحلوا من الناس على غير الإثخان في الأرض والحماية والكفاية وصدقة البحر والسواحل لا تحل على غير الحماية والكفاية والذيادة عن حمى الله"^(٢) . والإمام غسان بن عبد الله (١٩٢-٢٠٧هـ) يجتمع بالعلماء بعد أن استطاع تأمين مسالك البحر والقضاء على القراصنة ، فاستشارهم في أخذ زكاة البحر فأبأنوا له جواز ذلك^(٣) .

وقد وضع الأئمة والعلماء رضوان الله عليهم بنودا هامة لأخذ الزكاة لا بجال هنا لذكر تفاصيلها ، ويمكن الرجوع إليها في مكانها ، ولكن ما ينبغي الإشارة إليه هنا أن صحار بصفتها عاصمة الإمامة الأولى والعاصمة الاقتصادية للإمامة الثانية كانت

(١) السلي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٨١ .

(٢) منير بن النير : سيرته من ضمن السير والجوابات ج ١ ص ٢٤٩، ٢٤١ ؛ ابن جعفر : الجامع ج ٣ ص ١٣١ .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ١٩ ص ٣١٤ ؛ السلي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢٨ .

محور التنظيمات المالية المتصلة بالزكاة وغيرها ،

والملاحظ أن صحار كانت هي صاحبة الحق دون غيرها في أخذ زكاة البحر رغم طول السواحل العمانية ، وقد تمت مخالفة ذلك يوما في عهد الإمام المهنا حيث أخذ أحد ولاة الساحل قبل صحار زكاة أحد القادمين بطريق البحر ، فلم يقبل منه صاحب صحار هذا الاحتجاج ، وأخذ بزكاته ، فرجع صاحب المال على الذي أخذ منه أولا . ولما بلغت القضية الإمام رد القضية على صاحب الساحل في صحار^(١).

تنظيم جباية الموارد المالية :

يستدعي هذا العمل الكبير خاصة في صحار أن يكون هناك فريق عمل متخصص في جرد الأموال وتقييمها وإجراء الحسابات اللازمة لذلك . وقد أشار الإمام الصلت بن مالك في عهده السابق ذكره إلى أن الوالي له ولاية^(٢) يتولون مهام عدة في الولاية ، وقد عرفت صحار في عهد الإمامة الثانية وظيفة تسمى "والي السوق"^(٣)، ووظيفة أخرى تسمى "صاحب الساحل بصحار"^(٤) ، وعهد إلى الأخير بمسألة رعاية شؤون الساحل الذي كان يموج بالحياة والحركة للملاحة والتجارية . وكان الوالي الكبير^(٥) هو المسؤول والمشرف على من دونه من ولاة وعاملين في ولايته . وقد أوصى الأئمة ولائهم بحسن اختيار هؤلاء العاملين معهم ، وأن يكونوا على ثقة منهم فيما يوكلون إليهم من مهام مالية ، ويحذروهم من قبول الهدايا^(٦).

(١) ابن جعفر : الجامع ج ٣ ص ١٤٠ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ١٩ ص ٣١٢ .

(٢) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٨٥ .

(٣) الكندي : بيان الشرع ج ٢٨ ص ٩٤ .

(٤) ابن جعفر : الجامع ج ٣ ص ١٣٨ .

(٥) والي صحار يطلق عليه الوالي الكبير وتم ذكر وتعليل ذلك .

(٦) الكندي : بيان الشرع ج ٢٨ ص ٩٤ .

وفيما يتعلق بتحصيل الزكاة من أصحاب السفن ، تذكر المصادر بأن صاحب الساحل بصحار عندما يأتيه علم بقدم سفينة إلى صحار يوجه أميناً له من عنده إلى السفينة فيقوم هذا الأمين بمجرد ما فيها من رقيق وأمتعة فيكتبه عنده ، ويكتب مال كل رجل في رقعة باسمه ثم يرسل ذلك إلى صاحب الساحل^(١).

وإن كان صاحب المتاع غريباً أخذ عليه كفيلاً بنفسه إلى أن يبيع متاعه ، ثم يأتي الكفيل حتى يتخلص . فإن باع أخذت زكاته . وإن أراد حمل متاعه جاء به الكفيل إلى صاحب الساحل حتى يراه ويدخله البحر بين يديه . وقد استوحش أحد العلماء من بعض تلك الإجراءات لما يرى فيها من مشقة فسأل والي صحار سليمان بن الحكم قائلاً له : فإن لم يقدر هذا الغريب على كفيل ؟ قال سليمان بن الحكم : يحبس الوالي (أي صاحب البحر) بين يديه ، ويطلب إليه الكفيل ، فإن لم يقدر بعد ذلك على كفيل كتب اسمه .

وقد برر والي صحار صرامة تلك الإجراءات بالحرص على ألا تضيع الزكاة ؛ لأنه لو انحدر أصحاب السفن إلى الأرض فاختلط بعضهم في بعض وهم خلأق من الناس غرباء لما استطاع القيمون بأمر أخذ الزكاة معرفتهم ومعرفة أموالهم^(٢). وهذا يدل دلالة واضحة على النشاط الكبير الذي كانت تحياه صحار في تلك الفترة من تاريخها . وقد بلغ مجموع الأموال المحصلة من الزكاة ثلاثمائة ألف دينار في سنة ٢٣٧ هـ حسب ما يذكر قدامة بن جعفر^(٣)، وهذا مع التطبيق التام لما نصت عليه تعاليم الإسلام .

ولكننا نجد أن هذا الرقم تضاعف كثيراً في القرن الرابع الهجري عندما سيطر ولاية الدولة العباسية على صحار ، ذلك أنهم طبقوا ما كان متبعاً في سائر ولايات

(١) ابن جعفر : الجامع ج ٣ ص ١٣٩، ١٤٠ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ١٩ ص ٣١١، ٣١٢ ؛ العوتبي : الضياء ج ٦ ص ١٦٩ .

(٢) نفس المصادر السابقة والصفحات .

(٣) نبد من كتاب الخراج ص ٦٨ .

الدولة العباسية في فرض الضرائب الكبيرة ، فلذا نجد أن الأرقام التي حصل عليها هؤلاء الولاة قد تضاءلت ، حيث يروى أن أحمد بن هلال أخذ من أحد التجار العمانيين أمتعة بما يقدر قيمتها بخمسمائة ألف دينار من غير الهدايا التي قدرت قيمتها بخمسين ألف دينار^(١) ، وفي سنة ٣٠٠ هـ دفع أحد التجار مليون درهم ونيقا^(٢) .

وفي سنة ٣١٧ هـ في بدايات عهد يوسف بن وجيه أخذ ستمائة ألف دينار من صحار كعشور على ما فيها من أمتعة و سلع ، وترك لمن فيها من التجار نحو مائة ألف دينار ساعهم فيها . كما ورد في نفس العام تاجر آخر من سرنديب قيل أيضا إنه أخذ منه عشورا نفس ما أخذ سابقا ستمائة ألف دينار^(٣) .

ومع ما ينتاب الأرقام من مبالغة إلا أنها تكفي للدلالة على أن منهج أخذ الضرائب قد تغير ، ففي عهد الإمامة كانت لا توجد أي ضريبة غير الزكاة ، أو ما أقره الشرع الخفيف . أما الضرائب وما عرف بالمكوس^(٤) التي كانت تثقل كاهل الناس ، فكانت دائما تلقى معارضة شديدة من الأئمة .

ولم يكن الأمر هكذا في العصر العباسي ، فيروي المقدسي في القرن الرابع الهجري : "أما الضرائب فتثقل كثيرة محدثة في النهر والبر ، وفي البصرة تفتيش صعب وشركات منكرة ، وكذلك بالبطائح تقوم الأمتعة وتفتش"^(٥) .

وكانت الأموال التي تجبي في صحار خلال القرن الرابع الهجري يذهب بعضها إلى خزائن الخلفاء العباسيين . وسارع بعض الولاة إلى عدم الاكتفاء بإرسال الأموال ،

(١) بزرك : عجائب الهند ص ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١١١

(٤) المكوس هي الضرائب التي كانت تفرض على المبيعات في داخل المدينة .

(٥) أحسن التقاسيم ص ١١٨، ١١٩ .

وإنما أرفقوها ببعض الهدايا النادرة والطريقة ، وقد سبق ذكر هدايا أحمد بن هلال التي تناقلتها بعض المصادر لطرافتها^(١) .

ومع هذا فإن كل ذلك يدل على استمرار وازدهار الحياة الاقتصادية في صحار؛ وكانت التجارة هي العمود الفقري لتلك الحياة ، وسببا من أسباب التواصل بينها وبين المدن العمانية ، أو بينها وبين العالم الخارجي .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج١٦ ص١٢١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ح١١ ص١٢٠ ؛ للمسعودي : مروج الذهب ج١ ص١٦٧ ؛ بزرگ : عجائب الهند ص٦٥ . وقد تكرر إرسال هذه الهدايا في سنة ٣٠١ هـ ونحو ٣٠٥ هـ ، ٣٠٦ هـ . انظر ما سبق ذكره في الفصل الثالث من الباب الأول من هذا البحث ص٧٩ وما بعدها .

المبحث الخامس : التبادل التجاري

نبدأ حديثنا عن التبادل التجاري بالحديث أولاً عن الطرق التي تسهل هذا التبادل ، وحديثنا عن الطرق ينقسم إلى قسمين :

١- طرق المواصلات الداخلية .

٢- طرق المواصلات الدولية .

فطرق المواصلات الداخلية تنقسم إلى برية وبحرية ، فالطرق البرية التي تربط بين صحار وبقية مناطق عمان أهمها :

— طريق صحار-توام ، وهذا الطريق يتجه غرباً عبر وادي الجزري ويعتبر هذا الطريق امتداداً لطرق القوافل القادمة من الجزيرة العربية عبر توام ويلاقي الطريق الآخر القادم من أرض السر^(١).

— طريق صحار إلى مناطق الجنوب والجنوب الغربي : وهذا الطريق يبدأ من صحار ماراً بمناطق الساحل جنوباً إلى دما ثم يتجه إلى الجنوب الغربي إلى أرض الجوف^(٢) ماراً بتزوى ثم يتجه إلى أرض منطقة السر و توام^(٣)، وهذا الطريق يتفرع منه طريق يتجه نحو الجنوب من أرض الجوف وولاياته مثل منح وأدم^(٤)، ويمتد حتى يصل إلى ظفار .

— طريق يربط بين الساحل الشرقي ومناطق الوسط والداخل وهو الذي سلكه ابن بطوطة من قلعات إلى نزوى^(٥).

— طريق بين صحار ومناطق الجبل الغربي المتاخمة لسهل الباطنة مثل الرستاق ونخل ويمتد هذا الطريق إلى نزوى ماراً من خلال الجبل الأخضر^(٦).

(١) ابن جعفر : الجامع ج ٢ ص ٢١٨ .

(٢) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١١٩ . ويليامسون : صحار عبر التاريخ ص ١١ .

(٣) ابن جعفر : جامع ج ٤ ص ٢١٤-٢١٥ . العوتبي الضياء ج ١٨ ص ٢٩٨ . ومنطقة السر هي معظم مناطق الظاهرة الآن . العبري : إضافة جغرافية عن عمان ملحقة بكتاب العقود الفضية في آخره ص ٣ .

(٤) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٩٤-٢٩٥ . الكندي : بيان الشرع ج ٣٩-٤٠ ص ٤٣١ .

(٥) ابن بطوطة : رحلته ص ٢٧١ .

(٦) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٣١٣-٣١٤ .

أما بخصوص الطرق البحرية : فقد ارتبطت صحار بطريق بحري بقرية كلبة على الساحل الشمالي من عمان^(١). وهذا الطريق يربط بين مرسى دبا وجلفار ، وطوله حوالي يوم ، وترتبط جلفار بمرسى السبخة^(٢). وهناك طريق آخر يربط بين مسقط وصحار ، ويبلغ طول هذا الطريق ٢٥٠ كم ، أي ما يعادل ١٢٥ ميلاً أو واحداً وأربعين فرسخاً^(٣)، ثم تتصل مسقط بالمواني الشرقية من عمان مثل قريات^(٤)، ثم طيوي^(٥)، ثم قلّهات^(٦)، والمسافة بين صحار وقلّهات نحو مائتي ميل^(٧)، ثم يتجه الطريق إلى مرسى صور ، وهو أقرب ميناء لقلّهات ثم يصل هذا الطريق إلى مرباط مرسى ظفار ، ويلي مرباط ريسوت^(٨).

أما طرق المواصلات الدولية فإنها تنقسم بدورها إلى طرق بحرية وطرق برية . ولما كان الاتصال عبر البحار والمحيطات هو السائد فإننا نتحدث أولاً عن الطرق البحرية وهي :

طريق عمان - شرق أفريقيا

تعتبر صحار منطلق التجارة العمانية مع شرق إفريقيا ، وتمر السفن بموانئ ظفار و مرباط وميناء عدن باليمن ، وتزّل سفن صحار في سقطرى ، و سائر جزائر

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٩٣ .

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ١٦١، ١٦٢ .

(٣) الإدريسي : ج ١ ص ١٥٦ .

(٤) ابن بطوطة : رحلته ص ٦٤٨ ؛ وقريات أحد ولايات محافظة مسقط على ساحل خليج عمان وتبعد عن

صحار بمسافة ٣٦١ كم .

(٥) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٦٥ .

(٦) الإدريسي : النزهة ج ١ ص ١٥٦ ؛ وجزيرة مصيرة هي أكبر الجزر في عمان تقع في بحر العرب على

ساحل المنطقة الشرقية لعمان .

(٧) ابن بطوطة : رحلته ص ٢٦٩ .

(٨) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٦٦ .

بحر الزنج ، ومنها "قنبلو" ، ومن قنبلو إلى عمان نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول
البحريون^(١) .

وطريق شرق أفريقيا من أخطر طرق التجارة للأمواج العاتية والدوامات المائية،
ووصفه المسعودي قائلا: " موجه عظيم كالجبال الشواهد ، فإنه موج أعمر ، يريدون
بذلك أنه يرتفع كارتفاع الجبال ، وينخفض كأخفض ما تكون الأودية ، لا ينكسر
موجه ، ولا يظهر في ذلك زبد كتكسر سائر أمواج البحار "^(٢). وصحار مركز
انطلاق هذه الرحلات كما قال المسعودي : "وقد ركبت أنا هذا البحر من مدينة
سنجار من بلاد عمان ، وسنجانر " صحار " قسبة بلاد عمان "^(٣). ووصل العمانيون
إلى أقصى بلاد أفريقيا ، مما يدل على المهارة الملاحية .

الطرق بين عمان والهند و الصين

ارتبطت الصين بصحار "ممثلة عمان تجاريا" . وتستغرق الرحلة إلى الصين من ٤ إلى ٦
شهور أو أكثر ذهابا ، ومثلها إيابا ، فالرحلة تستغرق مع الإقامة نحو العامين^(٤).
وتخضع الرحلة إلى الصين للظروف المناخية ، من هبوب الرياح وشدتها ، وقد يحدث
في الرحلات - وهذا وارد - أخطاء غير مقصودة مثل الرسو في ميناء غير مقصود^(٥).

وهناك طريقان للرحلة الصحارية إلى الصين :

الطريق الأول : وهو الطريق الذي يمر بالسند والهند ، مارا بمدينة "بلين" وسرنديب
يسارا ، ثم جزيرة "أولنجبالوس" ثم جزيرة "كله بار"^(٦).

(١) المسعودي : مروج الذهب ص ٩٧ ؛ السيرافي أخبار الصين والهند ص ٩٠ .

(٢) مروج الذهب ج ١ ص ١١٣ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٠٧ ، وأطلق للمسعودي سنجانر على صحار خطأ وتحريفا .

(٤) عمان وتاريخها البحري ص ٣٣ .

(٥) بزرگ : عجائب الهند ص ٥١ .

(٦) ابن خردادبة : المسالك ص ٦٦ ؛ مروج الذهب ج ١ ص ١٥٨ ؛ سليمان التاجر والسيرافي :

ص ٣٩، ٣٨ .

الطريق الثاني : تنطلق السفن من صحار "أو مسقط" ثم إلى مدينة "كوم ملي" في جنوب الهند، وتستغرق هذه الرحلة شهرا ، ثم إلى جزيرة "الرامي" المتصلة ببحر "هر كند" الخطير ، ثم إلى جزيرة "اولنجالوس" ، ثم إلى "كله بار" ، وتستغرق حوالي شهر ثم إلى تيومة في عشرة أيام^(١) ، ثم إلى كندرنج في عشرة أيام ثم إلى جزيرة صنف فولا في عشرة أيام ، ثم إلى بحر "صنخي" ، ثم تصل إلى أبواب الصين في شهر، وهذا الطريق نفسه يسلك في العودة إلى عمان . وهذا الطريق يحتاج إلى سفن كبيرة الحجم ، واسعة لدرجة استخدام السلام عند الرسو في المواني^(٢) .

الطريق الذي يربط صحار بمواني الخليج حتى البصرة

يقابل صحار عدد من المواني على الخليج على الضفة الشرقية منه في بلاد فارس . ولا يفصل صحار عن فارس إلا البحر ، ولذلك فهناك طرق متعددة تربط صحار بمواني الخليج ، منها الطريق الشرقي بين صحار وموانئ قيس "كيس"

(١) سليمان التاجر والسراي : أخبار الصين والهند ص ٣٨، ٣٩ .

(٢) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٤٥ .

ومكران : "وإذا سرت في بحر عمان واتجهت شرقا انتهيت إلى جزيرتي كيس "قيس"
ومكران" (١) ، وكذلك الطريق الرابط بين صحار والبصرة مروراً بسيراف وجزيرة
ابركاوان التي هي البحرين الآن ، وهذا الطريق مضيق الدردور الذي هو مضيق هرمز
وغالبا ما تسلك هذا الطريق السفن الصغيرة (٢).

أما الطرق البرية الدولية فأهمها ما يأتي :

الطريق الأول : يتجه من عمان فيمر بواحة يبرين (٣) فاليمامة ثم مكة .
الطريق الثاني : يتجه من عمان مخترقاً حضرموت إلى عدن ثم يلتقي بالطريق الذي
يتجه إلى الحجاز ويلتقي الطريقان في سفوان (٤) فيشكلان طريقاً واحداً إلى البصرة (٥).
الطريق الثالث : طريق ساحلي يمر عبر قطر وساحل هجر ثم إلى عمان ومنها إلى عدن
ثم إلى مكة (٦) . وهذه المسالك قد تكون الأشهر في تلك الفترة وليس من الضروري
أن تكون الوحيدة .

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٧٣ .

(٢) سليمان التاجر والسيرافي : أخبار الصين والهند ص ٣٦ ؛ ابن خرداذبة : المسالك ص ٦٠ .

(٣) يبرين من بلاد البحرين قديماً بينهما ، وبين الإحساء وهجر مرحلتان . معجم البلدان ج ٥ ص ٤٢٧ .

(٤) سفوان واد من ناحية بدر وسفوان ماء على قنر مرحلة من باب الریز بالبصرة والأول يبدو هو المقصود
بدليل أن أحد الطريقين يتجه إلى مكة والثاني إلى اليمن ثم عمان وذلك للقادم من البصرة . معجم البلدان
ج ٣ ص ٢٢٥ .

(٥) أبو إسحاق الحاربي : من علماء النصف الثاني من القرن الثالث الهجري : كتاب مناسك وأماكن طرق
الحج ومعالم الجزيرة . تحقيق حمد الجاسر الناشر دار اليمامة الرياض . الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م
ص ٥٧٢-٥٧٤ الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ١٦٠ .

(٦) الاصطخري : مسالك الممالك ص ٢٦-٢٨ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٥-٤٧ .

ثانياً: التجارة الداخلية

منذ عصر ما قبل الإسلام كانت حلقة الوصل قائمة والمنافع متبادلة بين المدن العمانية ، خاصة المدن التي غدت أسواقاً للعرب . وصحار - كما ذكرنا آنفاً - إحدى تلك الأسواق وأهمها ؛ وبهذا فإن كل منتجات عمان الزراعية والصناعية كانت صحار هي السوق الرائدة لتصريفها بيعاً وتصديراً .

وفي المقابل توفرت في صحار الكثير من مستلزمات الحياة وكمالياتها التي كانت تضخها الأسواق الخارجية إليها ، وأغلب الواردات كانت تأتي عن طريق البحر ، فلذا وصف العلامة العوتبي صحار بأنها : " منتهى المراكب وإليها مفصل الناس " (١) .

وبهذا أصبحت صحار محط أنظار العمانيين جميعاً من جنوب البلاد إلى شمالها فازدهرت التجارة الداخلية بين صحار وبقية ولايات ومدن عمان ومن أهمها ما يلي : نزوى (٢) : وهي العاصمة السياسية لعمان وتقع في السفح الجنوبي للجبل الأخضر وفي سهل يبلغ ارتفاعه ١٩٠٠ م فوق مستوى البحر (٣) في المنطقة الداخلية من عمان ، وهي إلى الجنوب الشرقي من صحار وتبعد عنها بحوالي ٣٣٥ كم ، وصفها المقدسي بأنها " في حد الجبال كبيرة ببناءهم طين . والجامع وسط السوق ، شريحهم من أنهار (٤) وآبار (٥) " كما وصفها البكري بأنها أعظم مدن عمان وهي في الجبل (٦) . وأصبحت نزوى من أهم المراكز العمانية الفكرية والعلمية في ظل الإمامة الثانية حيث استقطبت الكثير من علماء عمان ، فتخرج على أيديهم عدد كبير من العلماء ، فأطلق عليها بيضة الإسلام وأصبح سوقها من أهم الأسواق الداخلية في عمان ، وترد إليها مختلف

(١) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٨٢ .

(٢) تم التعريف بها وبيان سبب نقل مركز الحكم إليها في الباب الأول من هذه الرسالة أنظر ص ٨٠ .

(٣) د. العاني : عمان في العصور الإسلامية الأولى ص ٦٥ .

(٤) المقصود بالأنهار هي الأفلاج .

(٥) أحسن التقاسيم ص ٨٨ .

(٦) البكري : المسالك والممالك ص ٣٧٠ .

البضائع التي كانت تعرض في أسواقها . وكان التمر العماني من أهم المنتجات فيها وفي المناطق المجاورة لها بالإضافة إلى الحبوب المختلفة وقصب السكر والقطن فكانت تنتج منه أجود أنواع الملابس التي وصفها الحموي بأنها : " من الثياب المنمقة بالحرير جيدة فائقة"^(١)، وكان التواصل بين صحار ونزوى يتم بواسطة الدواب : الجمال والحمير^(٢). وكانت أسواق نزوى تغذى أسواق صحار بمنتجاتها ومنتجات المناطق المجاورة لها كما قامت صحار بإمداد أسواق نزوى بما يرد إليها من بضاعات مختلفة خاصة الأرز الذي كان يستورد من الهند^(٣) .

مسقط : بالفتح وسكون السين وفتح القاف تقع على خليج عمان في الجنوب الشرقي من صحار وتبعد عنها بـ ٢٣٠ كم . واشتهرت خلال فترة هذه الدراسة بأنها إحدى الموانئ التي تزود منها السفن ، وكانت السفن تتزود بالماء العذب منها من بئر بها^(٤)، وقال عنها المقدسي في القرن الرابع الهجري بأنها : " أول ما يستقبل المراكب اليمنية ورأيته موضعا حسنا كثير الفواكه"^(٥). أما الهمداني فقال بأنها مينا تبخر منها السفن إلى الهند^(٦)، أما البكري فقد وصفها بقوله : "مسقط مجتمع المراكب التي تخرج من صحار"^(٧)، وكانت إحدى مغاصات اللؤلؤ التي كان يقد إليها التجار والغواصون في مواسم الغوص^(٨)، كما وصفت بكثرة ثروتها الحيوانية وخاصة الأغنام منها^(٩)، والذي يميز موقع مسقط البحري هو أن بها منفذا مفتوحا تدخل منه السفن لتكون

(١) الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٨١ .

(٢) العوتبي : الضياء ج ١٨ ص ٢٩٤، ٢٩٥ .

(٣) البكري : المسالك والممالك ص ٣٦٩ .

(٤) سليمان التاجر والسيرافي : أخبار الصين والهند ص ٣٨ .

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٨ .

(٦) الهمداني : كتاب البلدان ص ١١٧ .

(٧) البكري : المسالك والممالك ص ٣٦٧ .

(٨) شيخ الربرة : نجمة الدهر ص ٢٨٧ .

(٩) سليمان التاجر والسيرافي : أخبار الصين والهند ص ٣٨ .

في مكان آمن من الرياح والأمواج^(١)، بالإضافة إلى أنها محاطة بجبال تحميها من المخاطر البرية ، فلذا كان الاختيار السديد في أن تكون عاصمة لعمان في العصر الحديث في القرن الحادي عشر الهجري الثامن عشر الميلادي^(٢)، فلذا أسهمت مسقط في النشاط الملاحي والتجاري الذي شهدته صحار في فترة ازدهارها بموقعها وبمواردها^(٣).

تؤام : بالضم ثم فتح الهمزة على وزن فعال وقيل هو تأم بفتح أوله وإسكان ثانيه^(٤)، وتقع غربي صحار وتبعد عنها بـ ١٢١ كم ، وهي مركز الإقليم الواقع غربي الجبال مقابل صحار . وصفها الحموي بأنها ذات قرى كثيرة وبها منبر لبني سامة بن لؤي^(٥) ومن أشهر قبائلها آنذاك بنو عبد القيس^(٦)، وتسمى الآن البريمي . وتعتبر تؤام أول مدينة عمانية عامرة على الطريق البري القادم من بلاد الجزيرة العربية من جهة البحرين والحجاز ، ويربطها بصحار طريق يمر عبر وادي الجزري الذي أسهم - كما ذكر - في تطور صحار وازدهارها . وكانت تؤام إحدى الأسواق العمانية التي كانت تغذي سوق صحار بمنتجات المدن والقرى المجاورة لها ، كما أن قوافل التجارة القادمة من جزيرة العرب كانت تمر بها^(٧).

دبا : بفتح أوله تقع في شمال صحار ، وتطل على خليج عمان . والآن هي إحدى ولايات محافظة مسندم وهي من الأسواق العربية الشهيرة في عمان . يصفها ابن حبيب

(١) خميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ١٠٦ ؛ أمبوسعيدى : عمان في عصر الإمامة الثانية ص ٢٢٨ .

(٢) السياني : عمان عبر التاريخ ص ٦٢ .

(٣) د. شليبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٧ ص ٢٧٢ ؛ د. عاشور : عمان حصن الأمان . ضمن حصاد

ندوة الدراسات العمانية ج ١ ص ٢٧١، ٢٧٢ .

(٤) البكري : معجم ما استعجم ج ١ ص ٣٢٣ .

(٥) الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٥٥ .

(٦) العرتبي : الأنساب ج ٢ ص ١١٧ .

(٧) وليامسون : صحار عبر التاريخ ص ١١ .

بأنها إحدى فرضتي العرب^(١)، يأتيها تجار السند والهند والصين وأهل الشرق والغرب فيقوم سوقها آخر يوم من رجب أي بعد انقضاء سوق صحار ، وكان بيعهم فيها بالمساومة . وظلت مكانة دبا التجارية قائمة في صدر الإسلام ، إلا أن دور صحار ازداد ازدهارا بينما خفت فيما بعد دور دبا^(٢). ومع ذلك ظل التواصل التجاري والملاحى بينهما . وكان لقبيلة العتيك التي تنتشر في شمال الباطنة حتى دبا دور بارز في ربط المدينتين فكريا واقتصاديا . ومن أشهر رجالها المهلب بن أبي صفرة وبنوه الذين كان لهم دور سياسي بارز في صحار^(٣).

دما : بفتح أوله وتخفيف ثانيه تقع في الجنوب الشرقي من صحار على خليج عمان وتبعد عنها بـ ١٨٤ كم وتسمى أيضا "السيب" وهو الاسم الغالب عليها وما تعرف به اليوم إحدى ولايات محافظة مسقط في التقسيم الإداري الحالي^(٤)، ودما إحدى المدن العمانية الشهيرة في تاريخ عمان السياسي والفكري^(٥)، وكانت إحدى أسواق العرب^(٦). يصفها الإدريسي بأنها في الصيف مدينة عامرة وبها مغاص اللؤلؤ الجيد وهي مشهورة بجيد اللؤلؤ المستخرج منها^(٧)، وتشتهر بإنتاجها الزراعي فهي في بداية منطقة الباطنة من الجنوب الذي تقع فيه صحار ، فأرضها ومواردها المائية شبيهة بصحار . وعندما أصبحت مسقط عاصمة لعمان كانت السيب من أهم منتجعاتها لما بها من مزارع ومياه عذبة وجو معتدل نسبيا في فصل الصيف جميل في باقي الفصول^(٨).

(١) المقصود إحدى فرضتي العرب في عمان : دبا وصحار . الخبر ص ٢٦٥ ، والفرضة : التلمة التي تكون في

النهر (لسان العرب ١١/٥)

(٢) الأفغاني : أسواق العرب ص ٢٦٤ .

(٣) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١٤٨ ، أحمد السيادي : العوتبي نسابه بحث ضمن قراءات في فكر العوتبي الصحاري ص ٧٨ .

(٤) البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٢٨ ؛ مسيرة الخير (مسقط) ص ٧٠ والسيب هو يجري الماء (لسان العرب ٣/١٣٧٦٣) .

(٥) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٥٤ ، ٢٥٩ .

(٦) الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٦١ .

(٧) نزهة المشتاق : ج ١ ص ١٥٦ .

(٨) البطاشي : إتحاف الأعيان ص ٣٠ .

وبهذه الثروة الاقتصادية - زراعية ومعدنية - أسهمت دما في نشاط الأسواق

التجارية في صحار .

الرستاق : بضم الراء قيل هي السواد والقرى ، وقيل الصف من الناس أو السطر من النخيل^(١)، وهي من الأسماء المعربة والجمع رساتيق ويقال للرستاق أحيانا: رسـداق ورزداق^(٢). وتقع الرستاق جنوبي صحار وتبعد عنها ١٦٣ كم ، وهي إحدى العواصم العمانية الشهيرة^(٣)، وموقعها يتميز بأنه على سفح الجبل الأخضر من الشمال لا يفصلها عن منطقة الباطنة فواصل طبيعية . وتعتبر همزة الوصل بين المنطقة الداخلية ومنطقة الباطنة حيث تمر بها إحدى الطرق المؤدية إلى نزوى وما جاورها من ولايات عبر الجبل الأخضر . وشهدت الرستاق أحداثا تاريخية أثناء فترة البحث وعقد بها الاجتماع الشهير الذي عقده أنصار الإمام الصلت بن مالك الخروصي رافضين عزله ؛ فقرر المجتمعون فيها مواجهة القائمين بعزل الإمام الصلت ، وكانت صحار ممثلة في هذا الاجتماع بكبار قومها من العتيك وبني سليمة وغيرهم^(٤). ولما تمتع به الرستاق من موارد مائية عذبة حيث تنتشر فيها العيون الطبيعية المتدفقة من باطن الأرض و الأفلاج الكبيرة ازدهرت فيها الزراعة وخاصة زراعة النخيل والحمضيات والمواالح والحبوب، بالإضافة إلى أن سوقها تجمع كل منتجات المدن والقرى الواقعة شمالي الحجر الغربي بما فيها قرى الجبل الأخضر وخيراها ، خاصة الفواكه التي لا تجود إلا في الأجواء الباردة كالخوخ والرمان والمشمش^(٥) وغيرها . فلذا كانت سوق الرستاق أحد الروافد الهامة لأسواق صحار بتلك الثمار وغيرها من المنتجات الزراعية والصناعية التي تنتجها تلك النواحي .

(١) الفيروز أبادي : القاموس المحيط باب القاف فصل الراء ص ٨٨٦.

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٦٩.

(٣) السيائي : عمان عبر التاريخ ج ٣ ص ١٧٨.

(٤) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٣١٣، ٣١٤ .

(٥) د. شلي : عمان في التاريخ بحث ضمن حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ١ ص ٢٧ . د. الحارثي : بنو

نهران ص ١٨٢.

صور وقلهات : من المدن العمانية القديمة ؛ فصور قيل تم بناؤها من قبل الفينيقيين الذين بنوا مدينة مماثلة بنفس الاسم على ساحل البحر الأبيض المتوسط في جنوب لبنان ببلاد الشام^(١). أما قلّهات فتتبع اليوم إداريا ولاية صور - بينما ذكر شيخ الربوة سابقا أن صور من مدن قلّهات^(٢)، وذكر العوتبي أن مالك بن فهم الأزدي ومن معه نزلوا بها . وفي أثناء فترة هذه الدراسة كانت هاتان المدينتان أهم الموانئ في المنطقة الشرقية ، إلا أن قلّهات هي المدينة التي ورثت مكانة صحار الاقتصادية . وعندما زار ابن بطوطة عمان نزل بقلّهات ووصفها بأنها: " على الساحل وهي حسنة الأسواق ولها مسجد من أحسن المساجد وهو مرتفع ينظر منه إلى البحر والمرسى^(٣)، " . ووصف أهلها بأنهم أهل تجارة^(٤).

وقد أسهمت المدينتان في عملية التواصل التجاري بين صحار والمنطقة الشرقية من عمان عن طريق البحر . واشتهرت هذه المنطقة بالإنتاج الوفير من الثروة السمكية بالإضافة إلى الثروة الزراعية والصناعية^(٥)، ومما اشتهرت به تلك المنطقة إنتاج بعض الأصماغ ومن ذلك المقل الذي يتداوى به وهو صمغ أحمر طيب الرائحة وصمغ آخر أبيض أخذ من شجر يسمى الضجاج يستعمل في تنظيف الملابس وشعر الرأس ، وكلا النباتين كان ينمو حسب ما ورد في جبل قهوان وهو من جبال تلك المنطقة ، هذا بالإضافة إلى ما عرف عن أهل صور من خبرة بصناعة السفن وارتداد البحر^(٦).

ظفار : من البلاد ذات التاريخ العريق تقع على بحر العرب جنوبي عمان^(٧). وصفت "بجنة المناظر الخضراء" لما حباها الله من أرض خصبة وشلالات تنحدر من جبالها العالية وطقسها المعتدل صيفا نتيجة الأمطار الموسمية^(٨). ومن موانئها الشهيرة مرسى

(١) مسيرة الخير ص ٢٦ .

(٢) الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٦٠ .

(٣) شيخ الربوة : تحفة الدهر ص ٢٨٧ .

(٤) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٥) ابن بطوطة : الرحلة ص ٢٧٠-٢٧١ ؛ الدينوري : النبات ص ٩٠ ؛ ابن البيطار ج ٣ ص ٩٣ .

(٦) حميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ١٠٩ ؛ البوسعيدى : عمان في عصر الإمامة الإباضية الثانية ص ٢٥٠

(٧) د. العاني : عمان في العصور الإسلامية الأولى ص ٦٤ .

وهي مدينة تجارية قديمة وهي فرضة ظفار^(١).

أما الميناء الآخر فهو ريسوت وهو ميناء حصين له طريق بري لا يبعد عن الطرق التجارية التي تسلك لعمان أكثر من ميل واحد^(٢) ، وتشتهر ظفار ومدنها بالعديد من المنتجات التي زخرت بها الأسواق العمانية ومن أشهرها اللبان وهو من السلع التي أسهمت بها عمان في التجارة العالمية^(٣).

ومما تجود به أرض ظفار أيضا جوز الهند (النارجيل) وهو يعد من الأشجار ذات النفع الكبير ؛ فمن ثمارها يصنع الزيت وحليب النارجيل والعسل ، ومن جذوعها تصنع السفن وتخطأ بحبالها بدلا من المسامير ، هذا بالإضافة إلى العنبر الشحري الذي يعد من أجود أنواع العنبر^(٤) ، ويوجد أيضا عدد من الثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية الأخرى^(٥) ، وبهذا أسهمت هذه المنتجات التي اشتهرت بها ظفار في رقي تجارة صحار ونشاطها الملاحي .

وهناك مدن أخرى ذكرتها المصادر كانت تعد من المراكز التجارية في عمان مثل سمد التي تقع في المنطقة الشرقية من عمان وهي واحة تتوافر فيها المياه والمزارع. ومن تلك المدن أيضا سلوت التي اندثر ذكرها الآن . ومن بلاد منطقة الظاهرة ضنك وهي تقع في الجانب الخلفي لسلسلة جبال الحجر الغربي^(٦).

وبهذا ندرك نشاط التجارة الداخلية التي أسهمت بنصيب كبير في إمداد صحار بالكثير مما كانت تجود به عمان كما أنها كانت منافذ بيع لما كان يتدفق على أرض صحار من سلع مختلفة من بلاد مختلفة من العالم الخارجي .

(١) الغساني : أرض اللبان في سلطنة عمان بحث ضمن حصاد ندوة الدراسات العمانية ص ١٦٧.

(٢) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٦٦.

(٣) الدينوري : النبات ص ٩١ ؛ ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج ٤ ص ٨٣ .

(٤) ابن بطوطة : رحلته ص ٢٦٣-٢٦٤ .

(٥) الدمشقي : محاسن التجارة ص ٣١ ؛ البكري : المسالك والممالك ص ٣٦٧-٣٦٨ .

(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٨ .

التجارة مع الموانئ الإسلامية المجاورة

كان التبادل التجاري قائما بين صحار والعديد من المدن والبلاد المجاورة ، وكانت البصرة من أهم المدن والموانئ التي كان التبادل التجاري بينها وبين صحار نشيطا وذلك للوجود العماني المكثف في البصرة ، والذي شكل حلقة الوصل بين المدينتين ، وكان بعض العمانيين له تجارات هنا وهناك . وكثيرا ما أشارت المصادر إلى هذه الصلة القوية التي تدعمها أيضا صلات فكرية وعلمية ، وكان كثير من التجار البصريين يتزودون من صحار نظرا إلى أن بعض المراكب كانت تفرغ حمولاتها بسبب ضخامتها ^(١). ومن أمثلة تلك العلاقة التجارية ما جاء من جواب أبي علي موسى بن علي والأزهر بن علي إلى الإمام عبد الله بن حميد (٢٠٧-٢٢٦) ^(٢) رحمهم الله: "مما رأينا من المسائل أن رجلا من التجار من أهل البصرة من سنين عدة تجهز من عمان إلى بلاد الهند ، ويرجع من بلاد الهند إلى عمان فيبيع متاعه ويعجل الزكاة ، ثم يرجع إلى بلاد الهند حتى قدم من هذه السنة من بلاد الهند في سفينة على حسابه و أراد بيعها فلم يتفق له ورجا أن يكون في البصرة أخرج ^(٣) لثمنها فوجه فيها ابنه وأقام بعمان . فقد رأينا ومن حضرنا ممن أشرنا عليه أن الزكاة عليه" ^(٤).

ومن أهم الموانئ والمراكز التجارية التي ارتبطت بها صحار سيراف وعدن . أما سيراف فقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بصحار، فكان تجار البلدين كثيرا ما يتبادلون بينهم المصالح التجارية ، وحضور تجار كلتا المدينتين إلى الأخرى كان أمرا طبيعيا خاصة إذا ما علمنا أن الخط الملاحي لهما واحد ، فكثير من تجار سيراف يمرون بصحار ^(٥) وهم في طريقهم إلى البلاد الأخرى وكذلك العكس عندما يتجه العمانيون إلى البصرة مثلا يمرون بسيراف ^(٦)، وقد وردت العديد من الشواهد على ذلك في كتب المؤرخين

(١) سليمان التاجر والصيرفي : ص ٣٨

(٢) العلامة أبو علي موسى بن علي وأخوه الزهر بن علي ترجم لهما والإمام عبد الملك بن حميد من أئمة القرن الثالث الهجري ٢٠٧هـ - ٢٢٦هـ .

(٣) اخرج : أي أربح .

(٤) الكندي : بيان الشرع ج ١٩ ص ٣١٤ .

(٥) سليمان التاجر والصيرفي : أخبار الصين والهند ص ٣٧

(٦) الترخي : نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٠ .

والجغرافيين ، ومن ذلك ما أورده صاحب كتاب أخبار الصين والهند بأن أكثر السفن الصينية تحمل من البصرة وعمان وغيرها إلى سيراف^(١)، كذلك استقل المسعودي من صحار مركبا للسيرافيين إلى شرق أفريقيا^(٢)، كما يذكر صاحب كتاب عجائب الهند العديد من الحوادث التي كانت تتصل بالعلاقة بين سيراف وعمان ومن ذلك ما يقوله : " حدثني بعض تجار سيراف قال ركبت من عمان بريد البصرة الخ " ^(٣) .

وهناك الكثير من الأمثلة التي تدل على التواصل التجاري المتين بين المدينتين .

عدن : يعد ميناء عدن من الموانئ الهامة في اليمن وكان التواصل التجاري بين صحار وهذه المدينة قائما . يذكر شيخ الربوة بأنه " يدخل إليها من باب وهي فرضة لما يرد من مراكب الصين والهند وكرمان وفارس وعمان ^(٤) " . وتشير المصادر الفقهية إلى هذه العلاقة ومن أمثلة ذلك " كل أموال قدم بها أهلها إلى عمان في تجارة أو غيرها من أرض الإسلام مثل العراق وفارس وعدن والديبل ^(٥) " ومن أهم الصادرات اليمنية الثياب والعنبر والورس . وكانت تلك السلع تباع في أسواق صحار بالإضافة إلى ما ورد في بعض المسائل الفقهية من التقاضي على دراهم عدنية^(٦) .

وكانت عدن من المخططات الهامة للتجار العمانيين المتجهين إلى شرق أفريقيا كما كان العكس يحدث عندما ما تتجه مراكب اليمن إلى بلاد فارس أو العراق^(٨) .

(١) سليمان التاجر والسيرافي : ص ٣٧ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) بزرك : ص ١٤١ .

(٤) نخبة الدهر ص ٢٢٠ .

(٥) ابن جعفر : جامعه ج ٣ ص ١٢٣ ؛ الكندي : بيان الشرع ج ١٩ ص ٣٠٥ .

(٦) الكندي : بيان الشرع ج ٤٢ ص ١٥٥ .

(٧) الكندي : الصنف ج ٢٧ ص ٣٢١ .

(٨) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٥٦ .

الواردات

اهتم العمانيون بالملاحة البحرية نظرا لما تمتعت به عمان من موقع بحري هلم . وقد بدأ هذا الاهتمام منذ زمن بعيد قبل الإسلام ، وفي ظل الإسلام كانت التجارة والملاحة من بين غاياتها نشر الدين الإسلامي ، فلهذا سيتم الحديث عن هذا الجانب في مبحث خاص في الفصل القادم مع التنويه بالدور الفاعل لهذا النشاط في ربط عمان بتلك البلاد ، ومن ثم فإننا نحصر الحديث هنا في التبادل التجاري وأهم المناطق التي تم الاتجار معها .

شرق أفريقيا :

نظرا للعلاقات القوية التي ربطت عمان بشرق أفريقيا ولما حبا الله أفريقيا بالكثير من المنتجات الطبيعية فإنه تم استيراد العديد من تلك المنتجات إلى الأسواق في صحار، والكثير من هذه السلع يتم إعادة تصديره إلى أسواق أخرى ومن أهم تلك السلع : الذهب : هو المعدن الرئيسي في صناعة الحلبي الخاصة وأدوات الزينة وزخرفة الألبسة والأثاث . وكانت مناجم عمان لا تفي بحاجة السوق فلذا استقدم العمانيون هذا المعدن الثمين من أفريقيا واشتهرت سفالة الزنج بإنتاج الذهب ووصفه البيروني بأنه غاية في الحمرة^(١)، وقال صاحب خريدة العجائب: "من عجائب أرض سفالة أن بها التبر الكثير ظاهراً"^(٢)، ولم تختص سفالة الزنج بإنتاج الذهب في شرق أفريقيا ولكن كانت هناك أماكن أخرى وصل إليها العمانيون مثل جزيرة قبلو حيث يذكر شيخ الربوة أن بعض جزائر الزنج عامرة بهم وبما الأبانوس والبحار ومناجم الذهب^(٣). وكانت المراكب العمانية تتردد على هذه الأماكن وشاهدها المسعودي بنفسه حينما سافر من صحار إلى شرق أفريقيا في بدايات القرن الرابع الهجري ووصل إلى تلك الجزر^(٤).

(١) الجماهر في معرفة الجواهر ص ٢٣٩ .

(٢) ابن الوردي : ص ٥٠ .

(٣) نخبة الدهر : ص ١٦٢

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٠٧-١٠٨ وسفالة آخر مدينة بأرض الزنج ، الحموي : معجم البلدان

و كان للعمانيين في تجارة العاج دور ريادي لاتصالهم المبكر بأرض أفريقيا ، وكان الزوج لا يعيرون العاج أي اهتمام حتى وصل العرب فوجدوه ملقى كأنه الخطب . يقول المغربي: " لأن العاج في ذلك الزمان غير معروف ولا مرغوب فيه بين الأهالي ، فإذا مات الفيل تبقى ضرسه ساقطة على الأرض وإذا صادوه وأكلوا لحمه يلقون بالعاج في مكان بعيد لأن العاج والعظام عندهم بالسوية " (١)، ولما أخذ العمانيون يجمع العاج عجب الأهالي من فعل العرب وبعضهم ساعد في عمليات الجمع وبعض العمانيين مكثوا يجمعون سنة كاملة حتى جمعوا شيئا عظيما كالتلال (٢). ورغم أن هذه الرواية تشير إلى العصور اللاحقة لفترة البحث فإنها تعطي دلالة على أن تجارة العاج استمرت قرونا طويلة حيث يقول المسعودي عن بلاد الزنج: "فمن أرضهم تجهز أنياب الفيلة ، فجهز الأكثر منها من بلاد عمان إلى أرض الصين والهند وذلك أنها تحمل من بلاد الزنج إلى عمان ومن عمان إلى حيث ذكرنا ، ولولا ذلك لكان العاج بأرض الإسلام كثيرا " (٣).

كما أن العنبر من السلع التي تم استيرادها من شرق أفريقيا . والعنبر رغم وجوده في عمان إلا أن لكثرة الطلب عليه من الأسواق الأخرى استورده العمانيون (٤)، وكان يكثر بجزيرة قنبلو ومن أنواعه العنبر الأزرق المدور (٥). كما عرفت أفريقيا بكثرة حيواناتها فلذا جلبت منها الجلود وخاصة جلود النمر وجلود البقر الملمعة (٦)، كما تم استيراد الأخشاب من شرق أفريقيا كخشب الساج وخشب الأبنوس (٧)، وجلب منها أيضا الزبل وهو ظهور السلاحف ومنها تصنع الأمشاط (٨)، كما تم صناعة

(١) جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار ص ٢١٨.

(٢) المغربي : جبهة الأخبار ص ٢١٨.

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٦.

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٥٤.

(٥) بزرگ : عجائب الهند ص ١٧٥ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٢.

(٦) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٣ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٣.

(٧) شيخ الربوة : نخبة الدهر ص ١٦٢.

(٨) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٣.

الأغطية للغواصين بحثا عن اللؤلؤ في الخليج وذلك لتقي رؤوسهم وأجسادهم عند التزول إلى الأعماق لجمع اللؤلؤ.^(١)

الهند والسند : كانت التجارة مع الهند والسند من أشهر التجارات في عمان لقرب البلدين بعضهما ببعض ولقدم الصلات بينهما . وقد عرف العديد من الهنود على أرض صحار ومارسوا فيها التجارة ، ومن أهم السلع الهامة التي كانت تأتي من الهند الأرز الذي يعتبر في مقدمة الواردات من بلاد الهند والسند^(٢) و من بينها أيضا البهارات التي كانت تستعمل لتطيب أنواع المأكولات وتفويج طعمها وزيادة الإقبال وفتح الشهية لها ، بالإضافة إلى أنها كانت تستعمل لحفظ المأكولات . ومن أهم تلك البهارات الفلفل الذي وصفه ابن البيطار بأنه شبيه باللوبيا في جوفه حسب صغار ، فمنه ما يجنى ناضجا وهو الفلفل الأسود ومنه ما يجتنى غضا وهو الفلفل الأبيض^(٣)، ومن البهارات أيضا الكبابة والجوزبوا (جوز الطيب)^(٤) والزنجبيل والنارجيل^(٥)، ومن أنواع البهارات الهامة القرنفل^(٦) وتم استيراد بعض أنواع العطور مثل العود^(٧) والمسك^(٨) والعنبر^(٩) والكافور والزعفران^(١٠)، وكان بعضها يتم إعادة خلطها لنتج أنواعا من العطور كصناعة ما عرف في العصر العباسي بالغالية الذي يدخل المسك والعنبر في أهم مركباتها^(١١)، أما الأخشاب التي جلبت من الهند والسند فهي الأبنوس

(١) د. رمزية خيرو: تجارة الخليج العربي ص ١٣٧.

(٢) ابن الفقيه : البلدان ص ٨. الكندي : بيان الشرع ج ٩ ص ٣٠٧.

(٣) ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج ٣ ص ١٦٦.

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٦٥ ، ابن البيطار ج ١ ص ١٧٥ ج ٤ ص ٢ ، ابن الفقيه البلدان ص ١٢.

(٥) الكندي : بيان الشرع ج ٩ ص ٣٠٧.

(٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٦٨. ابن الفقيه : البلدان ص ١٢.

(٧) المسعودي : موج الذهب ج ١ ص ١١٦.

(٨) اليعقوبي : البلدان ١٢٣ . النويري : نهاية الأرب ج ٢ ص ٤٤.

(٩) ابن الفقيه : البلدان ص ١٢.

(١٠) الجاحظ : التبصر بالتجارة ص ١٨ . المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٩٢.

(١١) الأصفهاني : الأغاني ج ١٦ ص ٢٥٦.

والصندل الأبيض والساج والخيزران^(١) الذي كان يستعمل للرماح وأشهرها الرماح الخطية^(٢)، ومن الجواهر استورد التجار من الهند الياقوت الأحمر والعقيق الذي يسمى (الجزع) واللؤلؤ والديباج، ومن الجلود جلود الفيلة والنمور والحيونات المدبوغة^(٣). واستوردت السيوف والثياب القطنية والمخملية^(٤) والرصاص والحديد الصلصال ومنه يصنع الخنزف^(٥)؛ فلذا كانت العلاقة بين بلاد الهند وصحار قوية ومتينة لأن الهند تعتبر مصدرا هاما لتلك الأنواع العديدة وغيرها من البضائع والسلع التي كانت تزخر بها الأسواق العمانية .

سرنديب وما ولاها من جزر:

اشتهرت سرنديب بإنتاج الجواهرات ؛ فلذا كانت هذه السلعة الثمينة من أهم ما كانت تستورده صحار من هذه الجزيرة ، ولأهمية هذا التواصل التجاري فإن تجار عمان وضعوا لهم وكلاء في هذه الجزيرة ليتولوا تأمين شراء الجواهرات من مصادرها الأساسية خوفا من الغش^(٦).

ويأتي الياقوت الأحمر في مقدمة هذه الجواهرات . وقد ابتاع يوسف بن وجيه فصين من الياقوت الأحمر بخمسين ألف درهم^(٧). كما كان يستورد من تلك الجزر الياقوت بمختلف ألوانه : الماس والعقيق والفروز والدر والبلور و السنبادج الذي يعالج به الجواهر^(٨). ومن العطور كان يجلب العنبر من

(١) التبصر بالتجارة ص ٢٥-٢٦ ؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص ٦٩ .

(٢) الدينوري : النبات ج ٥ ص ١٦٦ ؛ البكري : معجم ما استعجم ص ٥٠٣، ٥٠٢ ؛ شيخ الربوة : نخبة

الدهر ص ٢٢٠ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٩٢ .

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ص ٦٩ .

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٩٢ .

(٦) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٦٤ .

(٧) التنوخي نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٦٥ .

(٨) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٩ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٩٢ .

سرنديب وجزر لنجبالوس وجزيرة الزايج^(١) ، والمسك^(٢) . ومن أشهر الأخشاب التي تستورد من سرنديب والجزر المجاورة لها خشب النارجيل إما بمهيئة أخشاب أو ألياف تصنع منها المراكب البحرية^(٣) كما يستورد أيضا البقم^(٤) والرصاص القلعي^(٥) . ومن أنواع البهارات كان أهم ما يستورد من هذه الأماكن الفلفل بأنواعه وجوز الطيب والقرنفل والدارجيني (القرفة)^(٦) . هذه هي أهم السلع التي كانت تستورد من سرنديب وغيرها من الجزر التي هي الآن جزر المالديف والزايج من جزر إندونيسيا وغيرها من الجزر حتى الصين .

الصين :

تتمتد العلاقة بين عمان والصين إلى ما قبل الإسلام بقرون عديدة ، وفي بواكير العهد الإسلامي وصل العمانيون إلى الصين تجارا ودعاة . وفي بداية القرن الثاني الهجري اشتهر منهم عدد من التجار الفضلاء الذين وصلوا إلى الصين و إلى كانتون بالتحديد^(٧) . ومن أهم السلع التي كانت تستورد من الصين العود، ومن أشهر أنواعه:

(١) سليمان التاجر والسيرافي : أخبار الصين والهند ص ٣٦ ؛ برزك : عجائب الهند ص ١٥٠ . وجزر لنجبالوس تعرف اليوم بجزر نيكوبار ، أما الزايج فهي جزيرة سومطرة وقيل جاوه . انظر: العاني عمان في العصور الإسلامية الأولى ص ١١٩ ؛ الشاروني هامش كتاب أخبار الهند والصين ص ٧٤ .

(٢) البيروني : الجواهر ص ١٨٤ ؛ ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٦٥ .

(٣) سليمان التاجر والسيرافي : أخبار الصين والهند ص ٩٠ .

(٤) سليمان التاجر والسيرافي : أخبار الصين والهند ص ٧٥ . والبقم من فصيلة القطنيات ويحتوي خشبه على مادة ملونة تستعمل في الصباغة . انظر الشاروني : أخبار الصين والهند هامش رقم ٤٦ ص ٧٥ .

(٥) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٦) ابن خرداذبة : المسالك ص ٦٩ .

(٧) لمعرفة المزيد عن هذه العلاقة انظر بحث دور صحار في نشر الإسلام في الفصل القادم . وكانتون أو خلتنو هي من أشهر مدن الصين تقع على نهر عظيم يفوق دجلة والفرات وقد وصفها المروزي فقال " بأنها مرفأ عظيم وفيها نهر كبير يخترق البلدة وعليه جسور وعلى أحد جانبيه أسواق التجار الغرباء وعلى جانبه الآخر أسواق أهل المدينة وأكثر من يقصدها من التجار الفرس والعرب " . انظر المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٣٩-١٤٠ ؛ ابن الوردي : فريدة العجايب ص ٥٤ ؛ المروزي : أبراب الصين ص ١٠ .

العود القماري^(١) المرتفع القيمة^(٢) والمسك ، ويعد المسك التبي من أجود الأنواع في العالم ويكون يابسا فاتحا^(٣)، وكان تجار الصين يستوردونه من التبت ويبيعونه للتجار العمانيين وغيرهم من التجار في خانتو^(٤) (كانتون) ، ويذكر المسعودي أن أهل الصين يضعون الأنواع الجيدة في براني الزجاج ويحكمون غطاءها حتى ترد إلى بلاد الإسلام مثل عمان وفارس والعراق^(٥)، ومن أنواع المسك أيضا المسك القنباري الذي يستورد من منطقة قنبار في الصين^(٦).

وبما أن صحار اشتهرت بجودة نسيجها ، فإن الحرير الخام كان يأتيها من الصين وكانت صحار إحدى المواني الهامة لطرق الحرير المستورد من الصين^(٧) واشتهرت الصين بصناعة الخزف في شكل صحن كبيرة تسمى العطار وقد وجدت بعض القطع الخزفية والفخارية نتيجة التنقيب الأثري في صحار سنة ١٩٨٦م وهي تشي بالفخامة وارتفاع الثمن في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي^(٨). كما كان يستورد من الصين اللؤلؤ والكافور والبقم^(٩) والبهارات ومن أهم الدارجيني (القرقة)^(١٠) ويستورد أيضا الذهب : وذكر ابن خرداذبة بأنه في مشارق الصين بلاد الواق واق ، وهي كثيرة الذهب حتى أن أهلها يتخذون سلاسل كلابهم

(١) نسبة إلى قمار وقمار هي كمبوديا الحالية انظر د.العاني: عمان في العصور الإسلامية الأولى ص ١٢٠
(٢) سليمان التاجر والصيرفي: ص ٧٥ . ابن خرداذبة: ص ٦٨ . الكندي : بيان الشرع ج ١٩ ص ٣٠٨ .
(٣) الجاحظ : التبصر بالتجارة ص ١٧ . المسعودي مروج الذهب ج ١ ص ١٦٢-١٦٣ . لأن طباء التبت ترعى سنبل الطيب وأنواع الأفاوية " فلذا كان مسكهم من أجود أنواع المسك . المسعودي : مروج الذهب ص ١٦٢ .

(٤) اليعقوبي : البلدان ص ١٢٣ .

(٥) مروج الذهب : ج ١ ص ١٦٣ .

(٦) اليعقوبي : البلدان ص ١٢١ .

(٧) بزرگ : عجائب الهند : ص ١٠٨ .

(٨) الجاحظ : التبصر بالتجارة ص ٢٦ .

(٩) د.مونيک کارفران : مدينة صحار وعلاقتها بطرق الحرير ص ٩٢-٩٣ .

(١٠) الكندي : بيان الشرع ج ١٩ ص ٣٠٨ .

وأطواق قرودهم منه ، ويأتون بالقمص المنسوجة بالذهب للبيع ^(١) هذه هي أهم ما كانت تستورده صحار من بلاد الصين . وكان التبادل التجاري قائما أيضا بين العديد من المدن والبلاد المجاورة وكانت البصرة من أهم المدن والمواني وذلك للوجود العماني المكثف في البصرة حيث شكل العمانيون حلقة الوصل بين المدينتين وكان بعضهم له تجارات هنا وهناك .

الصادرات

مثلت الصادرات أهمية كبرى سواء كانت تلك الصادرات من السلع المحلية أو السلع المستوردة والتي أعيد تصديرها والأخيرة كانت هي الغالب على مجموع الصادرات ، ومن أهم السلع المصدرة :

التمور :

شكلت التمور أهم المنتجات الصحارية قديما وحديثا فلذا كانت من أهم الصادرات الصحارية للتبادل التجاري خاصة إلى شرق أفريقيا لكثافة الوجود العماني أو العربي بصفة عامة ، وكان التمر يعد من مهمات الغذاء لديهم كما كان يصدر أيضا إلى الهند ^(٢).

اللبان :

من المنتجات المهمة التي تنتجها أرض ظفار وما جاورها ^(٣) واشتهرت به. ويقول صاحب كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة بأنه صمغ شجر في شحر عمان وأجوده المعلق ^(٤). وذكره الإدريسي بأنه من منتجات جبال مرباط في ظفار ^(٥)، كما يذكر

(١) المسالك والممالك ص ٦٨ ؛ والراجح أن الرائق واق الصين اسم أطلقه العرب على جزر بعيدة لم يكونوا على صلة مباشرة بها وذلك يصدق على اليابان . انظر حرراني : العرب والملاحة ص ٢٣١-٢٣٢ هامش رقم ٣ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٥١ ؛ الإصطخري ص ٣٢ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٢٤٩-٢٥٠ ؛ د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحة والتجارة ص ٦٦ .

(٣) البغدادي : مرصد الاطلاع ج ٢ ص ٩٠٤ .

(٤) الدمشقي : ص ٣٥ .

(٥) نزهة المشتاق : ص ٥٦ .

البكري الذي سماه الكندر بأنه ينمو في الساحل أي ساحل عمان الجنوبي ومنه يحمل^(١)، وقد ازدهرت تجارة اللبان منذ آلاف السنين^(٢) حيث وصل إلى المعابد المصرية القديمة^(٣)، كما تم تصدير هذه السلعة إلى الهند والصين وغيرها من البلاد فلذا ذكر الإدريسي ما يصدر إلى جميع المشرق والمغرب^(٤).

ونظرا لازدهار صناعة المنسوجات في صحار خاصة وفي عمان بصفة عامة^(٥) فإنه تم تصدير هذه البضاعة إلى بلاد مختلفة منها بلاد الجزيرة العربية^(٦) وشرق أفريقيا وقد زاد إقبال أهالي شرق أفريقيا على المنسوجات القطنية لملاءمتها للجو الحار في بلادهم ولجودة صناعتها^(٧).

الجواهر :

واشتهرت المغاصات العمانية باستخراج اللؤلؤ ، وكان من أجود الأنواع المعروفة آنذاك وقد تمت الإشارة فيما سبق إلى الدرة اليتيمة التي بيعت في بغداد بسبعين ألف درهم ، وأخرى بثلاثين ألفا^(٨) . وقد وصف الجاحظ اللؤلؤ العماني بقوله: " وخير اللؤلؤ الصافي العماني المستوي الجيد الشديد التدرج والاستواء "^(٩).

(١) المسالك والممالك ص ٢٠٠ .

(٢) الغساني : أرض اللبان في سلطنة عمان ، من ضمن ندوة الدراسات العمانية ج ١ ص ٢١١ .

(٣) عوض الله : بلاد بونت ، مقال في مجلة نزوى العدد السادس سنة ١٩٩٦ م ص ١٢ .

(٤) نزهة المشتاق ص ٥٦ ؛ د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحة والتجارة ص ٦١، ١٣١ .

(٥) ابن جعفر : جامعه ج ٤ ص ٢٢٣ ؛ ابن بركة : كتاب التقييد ص ٣٩٧ .

(٦) ابن هشام السيرة النبوية ج ٦ ص ٨٥ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى الجزء الخاص بالسيرة ج ٣ ص ٢٨٤ ؛

ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ٤١٨ .

(٧) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٦١ ؛ العسكري : التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر

العباسي ص ١٧٨ .

(٨) برزك : عجائب الهند ص ١٣٤ ؛ البكري : المسالك والممالك ص ٣٦١ .

(٩) التبصير بالتجارة ص ٦٧ .

وكان الكثير من الجواهر الأخرى تصل إلي صحار أولاً ثم يتم بيعها مرة أخرى ، ومن أدلة ذلك قول يوسف بن وجيه: "والجوهر إلينا يصل أولاً ثم يتفرق من عندنا إلي البلاد"^(١)، وكان حينذاك يستعرض أحد العقود التي لديه لجلسائه وفيه ثلاث وتسعون حبة جوهر كل واحدة منها على قدر بيض الحية والعصفور ، ثم قال: "ونحن مجتهدون في أن نجد سبع حبات تشابه هذا فيحصل في العقد مائة حبة فما نقدر على ذلك منذ كذا وكذا سنة"^(٢).

البهارات :

كما تم إعادة تصدير بعض السلع المستوردة ، ومنها البهارات التي عرفت بتجارة الكارم ، وتم إعادة تصديرها إلي بلاد مختلفة مثل شرق أفريقيا ومصر وكانت التجارة تصل إلي مصر من عمان إما عن طريق ميناء عدن أو عن طريق مواني الحجلز مثل ميناء جدة ^(٣). كما استورد التجار العمانيون العاج بكميات كبيرة من شرق أفريقيا ومن ثم صدروه إلي بلاد الهند والصين ، حيث يقول المسعودي في معرض حديثه عن الزنج وبلادهم : "فمن أرضهم تجهز أنياب الفيلة فيجهز الأكثر منها من بلاد عمان إلي أرض الصين والهند وذلك أنها تحمل من بلاد الزنج إلي بلاد عمان ومن عمان إلي حيث ذكرنا ولولا ذلك لكان العاج بأرض الإسلام كثيراً"^(٤) . ورغم أن الهند نفسها يكثر بها العاج إلا أن الصناع الهنود كانوا يفضلون العاج الأفريقي على عاج أفيالهم لأنه كان يمتاز بالليونة وسهولة تشكيله^(٥).

(١) التنوخي : نشرار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٥ .

(٢) التنوخي : نشرار المحاضرة ج ٨ ص ٢٥٥ .

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٦١ . د.سحر عبد العزيز سالم : تجارة عمان في الكارم وصددها، بحث

نشر ضمن حصاد ندوة العلاقات العمانية المصرية ج ٢ ص ٥٠-٥١ .

(٤) مروج الذهب ج ٢ ص ٦ .

(٥) د.رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحة والتجارة ص ٦٦ .

وكذا تم تصدير العديد من أنواع العطور كالعود والمسك والزعفران والكافور وغيرها من الأنواع بالإضافة إلى ما كان في عمان من العنبر الذي اعتبر من أجود الأنواع ، ومع هذا فإن أسواق صحار كانت تستورد أيضا العنبر مع ما تستورده من أنواع أخرى من العطور و ذكر الحموي : "إن تجارا كانوا يقصدون بعض سواحل عمان لجلب العنبر الفائق" (١). كما تم تصدير أنواع أخرى من السلع كالحبوب (٢) والفواكه خاصة الموز العماني (٣)، كما صدرت صحار الخيول إلى بلاد الهند والسند (٤) والأصماغ المختلفة كالصبر الذي كان يصنع بعمان (٥)، وغير ذلك مما اشتهرت به صحار إنتاجا واستيرادا .

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠٠ .

(٢) البكري : المسالك والممالك ص ٤٣٥ .

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٦٢ .

(٤) ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ص ١٠٢ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ص ٣٢٨ .

(٥) الدينوري : النبات ص ٩٥-٩٦ .

الفصل الثالث

الحياة الدينية والعلمية والأدبية

المبحث الأول :

الأديان والمذاهب في صحار .

المبحث الثاني :

التعليم في صحار

المبحث الثالث :

علماء صحار ونتاجهم .

المبحث الرابع :

أدباء صحار ونتاجهم .

المبحث الخامس :

العلاقات العلمية بين صحار وغيرها من المدن

المبحث السادس :

دور صحار في نشر الإسلام .

المبحث الأول : الأديان والمذاهب في صحار

شهدت صحار ازدهاراً فكرياً بحكم كونها من أسواق العرب قبل الإسلام ، وليس يخفى دور هذه الأسواق ومماثلة من أهمية في الحياة الفكرية للعرب قبل الإسلام بالإضافة إلى منافعها الأخرى^(١) . ونتيجة لأهمية هذه الأسواق فإنها استقطبت العرب وغيرهم ممن تختلف مللهم ونحلهم ، فأسواق عمان كان يأتيها تجار من السند والهند والصين وأهل الشرق والغرب^(٢) ، وبسبب هذا التنوع في أجناس المجتمع الصحاري عرفت صحار ثقافات ومعتقدات شتى ، واستفاد أبناء صحار من هذا التنوع فأتقن بعضهم لغات القوم ودرسوا التوراة والإنجيل^(٣) .

المعتقدات الدينية في صحار قبل الإسلام

تنوعت أجناس المجتمع الصحاري و تطلب ذلك حرية عقائدية واسعة تسمح بالتعايش السلمي بين مختلف طوائف ذلك المجتمع وهي الحرية التي كفلها له حكامه من ملوك بني الجلندي ، فكان في صحار قبل الإسلام ديانات متنوعة ، وكانت تلك الديانات في تنوعها تكاد تمثل كل الديانات والعقائد المعروفة في ذلك الوقت في جزيرة العرب والتي تتمثل في الآتي :

الوثنية

انتشرت تلك العبادة في الجزيرة العربية وتغلغت فيها في حين لم تتجاوز اليهودية والمسيحية أطراف الجزيرة العربية مثل اليمن وسواحل عمان والخليج

(١) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ٨ ؛ الجهمي : حياة عمان الفكرية ص ١٠٩ .

(٢) ابن حبيب : المخر ص ٢٦٣ .

(٣) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٥٩ ؛ محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع : أخبار القضاة

ج ١ ص ٢٨١ ، الناشر : دار الكتب ، بيروت ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٢٤١ ؛ السلمي :

المصدر السابق : ص ٥٣ .

وجنوب العراق وشمال الحجاز^(١)، وكان العرب على دين إبراهيم عليه السلام دين الحنيفية والتوحيد ، إلا أنهم مع مرور الزمن حادوا عن طريق الجادة ، فاعتنقوا الوثنية، وهي عبادة الأصنام ، وكان هو سيد الأمر في تلك البقعة الطاهرة التي كانت مهوى أفئدة العرب جميعا ، ويبدو أن العرب اقتنعوا بما آمن به فانتشرت الأصنام بين قبائل الجزيرة العربية حتى اشتهرت بعض الأصنام مثل سواع و يغوث ونسر^(٢) ، ووصلت هذه العبادة لعمان وانتشرت بين قبائلها ، ومن أصنامهم صنم ناجر الذي كان الصحابي مازن بن غصوبة وقبيلته يعبدونه^(٣) . كما قيل إن بعض البلدان عرفت باسم الأصنام التي كانت تعبد فيها مثل إزكي التي كانت تعرف بجرنان ، وهو اسم الصنم الذي كان فيها^(٤)، وهذا يدل على أن التواصل بين القبائل العربية كان قائما وأنهم كانوا يتأثرون بعضهم ببعض أكثر مما يؤثر الغير فيهم .

المجوسية^(٥)

كانت عبادة الفرس الذين كانوا يعبدون النار ، والمصادر لا تشير إلى أن أحدا من عرب عمان اعتنقها ، ومع ظهور الإسلام في صحار تم طرد الفرس منها بعد رفضهم الدخول في الإسلام^(٦) ، إلا أنه نتيجة التواصل التجاري بين عمان وبلاد فارس فإن بعض الفرس قد استقروا في صحار حيث يشير صاحب الروض المعطار إلى وجودهم ، وكان منهم رجل مجوسي يقال له أبو الفرج ويعتبر من أغنياء المدينة و له خانات للتجار^(٧) .

(١) العقيلي : الخليج العربي في العصور الإسلامية ص ٤٦ .

(٢) الكلبي : كتاب الأصنام ص ٦ .

(٣) العوتبي : الأنساب ج ١ ص ٢٥٧ الأصفهاني : دلائل النبوة ص ٧٧ .

(٤) وزارة الإعلام : مسيرة الخير (المنطقة الداخلية) ص ٧١ . وإزكي إحدى ولايات المنطقة الداخلية .

(٥) المجوسية : القائلة بوجود أصليين : النور و الظلمة ، والخير والشر ، وذوات النور الشمس والقمر والنار . سميت هذه الديانة بالمجوسية منذ القرن الثالث الميلادي . انظر مطهر بن طاهر المقدسي :

البدء والتاريخ ج ٢ ص ٣١ ؛ مصطفى الخطيب : المصطلحات والألقاب التاريخية ص ٢٨٨ .

(٦) مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٤٢ ؛ الإزكوي : مصدر سابق ص ٤٢ .

(٧) الحميري : ص ٤١٣ .

النصرانية

عرفت جزيرة العرب هذه الديانة ، وانتشرت في عدد من قبائلها وفي مقدمتها ربيعة وغسان وبعض قضاعة ، كما اعتنقها بنو عبد القيس وبكر بن وائل^(١) ، وكان سيد عبد القيس بشر بن عمرو المعروف بالجارود هو أول من دخل من قومه في النصرانية فتبعه قومه كما أنه كان سباقا للدخول في الإسلام^(٢) . وبما أن صحار كانت ملتقى العرب وغيرهم فإنه ليس من المستبعد أن يعتنق بعض أهلها هذه الديانة^(٣) ، وقد وردت إشارة إلى وجود أسقفية في مزون (عمان)^(٤) ، ومن الكنائس التي كانت بعمان كنيسة كبرى في صحار^(٥) .

اليهودية

عرفت صحار الديانة اليهودية ، ويبدو أن اليهود كانوا جالية صغيرة في صحار وكانوا يشتغلون بالتجارة^(٦) ، وقد بقيت هذه الجالية حتى بعد دخول الإسلام في صحار ، ويذكر الإمام السالمي أنه في عهد الإمام عبد الملك بن حميد في بداية القرن الثالث الهجري وصل إلى الإمام كتاب من والي صحار يذكر أن يهوديين اقتتلا بالسلاح فقال أحدهما : " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ،

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٣٩ ؛ العقيلي : الخليج العربي في العصور الإسلامية منذ فجر الإسلام

حتى مطلع العصور الحديثة ص ٤٨ .

(٢) البعقوي : تاريخه ج ١ ص ٢٩٨ .

(٣) العقيلي : المرجع السابق ص ٤٩ .

(٤) العوتبي : الأنساب . ج ٢ ص ٢٥٩ ؛ محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع : أخبار

القضاة ج ١ ص ٢٨١ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٢٤١ ؛ السالمي : المصدر السابق

ص ٥٣ .

(٥) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ص ٧٢ ، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٧م

الغيلاني : ازدهار عمان في القرنين الأول والثاني للهجرة ص ٥٤ . رسالة ماجستير جامعة

القاهرة كلية الآداب ١٩٩٠م .

(٦) د. سيدة إسماعيل كاشف : المرجع السابق ص ١٧ .

أعينوا أنحاكم في الإسلام " ثم أنكر ولم يقر بالإسلام ، فجمع الإمام العلماء ليحكموا عليه فقالوا لا قتل عليه لأنه لم يقر بجملة الإسلام فهو لم يقل : " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن جميع ما جاء به من عند الله " ، فكتب الإمام للوالي أن يتأكد من اليهودي ، فإن أسلم قبل منه وإلا فلا قتل عليه^(١). وهذه القصة تفيد بوجود جالية يهودية في ذلك العهد ، وقد بقوا تجاراً حتى القرن الرابع ، فصاحب كتاب عجائب الهند يشير إلى وجودهم في صحار أيضاً^(٢) .

الإسلام والمذاهب الإسلامية في صحار

كان اعتناق العمانيين للدين الإسلامي باعثاً لنهضة علمية وفكرية شاملة في صحار حيث سارع عدد من أبنائها بشد الركاب لطلب العلم منذ بداية دخولهم في الإسلام ، ونيل شرف الصحبة الكريمة لرسوله ﷺ . وقد تم ذكر بعض هذه الشخصيات التي شرفت بلقاء الرسول ﷺ ، وتزودوا من معين النبوة بما ينير لهم ولقومهم طريق الخير والرشاد^(٣). وهذه المسارعة الفطرية هي غراس بيئة أنبتت أيضاً من بعدهم قوماً أخذوا دينهم من منابعه الأصيلة ، فالمصادر تذكر العديد من رجالات عمان الذين رحلوا إلى مدينة رسول الله ﷺ ومن بعدها إلى حاضرة العالم الإسلامي العلمية البصرة لينهلوا من علم صحابة رسول الله ﷺ ، وليتربوا على أيديهم^(٤)،

(١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٣٥ .

(٢) بزرك : عجائب الهند ص ١٠٧ .

(٣) تذكر المصادر عدداً من الذين نالوا شرف الصحبة من أهل عمان ، وقد تقدم ذكر بعضهم ، وهم :

مازن بن غضوبة ، وكعب بن برشة الطاحي ، وأسد بن يرح الطاحي ، ومسلية بن هزان الحداني ، وعبد

الله بن علس الثمالي ، وصحار بن العباس العبدي ، وهناك عدد لا يتسع إطار البحث لذكرهم .

(٤) هناك الكثير من التابعين من أهل عمان من أمثال إمام المذهب جابر بن زيد ، وكعب بن سور الأزدي ،

والحسن بن هادية العماني ، وداود بن عثمان ، ويزيد بن جعفر الجهضي ، والحارث بن كلثوم الجديدي ،

ومن بعدهم الإمام الربيع بن حبيب ، وضممام بن السائب التدي ، وحاجب الطائي ، وأبي نوح صالح =

وكانت صحار هي المنطلق وإليها المآب ، ولم يدخر هؤلاء الرجال جهدا في أن ينشروا علمهم ويطبقوه على أرض الواقع في صحار منذ أواخر القرن الأول الهجري وحتى ظهور "بيضة الإسلام" نزوى التي أصبحت الشريك العلمي والفكري لـصحار منذ أن اختارتها القيادة السياسية لتكون هي العاصمة الرئيسية للإمامة في عمان في عام ١٧٧هـ^(١).

المذهب الإباضي.

كان للاتصال البحري بين صحار والبصرة التي كانت قبلة العلماء والمتعلمين في ذلك العهد دوره الحيوي في تنشيط الرحلات العلمية العمانية إليها ، وبالتالي التواصل العلمي والفكري بين الحاضرتين ، ولذا كانت صحار هي المستقبل الأول في عمان لهذا الفكر الناشئ في البصرة وللمتمثل في المذهب الإباضي ، والذي هو من أقدم المذاهب الإسلامية نشأة ؛ إذا ما أرخت المذاهب بحياة مؤسسيها ، فالإمام جابر ابن زيد^(٢) هو المؤسس الحقيقي للفقهاء والفكر الإباضي إلا أن نسبته الظاهرية إلى

= الدهان ، وجعفر بن السماك ، وهناك غيرهم كثير . انظر ابن حجر: الإصابة ج ٥ ص ٢٢٣ ؛
الدينوري : الأخبار الطوال ص ١٤٤ ؛ السمعاني : الأنساب ج ٤ ص ٢٣٥ ، ج ٩ ص ٥٠ ؛
الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ١٥١ العوتبي : الأنساب : ج ٢ ص ٣٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ؛
الشماعني : السير ج ١ ص ٧٤ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٥ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٣٢ ،
٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧٣ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٢٧-٥٠ ؛ الجهمي :
حياة عمان الفكرية ص ٨٦ ، ٢٣٣ ، ص ٢٤٠ .

(١) السيابي : عمان عبر التاريخ : ج ٢ ص ٤٦ .

(٢) تم التعريف بالإمام جابر بن زيد في الفصل الثاني من الباب الأول ص ٦٦ .

عبد الله بن إياض التميمي^(١)، لأنه كان هو المنافع عن هذا الفكر علانية في وجه الخلفاء الأمويين ، وقد كان يكتب عبد الملك بن مروان مينا له موقفه وما يستند عليه من أدلة ولا تزال رسالة من رسائله باقية حتى يومنا هذا^(٢).

وقد كانت البصرة هي المهد الأول لنشأة هذا المذهب الذي يستند فكره السياسي إلى تلك الفئة التي نأت بنفسها بعد قبول الإمام علي بن أبي طالب التحكيم^(٣) عقب موقعة صفين ، ومن ثم كانوا الهدف الأول للإمام بعد أن فقد منصب الخلافة نتيجة لذلك التحكيم ، وقد

(١) عبد الله بن إياض من بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس التميمي . وتشير المصادر إلى أنه نشأ في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وهناك رسالة كتبها إلى عبد الملك بن مروان يقول فيها : " فهو الذي أدركنا عليه نبينا صلى الله عليه وسلم " ، وهذا النص يشير إلى أنه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا إذا أخذ الإدراك بمعنى المعرفة ، ورغم ذلك فإن نشأته الأولى تبقى غير معروفة و حتى سنة وفاته أيضا لم تحدد المصادر بدقة ، إلا إنه عاصر بعض الأحداث التي جرت في عهد عبد الملك بن مروان مثل ثورة عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير . وترجح معظم المصادر وفاته في أواخر عهد عبد الملك . انظر : سيرة عبد الله بن إياض في الكتب الآتية : السير والجوابات ج ٢ ص ٣٢٥ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢١٤ ؛ الشماخي : السير ص ٧٧ ؛ الجعبري : البعد الحضاري ص ٥٢ ؛ طالب هاشم : الحركة الإباضية في المشرق العربي ص ٥٠ .

(٢) السير والجوابات : ج ٢ ص ٣٢٥ - ٣٤٥ ؛ البرادي : الجواهر المتقاه : ص ١٥٦ - ص ١٦٧ .

(٣) لقد تباينت مواقف المذاهب الإسلامية حول مسألة التحكيم وكلها ترجع إلى روايات تاريخية كل فرقة ترجح رواية على الأخرى ، وبسبب هذه الفتنة العظيمة التي فرقت المسلمين إلى شيع ، والتي ما تزال الأمة تعاني من آثارها ، ينأى الباحث بنفسه عن أن يخوض في ذلك أتباعا لقوله تعالى : " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون " . إلا أن الإباضية تنتمي إلى الفرقة التي خرجت على الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعدما قبل التحكيم ، إلا أنهم انفصلوا فيما بعد عنهم بعدما هج بعض أتباع تلك الفرقة الغلو والشدة في تعاملهم مع أنصار الفرق الأخرى ، وقد سمى الإباضية " بالحكمة " لأنهم اتفقوا مع من قال لا حكم إلا لله ، وسموا أيضا بالقعدة لأنهم قعدوا عن قتال أهل التوحيد ، بينما اتجه الطرف المتشدد من الحكمة إلى القتال وتكفير أهل التوحيد ، والآخرون هم الذين غلب عليهم فيما بعد اسم الخوارج .

انتصر الإمام عليهم في موقعة النهروان ، و لجأ من بقى منهم إلى البصرة ^(١)، ومنها مارسوا دعوتهم وعملوا على نشر فكرهم ، ومن هؤلاء : أبو بلال مرداس بن أدية التميمي ^(٢) الذي كانت قبيلته تميم ^(٣) تشكل جزءا هاما من سكان البصرة آنذاك . وقد أثر أبو بلال طريق الإقناع والمناقشة على الحرب والعنف ، وأنكر قتل المخالفين

(١) انظر : ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٤١ ؛ ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٥ ؛ البرادي : الجواهر المتقاة ص ١١٧، ١٠٦ ؛ الجعبري : البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ص ٤٨، ٤٩ ؛ الراشدي : الإمام أبو عبيدة وفقهه ص ٧٠، ٦٩ ؛ عوض خليفات : الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ص ٥ ؛ الصوافي : الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة ص ١١٦ .

(٢) أبو بلال مرداس بن حدير بالحاء المهملة وقيل حدير بالجيم بن عامر بن عبيد بن كعب التميمي وعرف أيضا بمرداس بن أدية وهي أمه ، وقيل إنها جدته . شهد موقعة الجمل وصفين مع الإمام على بن أبي طالب وكان من المعارضين لمسألة التحكيم ، وهو أخو عروة بن حدير الذي عارض الأشعث بن قيس في صحيفة التحكيم ، وكانا ممن شهدوا النهروان فتجيا ضمن من نجح ، وكان أبو بلال رجلا ناسكا متقشفا ذا بصيرة نافذة وعبادة متواصلة وديانة ظاهرة وبيان بليغ . وسجنه عبد الله بن زياد ، وهو صاحب تلك القصة التي تدل على النبل والوفاء وذلك عندما أخرجه السجان من السجن بسبب ورعه وتقواه ولما علم أن السجان قد يتعرض للمساءلة جاء ليضع نفسه تحت حد السيف ليقتل ، وذلك أهون عليه من أن يلقي الله غادرا ، وبسبب وفائه هذا ، عفا عنه عبد الله بن زياد ؛ ولكنّه فيما بعد قتله هو وأخاه في " أسك بالأهواز " في معركة غير متكافئة ، حيث أحاط بهم جيش ابن زياد ، بقيادة " عباد بن علقمة المازني ؛ وقتلهم وهم في صلاتهم ؛ بعد أن عجز عن ذلك وهم ينازلونه رغم قلة عددهم . انظر : الميرد : الكامل ج ٢ ص ١٥٢ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢١٤-٢٢٥ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٦٦ ؛ الزركلي : الأعلام ج ٦ ص ٨٦ ؛ الحارثي : العقود الفضية ص ١١٧ .

(٣) تميم من القبائل العربية الكبيرة ، وتنسب إلى تميم بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وهي من القبائل العدنانية ، وتلتقي مع قبيلة قريش عند لؤي بن غالب ، وموطنها هامة ، ونزحت إلى البصرة بعد تمصير عمر لها ، ومن أشهر رؤسائها الأحنف بن قيس التميمي " ت ٨٧ هـ / ٦٨٦ م " ، وينتسب إلى هذه القبيلة عدد من أئمة المحكمة منهم أبو بلال مرداس بن حدير وأخوه عروة بن حدير اللذان قتلها " عبد الله بن زياد " ومنهم عبد الله بن إياض المري التميمي الذي نسب المذهب الإباضي إليه . انظر : ابن حزم : جمهره أنساب العرب .

واستعراض الناس على طريقة متطرفي الخوارج ، ووجدت هذه الأفكار التي كان أبو بلال ينادي بها آذانا صاغية ، وكانت هي أساس الافتراق عن منهج الغلاة والمتشددين من المحكمة الذين اعتبروا دار المخالفين دار شرك ، وأقروا مبدأ قتل كل المخالفين حتى الأطفال والنساء ، ووجوب الخروج والهجرة من بلاد المسلمين المخالفين لهم . وتذكر الروايات أن اجتماع المحكمة بالبصرة سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م انبثق عنه افتراق المحكمة ، وقد تزعم الفريق المتشدد نافع بن الأزرق^(١) ، أما الفريق المعتدل والذي أثر القعود عن قتال أهل التوحيد فقد تزعمه ظاهريا عبد الله بن إباح ، إلا أنه كان ينطلق من رأي الإمام جابر بن زيد الذي آلت إليه رئاسة المحكمة بعد أبي بلال^(٢) ، وسبب تولى عبد الله بن إباح مهمة الجوانب السياسة والكلامية ومطارحتها مع حكام الدولة الأموية هو انتماءه لقبيلة بني تميم التي كانت من أهم القبائل في البصرة في صدر الإسلام وكانت سنده القوى^(٣) ، وبهذا ظهر اسم ابن إباح دون غيره من مؤسسي هذا المذهب فلذا سمي المذهب باسمه رغم أن الإباضية أنفسهم لم يقرؤا هذه التسمية

(١) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري ، ويكنى بأبي راشد زعيم الأزارقة وإليه ينسبون وكان أمير قومه وفقههم من أهل البصرة صحب في أول أمره "عبد الله بن عباس" وله أسئلة رواها عنه ، وهو ممن ناصر الثورة على الخليفة عثمان ووالى الإمام عليا كرم الله وجهه ، إلا أنه كان من الرافضين لقضية التحكيم ، فلما قبل الإمام ذلك انحاز مع الرافضين فاجتمعوا في حروراء وهي قرية من ضواحي الكوفة ، وكان من أتباع أبي بلال مرداس بن حدير إلى أن قتل الأخير من قبل عبد الله بن زياد سنة ٦١هـ - ٦٨٠م واشترك مع المحكمة في مناصرة عبد الله بن الزبير ، إلا أنهم انفصلوا من حوله قبل أن ينهزم لاختلافهم معه في قضية الخليفة عثمان . وتورد المصادر التي هي كلها من مصادر مخالفي الأزارقة أنه اتبع سبيل الشدة والتطرف واستعراض الناس أي قتلهم وترويع الأمنين منهم ، وانتدبت الدولة الأموية لقتال الأزارقة المهلب بن أبي صفرة الذي استطاع القضاء عليهم وقتل نافع في يوم "دولاب" على مقربة من الأهواز . انظر : الزركلي : الأعلام ج ٨ ص ٣١٧ ؛ الجعبري : البعد الحضاري للعقيدة الإباضية : ص ٥١ .

(٢) الشماخي : السير ج ١ ص ١٧٧ ؛ البرادي : الجواهر المنتقاه ص ١٥٥ ؛ الرقيشي : مصباح الظلام ورقة ٣٨ ؛ الحارثي : العقود الفضية ص ١٢٣ ؛ خليفات : نشأة الحركة الإباضية ص ٧٩ ؛ خليفات : الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ص ٩ .

(٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ج ١ ص ٦٢ .

إلا في القرن الثالث الهجري حيث إنهم لم يجدوا غضاضة في التسمي بها^(١)، رغم أنهم تسموا بأسماء أخرى غيرها^(٢).

الفرق بين الإباضية والخوارج

الإباضية والخوارج تجمعهم مسألة الخروج على الإمام علي بن أبي طالب بعد قبوله التحكيم ، وهي مسألة سياسية^(٣).

- (١) انظر : الجعيري : البعد الحضاري ص ٥٦ ؛ الصوافي : جابر بن زيد و أثره : ص ١١٦ .
- (٢) للإباضية عدة أسماء قبل أن يرتضوا هذه التسمية ومنها (جماعة المسلمين) أو (أهل الدعوة) كما رضوا باسم (المحكم) الذي كان أسامه رفض تحكيم الرجال في الدين . وقولهم لا حكم إلا الله . كما تسموا (بأهل الاستقامة) ومن أسمائهم أيضا (الشرأة) وهو مستنبط من قوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوارة والإنجيل و القرآن) إلى آخر الآية (١١١) من سورة التوبة .
- (٣) الشيخ علي يحيى معمر ، وهو عالم ومؤرخ أديب إباضي ليبني الوطن عاش ما بين عامي (١٣٣٧هـ - ١٤٠٠هـ / ١٩١٩م - ١٩٨٠م) . يرى أنه إذا كان المقصود من كلمة خوارج هو الخروج السياسي على خليفة تمت له البيعة الشرعية ، لكان إطلاق هذه الكلمة على طلحة والزبير وعلى معاوية وأتباعه أو على الثائرين على الخليفة عثمان أظهر وأوضح ؛ أما إذا لوحظ المعنى السياسي والديني معا فإنه لا يمكن إطلاق الكلمة عليهم كما أنه من اليسر إطلاقها على المعتزلين للإمام علي ، وهؤلاء كلهم إنما ناروا غير منكرين لأصل من أصول الإسلام ولا مكذبين بمعلوم من الدين بالضرورة ، وكان مع كل طائفة منهم فريق من كبار الصحابة فيهم بعض المشهود لهم بالجنة ، فلذلك لم يأنف الإباضية من هذه التسمية التي كانت لا تحمل مذمة بل العكس هو الأوضح ، لأنهم أخذوها من الخروج في طاعة الله امتثالا لقوله تعالى : (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) سورة التوبة الآية ٤٦ ، ولكن لما تحول مفهوم هذه الكلمة إلى معنى الخروج من الدين ، انبرى الإباضية يدافعون عن أنفسهم بأنهم ليسوا من الخوارج . والمتتبع لسيرة هذا المذهب منذ نشأته في أواخر القرن الأول من مصادره الإسلامية يدرك صدق ما ذهبوا إليه . انظر : الإباضية في مركب التاريخ: ص ٦٦ ؛ الإباضية بين الفرق الإسلامية : ج ٢ ص ٢١٠-٢١١ ؛ الجعيري : البعد الحضاري للعقيدة الإباضية : ص ٥٤ .

إلا أن ذلك المدلول تغير و أريد به الخروج عن الدين أو المروق من الدين ، والإباضية بهذا المدلول لا تجمعهم بالخوارج صلة ، فهم يبرأون منهم كما ورد على لسان عبد الله بن إباض في رسالته لعبد الملك بن مروان حين قال: " إنا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس ، لقد كانوا على الإسلام فيما ظهر لنا حين خرجوا ، ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد إسلامهم ، فنبرأ إلى الله منهم "(١)

ونتيجة لهذا الخلط الذي وقع فقد قاسى الإباضية من هذه النسبة إلى الخوارج من إخوانهم المسلمين آلاما كثيرة^(٢) حيث ألصق بهم عدد من الشناعات والمنكرات لا علاقة لهم بها ، وقسموا إلى عدد من الفرق ثم جعلوا لكل فرقة منها إماما ، ثم نسب إلى كل إمام جملة من الأقوال كافية لإخراجه من الإسلام . ولا أصل لتلك الفرق ولا لأولئك الأئمة^(٣) ولا لمقالاتهم ، بل الإباضية يبرأون من تلك الأقوال المنسوبة إليهم^(٤). وخلاصة القول إذن أن الإباضية ليسوا من الخوارج الذين يصفون المسلمين العصاة بالشرك ، ومن الأدلة الأخرى على أن الإباضية ليسوا من الخوارج موقفهم مع الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث أرسل الإباضية وفدا إليه^(٥) وطلبوا منه

(١) السير والجوابات : سيرة عبد الله بن إباض ج ٢ ص ٣٤٢ ؛ عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ص ١٧٨ ؛ العقود الفضية في أصول الإباضية ص ١٣٦ .

(٢) الجعبري : المرجع السابق ص ٥٧ .

(٣) انظر مثال ذلك في كتب المقالات والفرق للشهرستاني والأشعري والبغدادى وابن حزم .

(٤) على يحيى معمر : الإباضية مذهب إسلامي معتدل ص ١٩ ؛ عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ص ١٢ .

(٥) كان هذا الوفد يتكون من بعض علماء الإباضية وهم : جعفر بن السماك وأبو الحر على بن الحصين العنبري ، والحنات بن الكاتب ، والحباب بن كليب ، وأبو سفيان قنبر البصري ، وسالم بن ذكوان الهلالي . وتفيد بعض المصادر الإباضية أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كان إباضيا . ومن مطالبهم للخليفة إظهار البراءة ممن خالف الحق وإظهار دعوة المسلمين . انظر : سيرة أبي قحطان خالد بن قحطان من علماء القرن الثالث الهجري من ضمن كتاب السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان ج ١ ص ١٢٠ ؛ الدرجيني : كتاب الطبقات ج ٢ ص ٢٣٢ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٧٥ .

تغيير ما رسمه بنو أمية ، ومنها ترك لعن الإمام على بن أبي طالب على المنابر فأجابهـ
 -رضى الله عنه - أن يميت كل يوم بدعة وأن يحيي كل يوم سنة^(١)، وقد استبدل
 بلعن على قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن
 الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(٢). وهذا الصنيع من الإباضية يتعارض
 مع ما تشير إليه بعض المصادر التي تفيد أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد كاتب
 الحرورية^(٣) طالبا منهم ترك القتال ، إلا أنهم رفضوا ذلك فناجزهم^(٤)، فهؤلاء ليسوا
 من الإباضية ، لأن الإباضية كانوا على وفاق معه كما تبين آنفا . ومن الأدلة كذلك
 على أن الإباضية ليسوا من الخوارج حرب الإباضية للخوارج حيث دار بين الإمام
 الجلندي بن مسعود بعمان وشييان الصفري معركة انتهت بنصر الإمام عليه كما
 سبقت الإشارة^(٥).

(١) الدرجيني : نفس المصدر والصفحة ؛ الشماخي : نفس المصدر والصفحة ؛ الراشدي : الإمام
 أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وفقهه : ص ١٢٥ .

(٢) الآية رقم ٩٠ من سورة النحل .

(٣) حروراء بالمدينة قرية بظاهر الكوفة نزل بها المحكمة أو الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي
 رافضين قضية التحكيم وذلك في أول أمرهم . أما صاحب كتاب التعريفات الشيخ المناوي فيقول :
 إن الحرورية فرقة من الخوارج وهم الذين قاتلهم عمر بن عبد العزيز ، وكان الإباضية حينئذ قد نأوا
 بأنفسهم عن تلك الفرقة المتشددة التي أخذت على عاتقها قتال أهل التوحيد . انظر : الحموي :
 معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤٥ ؛ عبد الرؤوف المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق د.
 محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٠ هـ : ج ٢ ص ٢٣٧ ؛ الجعبري : البعد
 الحضاري للعقيدة الإباضية : هامش ص ٣٩ ؛ أبو الحسن الأشعري : كتاب المقالات ج ١
 ص ٢٠٧ ، الناشر مكتبة النهضة المصرية .

(٤) الطبري : تاريخه ج ٤ ص ٦٢ ؛ أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء ج ٥ ص ٣١٠ ؛ ابن
 كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ١٨٧ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ج ٩ ص ٦٢ .

(٥) تم الحديث عن هذه المعركة بشيء من التفصيل في دور صحار في القضاء على الخوارج الصفريّة .
 راجع نفس المصادر التي أشير إليها سابقا .

كما قام إباضية المغرب العربي بقيادة الإمام أبي جعفر المعافري^(١) بتخليص القيروان من قبيلة ورفجومة الصفرية^(٢)، كما حارب المهلب وأبنائه الخوارج حتى تغلبوا عليهم . وقد كان يروى أن بعض أبناء المهلب يدينون بولاء للإباضية يومئذ كيزيد بن المهلب وحيب بن المهلب^(٣)، وغيرهما حتى أن بعض نساء هذه الأسرة المهلبية قد اشتهرن بانتمائهن للإباضية ودفاعهن عن هذه العقيدة^(٤)، كما اشترك بعض رجال الإباضية البارزين في حرب الخوارج كالحاتات بن كاتب وجعفر بن السماك ، والأخير هو أحد شيوخ الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي يعتبر الإمام الثاني بعد الإمام جابر بن زيد للمذهب الإباضي ، فهل يتصور أن يقاتل شيوخ الإباضية الخوارج وهم منهم^(٥) ؟ وبعد هذا العرض يتبين أن الزج بالإباضية في زمرة الخوارج ليس من الإنصاف في شيء .

(١) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري : يعني الأصل وهو من حملة العلم للمغرب العربي نصب إماما في عام ١٤٠-١٤٤هـ / ٧٥٧-٧٦١ في طرابلس الغرب . انظر : كتاب السير وأخبار الأئمة ص ٥٧ ، ص ٦٤ تحقيق عبد الرحمن أيوب . الدار التونسية للنشر ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م ؛ الشماخي : السير ج ١ : ص ١١٣-١١٤ .

(٢) أبو زكريا الوريثاني : السير وأخبار الأئمة ص ٦٥ ؛ ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب ج ١ ص ٦٨-٦٩ ابن الأثير : ج ٥ ص ٣١٥ . ورفجومة هي إحدى بطون قبيلة نفزة من القبائل البربرية المستقرة في الجنوب التونسي . ويرى البعض أن هذه القبيلة اعتنقت الصفيرية ولما يتمكن الإسلام في نفوسهم فارتدت عن الإسلام . انظر الوريثاني : السير ص ٦٠ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٧ ؛ خليفات : نشأة الحركة الإباضية : هامش ص ١٤٦ ، أما المؤرخ ابن خلدون فيذكر أن هذه القبيلة إباضية ولكن الثابت أنها من الصفيرية، انظر : ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٤٠٩ .

(٣) الراشدي : الإمام أبو عبيدة وفتحه : ص ١٢٥ .

(٤) الطبري : تاريخ الطبري ج ٦ : ص ٣٩٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٥٠٢-٥٠٤ ؛

سيف بن حمود البطاشي : المهلب ص ٨٧ . مسقط ١٩٨٨ م .

(٥) الدرجيني : طبقات المشايخ ج ٢ ص ٢٤٥-٢٥٥ .

الإباضية والمذاهب الإسلامية الأخرى

المذهب الإباضي — كسائر المذاهب الإسلامية — له أصوله وفكره المستمد

من مصادر التشريع الإسلامي التي تلتقي حولها كل المذاهب الإسلامية وهي :
أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : السنة النبوية الكريمة ؛ والمتواتر من السنة عندهم قطعي الدلالة يفيد العلم ويوجب العمل ومنكره كمنكر القرآن الكريم . أما المشهور من السنة فهو أقل من درجة المتواتر وأقوى من الآحاد ويوجب العمل به ، والآحاد ظني الدلالة يوجب العمل ؛ والمرسل أقل منه درجة ولكنه يوجب العمل إذا كان الراوي صحابياً أو تابعياً .

ثالثاً : الإجماع : وهو المصدر الثالث إذا استوفى الشروط التي ذكرها علماء الأصول وحجته قطعية ، ومنكره فاسق . يأخذون الإجماع بقسميه القولي والسكوتي ، وأنه جائز الوقوع في كل العصور^(١) .

رابعاً : يأخذون أيضاً ببقية المصادر وهي القياس والاستدلال والاستحسان والاستصحاب^(٢) ، ومنهج الإباضية منهج الوسطية فهم بين مدرستي النقل والعقل أو بين أهل الحديث والرأي^(٣) .

(١) أحمد بن عبد الله الكندي : المصنف : ج ١ : ص ٢٨ ، ٦٨ ؛ السالي : شرح الجامع الصحيح ج ١ ص ٥١ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٣ ؛ علي يحيى معمر : الإباضية مذهب إسلامي معتدل ص ٣٠ ؛ د. إبراهيم عبد العزيز بدوي : بحث دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية ، ندوة الفقه الإسلامي ، جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عمان . من ٢٢ إلى ٢٦ شعبان ١٤٠٨ هـ الموافق من ٩ إلى ١٣ إبريل ١٩٨٨ م : ص ٢٠١ ؛ ناصر بن محمد الرموري : بحث أصول الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها عند الإباضية : مقدم إلى نفس الندوة المشار إليها في المرجع السابق : ص ٣ .

(٢) سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي : الحق الدامغ ص ٨ ، مطابع النهضة سنة ١٤٠٩ هـ ، سلطنة عمان .

(٣) الخليلي : الحق الدامغ ص ٨ .

والمتتبع للمصادر الإباضية يدرك بجلالة أنهم يلتقون مع كل المذاهب الإسلامية اتفاقا واختلافا وهذا يوجد في المذهب الواحد ناهيك عن وجوده بين مذهب وآخر^(١). ومع ما لاقاه المذهب الإباضي من اضطهاد بسبب تحامل بعض المؤرخين^(٢) وكتاب المقالات^(٣)، فإن أصحاب هذا المذهب لم يتجرأوا على إخراج أحد من الملة، وقطع صلته بهذه الأمة مادام يدين بالشهادتين ولا ينكر ما علم من الدين بالضرورة بغير تأويل؛ أما من استند إلى التأويل فحسبه تأويله وأقيا له من الحكم عليه عندهم بالخروج عن حظيرة الأمة^(٤).

ومن هذا المنطلق كان لأحد أبناء صحار الذين أسهموا في إرساء منهج الدعوة عند الإباضية مقولة تبين موقفهم الوسطي في قريهم أو بعدهم من بني البشر حيث يقول "أبو حمزة المختار بن عوف السليمي" في خطبته التي ألقاها على منبر رسول الله ﷺ: "الناس منا ونحن منهم إلا ثلاثة: مشركا بالله عابد وثن، أو كافرا من أهل الكتاب، أو إماما جائرا"^(٥). وتطبيقا لهذا المنهج فقد أنكر أحد أئمة هذا المذهب البارزين وهو الإمام محبوب بن الرحيل^(٦)، قول هارون بن اليمان^(٧) الذي حكم بالشرك على المشبهة من أهل التوحيد فوجه ابن الرحيل بذلك رسالتين^(٨)

(١) د. خلفان المنذري: مختلف الحديث وأثره في الفقه الإباضي: ص ٢٥، ٤٥. رسالة دكتوراه

مقدمة إلى كلية دار العلوم ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(٢) الطبري: تاريخه: ج ٩ ص ٦٥.

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين؛ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة

الثانية مكتبة النهضة المصرية سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ص ٢١، الشهرستاني: الملل والنحل

القسم الأول، طبعة بيروت. ص ١٢٣.

(٤) الخليلي: الحق الدامغ ص ١٠، مسقط — سلطنة عمان.

(٥) ابن خياط: تاريخه ص ٣٨٦؛ الطبري: تاريخه ج ٩ ص ٦٦.

(٦) محبوب بن الرحيل سيتم الحديث عنه في فصل الحياة الفكرية والعلمية من هذا البحث.

(٧) هارون بن اليمان هو من علماء القرن الثاني والثالث الهجري ولم أعثر على تفصيل لحياته.

(٨) الرسائلان موجودتان وقد تم طبعهما من ضمن كتاب السير والجوابات الجزء الأول: الأولى من

ص ٣٢٥ إلى ٣٠٧، والأخرى من ص ٣٠٨ إلى ص ٣٢٤، كما أن رسالة هارون بن اليمان مثبتة

في نفس الجزء ص ٣٢٥.

إحداهما إلى أهل عمان والأخرى إلى أهل حضرموت ضمنهما رده المستند على الحجج والبراهين الداحضة لرأى هارون ، وقد اتفق الرأي الإباضي على تصويبه وتخطئه هارون^(١).

والمتتبع للمصادر الإباضية يجدهم يصرون على إثبات هذا الرأي الداعي للألفة والتماسك بين مختلف مذاهب المسلمين . وفي كتاب تفسير قواعد الإيمان للعلامة المحقق "سعيد بن خلفان الخليلي" يجد القارئ ذلك التحذير الشديد لسائله الذي سألته عن المشبهة^(٢) : هل هم مشركون ؟ فرد عليه : "إياك ثم إياك أن تحكم على أهل القبلة بالإشراك . فإنه موضوع الهلاك والإهلاك"^(٣) كما أن الإمام السالمي يقول في منظومته العقائدية ؛ المسماة بكشف الحقيقة :

ونحن لا نطالب العبادا فوق شهادتهم اعتقادا
فمن أتى بالجملتين قلنا إخواننا وبالحقوق قمنا^(٤)

(١) الخليلي : الحق الدامغ ص ١١ .
(٢) المشبهة : قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثله بالحدثات . انظر الجرجاني : كتاب التعريفات ج ٢ : ص ٢٧٤ . وقد سمي المشبهة خصومهم بالمعطلة . وللأسف الشديد فإن اشتغال علماء الأمة بتكفير بعضهم لبعض هو الذي أدى بالأمة إلى التناحر والتناز بالأكقاب وكان نتيجة ذلك انحطاط الأمة وانزاعها . وقد أورد الباحث ذلك لمعرفة موقف الإباضية من خالفهم في بعض القضايا العقائدية والأصولية والفقهية . ومن أراد الاستزادة في ذلك فليرجع إلى مصادرهم ومراجعهم مثل : كتاب الجامع لابن بركة وشرح كتاب النيل وشفاء العليل للعلامة القطب أطفيش ، وتيسير التفسير لنفس المؤلف . ومقدمة التوحيد لابن جميع وشروحها المختلفة وكتاب الضياء للعرتي وكتاب تمهيد قواعد الإيمان للمحقق الخليلي ، وكتاب مشارق أنوار العقول وشرح الجامع الصحيح ، وكتاب معارج الآمال للإمام السالمي . ونثار الجوهر للعلامة الرواحي وكتاب الإيضاح للشماخي والحق الدامغ للعلامة سماحة الشيخ أحمد الخليلي وغيرها كثير ، كما أن هناك كتباً وبحوثاً ورسائل علمية حديثة عن الإباضية وغيرهم تناولت تاريخ نشأة الإباضية وعقيدتهم وأصولها ، وفقهم وأصوله وهي كثيرة ولا داعي لذكرها وفي هوامش هذا البحث يجد القارئ إشارة إلى بعضها لرجوع الباحث إليها .

(٣) سعيد بن خلفان الخليلي : تمهيد قواعد الإيمان ج ١ ص ٢٢٤ .

(٤) كتاب كشف الحقيقة مع أنوار العقول ص ٢٥ .

وقد كرر الإمام السالمي هذا القول في مقدمة كتابه التاريخي "تحفة الأعيان"^(١) حيث يقول : "ليس من رأينا بحمد الله الغلو في ديننا ، ولا الغشم في أمرنا ، ولا التعدي على من فارقنا الله ربنا ، ومحمد نبينا والقرآن إمامنا والسنة طريقنا وبيت الله الحرام قبلتنا والإسلام ديننا ولذلك يحرم على المسلم اتهام أخيه المسلم في دينه". وهذا يتضح أن المذهب الإباضي أحد مذاهب المسلمين الأصيلة ، التي كلها ترتشف من معين القرآن الكريم والسنة المطهرة والإجماع ، وأن الخلاف الذي هو بين المذاهب الإسلامية الناتج عن اختلاف الاجتهاد الديني له أسبابه التي أوردتها كتب الأصول ، والذي لا خلاف عليه أن الكل مقصده الوصول إلى الحق .

مؤسس المذهب الإباضي

سبقت الإشارة إلى أن الإمام جابر بن زيد هو المؤسس الحقيقي للمذهب الإباضي واستطاع أن ينحو مذهباً إلى بر الأمان من بطش ولاية بني أمية حيث تشير المصادر إلى تلك العلاقة السلمية بين الإمام جابر بن زيد والحجاج . وسبب هذه العلاقة بين الرجلين هو يزيد بن مسلم كاتب الحجاج^(٢) الذي وصف بأنه كان محباً للعلماء^(٣) ، وقد عرض الحجاج على الإمام ولاية القضاء إلا أنه استطاع أن يتخلص من ذلك بقوله : " إني أضعف من ذلك " . ولما سأله الحجاج عن سبب ضعفه ؛ رد قائلاً : يقع بين المرأة وخادمها شر فما أحسن أن أصلح بينهما ، فرد الحجاج : " إن هذا هو الضعف "^(٤) . وهذه السياسة الحكيمة ؛ مع المكانة العلمية الكبيرة والزهد والورع شهد له صحابة رسول الله ﷺ الذين عاصروهم ونال من علمهم وفضلهم ؛ فهذا الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما يقول عنه : " لو أن أهل البصرة نزلوا عند

(١) السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٨١ .

(٢) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢١١ ؛ الشماخي : السير ص ٧٤ ؛ الحارثي : العقود

الفضية ص ١٠٠ ، ١٠١ ؛ علي يحيى معمر : الإباضية في موكب التاريخ ج ١ ص ١٤٢ .

(٣) د. خليفات : نشأة الفقه الإباضي ص ٩٧ .

(٤) الدرجيني : طبقات ج ٢ ص ٢١١ .

قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما في كتاب الله ^(١) "أما الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه فكان إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول : "كيف تسألون وفيكم أبو الشعثاء؟". وقال لجابر بن زيد يوما : يا ابن زيد إنك من فقهاء البصرة ، وإنك ستستفتي ، فلا تفتن إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلك ^(٢) ، وقد وصفه الصحابي عبد الله بن عمر بن الخطاب بأنه من فقهاء أهل البصرة البارزين ^(٣) . أما معاصروه من التابعين فقد شهدوا له بسعة علمه ودقه فتياه ؛ فهذا مالك بن دينار يقول: "ما رأيت أحدا أعلم بفتيا من جابر بن زيد"، وقال قتادة بن دعامة السدوسي لما دفن الإمام جابر: "اليوم دفن عالم العرب وأعلم أهل الأرض" ^(٤)، ومن أقربهم علاقة به هو التابعي الجليل "الحسن البصري" حيث روي أن جابر بن زيد عندما حضرته الوفاة قيل له ما تشتهي؟ قال: "نظرة إلى الحسن" ^(٥)، فلما حضر الحسن ووجده على فراش الموت قال: يا أبا الشعثاء قل : لا إله إلا الله ، فرفع جابر عينيه وقال : أعوذ بالله من غدو ورواح إلى النار ، فلما كرر الحسن الطلب ، أعاد جابر نفس الجملة ، ثم زاد : يا أبا سعيد "يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا" ^(٦) . ولما كان الإمام جابر بهذه المكانة الراسخة في العلم فإنه استطاع رضي الله عنه أن ينال ثقة مشايخه من صحابة رسول الله ﷺ واعتراف أقرانه من كبار التابعين له بتلك المكانة العلمية السامية .

(١) البخاري : التاريخ الكبير : ج ١ ق ٢ ص ٢٥٤ ؛ أبو نعيم : حلة الأولياء ج ٣ ص ٨٥ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٨ ؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ : ج ١ ص ٧٢ ؛ السيوطي : طبقات الحفاظ ج ٢ ص ٣٥؛ ٣٦ ؛ الشرازي : طبقات الفقهاء ج ٢ ص ٥٢ ؛ ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ج ١ ص ٨٩ .

(٢) أبو نعيم : نفس المصدر ج ٣ ص ٨٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ٩٤ .

(٣) البخاري : نفس المصدر ج ١ ق ٢ ص ٢٠٤ ؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٨ .

(٤) أبو نعيم : نفس المصدر ص ٨٦ .

(٥) الدرجيني : الطبقات ج ٢ : ص ٢٠٩ .

(٦) المصدر السابق ٢/ ٢١١ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٦٩ ؛ سورة الأنعام : الآية ١٥٨ .

ولذا فإن المذهب الإباضي ، قام على أساس متين من التقعيد العلمي والفكري قاوم به كل عوامل الأخطار التي كانت جديرة باقتلاعه وإبادته مع كل التيارات الفكرية التي نشأت في تلك الفترة حيث كان إمامه جابر بن زيد قد وضع منهجا سياسيا غاية في الدقة من أجل استمرار فكره الذي آمن به ونشأ أتباعه عليه ، ومن ذلك سياسة المرونة مع الوضع المعاش آنذاك حيث ابتعد بفكره عن الاصطدام المباشر مع ولاية بني أمية^(١)، مع العمل الدؤوب من أجل التغيير المرحلي في سبيل إقامة دولة العدل حسب الأسس التي مضت عليها الشريعة الغراء ، وطبقها الخلفاء الراشدون . وهذه السياسة الحكيمة التي رسمها الإمام جابر بن زيد ، طبقها أتباعه فيما بعد على أرض الواقع في مغرب الوطن العربي ومشرقه ، وكانت لها أسس ثابتة عرفت فيما بعد بمسالك الدين عند الإباضية^(٢).

وإذا كان الإمام جابر بن زيد هو للمقعد الأول لتلك المسالك ، فإن الإمام الثاني للمذهب وهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة^(٣) كان له الإسهام الكبير في تربية الجيل الذي حمل على عاتقه التطبيق العملي لها .

وخلاصة القول في هذا المبحث أن الإباضية مذهب إسلامي من أقدم المذاهب الإسلامية ، وأساس بنائه العقائدي والسياسي والفكري والفقهية مستمد من مصادر التشريع الإسلامي في القرآن الكريم والسنة المطهرة والإجماع والاجتهاد . وسيدرك

(١) سامي صقر أبو داود : الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية .دراسة

تاريخية . رسالة ماجستير . كلية الآداب . جامعة آل البيت " الأردن " ١٩٩٧/١٢/٣٠ . ص ٦٣ وما

بعدها .

(٢) جهلان : الفكر السياسي عند الإباضية ص ١٤٩ .

(٣) تم التعريف بالإمام أبي عبيدة في الفصل الثاني من الباب الأول ص ٦٦ .

كل دارس لهذا المذهب الإسلامي من مصادره أنه مذهب أصيل له أدلته الشرعية التي تثبت يقينا أن الحق هو الغاية التي يرمي إليها أتباعه .

وقد كانت صحار هي الحاضنة الأولى لهذا المذهب في عمان باعتبارها عاصمة عمان في تلك الفترة ، كما أن عددا من أبنائها قد ساهم مساهمة فاعلة في تثبيت أركانه ، والذود عن أهدافه التي كانت غايتها هو التطبيق العملي لدين الله القويم ، ومن بين أولئك الإمام الجلندي بن مسعود ، والمختار بن عوف ، ومن غطفان المجاورة لصحار كان الإمام الربيع بن حبيب الإمام الثالث في سلسلة أئمة هذا المذهب ، والتي كانت صحار - وبما تزخر به من كوكبة علمية في ذلك العهد - ميدان دعوته ، وملتقى مريديه ، وحلقة درسه ، وذلك بعد أن عاد من البصرة إلى عمان وحتى وفاته بصحار . وبمجهود علماء الإباضية في صحار كانت انطلاقة أول إمامة في "عمان" في عام ١٣٢هـ / ٧٢٠م .

المذاهب الإسلامية الأخرى في صحار

من سمات المدن الحضارية التعددية الفكرية ، فلذا نرى وجودا مبكرا للمذاهب الإسلامية المختلفة في صحار منذ أوائل القرن الثالث للهجرة^(١) . ومذاهب أهل السنة هي أكثر المذاهب الإسلامية انتشارا في تلك المدينة بعد المذهب الإباضي في تلك الفترة التي يتناولها هذا البحث خاصة في ظل تبعية صحار للخلافة العباسية في نهاية القرن الثالث الهجري والنصف الأول من القرن الرابع الهجري حيث تولى السلطة فيها ولاية من قبل تلك الخلافة أولهم أحمد بن هلال ، ثم أسرة آل وجيه التي توارثت السلطة فيها حتى منتصف العقد السادس من القرن الرابع الهجري^(٢) .

(١) هاشم بن غيلان : سيرته من ضمن السير والجوابات ج ٢ ص ٣٨ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١

ص ١٣٧ د. السهيل : الإباضية في الخليج : ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) سبق توثيق ذلك في الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الرسالة ص ١٠١ ، ١٠٩ .

ويظهر أنهم كانوا يستعينون بعلماء من أهل السنة من خارج عمان ، فالعلامة محمد ابن عبد الله النيسابوري كان فقيها حنيفا ومحدثا مكثرا غاب عن بلده أربعين سنة وأقام بعمان ، وكان يعرف بعمان بأبي بكر النيسابوري ، وفي نيسابور يعرف بأبي بكر العماني ، وفي أواخر عمره انصرف إلى هراة وبها توفي سنة ثلاثمائة وأربعة وأربعين^(١). والفترة التي عاشها بصحار كانت تحت سلطة الخلافة العباسية وولائها الذين تقدم ذكرهم . وعندما تغلب البويهيون على صحار وكانوا على مذهب الشيعة تولت لهم أسرة بني مكرم السلطة في عمان لمدة خمسين عاما من أوائل العقد العاشر من القرن الرابع وحتى أوائل العقد الخامس من القرن الخامس^(٢). ولا بد أن يكون هؤلاء قد استعانوا ببعض العلماء لتيسير أمور حكمهم . وقد عرفت صحار المذهب الشيعي قبل ذلك التاريخ بزمان طويل ، كما كان للمعتزلة ذكر في صحار^(٣). وهذا شهدت صحار وجود المذاهب الإسلامية المختلفة كأهل السنة والشيعة والمعتزلة بالإضافة إلى المذهب الإباضي الذي عرفه العمانيون قبل غيره من المذاهب فشكل ركيزة المجتمع ، وانتشر في عمان بفضل أئمة الذين كانوا جلهم من عمان ، وينتمون إلى مختلف قبائلها ، وقام على فكره الكيان السياسي لعمان طوال فترات تاريخها دون أن يجد التعصب أو التشدد ضد المذاهب الأخرى أي طريق ، فعاش الجميع في ظل سماحة الإسلام إخوة تجمعهم شهادة التوحيد ، ووحدة المصير متمثلين

(١) ابن أبي الوفاء : طبقات الحنفية ج ٢ ص ٧٠ .

(٢) سبق توثيق ذلك في الباب الأول من هذه الرسالة ص ١٢٣ .

(٣) المعتزلة : مذهب إسلامي تأسس على يد واصل بن عطاء من موالي بني ضبة أو بني مخزوم من أئمة البلغاء ، والمتكلمين ، وسموا بالمعتزلة لا عتزالهم مجلس الحسن البصري ، واتخاذهم ناصية المسجد يجتمعون فيها فسموا بالمعتزلة، وقد اعتمد المعتزلة على العقل ورفعوا من شأنه ففتحوا باب الاجتهاد والبحث الفكري ، ومن أعلامهم الزمخشري والجاحظ والصاحب بن عباد . انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ص ٤٣ ؛ ابن حجة الحموي : ثمرات الأوراق ص ١٨ ، صححه وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى ١٩٧١ م .

قول ابن صبحار المختار بن عوف ١٣٠هـ وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الناس منا ونحن منهم إلا ثلاثة ؛ مشركا بالله عابد وثن ؛ أو كافرا من أهل الكتاب ؛ أو إماما جائرا " (١).

الأفكار الدخيلة على الإسلام في صحار وتصدى علماء صحار لها .

ظلت صحار هي الموئل لكل الأفكار القادمة من خارج البلاد بحكم بقائها مفتوحة الأبواب ، فبالإضافة إلى الأجناس التي تقدم ذكرها قدم إليها أناس يحملون أفكارا خارجة عن روح عقيدة الإسلام مثل القدرية والمرجئة (٢)، وكان يوجد من يرتضي الزندقة (٣)، ويتظاهر تارة بالاعتزال ، وتارة بالتشيع (٤)، وهنا كان دور العلماء جليا في محاربة تلك الأفكار ، وخاصة لما كثر المستجيبون لهم . يقول العلامة هاشم ابن غيلان من علماء القرن الثاني والثالث الهجريين في رسالته للإمام عبد الملك بن حميد (٢٠٧-٢٢٦هـ / ٨٢٢-٨٤٠م) : "وأنه بلغنا أن قوما من القدرية والمرجئة بصحار قد أظهروا دينهم ، ودعوا الناس إليه ، وقد كثر المستجيبون لهم ، ثم

(١) ابن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد ج ٤ ص ١٤٦ ؛ الدرجيني : طبقات التاريخ : ج ٢ : ص ٢٦٧ .

(٢) هاشم بن غيلان (من علماء القرن الثاني ، والثالث للهجرة) سيرته من ضمن كتاب السير والجوابات : ج ٢ ص ٣٨ : تحقيق سيدة إسماعيل كاشف ؛ السالمي : مصدر سابق ص ١٣٧ .

(٣) الزندقة : اشتقاق من اللفظ الفارسي : زندكر بفتح الزاي ، والدال معناه ملحد ، أو الذي يقول ببقاء الدهر . وفي القرنين الأول والثاني بعد الهجرة أصبح مصطلحا لجماعة من الضلال ، فأنكروا وحدانية الله وقالوا بالثنوية ، والأزلية ، ونادوا بإباحة المحرمات ، وأقرت بالمناوي والمزديكية ، وهما ديانتان من ديانات الفرس القديمة ، واستفحل خطر هذه الجماعة في العصر العباسي ، وأهم بعض الأمراء والعمال والوزراء في ذلك . وقد تصدى لهم بعض الخلفاء وتبعوا حركاتهم . انظر : حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام : ج ٢ : ص ١١٤ ؛ الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص ٢٢٧ .

(٤) الفضل بن الحواري : من علماء القرن الثالث الهجري : جامع الفضل بن الحواري ج ٣ : ص ٢٢٨ ، الناشر وزارة التراث القومي والثقافة . مسقط ١٤٠٦-١٩٨٥ م ؛ السالمي : المصدر السابق ص ١٢٧ .

السيابي : المرجع السابق : ج ٢ : ص ٦٠ ، ٦١ .

صاروا بتوام وغيرها من عمان ، وقد يحق عليك أن تنكر عليهم فإننا نخاف أن يعلو أمرهم في سلطان المسلمين ، فأمر يزيد^(١) أو أكتب إليه أن لا يترك أهل البدع على إظهار دعوتهم حتى يطفئ الضلال والبدع ، واكتب إليه -رحمك الله- أن يظهر الإنكار عليهم ، ويرسل إلى كل من بلغه شيء من ذلك ، فيعرض عليهم الإسلام ، ويصف لهم الدين وإثبات القدر وتكفير أهل الإصرار . فإن قبلوا ذلك وإلا فاحبس وعاقب أحببنا أن نعلمك ونكتب إليك بالذي بلغنا من ذلك وضاعت به صدورنا ، فانظر في ذلك نظر الله إليك وإلينا برحمته ، والسلام عليك ورحمة الله^(٢) .

وهذه الرسالة تدل على الصراع الفكري الذي كان يدور في صحار ، وهذا دليل ازدهار النشاط الفكري فيها . كما أن الاختلاف الفكري لم يكن متوقفا على الفئات الطارئة على المجتمع ولكن يمكن أن نلاحظه بين بعض أهل صحار أنفسهم حيث يذكر الإمام السالمي نقلا عن جابر بن النعمان : " أن أهل صحار اختلفوا في الذي يعمل الحسنات والسيئات . فقال بعضهم إنما تخصى عليه حتى يموت ثم ينظر في حسناته وسيئاته أيهما أكثر جزى به . وقال آخرون : إذا عمل حسنة ثم عمل سيئة محت السيئة الحسنة ، وقال جابر راوي الحادثة : فخرجنا من صحار إلى سمائل ، فسألت هاشم بن غيلان رحمه الله عن ذلك ، فقال كفوا عن هذا فقد وقع هذا بصحار ، كتبوا إلينا فلم نجبهم وعند هذا ومثله تقع الفرقة ، وبالله التوفيق^(٣) .

(١) يبدو أنه كان والي عمان في تلك الفترة إلا أنني لم أجد له تعريفاً .

(٢) هاشم بن غيلان : نفس المصدر السابق ؛ السالمي : المصدر السابق ص ١٣٧ . وجابر بن النعمان بن المعلی من علماء القرن الثالث ، وكان معاصراً للعلامة هاشم بن غيلان وموسى بن علي ، ويشير الشيخ البطاشي إلى أن الشيخ جابر قد أدرك الإمام الربيع بن حبيب الإمام الثالث للمذهب الإباضي ، ومن علماء القرن الثاني الهجري حيث يوجد في الأثر بعض الروايات له عن الإمام الربيع ، ولم تسعف المصادر عن معرفة بلده في عمان ولا عن تاريخ وفاته إلا أن حياته حسب السياق كانت في آخر النصف الثاني من القرن الثاني ، والنصف الأول من القرن الثالث . انظر : إتحاف الأعيان :

ج ١ ص ٤٢١-٤٢٣ .

(٣) السالمي : المصدر السابق : ج ١ ص ١٣٥ . البطاشي : نفس المرجع السابق والصفحة .

كما يورد الإمام السالمي حادثة أخرى في صحار ، وهي أنه حدث نوع من العتاب بين أشياخ صحار وهم رجال العلم والشورى فكتبوا في ذلك للعلامة أبي علي^(١) فرد ذلك الأمر لأهل الفضل في صحار ليسعوا في الألفة والصلح ، وقال في رده لهم : " إذا جاءكم كتابنا فاجتمعوا رحمكم الله فليستغفر بعضكم لبعض ، وتمسكو بشريعة الله ، ودينه ، وما حدث بينكم من التنازع فقولوا : ديننا فيه دين المسلمين ورأينا فيه رأيهم ، وحكمه إلى الله ، ثم ارفضوا به^(٢) . وقال الله تعالى : " وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان يترغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً " ^(٣) . وقال تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا " ^(٤) . هذه وصية الله فالزموها يكن الله معكم ، ويكفكم ما أهمكم " .

ويستنتج من تلك الخلافات الفكرية ما يلي :

أولاً : كثرة العلماء في صحار ، والدليل على ذلك ردود جملة أشياخ صحار التي تشير إلى عدد غير قليل من العلماء ، وقد اجتمع رأيهم على أن يكتبوا للعلامة أبي علي وهو من المراجع العليا للفتيا في عصره في عمان ، كما أن هناك عدداً آخر من العلماء لم يكونوا منحاكين مع أي من الأطراف ، فلذا أعاد أبو علي الأمر إليهم ليقوموا بالتوفيق ولم شمل المختلفين .

ثانياً : الحرص على تحكيم العلماء الكبار من كل الأطراف وتفويض الأمر لهم ، وهذا يدل على رقي الفكر الذي يرفع منزلة العلماء ويضعهم في المكانة التي يستحقونها .

(١) أبو علي موسى بن عزرة الإزكوي ولد في جمادى الآخرة من سنة ١٧٧هـ ، وهو من سلالة علم ، فوالده علي بن عزرة من العلماء في القرن الثاني الهجري ، وجده لأمه موسى بن أبي جابر آلت إليه رئاسة العلم في عمان ، وكان هو المقدم عند الإمامة الثانية ، وإليه عهد اختيار الأئمة في عهده ، وقد ورث العلامة موسى بن علي هذه المكانة ، وكان أخوه محمد بن علي أيضاً من كبار العلماء في ذلك العصر . توفي أبو علي رحمه الله عليه في ليلة الثامن من ربيع الأول ، وقيل الآخر من سنة ٢٣٠هـ وقيل ٢٣١هـ . السالمي : المصدر السابق ص ١٣٦ .

(٢) هكذا في النص ومعناه اسكنوا به .

(٣) سورة الإسراء : الآية { ٥٣ } .

(٤) سورة آل عمران الآية { ١٥٣ } .

ثالثاً : وجود الخلاف نفسه يدل على أن صحار كانت تشهد تعددية في الفكر؛ ونتيجة لهذه التعددية ينشأ الخلاف الفكري ، ومرد ذلك إلى تزاخم المفاهيم والاجتهادات ، وهذا لا يتأتى إلا في موضع يكثر فيه العلماء والمتعلمون .

رابعاً : الحرص الدائم على وحدة المجتمع ، ومحاولة احتواء الخلافات الطارئة بأسلوب حكيم لا شدة فيه ولا قهوان ، وهذا التعامل السديد طبقه من قبل الإمام غسان بن عبد الله في صحار عندما عرضت عليه هذه القضية :

خرج رجل يُدعى "بقية" كان يظهر الاعتزال ، ويرضى الزندقة ، وأحياناً عرف بالتشيع، وهذا دليل تذبذبه الفكري والعقائدي ، ولم يكن مكتفياً بذلك على نفسه ، وإنما وضع نفسه موضع الداعية ، فكاد أن يحدث فتنة في المجتمع ، فجئ به إلى الإمام غسان بن عبد الله فحكم عليه بالخروج من البلاد ، وأمهله أربعة أشهر ، إلا أنه مات قبل انقضاء هذه المهلة . وهذا الحكم يؤكد سمات التسامح التي طبقها الإباضية تجاه إخوانهم في الملة ؛ فهذا الشخص لم يؤاخذ لانتمائه المذهبي سواء كان شيعياً أو غيره ، وإنما لاتخاذ الزندقة ، والتذبذب في الفكر وسيلة لخلق فتنة في المجتمع ، وقد اكتفى الإمام بهذه العقوبة عند ما رأى أنه لا يستحق أكثر منها خاصة أنه وافد على البلاد ، فبإخراجه منها يزول شره .

وهكذا تبين لنا أن صحار شهدت في تلك الفترة جدلاً فكرياً وقد تصدى له ولاية الأمر ، بالأسلوب المناسب معه للقضاء عليه دون غلو في العقوبة أو تسامح يفضي إلى تغلغل تلك الأفكار في البلاد فيؤدي إلى زعزعة الأمن وتخلخل المجتمع .

المبحث الثاني : التعليم في صحار

شهد العالم الإسلامي منذ بزوغ فجر الإسلام نهضة علمية شاملة عمت أرجاء بلاد الإسلام قاطبة ، وكانت عمان من البلاد التي سارعت إلى الاعتراف من معين هذا الخير ، فتسابق أبناؤها فرادى وجماعات إلى السعي لطلب العلم حتى شبه البعض العلم بطائر باض بالمدينة ، وفرخ في البصرة ، وطار إلى عمان ، وكان لصحار من ذلك إسهام كبير كما سيتضح من خلال مباحث هذا الفصل . والذي نود الإشارة إليه هو الكيفية التي يتم بها التعليم في صحار في تلك الفترة ونحن نتناول هنا مدارس تعليم القرآن الكريم والحلقات العلمية في المساجد .

المرحلة الأولى : مدارس تعليم القرآن الكريم .

من أساسيات التعليم في العالم الإسلامي البدء بتعليم كتاب الله قراءة وحفظا ، فلذا قامت مدارس تحفيظ القرآن الكريم في كل ركن من أركان المدن الإسلامية ، وكانت بلاد الجزيرة العربية صاحبة الريادة في ذلك لانتشار الإسلام فيها أولا . وأشار ابن حزم إلى أن عمان كانت من تلك البلاد التي انتشر فيها هذا النوع من التعليم منذ العهد النبوي الكريم^(١)، وبما أن صحار هي عاصمة البلاد فإنه من الأحرى أن تكون سباقة إلى ذلك . وتسمى مدارس تعليم القرآن الكريم في بعض البلاد بـ "الكتاب"^(٢) إلا أن هذه الكلمة غير شائعة في عمان ، وإنما تعرف حتى اليوم " بالمدسة "، أما القائمون على التعليم في هذه المدارس فيطلق عليهم " معلمون "^(٣) . وهذه المدارس عادة ما تكون مقابل أجر يدفع للمعلم على أن يكون هذا الأجر مقابل الوقت الذي يجلس المعلم نفسه من أجل التعليم ، فلذا أوجبوا على المعلم أن يعدل في توزيع اهتمامه بالصبيان^(٤) .

(١) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) د. سعيد عاشور . و د. عوض خليفات : عمان والحضارة الإسلامية ص ٢١٠ .

(٣) العوتبي : الضياء ج ١ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ؛ الشقصي : منهاج الطالبين ج ١ ص ١٨٧ ؛ علي حسن

خميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ٥١٤ .

(٤) العوتبي : الضياء ج ١ ص ٢٧٠ ؛ الشقصي : منهاج الطالبين ج ١ ص ١٨٨ .

وقد كانت هناك بعض الأسر التي تفضل أن تأتي لأبنائها ، بمعلم خاص^(١) . ولم يكن هذا التعليم مقصوراً على الذكور بل نالت الإناث حظهن منه ، حتى أن اليتيمة أوجب لها الفقهاء حق التعليم من مالها بشرط وجود معلمة للفتيات ويجبر الوصي على ذلك^(٢) .

وفي هذه المرحلة يدرس الطلبة القرآن الكريم ، ويتعلمون الخط والإملاء ومبادئ اللغة العربية وعلم التوحيد والفقه ، وكل ذلك يتم بصورة مبسطة يراعي فيها عمر الطفل وقدرته على الاستيعاب . كما يتعلمون معرفة الأيام وتنسيقها ، وعدد الشهور القمرية وأسماءها ، وهذا التعليم يتم بالحفظ والكتابة لينشأ الطفل على حب العلم ، " فإذا لازمه في الصغر تمكن في قلبه ، ولم يسبق إليه شيء من أشغال الدنيا وهو مهمل وصار حبه له طبعاً لا تطبعاً "^(٣) . ومن العلوم التي ينبغي أن يبدأ الأطفال بمعرفتها علم الحساب كالجمع والطرح والضرب والقسمة ليتمكنوا في مرحلة قادمة من تعلم علم المواريث ، وليعينهم في الحياة كالعامل في البيع والشراء لكي " لا يأكل مالا حراماً بخطأ ولا عمد ولا جهالة في ذلك "^(٤) كما ينبغي أن يحفظ الناشئة الشعر لأنه سيعينهم فيما بعد "على فهم المعاني وصحيح اللغة واستخراج المعاني الجليلة والمناقب العالية"^(٥) . ومن أدوات التعليم الألواح ؛ وعادة ما تكون من أكتاف الإبل ، والدواة ، والقلم . وبما أن صحار كانت مدينة عامرة ، فيبدو أن استخدام الكراسي كان شائعاً فيها^(٦) ؛ حيث يورد العلامة الصحاري " العوتي " مسألة فقهية ، تدل على استخدامها

(١) العوتي : الضياء ج ١ ص ٢٧٠ .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٧٠ .

(٣) الشقصي : منهج الطالبين ج ١ ص ٥٥ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٥٨ .

(٥) نفس المصدر ج ١ ص ٥٩ .

(٦) ابن بركة : التعارف ص ٢ .

في المدارس ، فيقول : " فإذا وصل إلى المعلم رجل ، فأمر صبياً أن يأتي بكرسي ؛ ليجلس عليه الرجل ، فجائز الجلوس عليه ، إلا أن يعلم الرجل أن الكرسي للصبي ، فلا يجوز للرجل أن يجلس عليه لأن حكمه للصبي"^(١). ومنذ ذلك العصر وضع العلماء فقها خاصاً للمعلم والمتعلم ، ويعتبر هذا الفقه هو القواعد المنظمة لتلك الحياة العلمية بكل جوانبها المختلفة : من شروط المعلم ، والمتعلم ، إلى كيفية التعامل بين الطرفين ، إلى بيان العلوم التي ينبغي أن تعلم ، وبيان الواجب منها والمستحب ، إلى غير ذلك من أحكام . وبهذا ازدهر التعليم ، وتخرج من هذه المدارس من أتاحت له ظروفه ومواهبه أن يواصل تعليمه في مراحل أعلى من ذلك .

ثانياً : حلقات المساجد

المسجد في الإسلام مركز نشاط شامل لجوانب الحياة من دعوة وعبادة وتربية وتعليم ، وبهذا كانت المساجد في بلاد الإسلام خلية علم وعمل دؤوب أثرت بناء حضارة إسلامية شملت كل جوانب الحياة الإنسانية . وعمان وهي جزء من بلاد الإسلام كانت مساجدها تمتلئ بحلقات العلم في مختلف التخصصات ، وكان جامع صحار رائداً في ذلك^(٢) ، فنجد عدداً من العلماء والأدباء والقادة الذين حفروا أسماءهم في ذاكرة التاريخ قد تملأوا من معين علماء صحار ، وهذا العدد لا يمثل إلا القليل من كثرة اختفى ذكرهم بسبب فقدان تراثهم العلمي والأدبي في غمار ما شهدته بلادهم من حروب وفتن ، وهؤلاء نجد ذكرهم في صفحات الكتب الباقية التي ألقت في تلك الحقبة أو بعدها^(٣).

(١) العوتبي : الضياء ج ١ ص ٢٧٠ .

(٢) د. سعيد عاشور وعوض خليفات : عمان والحضارة ص ٢١٥ ؛ على حسن حميس : التاريخ الحضاري لعمان ص ٢١٨ .

(٣) إن المتتبع لسير المؤلف في القرن الثاني والثالث الهجري والكتب المؤلفة في القرن الثالث وما بعده مثل جامع ابن جعفر ، وجامع أبي الجوارري وكتب ابن بركة وغير ذلك من المؤلفات يجد فيها أسماء لها آراء علمية ومسائل فقهية إلا أنه لا يعرف عنهم شيء سوى أسمائهم أو كتابهم أو ألفاهم فقط ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ويكفي دليلاً أن يخصص الشيخ البطاشي في كتابه إتحاف الأعيان فصلاً للعلماء الذين لم يجد لهم معلومات في الجزء الأول من ص ٤١٧ - ٤٤٣ وتضم هذه الصفحات مائة وتسعة أسماء ، كما يذكر في مقدمة كتابه في الجزء الأول أسماء عديدة لكتب مفقودة يقول : " لو شاء القدر إبقاها لكانت معنا عذبا ينهل منه الباحث والمتعلم " . انظر : ص ٥ من الكتاب المذكور .

وجامع صحار الذي أشرنا إليه آنفا هو أول مسجد أقيم فيها ، وقيل إنه بني في مكان بروك ناقة رسول النبي إلى ملكي عمان^(١). وتقام في هذا الجامع صلاة الجمعة منذ أن مَصَّر الفاروق الأمصار بما في ذلك صحار^(٢). ومن دلائل بدء التعليم مبكرا في صحار أن عددا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءوا إلى صحار بهدف التعليم مثل أبي زيد الأنصاري ، ومخرجة العبدى . وهناك من شرف بنيل الصحبة من أبناء صحار نفسها ورجعوا إلى قومهم هادين ومعلمين ، ومنهم كعب بن برشة الطاحي ، وأسد بن يبرح الطاحي ، ومملىة بن هزان الحداني ، وعبد الله بن علس الثمالي ، وحمamy بن جرو الفراهيدي . وهؤلاء الصحابة كانوا هم النواة الأولى للحركة التعليمية في صحار^(٣).

وعند قيام الإمامة الأولى سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م نجد كوكبة كبيرة من العلماء يعلنون في صحار تلك الإمامة واختاروا من بينهم الجلندي بن مسعود فبايعوه إماما لعمان^(٤). ومن ذلك الحين عمرت حلقات العلم في صحار ، واستمر ذلك العطاء حتى منتصف القرن الرابع الهجري رغم أن مركز الحكم انتقل منذ بداية الإمامة الثانية إلى نزوى ، غير أن النشاط العلمي ازدهر بسبب الاستقرار السياسي ، فصارت صحار قبلة للعلماء والمتعلمين ، والشاهد على ذلك ما يرد في المصادر من عبارات مثل : "وجاء من أشياخ صحار"^(٥). ومن أشياخ صحار من شارك في إنجاز مؤلف كبير سمي بديوان الأشياخ^(٦) يقع في عدة مجلدات ضاع معظمه ، وبقي ماثورا في الكتب الفقهية

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ ؛ السيابي : عمان عبر التاريخ ج ١ ص ٦٤ .

(٢) الكندي : المصنف ج ٥ ص ٣٩٧ .

(٣) انظر : صحار في العهد النبوي ضمن الباب الأول من هذه الرسالة ص ٣٣ .

(٤) أبو المؤثر سيرته من ضمن السير والجوابات ج ٢ ص ٩٣ . أبو الحسن البسيوي : سيرته من ضمن

السير والجوابات ج ٢ ص ٣١٥ .

(٥) الكندي بيان الشرع ج ٣ ص ١٢٧ ، السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٣٦ .

(٦) هذا الديوان ألف في دما (السيب حاليا) أثناء تواجد العلماء في رباط المسلمين لصد غزوات البحر

في عهد الإمام غسان بن عبدالله ١٩٤ - ٢٠٧هـ .

الإباضية ، وهو على غرار الموسوعات التي تؤلف في العصر الحديث . وهناك أسماء كثيرة توردها المصادر لعلماء تلقوا العلم على أيدي علماء صحار^(١) وبعضهم من خارج عمان ، فمن هؤلاء العالم اللغوي النحوي المعروف بالقاضي أبي سعيد الحسن ابن عبد الله المرزبان السيرافي الذي تفيد المصادر بأنه تفقه في عمان وتلمذ على يد علامة صحار اللغوي الأديب ابن دريد^(٢) . أما العلوم التي كانت تدرس في الحلقات العلمية فهي قد لا تختلف بصفة عامة عما يتلقاه أي طالب في البلاد الإسلامية وتشمل علوم العقيدة ، وعلوم القرآن ، وعلوم الحديث ، وعلوم الفقه وأصوله ، وعلم الفرائض (المواريث) وعلوم اللغة العربية كالنحو والصرف وعلم المعاني والبيان^(٣) ، وكانت هذه العلوم هي محور تلك الحلقات كما كان الطلاب يتلقون أيضا دروسا في السيرة والأنساب والتاريخ ، فلذا نجد أن العلماء جمعوا بين تلك العلوم حتى أن مؤلفاتهم تدل على ذلك مثل كتاب الضياء للعلامة العوتي الصحاري وغيره من الموسوعات الفقهية كما نجد الإشارة إلى حث الطالب على تعلم الطب لما ينوب الإنسان من العلل التي تحدث به^(٤) . ومن الأساليب التربوية الهامة التي يلحظها الباحث في العملية التعليمية في صحار هي عدم اقتصار بعض الشيوخ على لقاء طلبتهم في حلقة الدرس ، وإنما كانوا يأخذونهم معهم في جولاتهم وزياراتهم ، فينشغل وقت الطالب بالحوارات العلمية ، والمذاكرة مع شيخه ، وهذا يحقق أهدافا تربوية منها أن الطالب يتعرف على بعض القضايا من خلال الواقع المعاش ثم إنه قد يصحح له أستاذه بعض المفاهيم التي لم تكن واضحة في ذهنه ، ومثل ذلك ما يرويه العلامة ابن بركة من أنه هو وزميل له يدعى أبا خالد دخلا على مريض بصحبة شيخهما أبي مالك ، فامتنع أبو خالد عن القعود على الكراسي إلا بعد أن يأذن له

(١) الشقصي : منهاج الطالبين ج ١ ص ٦٢٥، ٦٢٦ ؛ السعدي : قاموس الشريعة ج ٨ ص ٣٥٧، ٣٦٢ ،

تواريخ العلماء ص ١١-١٠ ؛ مجموعة باحثين : عمان في التاريخ ص ٢٣٥-٢٣٨ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٩٣ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٩ .

(٣) الشقصي : منهاج الطالبين ج ١ ص ٥٩، ٥٨ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٦٠ .

رب البيت ، فبين له الشيخ جواز ذلك بالتعارف والعادة الجارية. فقال أبو خالد :
صاحب البيت مريض . فقال له شيخه : وإباحة المريض لا تجوز ، كما أن هبته
وعطيته لا تجوز^(١) .

ويبدو أن هذا الأسلوب التربوي متوارث من قبل العلماء حتى يومنا هذا حيث
يُجد أحد العلماء حفظه الله لا يشد الرحال إلى أي مكان قريب أو بعيد إلا وبعض
طلبته معه^(٢) .

(١) ابن بركة : كتاب التعارف ص ٢٢

(٢) المقصود هو العالم الجليل الشيخ حمود بن حميد الصواني الذي يرتاد حلقات علمه عدد كبير من طلبة
العلم خاصة في الإجازات الدراسية ، ووقت الطالب لديه كله محسوب من صلاة الفجر وحتى يُلَوِي
إلى فراشه ليلا سواء في الحل أو الترحال . حفظ الله علماء المسلمين ووفقهم لكل خير وصلاح .

المبحث الثالث : علماء صحار و نتائجهم .

كانت الحياة العلمية في صحار مزدهرة وخاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين وذلك لوجود عدد من العلماء البارزين الذين كان لهم دور فاعل في العطاء الحضاري للمسلمين سواء كان هؤلاء العلماء من الذين ولدوا بها أو الذين وفدوا إليها . وقد تنوع عطاء علماء صحار فمنهم من كان عطاؤه أكثر في العلوم الشرعية ، ومنهم كانت وجهته علوم اللغة والأدب ، ومنهم من جمع بين هذا وذاك . كما أسهم بعضهم في علم الأنساب والتاريخ والعلوم التطبيقية الأخرى . وسنتناول في هذا المبحث أبرز هؤلاء العلماء من خلال إلقاء الضوء علي نتائجهم العلمي ، ومن هؤلاء :

الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي

هذا الإمام الجليل من قبيلة فراهيد بن مالك بن فهم الأزدي ، وكان أفراد هذه القبيلة يقطنون صحار وما حولها من بلاد .

والإمام الربيع من غضفان^(١) شمالي صحار ، نشأ فيها ثم رحل إلى البصرة لتلقى العلم ، وتصفه المصادر بأنه كان شابا حين أدرك الإمام جابر بن زيد المتوفى سنة ٩٣ هـ وتلمذ على يديه^(٢) ، وهذا يشير إلى أن مولد الإمام الربيع كان في حدود العقد الثامن من القرن الأول الهجري ، ومن أبرز شيوخه الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وضمم بن السائب العماني ، وأبو نوح صالح بن نوح الدهان الطائي ، ولكنه كان للإمام أبي عبيدة أكثر ملازمة^(٣) . وبما حباه الله من مؤهلات النبوغ مع جده واجتهاده أناله الله درجة الراسخين في العلم حتى وصفه شيخه أبو عبيدة

(١) غضفان تقع بين صحار ولوى وتتبع إداريا ولاية لوى التي تجاور صحار من الشمال .

(٢) ابن سلام : الإسلام وتاريخه ص ١٣٠ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ٢ / ص ٢٧٣ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٩٥ .

(٣) ابن سلام : الإسلام وتاريخه ص ١٣٠ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ٢ / ص ٢٧٣ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٩٥ ؛ الحارثي : العقود الفضية ص ١٤٩ .

بقوله: " هو تقينا وإمامنا وثقتنا "(١). وهذه المترلة كان هو الإمام الثالث للمذهب الإباضي بعد وفاة شيخه أبي عبيدة (٢). ومن جلائل أعمال الإمام الربيع اهتمامه بجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المدونة عن شيخه أبي عبيدة وضمهم إلى السائب وغيرهما من شيوخه الذين بدورهم رووا عن شيخهم الإمام جابر بن زيد. ويعتبر إسناده من أعلى الأسانيد (٣) فروايته ثلاثية السند فهو يروى مثلاً عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأغلب الأحاديث التي رواها الإمام الربيع مروية عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم (٤)، وبقي هذا السند غير مرتب إلى أن قيض الله له أبا يعقوب الوراقاني من علماء الإباضية في المغرب العربي في القرن السادس الهجري فرتبه ترتيباً موضوعياً مثل غيره من كتب السنة (٥). ومسند الإمام الربيع هو المصدر الأول في الحديث عند الإباضية، فلذا اهتم بعض علماء المذهب بشرحه (٦).

(١) الدرجيني: الطبقات ج ٢ ص ٢٧٦؛ الشماخي: السير ج ١ ص ٩٥.

(٢) ابن سلام: الإسلام وتاريخه ص ١٣٠؛ الدرجيني: الطبقات ج ٢ ص ٢٧٣؛ الشماخي:

السير ج ١ ص ٩٥؛ تواريخ العلماء ص ١٦؛ الحارثي: العقود الفضية ص ١٤٩.

(٣) الشقصي: منهاج الطالبين ج ١ ص ٦٢٧؛ الحارثي: العقود الفضية ص ٤٩؛ السيبي: إزالة

الوعناء ص ٤١؛ عز الدين التنوخي: مقدمة كتاب شرح الجامع الصحيح (مسند الإمام الربيع)

ص ٩؛ الجعبري: البعد الحضاري: ص ١٠٥.

(٤) الحارثي: العقود الفضية ص ١٤٩-١٥٠.

(٥) الشماخي: السير ج ١ ص ٩٥. الجعبري: البعد الحضاري ص ١٠٤؛ أحمد السيبي: هامش

السير للشماخي ج ١ ص ٩٥.

(٦) الحارثي: العقود الفضية ص ١٤٩؛ الجعبري: البعد الحضاري ص ١٠٤. الراشدي: أبو عبيدة وفقهه

ص ٢٥١. ومن الذين تولوا شرح مسند الإمام الربيع العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن أبي رسته

المحسني من علماء الإباضية في تونس في القرن الحادي عشر الهجري في ثمانية أجزاء، وفي عمان العلامة

الإمام نور الدين السالمي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ وشرحه يقع في أربعة أجزاء ويسمى شرح الجامع

الصحيح، وحقق الجزء الثالث منه العالم السوري عز الدين التنوخي. انظر الجعبري: البعد الحضاري

ص ١٠٤، ١٠٥.

وقد قضى الإمام الربيع كل حياته في البصرة إلا أنه في آخر حياته عاد إلى وطنه ، واستقر ببلدته غضفان ^(١)، وهي لا تبعد عن مدينة صحار سوى أميال قليلة فاختار تلامذته الإقامة في صحار ، وهذا يعتبر الإمام الربيع هو رائد مدرسة العلوم الإسلامية في صحار . ومن أشهر من تتلمذ على يديه ربيبه العلامة محبوب ابن الرحيل، فكان هو وذريته من أشهر علماء صحار على مر تاريخها كما سيأتي ذكره بعد حين ، ومن حمل العلم عن الإمام الربيع هؤلاء العلماء الذين عرفوا بحملة العلم إلى عمان ، وهم المنذر بشير بن المنذر التروي ، وفي الأثر العماني يطلق عليه الشيخ الكبير ، والنير بن عبد الملك الجعلاني من بني ريام ، وموسى بن أبي جابر الأزكوي، و محمد بن المعل الكندي ، بالإضافة إلى محبوب بن الرحيل ^(٢) .

وقد توفي الإمام الربيع حوالي سنة ١٧٥هـ / ٧٩٢م ^(٣) . ويذكر الراشدي أنه توفي بصحار وحمل إلى بلده غضفان ودفن فيها وصلى عليه تلميذه الشيخ موسى بن أبي جابر الأزكوي ^(٤) . وقد كان تلامذته حريصين على ملازمته حتى آخر حياته ، وكانت صحار هي ملتقاهم .

وكان من تلامذته كما أسلفنا محبوب بن الرحيل ، الذي أصبحت أسرته فيما بعد أسرة علم ؛ فكان اسم آل الرحيل مرادفا للعلم في صحار على مدى عقود من تاريخها . وستناول بالدراسة فيما سيأتي بعض أبرز شخوص هذه الأسرة مسـلطين الضوء على نتاجهم العلمي .

أسرة آل الرحيل .

أولهم العلامة أبو سفيان محبوب بن الرحيل بن سيف بن هيرة القرشي المخزومي ، كان ريبا للإمام الربيع بن حبيب ومن كبار تلامذته في البصرة ، ولما عاد الإمام إلى موطنه عمان جاء معه العلامة محبوب ،

(١) السبائي : إزالة الوعاء ص ٤٠ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٥٣ .

(٢) سبقت الترجمة لكل هؤلاء العلماء عند أول ذكر لكل واحد منهم في مواضع مختلفة من هذه الرسالة .

(٣) الجعبري : البعد الحضاري ص ١٠٥ ؛ الراشدي : أبو عبيدة وفقهه ص ٥١ ؛ مجموعة من

الباحثين : عمان في التاريخ ص ٢١٩ .

(٤) الراشدي : أبو عبيدة وفقهه ص ٢٥٠ .

فاتخذ من صحار موطناً له^(١)، وقد بارك الله له في ذريته ، فكانت سلسلة مباركة خرج منها عدد من العلماء ، فكانوا من أشهر بيوت العلم والفضل بعمان في عصرهم. وللعلامة ابن الرحيل مسائل وأقوال كثيرة في مصادر المذهب الإباضي ، يقول عنه صاحب السير : "بانه المقيد غرائب الفقه وعجائب الأخبار ، ساد الفضلاء علماً وحفظ الآثار"^(٢). أما الدرجيني فقد قال عنه : " أحد الأخبار ، ومن سبق إلى تخليد سير السلف الأخبار مما يحصل عنده عنهم من الآثار ، وجمع ذلك في سلك واحد بين غرائب الفقه وعجائب الأخبار"^(٣).

ويعد بذلك العلامة ابن محبوب أول من ألف في سير أهل الدعوة الإباضية^(٤)، وكان له الفضل الكبير في حفظ تراجم أئمة المذهب الإباضي مشاركة ومغاربة ، فلذا قيل عنه بأنه واسطة العقد بين علماء أهل المشرق ، وعلماء أهل المغرب^(٥)، إلا أن هذا السفر الذي أشار إليه الدرجيني في طبقاته قد فقد ، وبقيت آثاره في كتب كل من كتب عن المذهب الإباضي ورجالاته .

ومن مآثر هذا العالم الصحاري الكبير سيرتاه اللتان نشرتا من ضمن كتاب السير و الجوابات : الأولى إلى أهل عمان ، والأخرى إلى أهل حضرموت ؛ قد وضع فيهما موقفه من المسائل التي أثارها هارون

(١) الشماخي : السير : ج ١ ص ١٠٨ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٦٤

(٢) الشماخي : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٣) الدرجيني : طبقات التاريخ : ج ٢ : ٢٧٨

(٤) أحمد بن سعود السيبي : أحد المهتمين بالتاريخ العماني وقد أجرى الباحث معه بعض المناقشات حول مواضيع البحث وذلك يوم الأحد ٢٦ / ٩ / ١٩٩٩ في القاهرة ؛ عمان في التاريخ : ص ٢٢٢ .

(٥) أحمد بن حمد الخليلي : محاضرة مسجلة عن تاريخ صحار أقيمت في عام التراث العماني ١٩٩٤ م ؛ د. محمد ناصر : مكانة الإباضية في الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٣٥ (الحاشية) .

بن اليمان أحد العلماء في عصره^(١) ، وقد أقم هارون محبوب بن الرحيل بأنه خالف السلف في بعض القضايا الفقهية والعقائدية فكان رد ابن الرحيل رحمه الله داحضا آراء هارون بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة ومواقف العلماء المجتهدين^(٢) . وقد بين ابن الرحيل موقف الإباضية من إخوانهم أهل القبلة ، وأنهم لا يرتضون أقدام أحد فيهم بالشرك حتى لو خالف في الرأي مذهب الإباضية ، وهذا ما يجمع الإباضية عليه^(٣) . ومن جلائل نعم الله عز وجل على العلامة ابن الرحيل أن رزقه بذرية صالحة حملت مشعل العلم والهداية حتى آلت لبعضهم رئاسة العلم في عمان خلال القرنين الثالث ، والرابع الهجريين ، وشرفت صحار باحتضان هذه الأسرة المباركة^(٤) ، وما تزال هذه الأسرة باقية في صحار حتى يومنا هذا ، وكان من أبنائها العلماء في العصر الحديث الشيخ محمد بن سيف الرحيلي الذي يصفه البطاشي بأنه من علماء زمانه ، وأفاضل أهل عصره^(٥) . ويبدو أن العلامة ابن الرحيل قد توفي في أوائل القرن الثالث الهجري ، إلا أن سنة الوفاة لم تعرف بالتحديد ، وقد ترك للأمة أبناء علماء ، وهم : محمد ، وسفيان ، وقنبر ، ومخير .

العلامة محمد بن محبوب الرحيلي .

هو العلامة الإمام محمد بن محبوب بن الرحيل ولد فيما يظهر في أواخر القرن الثاني حيث تفيد المصادر أنه كان أحد العلماء البارزين في عهد الإمام المهنا بن جيفر

(١) من علماء اليمن في النصف الثاني من القرن الثاني ، والنصف الأول من القرن الثالث الهجريين . وقد نفع منهج الشيعية ، وهي فرقة تنتمي لشعيب بن محمد ، وتتفرع فرقة العجاردة وهم أصحاب عبد الله بن عجرد وهم إلى مذهب المعتزلة في مسألة القدر ، فإنهم يخالفونهم فيها . انظر : الجرجاني : التعريفات ص ١٢٧ - ١٤٧ ؛ أبو إسحاق : هامش تحفة الأعيان ج ١ ص ١٥٥ .

(٢) ولزيد من التفاصيل انظر : محبوب بن الرحيل : سيرته إلى أهل عمان في كتاب السير والجوابات : ج ١ ص ٢٩٢ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٨٥ ، ٨٤ .

(٣) السالمي : تحفة الأعيان ١ / ١٥٦ ، البطاشي : إتحاف الأعيان ١ / ١٦٤ ، الخليلي : الحق الدامغ ص ١١

(٤) الخليلي : محاضرة أشير إليها سابقا ؛ البطاشي : المصدر السابق ص ١٦٤ ؛ علي بن شنين الكمالي : من أعلام صحار : مخطوط .

(٥) البطاشي : المرجع السابق ص ١٦٤ .

٢٢٦هـ - ٢٣٧هـ / ٨٤١-٨٥٢م^(١). فقد شارك في هذا العهد في اجتماع العلماء الذي عقد في دما (السيب حاليا) لمناقشة مسألة خلق القرآن المثارة في تلك الحقبة في العالم الإسلامي ، فقال العلامة ابن محبوب : أنا أقول إن القرآن مخلوق . فغضب العلامة محمد بن هاشم بن غيلان^(٢). إلا أن العلماء اتفقوا بعد ذلك على أن الله خالق كل شيء ، وما سوى الله مخلوق ، وأن القرآن كلامه و وحيه و كتابه وتنزيله على محمد صلى الله عليه وسلم " ، وأمر العلماء الإمام المهنا بالشدة على من يقول أن القرآن مخلوق ، إلا أن الرأي الذي تبناه محمد بن محبوب هو الذي اعتمده الإباضية فيما بعد ، وهذا يدل على غزارة علمه التي أهلته إلى أن ينفرد بذلك القول من أول وهلة . ويستنتج من هذا أن عمر الشيخ في ذلك الحين كان في حدود العقد الرابع أو في أواخر العقد الثالث ، ومن دلائل ذلك أيضا تقدمه لكثير من العلماء البارزين في عصره في مبايعة الإمام الصلت بن مالك سنة ٢٣٧هـ / ٨٥٢م^(٣) ، فهو الذي قام بالبيعة للإمام في حضور عدد من العلماء ووصف بأنه كان رئيسهم وإمامهم في العلم والدين^(٤)، وكان رحمه الله زاهدا تقيا عاملا ، وله دور فاعل في إرساء دعائم

(١) الكندي : بيان الشرع : ج ١ ص ١٥٤ ؛ السالمي : المصدر السابق : ج ١ : ص ١٥٣-١٥٤ .

(٢) محمد بن هاشم بن غيلان السيجاني نسبة إلى سيجا من أعمال ولاية سمال ، وكان والده عليه رحمة الله من كبار العلماء في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث حتى عهد الإمام عبد الملك بن حميد ٢٠٧-٢٢٦هـ . وكان العلامة محمد بن هاشم من علماء القرن الثالث ، إلا أن الباحث لم يستطع العثور على تاريخ محدد لميلاده ولا لوفاته ، إلا أنه كان حتى عهد الإمام المهنا موجودا ، ولم يذكر من ضمن العلماء الذين كانوا في عهد الإمام الصلت بن مالك . انظر : السالمي : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٠ ؛ البطاشي : المرحع السابق ج ١ ص ١٧٦ ، ٤٣٨ ؛ مجهول : تواريخ العلماء ص ٧ .

(٣) الرقيشي : مصباح الظلام ص ١٠٧ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٦٧ ؛ الإزكوي : تواريخ عمان المقتبس من كشف الغمة : ص ٦٧ تحقيق القيسي .

(٤) الإزكوي : نفس المصدر السابق والصفحة ؛ مجهول : المصدر السابق والصفحة ؛ المعولي : قصص وأخبار جرت في عمان ص ٥٩ ؛ السالمي : المصدر السابق والصفحة .

الإمامة الثانية ، ومن أشهر مشايخه العلامة موسى بن علي الإزكوي المتوفى ٢٣٠هـ / ٨٤٥م^(١). وقد تزوج العلامة ابن محبوب من ابنة شيخه ، فكان نتاج هذا الزواج ابنيهما بشير وعبد الله فورا العلم والفضل من أبيهما^(٢) .

وتولى العلامة ابن محبوب منصب القضاء في صحار سنة ٢٤٩هـ / ٨٦٤م في عهد الإمام الصلت بن مالك ٢٣٧ - ٢٧٢هـ / ٨٥٢ - ٨٨٥م^(٣)، وبوجوده يعم كثير من أبناء عمان وجوهم شطر صحار لينهلوا من فيض علم الشيخ ابن محبوب فتخرج على يده الكثير ، وبرز عدد منهم فكانوا من العلماء الكبار في عصرهم^(٤). ولم تتوقف شهرة هذا العالم الجليل على عمان بل كانت شهرته العلمية في بلاد المغرب لا تقل عنها في عمان ، فلهذا رجع إليه المغاربة في الكثير من المسائل التي تعن لهم^(٥) رغم ما اشتهرت به الدولة الرستمية من وجود العلماء فيها^(٦) . ومن النتاج العلمي للعلامة ابن محبوب جامعته المشهور الذي عرف باسمه : جامع

(١) البطاشي : المرجع السابق : ص ١٩١ .

(٢) البطاشي : إتحاف الأعيان : ج ١ ص ١٩١-١٩٢ .

(٣) السالمي : المصدر السابق ص ١٦١ ؛ البطاشي : المصدر السابق : ص ١٩٢ .

(٤) البطاشي : نفس المصدر السابق و الصفحة .

(٥) الكندي : المصدر السابق ج ٢٨ ص ١٩٥-١٩٧ ؛ الدرجيني : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٤ ؛

الشماسي : المصدر السابق ص ١٩٣-١٩٤ ؛ د. رجب عبد الحليم : الإباضية في مصر ، والمغرب ،

وعلاقتها بإباضية عمان والبصرة ص ١٤٢ ، مكتبة العلوم ، مسقط ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

(٦) هذه السيرة طبعَت ضمن كتاب السير والجوابات تحقيق سيدة إسماعيل كاشف : ج ٢ من ص ٢٢٣

إلى ص ٢٦٨ .

محمد ابن محبوب ؛ قيل إنه في سبعين جزءاً^(١). وقد اطلع البرادي على جزء واحد منه^(٢). وهذا السفر الكبير لم يبق إلا ذكره في التراجم ، إلا أن الآثار العلمية للعلامة ابن محبوب موزعة بين ثنايا المصادر الإباضية شرقية ومغربية ، ولا يكاد سفر يخلو من آثاره بل إن بعض المصادر لا تكاد تخلو فيها صفحة من أقواله . ويعرف ابن محبوب في الأثر الإباضي بكنيته أبي عبدالله ، فكلما وردت هذه الكنية في أي مصدر من المصادر مجردة فالمقصود بها هو .

وبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم والورع انتقل العلامة محمد بن محبوب إلى رضوان الله يوم الجمعة في الثالث من شهر المحرم سنة ٢٦٠هـ / ٢٩ أكتوبر ٨٧٣ م . وفي ظل حياة هذا العالم تبوأ صحرار مكانة علمية مرموقة شدت إليها أنظار العلماء والمتعلمين من عمان وخارجها ، وبفضله أحيا ابنه بشير و عبدالله دوره ، فكانا امتدادا للعطاء العلمي الذي أرساه محبوب بن الرحيل ومحمد بن محبوب وإخوته سفيان وقنبر ومخير ، فرحمة الله عليهم أجمعين^(٣).

بشير وعبد الله ابنا محمد بن محبوب

العلامة الشيخ أبو المنذر بشير بن محمد بن محبوب بن الرحيل من سلالة علم وزهد وورع ، عاش في كنف والده يرتشف من معين علمه الجلم حتى صار هو وأخوه عبدالله من العلماء البارزين في القرن الثالث الهجري^(٤). وقد ألف العلامة أبو المنذر كتباً عديدة فقد أكثرها ، وهي كتاب البستان في الأصول

(١) أبو القاسم بن إبراهيم البرادي (١٤/٨) ؛ رسالة تأليف أصحابنا ، ملحق بكتاب الموجز لأبي عمرو عبد الكافي تحقيق عمار الطالبي ج ٢ ص ٢٨٤ ، الناشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م العبدلي : السير العمانية كمصدر لتاريخ عمان (سيرة محمد بن محبوب) ، مقال سبق الإشارة إليه : ص ٣٢ الخليلي : محاضرة عن تاريخ صحار سبقت الإشارة إليها.

(٢) البرادي : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٣) البطاشي : إتحاف الأعيان : ج ١ ص ١٩٣ .

(٤) مجهول : تواريخ العلماء : ص ١٣-١٦ ؛ البطاشي : المصدر السابق ج ١ : ص ١٩٤ .

وكتاب " المستأنف " ، وهو في التوحيد وأحكام القرآن والسنة ؛ وكتاب "الإمامة وأسماء الدار وأحكامها" ^(١). ومن كتبه كتاب الخزانة يذكر أنه في سبعين سفرا ؛ وكتاب المحاربة ^(٢) وهو يتألف من ثمانين بابا أولها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآخرها في تفسير الحماية وجواز الجباية ^(٣)، وكان رحمه الله يعلو أقرانه في النظر في الأديان ^(٤).

أما حياة هذا العالم الجليل وأخيه عبد الله فهي غير محددة المولد ، إلا أنهما كانا على ما يظهر من مواليد العقد الثاني من القرن الثالث الهجري خاصة إذا رجح مولد والدهما في العقد الأخير من القرن الثاني ، وذلك بدليل زيارة جدهما فوجدتهما صبيين أي دون البلوغ ؛ فإذا قدرنا أن الزيارة تمت خلال العقد الثالث لأن جدهما توفي في سنة ٢٣٠هـ فإننا نستنتج أن حياتهما امتدت من العقد الثاني من القرن الثالث الهجري . وقد أشار صاحب كتاب إتحاف الأعيان إلى أن وفاة العلامة أبي المنذر كانت في عام ٢٧٣هـ ^(٥).

والعلامة عبد الله لا يؤثر بأن له تأليفا مستقلا إلا أن آراءه العلمية مبثوثة في مصادر الفقه الإباضي وهذا يكفي دلالة على أنه من العلماء البارزين في عصره ^(٦). وأشار صاحب كتاب تواريخ العلماء إلى أن عددا من العلماء أخذوا العلم عن بشير وعبد الله ابني محمد بن محبوب ^(٧)، وكان العلامة عبد الله بن محبوب معاصرا

(١) ويوجد نسخة من الكتاب الأخير في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي مخطوطا تحت رقم ١٣٥٨ .

(٢) يوجد من كتاب المحاربة نسخة بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي تحت رقم ٧٧ ، ونسخة ثالثة بمكتبة العلامة إبراهيم بن سعيد العبري رحمه الله .

(٣) البطاشي : نفس المصدر والصفحة .

(٤) تواريخ العلماء : ص ١٦ .

(٥) البطاشي : ج ١ ص ١٩٥ .

(٦) البطاشي : ١ / ١٩٥ ، الإزكري : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة تحقيق العبدلي ص ٢٩٣ .

(٧) تواريخ العلماء ص ١٦ .

للإمام عزان بن تميم (٢٧٧هـ - ٢٨٠هـ / ٨٩٠م - ٨٩٣م) ، وخطيباً له في صلاة الجمعة ويدعو له بالإمامة^(١)، وهذا يدل على أن وفاته متأخرة عن وفاة أخيه بشير ، ولا يوجد تحديد لوفاته في المصادر المتاحة أمام الباحث .

الإمام أبو القاسم سعيد بن عبد الله

الإمام أبو القاسم سعيد بن عبد الله بن محبوب الذي تولى الإمامة في عمان سنة ٣٢٠هـ^(٢) يوصف بأنه أعلم الموجودين في عصره . قال أحد العلماء المعاصرين والمبايعين له بالإمامة وهو العلامة أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر: "لا نعلم في أئمة المسلمين كلهم في عمان أفضل من سعيد بن عبد الله إلا أن يكون الجلندي بن مسعود."^(٣) ووصفه عالم آخر بأنه : "كان إماماً عادلاً صحيح الإمامة من أهل الاستقامة ؛ عالماً في زمانه يفوق في العلم أهل زمانه أو كثيراً منهم."^(٤)

استطاع هذا الإمام أن يوحد عمان ويخلصها من التفرق والتمزق الذي عاشته طوال أربعين عاماً من بعد انتهاء الإمامة الثانية وحتى عهده . إلا أن مدينته صحار ظلت في أيدي ولاية الدولة العباسية - حسبما تقدم ذكره سابقاً^(٥) . وقد تتلمذ على يديه العديد من العلماء البارزين الذين ازدانت بهم عمان وأشهرهم العلامة الكبير أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة السليمي . وقد قيد العلامة ابن بركة عن شيخه الإمام أبي القاسم العديد من المسائل العقائدية والفقهية وجمعها في كتاب التقييد الذي جمع

(١) الكندي : بيان الشرع ج ٣ ص ١٧٩ .

(٢) الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة تحقيق العبيدي : ص ٣٠٣ ؛ ابن رزيق : الفتح المبين ص ٢١١ ؛ السالمي : المصدر السابق ص ٢٧٥ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٨١ ؛ السيابي : عمان عبر التاريخ : ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٣) الإزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة تحقيق العبيدي : ص ٣٠٣ ؛ ابن رزيق : الفتح المبين ص ٢١١ ؛ السالمي : المصدر السابق ص ٢٧٥ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٨١ ؛ السيابي : عمان عبر التاريخ : ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٤) تواريخ العلماء ص ٨٣ ؛ الإزكوي : نفس المصدر والصفحة ؛ ابن رزيق : نفس المصدر والصفحة ؛ السالمي : نفس المصدر ص ٢٧٦ .

(٥) تم ذكر ذلك في الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الرسالة

فيه أيضاً مسائل شيخه الثاني العلامة أبي مالك الصبحاري^(١). وهذا الكتاب ما يزال مخطوطاً . استشهد الإمام أبو القاسم سعيد بن عبد الله الرحيلي في بلدة مناقي^(٢) بالرستاق في سنة ٣٢٨ هـ^(٣) .

ومن هذا العرض الموجز الذي تقدم عن أسرة آل الرحيل يتضح دورهم الفاعل في الحياة العلمية في صحار ، فكانت لهم مدرسة علمية فقهية نمت في صحار من عهد محبوب بن الرحيل وازدهرت في عهد ابنه محمد وتتابع أبنائه عليها فاستقطبت الكثير من طلبة العلم فنبغ بعضهم وامتد عطاؤهم إلى أقطار مختلفة من عمان ، كما أن دورهم لم يقتصر على الجانب التعليمي فقط ، وإنما امتد إلى الجانب السياسي ، فكانوا في مقدمة العلماء الذين ارتكزت عليهم شؤون الإمامة كما ساهموا في إثراء المكتبة العمانية التي ضاع الكثير من كنوزها كما تقدم ذكره ، إلا أن بعض محتوى تلك المؤلفات مازال باقياً في المؤلفات التي ألقت في تلك الفترة من قبل العلماء الذين تخرجوا من مدرسة آل الرحيل ، ومن جاء بعدهم في العهود اللاحقة^(٤).

الفضل بن جندب :

قيل إنه مولى للأزد^(٥)، وقيل إنه حداني^(٦)، وهو من رجال العلم في صحار عاش في الربع الأخير من القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني وأخذ

(١) ابن بركة : كتاب التقييد ص ٣١٦ .

(٢) مناقي: إحدى القرى التابعة لولاية الرستاق في جنوب الباطنة ، وهي الآن بلدة مهجورة ما تزال اطلالها باقية تدل على أنها كانت بلدة عامرة ، وقبر الإمام من معالمها البارزة . وفي غربها أقيمت منشآت حديثة أهمها مستشفى الرستاق ، وكلية التربية بالرستاق .

(٣) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٧٩ .

(٤) انظر على سبيل المثال لا الحصر : كتاب الجامع لابن جعفر ، وكتاب جامع الفضل بن الحوار ، وكتابي الجامع والتقييد لابن بركة ، وكتاب المعتبر للعلامة الكدومي ، وكتاب بيان الشرع للعلامة الكندي .

(٥) الشماخي : السير ج ١ ص ٩٨ .

(٦) أحمد السيبي : هامش كتاب السير للشماخي ج ١ ص ٩٨ .

العلم عن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وكبار علماء عصره في البصرة^(١) ، وكان مشاركاً فاعلاً في حياة الإباضية في البصرة ، وقد حباه الله سعة في الرزق ، فبذل ماله في إعانة إخوانه علماء ومتعلمين ، وشارك بذلك في نصرة الدعوة من أجل إقامة مجتمع قائم على العدل والمساواة فسعى الإباضية إلى تحقيقه في كل من اليمن وعمان والمغرب العربي وغيرها من بلاد ، وكان رحمه الله من خيار المسلمين وفضلائهم باتفاق المصادر التي تناولت جوانب من سيرة حياته^(٢).

كما اشتهر أيضاً بالبذل والسخاء ، ومن دلائل ذلك ما يروى عندما توفي العلامة أبو مودود الطائفي العماني ، وكان رحمه الله القائم على الإنفاق العام للإباضية في البصرة ، فاستدان ، ولما توفي كان عليه مائتا ألف درهم وخمسون ألفاً ، فأراد أصحابه توزيع هذا الدين فيما بينهم قبل أن يصل إلى يده إلا أن الفضل أبي إلا أن يتحمل بنفسه ذلك الدين قائلاً لهم : "دينه علي دونكم حتى أعجز عنه ولا يبقى لي مال"^(٣) ، ولكن الأجل عاجله قبل الوفاء بهذا الالتزام ، وبرأ بما وعد قامت زوجته أم الصلت بوفاء دينه ، وفي ذلك قيل إنها باعت له داراً بالبصرة ، وأخرى بصحار كان ثمنها خمسين ألف درهم^(٤).

أبو مالك غسان بن محمد الصلاني^(٥)
من علماء صحار البارزين العلامة أبو مالك غسان بن محمد بن الخضر

(١) الراشدي : أبو عبيدة وفقهه ص ٢٥٨ .

(٢) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٥٠ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٩٨ ؛ تواريخ العلماء

ص ٥٤ ، البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٥٩ .

(٣) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٥٠ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٩٨ .

(٤) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٥١ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٩٨ ؛ تواريخ العلماء : ص ٥ ؛

البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٥٩ ؛ الراشدي : أبو عبيدة وفقهه ص ٢٥٨ .

(٥) نسبة إلى صلان وهي قرية ساحلية من قرى صحار .

الصلاتي . عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري^(١) وتعلم في مدرسة آل الرحيل رضي الله عنهم : محمد بن محبوب وولده بشر وعبد الله ، فاتاه الله علما واسعا . وشدت إليه الرحال حيث كون مدرسة فقهية في صلان بصحار^(٢) ، وكان رحمه الله يعمل قصارا يقصر الثياب ، وما يزال مسجد الخضر بصلان ينسب إلى جده . وقيل بأنه كان أيضا من رجال العلم . وما تزال الحصاة التي كان العلامة الصلاني يقصر عليها الثياب موجودة بالمسجد^(٣) . وكانت مدرسته حافلة بطلبة العلم ، وكان رحمه الله يتبع أسلوبا تربويا استطاع من خلاله أن يغرس في قلوب طلبته حب السؤال والاستفسار عما يجري في محيطهم المعاش^(٤) ، وحرص تلميذه الشهير العلامة ابن بركة أن يقيد تلك المسائل في كتاب التقييد الذي أشرنا إليه سابقا .

الطبيب الكيمائي أبو محمد الصحاري

من أعلام صحار في القرنين الرابع والخامس الهجريين أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد الأزدي الصحاري الملقب بابن الذهبي حسب ما أشار صاحب طبقات الأطباء^(٥) . ولد في صحار في أواسط القرن الرابع الهجري وتلقى العلوم الأولية في مدينته على شيوخ عصره^(٦) ثم انتقل إلى البصرة فحل بجي الأزديين ، وشغف بدراسة العلوم التي نبغ فيها الخليل بن أحمد الفراهيدي ثم شد رحاله إلى بغداد ، ومنها دخل بلاد فارس وما وراءها طلبا لعلم الطب حيث تتلمذ على أبي الريحان

(١) تراخي العلماء : ص ١٥ ؛ البطاشي : المصدر السابق : ص ٤٣٢ ؛ د. صالح بن أحمد الصواني :

مقال رجال من التاريخ نشر في حصاد أنشطة المتسدي الأدبي . سلطنة عمان ٨٩ / ١٩٩٩ م :

ص ٣٨٧ ؛ الحارثي : العقود الفضية : ص ٢٥٦ .

(٢) البطاشي . نفس المرجع السابق والصفحة ؛ الصواني : نفس المرجع : ص ٣٨٩ .

(٣) البطاشي : نفس المرجع والصفحة .

(٤) يوجد منه نسخة وحيدة في مكتبة الإمام السالمي بولاية بديّة بالمنطقة الشرقية من عمان .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٩٧ ، تحقيق : د. نزار رضا . الناشر : دار

مكتبة الحياة ببيروت ؛ د. هادي حسن حمودي : كتاب الماء الأزدي مقلمة المحقق ج ١ ص ١٣ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : نفس المصدر السابق والصفحة .

البيروني^(١)، ثم انتقل إلى ابن سينا^(٢) فاغترف من علمه كثيرا حتى أجاد صناعة الطب، وكلف بصناعة الكيمياء وشغف بمطالعة كتب الفلاسفة ثم دعتهم وهمته ونهمه المعرفي إلى الازدياد من معين هذه العلوم فرحل إلى بلاد الأندلس مارا ببلاد الرافدين والشام، فبقي بعض الوقت في بيت المقدس ثم واصل سيره حتى استقر ببلنسية^(٣)، وكانت رحلته تلك كشفا علميا له حيث تعرف على كثير من النباتات الطبية، وطرق علاج مفيدة، وفي بلنسية ذاع صيته وأصبح من الأعلام البارزين في الطب والكيمياء، وغيرهما من العلوم حتى لقي ربه في جمادى الآخر من سنة ٤٥٦ هـ^(٤)، ومن مؤلفاته الهامة كتاب الماء الذي يعرض فيه الكثير من تجاربه الطبية والكيميائية، وانفرد فيه بذكر بعض الآراء عن بعض نظريات ابن سينا وآرائه الطبية التي لم يعثر عليها محقق الكتاب في كتابي ابن سينا : القانون، والشفاء^(٥). بذلك تكون صحار قد أسهمت بعض الشيء في العطاء العلمي التجريبي بتخصص أحد رجالها الذي أتاحت شهرته وآثاره خارج وطنه معرفته.

-
- (١) البيروني : محمد بن أحمد أبو الريحان الخوارزمي فيلسوف رياضي مؤرخ عاش في الفترة ما بين سنتي ٣٦٢هـ / ٤٤٠ هـ، وله كتب كثيرة منها الآثار الباقية عن القرون الخالية، والاستيعاب، وغيرها كثير. انظر: الزركلي : الأعلام ج ٥ ص ٣١٤.
- (١) ابن سينا : أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا شرف الملك : الفيلسوف الرئيس صاحب التصانيف في الطب، والمنطق، والطبيعات، والإلهيات. ولد في إحدى قرى بخاري، ونشأ، وتعلم في بخاري ثم طاف بكثير من البلاد، وتقلد الوزارة في همدان، له مصنفات كثيرة أشهرها كتاب القانون في الطب بقي معولا عليه في علم الطب في الغرب لمدة مئة قرون وترجم إلى العديد من اللغات في الفترة مما بين عامي ٣٧٠ هـ و ٤٢٨ هـ. انظر : الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ٢٤٠.
- (٣) بلنسية: في شرق الأندلس، وهي مدينة سهلية، وقاعدة من قواعد الأندلس عامرة كثيرة التجارة، وهما أسواق وحط وإقلاع بينها وبين البحر ثلاثة أميال، وهما نهر جار، وعليه بساتين وجنات، وهي من حواضر الأندلس المقدمة، وقد أطنب الحميري في وصفها. انظر: الروض المعطار ص ٩٧-١٠١؛ الحموي : معجم البلدان : ج ١ ص ٤٩٠-٤٩١؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ج ٢ ص ٥٥٦.
- (٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء : ص ٤٩٧؛ د. حمودي : مقدمة كتاب الماء ج ١ ص ٦٣.
- (٥) د. حمودي : مقدمة كتاب الماء ص ٦٤.

وبهذا العرض الموجز عن تلك النهضة العلمية التي قامت في صحار منذ القرن الثاني الهجري وحتى القرن الرابع ، يتبين مدى الازدهار العلمي في تلك الفترة ، ودليل ذلك ظهور العديد من العلماء في القرن الأول الهجري .

فالإمام جابر بن زيد رضى الله عنه (توفي ٩٣هـ) وهو في البصرة كان على اتصال دائم بـموطنه^(١) . ومن خلال رسائله العديدة يظهر أنه كانت في عمان حركة علمية تقوم بجهود نشر العلم وتستمد نشاطها من ذلك الاتصال الوثيق بين عمان والبصرة . بالإضافة إلى ذلك هناك عدد من أبناء عمان الذين نبغوا علمياً ، وكانت صحار قبلتهم العملية في بداية حياتهم الدراسية كالإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي^(٢) ، وأبي حمزة المختار بن عوف^(٣) ، والإمام الجلندي بن مسعود^(٤) ، والقائد المشهور بلج بن عقبة^(٥) ، والفضل بن جندب .

وفي العهد القصير للإمامة الأولى في عمان (١٣٢-١٣٤هـ / ٧٤٩-٧٥١م) شهدت صحار نشاطاً علمياً بسبب كثرة وجود العلماء بها والتفافهم حول الإمام ، بالإضافة إلى اهتمام الإمام نفسه بالناحية العلمية وحرصه على نشر العلم

(١) أبو داود: الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية ص ٦٧ ؛ الجهمضي :

مرجع سابق ص ٨٥ .

(٢) تواريخ العلماء ص ٧ ؛ البطاشي : مرجع سابق: ج ١ : ص ٥٠ .

(٣) تواريخ العلماء ص ٥ .

(٤) الرقيشي : مصباح الظلام ص ٩٢ . الشماخي : السير ج ١ ص ١٠٩ .

(٥) تواريخ العلماء ص ٥٦ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٩٠ . و بلج بن عقبة الفراهيدي يرجع

نسبه إلى فراهيد بن مالك من صحار ، أرسله الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة لمناصرة الإمام

عبد الله بن طالب الحق الذي أعلن أول إمامة للإباضية في حضرموت ، وقال أبو عبيدة في حق بلج

ابن عقبة مخاطباً طالب الحق : " لقد بعثنا لك إثني عشر رجلاً ، وألفاً " . يعني بالآلف بلج بن عقبة .

وقد استشهد في موقعة وادي القرى بين المدينة المنورة والشام من أعمال المدينة سنة ١٣٠هـ /

٧٤٧م . انظر مجهول : العيون والحدائق ص ١٧٢ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل : ص ١١١ ؛

تواريخ العلماء : ص ٥ .

والتفقه بالدين ، ومن أمثلة ذلك اتخاذ معلمين للشراة يعلمونهم الفقه ويؤهلونهم ليصبحوا دعاة آمرين المعروف ناهين عن المنكر . وقد اشترط في المعلمين أن يكونوا من أهل الفضل والبصيرة والثقة والمعرفة والفقه والقوة ، وأن يتولى كل معلم عشرة أفراد فقط يتولى تعليمهم حتى يصبحوا قادرين على حمل أمانة الأعمال التي ستوكل إليهم، وقد تقدم ذكر ذلك .

المبحث الرابع : أدباء صحار و نتاجهم :

ازدهرت صحار حضاريا لعدة قرون قبل وبعد الإسلام وكان من المفترض أن يخلف لنا ذلك ثروة أدبية تواكب ذلك الرقي المشهود له من قبل عدد من مؤرخي تلك الفترة وما بعدها بقليل . إلا أن ذلك للأسف الشديد لم يحصل . وقد علل ابن سلام ذلك فيما يتصل بالفترة التي سبقت دخول الإسلام بقوله : "إنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويغار عليهم . والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يجاربوا . وذلك الذي قلل شعر عمان والطائف^(١) " وأضاف الجهمضي إلى ذلك قوله : "وأرى أن قلة ما ورد إلينا من أخبار عمان وأدبها يعود لسببين :

أولهما : أن عمان نفسها لم تنجب رواة يهتمون بالأخبار والأدب وروايته حتى عصور التدوين . ويلحظ أن ما ورد إلينا من أدب أهل عمان في الإسلام كان عن طريق رواة غير عمانيين ، وما وجد في المصادر العمانية منقول عن مصادر غير عمانية .

ثانيهما : أن عمان في العصر الإسلامي اختارت اعتناق المذهب الإباضي فاهتم علماءه بالقرآن الكريم والحديث الشريف والعقيدة وتأسيس مبادئ المذهب والاحتجاج له ، فكانوا من أوائل الذين دونوا بعض ذلك ؛ فإمامهم جابر بن زيد (المتوفى ٩٣هـ / ٧١١م) ألف كتابا ضخما سماه "ديوان جابر بن زيد"^(٢) ، وبعده قام الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي بجمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي رواها عن شيخه أبي عبيدة .

فالتدوين إذن لم يشمل الأدب والأخبار^(٣) . وفي هذا الصدد يقول الإمام السالمي : " إذ لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب بل كان انشغالهم بإقامة

(١) ابن سلام :طبقات فحول الشعراء ص ٥٠ .

(٢) هذا الكتاب يعد من نفائس وأوائل ما كتب عن الإسلام إلا أنه للأسف فقد مع ما فقد من كنوز التراث

الإسلامي .

(٣) الجهمضي :حياة عمان الفكرية ص ١١٠-١١١

العدل وتأثير العلوم الدينية وبيان ما لا بد من بيانه للناس أخذنا بالأهم فالأهم ، فلذلك لا تجد لهم سيرة مجتمعة ولا تاريخاً شاملاً .^(١) ونضيف إلى ما تقدم من أسباب سببين آخرين هما أولاً : البعد المكاني والاستقلال الفكري والسياسي كان مدعاة لإعراض رواة الأدب العربي عن الاهتمام بالأدب العماني . ثانياً : الفتن والحروب التي تعرضت لها عمان بغية إخضاعها إضافة إلى الصراعات الداخلية التي ضيقت الكثير من تراثها العلمي والأدبي . وخير شاهد على ذلك هو ما أورده المصادر العمانية بأن محمد بن نور عندما أخضع عمان للخلافة العباسية جعل على أهلها الهوان ، ودفن الأتهار وأحرق الكتب^(٢) في سنة ٢٨٠هـ .

والأدلة كثيرة على فقدان تلك الثروة العلمية والأدبية ، منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب السير للعلامة محبوب بن الرحيل ، وهو الكتاب الذي يعد من أهم المصادر في تراجم علماء المذهب الإباضي وتاريخ نشأته في القرنين الأول والثاني الهجريين ، كما فقد كتاب العلامة محمد بن محبوب بن الرحيل ، والذي يروي أنه في سبعين مجلداً ، وغير ذلك كثير مع الافتراض أن تكون هذه الكتب متضمنة بعض الملامح عن حياة صحار الأدبية التي يحتمل فقدان الكثير من إنتاجها ، ويؤكد هذا الاحتمال أن ياقوت الحموي أورد عند ذكره صحار أبياتاً لأحد شعرائها ممن اضطرتهم ظروف الحياة إلى الخروج من عمان فقي بغداد بقي شيء من شعره حتى عصر الحموي الذي نقل منه ما يخص صحار ليدعم حديثه عنها بتلك الأبيات^(٣)

(١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٢٤

(٢) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٦١ . الأزكري : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة تحقيق

: القيسي ص ٦١ ابن رزيق : الفتح المبين ص ٢٠٨ ؛ مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٧٤ ؛

المعولي : قصص وأخبار جرت في عمان ص ٦٦

(٣) يظهر أن هذا الحريق هو الذي ذكرت بعض الدراسات أنه التهم أكثر من ٩٠٧٣ مخطوطة . انظر

: مجموعة باحثين : عمان في التاريخ ص ٢٤٩ ؛ اف. سي . ولكنسون : عمان تاريخاً وعلماء ،

ترجمة محمد أمين عبد الله ص ٤١ ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلسلة تراثنا ، العدد العاشر

١٩٩٤م

(٤) الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٩٤ .

التي كشفت عن واحد من شعراء صحار المجيدين ، ولولا ذكر الحموي له لما عرف عنه أي شيء ولكان في طي النسيان . ومن هذا يتضح أن هناك ثروة أدبية مفقودة تتوازي مع رقي صحار وما شهدته من حركة دؤوب شملت كل مناحي الحياة وخاصة في القرون الثلاثة الأولى من بزوغ فجر الإسلام وذلك لكونها عاصمة البلاد منذ العصر الجاهلي وحتى الربع الأخير من القرن الثاني الهجري ، كما أن الازدهار الاقتصادي الذي شهدته تسبب في استقطاب الكثير من أبناء البلاد ومن خارجها ، فنشأ نشاط علمي وفكري كان لابد أن يولد عطاء أدبيا ، ولكن ما حدث هو أن الذي بين أيدينا من الأدب العماني هو القليل من كثير مفقود .

أدباء عمان وأثر صحار في تكوينهم :

صحار هي بوابة عمان للعالم الخارجي في تلك الحقبة التاريخية ، وكانت على اتصال وثيق بحواضر العالم الإسلامي خاصة البصرة ^(١) مركز الإشعاع العلمي في بلاد المسلمين . وبهذا يسرت صحار لأبناء عمان الراغبين في الارتقاء العلمي والأدبي أن ينهلوا من معين العلم من منابعه الأصيلة فاستطاع البعض منهم أن يكون لهم دور ريادي في بناء الحضارة الإسلامية وكان لهم قدم سبق في تقعيد وتأسيس العلوم اللغوية والأدبية وكان جل هؤلاء من صحار وما جاورها من بلاد في عمان . ومن بين أولئك الخليل بن أحمد الفراهيدي ^(٢) صاحب كتاب العين وهو من منطقة

(١) أشرنا من خلال الفصول السابقة كيف استقر الكثير من أبناء عمان في البصرة ، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر بنو سليمة الذين كان أصلهم من صحار حيث يذكر الأزدي أن لبني سليمة خطة بالبصرة ومسجدا مشهورا ، وكان لهم بالبصرة شرف وقدر ومن هؤلاء أبو حمزة الشاري الذي سيرد ذكره لاحقا .

(٢) أصل الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي العماني من "ودام" من ولاية المصنعة إحدى ولايات منطقة الباطنة وتقع في الجنوب الشرقي من صحار وتبعد عنها مائة وخمسة عشر كيلو مترا وهي على نفس خط ساحل خليج عمان الذي تطل صحار عليه . ولد العلامة الخليل سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ م ورحل إلى البصرة وهناك ذاع صيته لنبوغه العلمي فابتكر علم العروض وألف أول معجم لغوي وهو معجم العين وتوفي بالبصرة سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م . انظر العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٨ ؛ الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص ٤٣-٤٧ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الخانجي ، مصر الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ م المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٣٦٦ ؛ الحموي : معجم الأدباء ج ٣ ص ٣٠٠ .

الباطنة التي تعتبر صحار عاصمتها . وأيضاً أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد^(١) من نفس المنطقة ، وعدد من أصحاب البلاغة والبيان الذين ذاع صيتهم حتى صارت عمان مضرب مثل في كثرة خطبائها . يقول الجاحظ : "لربما سمعت من لا علم له يقول : ومن أين لأهل عمان البيان؟ وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء البلغاء ما يعدون لأهل عمان"^(٢).

ومن هؤلاء الخطباء صحار بن العباس العبدي^(٣)، وهو أول من ألف في الأدب وأمثال العرب . وقد شهدت له كتب الأدب بتلك المترلة البيانية حتى حظي بمكانة لدى الخلفاء ، وسأله معاوية يوماً قائلاً : "ما هذه البلاغة فيكم ؟ قال : شئ تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا . فقال له رجل من عرض القوم (عامتهم) : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء بالبر والرطب أبصر منهم بالخطب . فقال له صحار : أجل والله إنا لنعلم أن الريح لتلقحه ، وأن البرد ليعقده ، وأن القمر ليصبغه وأن الحر لينضجه " . وقال معاوية : ما تعدون البلاغة فيكم ؟ . قال : الإيجاز . قال معاوية : وما الإيجاز ؟ . قال صحار : أن تجيب فلا تبطئ ، وتقول فلا تخطئ . فقال له معاوية : أو كذلك تقول يا صحار ؟ قال صحار : أقلني يا أمير المؤمنين ، ألا تبطئ ولا تخطئ^(٤)

(١) المبرد هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ينتمي نسبه إلى ثمالة التي وفدت على رسول الله ﷺ وزودها النبي بكتاب يدل على أن هذه القبيلة كانت تقطن صحار وما جاورها ، والمبرد أصله من بلدة (مقلعس) التي تقع في ولاية صحم المجاورة لصحار من الجنوب . عاش للمبرد في الفترة ما بين ٢١٠هـ - ٢٨٦هـ / ٨٢٥-٨٩٩م ، وجل حياته قضاها في البصرة حتى نسب إليها ، ومن أشهر كتبه : المقتضب في النحو ، وكتاب الكامل في الأدب ، وكتاب الروضة وغيرها كثير . انظر : العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٩٩ ؛ الحموي : معجم الأدباء ج ٥ ص ٤٧٩- ٤٨٦ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٣٧٧ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٩٧ ؛ علي عبد الخالق : الشعر العماني : مقوماته واتجاهاته ، دار المعارف ص ١٨ .

(٣) سبقت ترجمة لصحار بن العباس العبدي في هذا الفصل بمبحث المذهب الإباضي في صحار .

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٩٦

ومن خطباء عمان رقبة بن مصقلة العبدى^(١) المتوفى سنة ١٢٩ هـ وابناه مصقلة وكرب . وتذكر العرب لآل رقبة من الخطب المشهورة العجوز^(٢) . ومن الخطباء العمانيين من عبد القيس أيضا آل صوحان والمشهور منهم صعصعة بن صوحان ، وزيد بن صوحان ، وسيحان بن صوحان^(٣) . قال ابن عباس بعد محاورات مع صعصعة: "إنك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ، ما ورثت هذا عن كلاله"^(٤) . ودخل صعصعة على معاوية موفدا من قبل الإمام علي كرم الله وجهه ، وكلن معاوية يتشوق للقاء صعصعة ، فلما كان بين يديه سأله عن نسبه فأجابه حتى انتهى إلى عبد القيس فقال معاوية : وما كان عبد القيس ؟ قال صعصعة : كان خطيبا مخضرم^(٥) أبيض وهابا لضيفه ما يجد ولا يسأل عما فقد ، كثير المرق ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء . قال معاوية : ويحك يا بن صوحان ! فما تركت لهذا الحي من قريش مجدا ولا فخرا . قال : "بلى والله يا بن أبي سفيان تركت لهم ما لا يصلح إلا بهم ، ولهم تركت الأبيض والأحمر والأصفر والأشقر ، والسريز والمنبر ، وأنى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الأرض ونجومه في السماء" .

(١) العبدى نسبة إلى قبيلة عبد القيس التي منها صحار الذي تقدم ذكره . وقد اشتهرت هذه القبيلة بنبوغ عدد من أبنائها . يقول الجاحظ: "وشأن عبد القيس عجب ، وذلك أنهم بعد محاربة إياد تفرقوا فرقتين فرقة وقعت بعمان وشق عمان وهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت إلى البحرين وشق البحرين وهم من شعراء العرب ولم يكونوا كذلك حين كانوا في البادية وفي معدن الفصاحة وهذا عجب ! انظر الجاحظ: البيان والتبيين ج ١ ص ٩٦ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤٨ .

(٣) يقول الجاحظ : "بنو صوحان كلهم خطيب إلا أن صعصعة كان أعلاهم في الخطابة" أما سيحان فكان هو الخطيب قبل صعصعة . وذكر ابن حجر بأنه كان أحد الأمراء في حروب أهل الردة وقد قتل سيحان وأخوه زيد يوم الجمل وكانوا مع الإمام علي بن أبي طالب أما صعصعة فتوفي في خلافة معاوية . انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٩٧ ، ابن حجر الإصابة ج ٣ ص ١٥٦ ، ابن سعد الطبقات ج ٦ ص ٢٤٤ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٥٦ .

(٥) المخضرم : السيد المحمول للعظام . والموسع على الناس .

ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها ، فقال صدقت يا بن صوحان إن ذلك لكذلك . فعرف صعبعة ما أراد فقال : ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد^(١) ؛ بعدتم عن أنف المرعى^(٢) وعلوتم عن عذب الماء .

قال: فلم ذلك ويلك يا بن صوحان ١٩ . قال: الويل لأهل النار . ذلك لبني هاشم . قال: قم . فأخرجوه . فقال صعبعة : الصديق ينبئ عنك إلا الوعيد ، من أراد المشاجرة قبل المجاورة . فقال معاوية: لشيء ما سوده قومه ، وددت والله أني من صلبه، ثم التفت إلى بني أمية فقال :هكذا فلتكن الرجال^(٣) .

ومن الخطباء أيضا مرة بن تليد اليحمدي^(٤) ، ذكره الجاحظ بأنه من خطباء عمان وهو الخطيب الذي أوفده المهلب للحجاج^(٥) . أما ابن دريد فقد وصفه بأنه كان شريفا ، وكان على مقدمة جيش المهلب^(٦) .

ومن شعراء عمان الذين ذاع صيتهم في عصر الدولة الأموية ثابت بن كعب العتكي المعروف بثابت قطنة^(٧) وكان شاعرا مجيدا وفارسا شجاعا . استقر به المقام في

(١) الإصدار والإيراد: الإصدار العودة عن الماء والإيراد بلوغ الماء والمعنى أن ليس لكم في هذا الأمر أمر أو نهي

(٢) أنف المرعى : المرعى الذي لم يرده أحد ليرعى ما فيه .

(٣) المسعودي : مروج الذهب : ج٣ ص٤٩ ، ٥٠ .

(٤) مرة بن تليد من قبيلة اليحمد بطن الجند . انظر : الاشتقاق ص٥٦ .

(٥) البيان والتبيين : ج١ ص٣٥٨ .

(٦) الاشتقاق : ص٥٦ .

(٧) ثابت بن كعب بن جابر وقيل ثابت بن عبدالرحمن العتكي أصيبت عينه في إحدى الغزوات فوضع قطنا

عليها فسمي " ثابت قطنة " ويكنى بأبي العلاء . شارك في الفتوحات الإسلامية وهو أحد فرسان الثغور .

وشارك في قتال الترك في سمرقند مع أشرس بن عبد الله السلمي ، وقتل كعب أثناء هذه المعركة سنة ١١٠

هـ / ٧٢٨ م . انظر : الطبري ج٨ ص١٥٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ج٥ ص١٥٠ .

خراسان بصحبة المهلب بن أبي صفرة الذي قصر ثابت بن كعب جل مدائحه عليه وعلى بنيهِ . قال الجاحظ : "ومما قالوا في الإيجاز وبلوغ المعاني في الألفاظ اليسيرة قول ثابت قطنة :

مازلت بعدك في هم يجيش به صدري و في نصب قد كاد ييليني
لا أكثر القول فيما يهضبون به من الكلام قليل منه يكفيني
إني تذكرت قتلى لو شهدتهم في غمرة الموت لم يصلوا بها دوني^(١)

وكان يزيد بن المهلب ولي ثابت قطنة بعض قرى خراسان فلما صعد المنبر يوم الجمعة قال : "الحمد لله " ثم أرتج عليه فقال : " سيجعل الله بعد عسرا يسرا وبعد عي بيانا وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال " ونزل وهو يقول :
فإلا أكن فيكم خطيبا فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب
فلما بلغت كلماته الأحنف وقيل خالد بن صفوان - وكلاهما من فصحاء العرب المشهورين - قال : " والله ما علا أخطب منه في كلماته "^(٢)

ومن أقواله التي ضربت مثلا : " لا خير في طمع يدني إلى طبع " ، وهو مأخوذ من قوله : " لا خير في طمع يدني إلى طبع . . . وغفة من قوام العيش يكفيني "^(٣)
ومن الشعراء العمانيين الذين ذاع صيتهم في العصر الأموي كعب بن معدان الأشقري^(٤) . يصفه الأصفهاني بأنه شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان.^(٥)

-
- (١) يهضبون : هضب القوم و اهتضبوا : خاضوا فيه دفعة بعد دفعة وارتفعت أصواتهم .
(٢) الأصفهاني : الأغاني ج ١٤ ص ٢٥٦ ؛ أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٣٥١ .
(٣) الزمخشري : المستقصى في أمثال العرب ج ٢ ص ٩٧ ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٢ م ؛
وغفف : الغفة : البلغة من العيش . واستشهد صاحب لسان العرب بنفس البيت : ابن منظور : لسان العرب ج ٥ ص ٤٨ .
(٤) الأشقري نسبة إلى الأشاقر وهم بطن من الأزد ، يقول ابن دريد : الأشاقر رهط كعب الأشقري الشاعر والأشقر هو أسعد بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم وقيل غير ذلك . أنظر الاشتقاق ص ٥٠١ .
الأنساب ج ٢ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ جمهرة أنساب العرب ص ٣٨١ .
(٥) الأغاني : ج ١٤ ص ٢٧٤ .

أنشد الخليفة عمر بن عبد العزيز يوما قول كعب :

إن كنت تحفظ ما يليك فإنما عمال أرضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذي تدعو له حتى تجلد بالسيف رقاب
بأكف منصلتين أهل بصائر في وقعهن مزاجر وعقاب

فلما سمع الخليفة هذا الشعر قال : لمن هذا ؟ قالوا : لرجل من أزد عمان يقال له
"كعب الأشقري" قال : ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر^(١).

وعن المتلمس قال : "قلت للفرزدق : يا أبا فراس أشعرت أنه نبغ في عمان شاعر من
الأزد يقال له كعب ؟ فقال : إي والذي خلق الشعر ."

وقال الفرزدق : "شعراء الإسلام أربعة : أنا وجريرو الأخطل وكعب
الأشقري." ^(٢)

وكان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء : تشبهوني مرة بالأسد ومرة بالبازي
ومرة بالصقر ، ألا قلت كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده :

براك الله حين براك بحرا وفجر منك أنهارا غزارا^(٣)

ويروي أيضا عن أبي جعفر المنصور عندما قال له ابن هرمة^(٤) : قد مدحتك بمدحة لم
يمدح أحد بمثلا . فقال له أبو جعفر : وما عسى أن تقول في بعد قول كعب في
المهلب وذكر نفس البيت الذي ذكره عبد الملك بن مروان^(٥).

وكان كعب قد استقر بخراسان في جوار المهلب بن أبي صفرة وقصر مدائحه
عليه وعلى بنيه ، فرغم سلطة خلفاء بني أمية وبطش الحجاج إلا أنه لا يروي أنه قال
فيهم شيئا ، بل يروي أنه عرض بالحجاج ، ولولا شفاعة المهلب عند عبد الملك وقسم

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٣ ص ٣٥٩، ٣٥٨ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ج ١٤ ص ٢٧٤ .

(٣) الأصفهاني : الأغاني ج ١٤ ص ٢٧٤ .

(٤) ابن هرمة (٩٠-١٧٦هـ/ ٧٠٨-٧٩٢م) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني

القرشي . شاعر أغلب شعره في الغزل وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وهو آخر الشعراء

الذين يحتج بشعرهم ، وقال الأصمعي ختم الشعر بابن هرمة . انظر : الأصفهاني : الأغاني ج ٤ ص ٣٦١ .

(٥) انظر الأصفهاني : الأغاني ج ٦ ص ١١٩ .

عبد الملك على الحجاج أن يعفو عن كعب ، لأمر الحجاج بقتله ، ومع كل هذا لم يتودد إليهم بيت واحد اعتذارا عما صدر منه^(١). وحدثت في آخريات حياته قطيعة بينه وبين آل المهلب بسبب مدحه لقتيبة بن مسلم الذي تولى خراسان مكان يزيد بن المهلب ، ولما أعيد يزيد إلى منصبه هرب كعب إلى عمان حيث كان مقتله بها^(٢) في سنة ١٠٤ هـ^(٣).

أدباء صحار بنو الحدان

ومن قبائل صحار التي عرفت بالفصاحة والأدب بنو الحدان ، ومن شعراء بني الحدان البارزين من صحار مسلية بن هزان الحداني . وقد سبق الحديث بأنه تشرف بلقاء رسول الله ﷺ مع نفر من قومه بعد فتح مكة ، وبإيعاد الرسول ﷺ ، وللأسف لم نستطع العثور على شيء من شعره أكثر مما أورده ابن حجر حيث روي بأنه مدح الرسول ﷺ بشعر منه :

حلفت برب الراقصات^(٤) إلى منى . طوالع من بين القصيمة^(٥) بالركب
بأن رسول الله فينا محمدا له الرأس والقدموس^(٦) من سلفي كعب

(١) نفس المصدر السابق ج ١٢ ص ٢٨٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ج ١٤ ص ٢٨٥ .

(٣) د. علي عبد الخالق : الشعر العماني ص ٢٠ .

(٤) الراقصات : الرقص في اللغة هو الحُبب والارتفاع والانخفاض ورقص البعير إذا أسرع في سيره

والراقصات ربما أريد بها الإبل السريعة ، وقد استخدم هذه العبارة عدد من الشعراء منهم علي سبيل

المثال حرب بن ربيعة من بني سامة بن لؤي مدحا في الرسول ﷺ أيضا :

حلفت برب الراقصات عشية خوارج من بطحاء تحسبها سربا

وقال جميل بثينة

حلفت برب الراقصات إلى منى هوي القطا يجتزن بطن دفين

انظر : الإصابة ج ٢ ص ٤٩ ؛ الأغاني ج ٨ ص ١٠٤ .

(٥) القصيمة : ما سهل من الأرض وكثر شجره . انظر لسان العرب ج ٥ ص ٢٧٣ .

(٦) القدموس : الملك وهو السيد المقدم للمطاع . انظر لسان العرب ج ٥ ص ٢١٥ .

أتانا ببرهان من الله قابس أضاء به الرحمن من ظلمة الكرب
أعز به الأنصار لما تقارنت صدور العوالي في الحنادس^(١) والضرب^(٢)
ومن رجالات بني الحدان الذين عرفوا بالفصاحة والأدب صبرة بن
شيمان^(٣) ، ويروى أنه دخل على معاوية بن أبي سفيان والوفود عنده بعد أن آلت
إليه الخلافة فتكلم القوم ، ثم قام صبرة بن شيمان فأوجز قائلاً: "إنا حي فعال ولسنا
حي مقال ، ونحن بأدنى فعالنا عند أحسن مقالهم . فقال معاوية : صدقت ."^(٤)
أبو حمزة الشاري

المختار بن عوف بن عبد الله بن يحيى ، ينتهي نسبه إلى سليمة بن مالك بن
فهم سليمي أزدي ، ولد ونشأ في بلدة مجز في جنوب صحار^(٥) ، وللأسف لم تذكر
المصادر شيئاً عن ولادته ولا العمر الذي عاشه إلا أنه يعد من رجال صحار البارزين
في أواخر القرن الأول حتى سنة ١٣٠هـ من القرن الثاني للهجرة وهو العام الذي
استشهد فيه . وفي صحار تلقى علومه الأولى^(٦) . ويبدو من سمات المدرسة الصحارية
في إعداد الرجال تدريبهم على القيادة والفروسية خاصة في تلك الفترة ؛ فلذا نرى
عدداً منهم أبو حمزة الشاري وبلج بن عقبة الفراهيدي والإمام الجلندي بن مسعود
وجابر ابن جبلة السليمي^(٧) ، وهؤلاء من صحار ، وهناك غيرهم قد أصبحوا بجانب
تفوقهم العلمي قادة قدموا أنفسهم خدمة للحق الذي آمنوا به .

(١) الحنادس شديد السواد ؛ والحنادس ثلاث ليال في الشهر لظلمتهن . انظر لسان العرب ج ٢ ص ١٦٩ ؛

ج ٣ ص ١٠٥ ، ١٠٦

(٢) ابن حجر : الإصابة ج ٦ ص ١١٨ .

(٣) صبرة بن شيمان الحداني : كان على رأس شنودة في جيش عثمان بن أبي العاص الذي خرج من

عمان في فتوح فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم هاجر إلى البصرة ، واستقر بها .

انظر : العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٤٥ ؛ أبو الحسين العبيدي : العفو والاعتذار ج ٢ ص ٤٨٠ ؛

ابن دريد : الاشتقاق ص ٥١١ ؛ الجهمي : حياة عمان الفكرية ص ٢٦ .

(٤) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٥) الأزدي : تاريخ الموصل ص ٧٨ ، ١٠١ ؛ العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٦) الجهمي : حياة عمان الفكرية ص ١٢٩ .

(٧) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

وبعد تلك المرحلة خرج أبو حمزة رضي الله عنه إلى البصرة ليلتحق بالمدرسة الإباضية حيث شيوخ المذهب هناك وعلى رأسهم الإمام أبو عبيدة^(١) مسلم بن أبي كريمة وأبو مودود حاجب الطائي وغيرهما . وأدرك أبو عبيدة رضي الله عنه علامات النبوغ عند أبي حمزة فضمه إلى أمثاله ليتعهدهم بعنایتة ويقوم بإعدادهم علميا وقياديا وذلك من خلال مجلس إعداد الدعاة الذي تعقد جلساته في سرداب تحت الأرض^(٢) لضمان سرية العمل التنظيمي للمذهب الإباضي ، فأثبت أبو حمزة تميزه بمواهبه الفذة التي منحه الله عز وجل إياها والتي قلما تتوفر في شخص واحد ؛ فهو نابغة في الفكر مقدم في الحق بليغ في المنطق سام في الخلق فلذا استطاع أن يحتل بسرعة مكانة علمية رفيعة أهلته إلى أن يرتقي إلى مجلس الشيوخ^(٣) وهو ما يزال شابا . وصفه الدرجيني بقوله: "وأما أبو حمزة فأسد في الحرب مستعد للطعن والضرب ، ليث في الهيجاء إن ركب ، وبحر عجاج إذا وعظ وخطب ، الحصر يعدوه قصر أو أسهب ، ذو رفق ولين لأولياء الله المتقين وذو غلظة على الشاقين."^(٤) وبالإضافة إلى ما ذكر فإنه كان زاهدا في الحياة ، استعد لتحمل أعباء الدعوة التي يؤمن بها وتزود بخير الزاد التقوى

(١) كان أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة أحد القادة الأفاضل حيث استطاع أن يخطط بالمذهب الإباضي من ساحة الدرس النظري إلى واقع التطبيق العملي فلذا شكل ثلاثة مجالس : مجلس العامة ومجلس إعداد الدعاة ومجلس الشيوخ وقادة الفكر ، ومن خلال هذه المجالس انبثق الفكر السياسي عند الإباضية ، وكان أعلى هذه المجالس رتبة ثالثها . انظر : الشماخي : السير ج ١ ص ٨٤ .

(٢) الشماخي : السير ج ١ ص ٨٤ ؛ الدرجيني : الطبقات : ج ٢ ص ٢٤٩، ٢٥٠ .

(٣) مجلس الشيوخ تعقد جلساته ليلا في بيت من بيوت أئمة المذهب آنذاك ومن دلائل ذلك ما رواه أبو سفيان عن المليح : "بلغنا ذات ليلة أن في منزل حاجب مجلسا فقلت لرجل من أهل عمان : انطلق بنا إلى منزل حاجب فلعلهم يأذنون لنا ، فجئنا المنزل فأذن لنا فوجدنا المختار بن عوف ورجلين أو ثلاثة من المشايخ فقال لنا حاجب : أخيرا بلغ بن عقبة بمكاننا فأخبرناه فأتى فلما صلينا العتمة أخذوا في الكلام حتى أضاء لنا الصبح . وهذا يعطي دلالة أن المجلس لا يمكن حضوره حتى من أجل الاستماع ، فلذا يقول أبو سفيان : وكان للمشايخ لا يدعوننا نحضر معهم المجالس بالليل . انظر :

الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٤٨، ٢٤٩ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٨٤ .

(٤) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٥٩ .

وباع دنياه بما هو خير وأبقى ، وتمسك بمبدأ الشراء حتى عرف به^(١).

و الشراة كما عرفوا يربون أنفسهم على قساوة العيش ليتمكنوا من أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أعلى مراتبه حتى ترتفع راية الحق ويكون الإسلام هو الحاكم الفعلي في حياة المسلمين . وليس هناك وصف لحياة الشاري أدق و أروع من وصف أبي حمزة نفسه لها حين وصف أصحابه في إحدى خطبه بقوله : " إن أصحابي لشباب مكتهلون في شباهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، قد باعوا أنفسا تموت غدا بأنفس لا تموت أبدا ، قد نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلاهم على أجزاء القرآن ، إذا مر أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقا إليها وإذا مر بآية فيها ذكر النار شقق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم ، كلال الليل بكلال النهار وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، أنضاء عبادة و أطلاح سهر قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، مصفرة ألوانهم ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام مستقلين ذلك في جنب الله موفون بعهد الله ، متنجزون لوعد الله إذا رأوا سهام العدو قد فوقت ورماحه قد أشرعت وسيوفه قد انتضيت ، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت وأبرقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعد الله ، ولقوا شبا الأسنة وشائك السهام وظبابة السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه وتخضبت محاسن وجهه بالدماء وعفر وجهه بالثرى فأسرعت إليه سباع الأرض وانحطت عليه طير السماء . فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خشية الله ، وكم من كف بانة عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في سجوده لله وكم من خد رقيق وجبين قد فلق بعمد الحديد ، رحمة الله على تلك الأبدان وأدخل أرواحها الجنان." ^(٢)

(١) الجهضمي : حياة عمان الفكرية ص ١٣٠ .

(٢) ابن خياط : تاريخه ص ٣٨٥-٣٨٦ ؛ الطبري : تاريخه ج ٩ ص ٦٦-٦٧ ؛ الأزدي : تاريخ

الموصل : ص ١٠٥-١٠٦ ؛ الجهضمي : حياة عمان الفكرية ص ٢٦٢-٢٦٦ .

وهذا الوصف البليغ لحياة أصحابه هو في الحقيقة ترجمة لحياته هو قبل غيره ، ومن حرصه على نشر الدعوة التي يؤمن بها فإنه داوم على حضور الحج كل سنة^(١) مستغلا اجتماع المسلمين من أقطار مختلفة داعيا إياهم إلى نصرة الحق ومواجهة الباطل وليعود المسلمون إلى جادة الطريق التي رسمها لهم المصطفى ﷺ ، وكان يلهب صدور الناس ضد سياسة دولة بني أمية حيث يعتبرها ظالمة متسلطة على رقاب الناس بالقوة ، ومضى قدما في مسعاها حينما في البصرة وحينما في مكة والمدينة وحينما في عمان^(٢) ، وعندما رأى طالب الحق الفرصة سانحة لقيام الإمامة استشار شيوخه علماء الإباضية في البصرة وعلى رأسهم الإمام أبو عبيدة ، فباركوا هذه الخطوة ، وأمد أبو عبيدة طالب الحق بنفر يعدون من خيرة القوم علما وشجاعة وفصاحة من بينهم أبو حمزة الشاري .

وبعد أن تحول الفكر الإباضي الذي كان قادة الإباضية ينظرون له في البصرة ويهيئون له القيادات المناسبة كطالب الحق وأبي حمزة وغيرهما إلى تطبيق عملي بقيام الإمامة الإباضية الأولى في حضرموت باليمن سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م^(٣) ، وبعد أن حققت الإمامة سيطرتها الكاملة على اليمن انطلقت نحو الحجاز إلى مكة والمدينة^(٤) ، لتنتقل الإمامة من هناك إلى آفاق أرحب ، فهذه الفئة التي أعلنت الإمامة لم يكن لها هدف السيطرة وجني ثمارها العاجلة ، وإنما كان الهدف أسمى من ذلك حسب ما عبر عنه أبو حمزة في خطبته بعدما سيطروا على الأوضاع بالمدينة حيث قال : "اعلموا يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ، ولا لثأر قديم نيل منا ، ولكننا لما رأينا مصاييح الحق قد أطفئت ، ومعالم الجور قد ظهرت ، وكثر الادعاء في الدين وعمل بالهوى وعطلت الأحكام ، وعنّف القائل بالحق ، وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعيا يدعو

(١) الأزدي : تاريخ الموصل : ص ٧٧ .

(٢) الرقيشي : مصباح الظلام ص ١٢٩ ؛ الجهمي : حياة عمان الفكرية ص ١٣٣ .

(٣) ابن خياط : تاريخه ص ٣٨٤ ؛ الطبري ج ٩ ص ٣٩ ؛ الأزدي : تاريخ الوصل : ص ٧٧ .

(٤) ابن خياط : تاريخه ص ٣٨٥ ؛ الطبري ج ٩ ص ٥٣ ؛ الأزدي : تاريخ الوصل : ص ١٠١ .

إلى الحق وإلى طريق مستقيم فأجبنا داعي الله ، " ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض " (١) ، فأقبلنا من قبائل شتى ، نفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم يتعاورون لحافا واحدا ، قليلون مستضعفون في الأرض فأوانا الله وأيدنا بنصره فأصبحنا بنعمته إخوانا وعلى الدين أعوانا. " (٢)

فالهدف إذا واضح جلي من خروج أبي حمزة وصحبه وهو إقامة الحق وإخراج المسلمين من معالم الجور التي ظهرت وتطبيق أحكام الله التي عطلت . فلذا كانت المدة الوجيزة التي سيطروا فيها على اليمن والحجاز خير شاهد على ترجمة تلك الأقوال إلى واقع ملموس (٣) ، إلا أن إرادة الله شاءت أن تنتهي تلك المحاولة بعد أن صمد أبو حمزة وصحبه في الدفاع عنها رغم قلة عددهم وعتادهم فانتصروا في قديد (٤) ، وما كاد هذا النصر يحقق أهدافه حتى سارع خصمهم بإرسال قوة أخرى ، فكان يوم وادي القري الذي وضع نهاية المحاولة ولحق أبو حمزة ببارثه مقتولا في هذه المعركة سنة ١٣٠هـ — ٧٤٧م تاركا للأمة تلك الخطب (٥) التي يرددها سمع الزمان حاملة في ثناياها كرامة أمة الإسلام التي أرسى أسسها القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة .

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٢ .

(٢) الطبري : تاريخه ج ٩ ص ٦٦ ؛ ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ٤ ص ١٤٥-١٤٦ ؛ الأصفهاني : الأغاني : ج ٢٣ ص ٢٣٥ ؛ الدرجيني : الطبقات : ج ٢ ص ٢٦٧-٢٦٨ مع بعض الاختلاف في بعض الألفاظ ، والنص للأصفهاني . انظر : الجهمي : حياة عمان الفكرية ص ٢٦٨ .

(٣) الطبري : تاريخه ج ٩ ص ٦٧ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٣٠ ؛ الشماخي : السير ص ٩٢ ؛ د. محمد ناصر : منهج الدعوة عند الإباضية ص ١٣٠، ١٣٥ ؛ مهدي هاشم : الحركة الإباضية في المشرق العربي ص ١١٣-١١٤ .

(٤) ابن خياط : تاريخه ص ٣٩٢ ؛ الطبري : تاريخه ج ٩ ص ٩٤ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٠٨ .

(٥) وردت خطب أبي حمزة في كثير من مصادر التاريخ والأدب العربي منها : تاريخ خليفة بن خياط ٣٨٦، ٣٨٧ ؛ تاريخ الطبري : ج ٩ ص ٦٧، ٦٨ ؛ تاريخ الموصل للأزدي ص ١٠٤-١٠٦ ؛ العقد الفريد لابن عبد ربه ص ١٤٤-١٤٦ ؛ الأغاني للأصفهاني ج ٢٣ ص ٢٤٨-٢٥٧ ؛ البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ١٢٢-١٢٥ ؛ جمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٤٦٧-٤٨٨ . وهناك مصادر أخرى ، وقام الأستاذ الجهمي في كتابه : الحياة الفكرية في عمان بتوثيق هذه الخطب وبيان المختلف من الألفاظ فيما بين المصادر التي وثقها بها وذلك من ص ٢٥٥ وحتى ص ٢٦٦ .

ابن دريد :

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد^(١) الأزدي العماني ينتهي نسبه إلى مالك ابن فهم^(٢). اختلف في مكان ولادته^(٣)، ف قيل عمان ، إلا أن الراجح أنه ولد بالبصرة حيث يروي عنه قوله: "مولدي بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين"^(٤) وجده حمامي^(٥) هو أول من أسلم من آبائه ، وهو من السبعين رجلا الذين رافقوا عمرو بن العاص من عمان إلى المدينة لما بلغهم وفاة رسول الله ﷺ^(٦). وقد نشأ ابن دريد في بيت علم ورئاسة ويسار ، حيث ذكر هو نفسه أن والده من الرؤساء وذوي اليسار ، وأن عمه الحسين الذي تكفل بتربيته وجده دريد كانا من العلماء ، وعنهما روي الأنساب والأخبار ، وهذا ما أكدته البغدادي و الصفدي بأن أباه كان من الرؤساء وذوي اليسار^(٧) ، و يظهر أن أسرة ابن دريد كانت تنتقل بين البصرة وصحار لأن بعض المصادر تذكر أن نشأته الأولى في عمان^(٨)،

(١) ابن دريد : الاشتقاق ص ٢٩٢.

(٢) اختلف في نسبته ، فالمصادر العمانية تلحقه إلى بني حديد بن حشم بني ظالم من ولد فراهيد بن مالك بن فهم ، فهو عندهم حديدي فراهيدي ، أما أغلب المصادر غير العمانية فهي تلحقه ببني أسد بن عدي بن عمرو من مالك بن فهم ، ولكن ما يؤكد ما ذهبت إليه المصادر العمانية هو ما أشار إليه بنفسه في قوله :

وبنو العم من حديد ، خصوصا وعمادي في كل أمر نفيل
وبنو ظالم يدي ولساني وحسامي المهند المصقول

انظر: العوتبي الصحاري : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٧ ؛ تواريخ العلماء ص ١١ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٧٣ ؛ د. محمد ناصر : ابن دريد حياة من أجل العلم ص ٣٧ ؛ ابن دريد : ديوانه تحقيق عمر سالم ص ٩٤ ، تونس ١٩٧٣ ؛ ابن خلكان : ج ٤ ص ٣٢٣ ؛ البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ ؛ الحموي : معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٩٦ ؛ ابن النديم : الفهرست ج ٢ ص ٩١ .

(٣) الفروزي : البلغة ج ٢ ص ١٩٣ .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٢٥ .

(٥) سبقت ترجمته في مبحث التعليم في صحار من هذا الفصل .

(٦) ابن حجر : الإصابة : القسم الأول ج ٢ ص ١٧٩ ؛ البغدادي : نفس المصدر السابق والصفحة ؛ ابن دريد : الجمهرة ص ٤ .

(٧) الخطيب البغدادي : نفس المصدر السابق والصفحة ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٨) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ص ١٦٩ . ابن النديم : الفهرست ص ٩١ ؛ ابن الجوزي : المنتظم

ج ٦ ص ٢٦١ الحموي : معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٦٩ .

وبعضد هذه الرواية ما يذكره صاحب إتحاف الأعيان من أن جده دريدا كان يعيش في صحار وكان من الميسورين ، حيث أقرض رجلا فماتل الرجل في أداء هذا الدين فاشتكاها إلى الإمام عبد الملك بن حميد (٢٠٧ - ٢٢٦هـ) ، فأمر الإمام بسجن غريم دريد حتى يدفع دينه^(١). ومن هذا نستطيع أن نفهم سر تنقل ابن دريد بين عمان والبصرة وخاصة إذا علمنا أنه عاش في كنف عمه الحسين^(٢) الذي كان تاجرا وكانت التجارة بين عمان والبصرة مزدهرة حينئذ . ويبدو أن والده فارق الحياة وهو ما يزال في سن مبكرة حيث يروي عنه قوله: " كان أبو عثمان الأشنانداني^(٣) معلمي ، وكان عمي الحسين بن دريد يتولى تربيته "^(٤). ومما سبق نستنتج أن حياة ابن دريد كانت حياة تنقل بين صحار والبصرة في الفترة الأولى ، وبما أن البصرة كانت هي حاضرة العلم والعلماء وكان الوجود العماني بها كبيرا فلا غرو أن يكون ابن دريد قد نبغ على يد معلميه^(٥) وأصبح هو نفسه علما من الأعلام البارزين في عصره . ومن أهم شيوخ ابن دريد بالإضافة إلى عمه الحسين بن دريد

(١) البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٧٤ .

(٢) الحسين بن دريد كان أدبيا معروفا في عصره وخاصة فيما يتصل بأنساب العرب وأيامهم وتقاليدهم ولغاتهم كما روي ابن دريد نفسه عن عمه كتاب " مسلمات الأشراف " . ذكر ابن دريد أن عمه أجازته سنة ٢٦٠هـ وكان في هذه الفترة في عمان . ولا يوجد ذكر لسنة وفاة الحسين بن دريد ، ويرى د. ناصر أنه ربما يكون قد توفي بين سنتي ٢٦٠، ٢٧٠هـ ١ . أنظر ابن النديم : الفهرست ص ٩١ ؛ د. محمد ناصر ابن دريد حياة من أجل الأدب ص ٨٩ .

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن هارون الأشنانداني . نسبة إلى أشنان ويقول ياقوت الحموي : هو من أئمة اللغة أخذ عن أبي محمد الثوري وأخذ عنه ابن دريد وله كتاب معاني الشعر يرويه عنه ابن دريد وكتاب الأبيات مات سنة ٢٨٨هـ / ٩٠١م أنظر ابن النديم : الفهرست ص ٨٩ ؛ الحموي : معجم الأدباء ج ٣ ص ٣٨٥ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ج ١ ص ٧٧٠ .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ .

(٥) د. محمد ناصر : ابن دريد حياة من أجل الأدب ص ٤٢

و الأشناندي ؛ أبو حاتم السجستاني^(١) وكان عالماً ثقة في علوم العربية والشعر حتى أن ابن دريد تأثر به في تخصصه اللغوي ولم يقتصر هذا التأثير كما يقول د. محمد ناصر على الجوانب العلمية وحدها بل تعداها إلى الجوانب السلوكية والأخلاقية مثل دقة التحري في نقل لأخبار وروح الدعابة والجدية في طلب العلم وإدراكه في مظانه^(٢). ومن شيوخ ابن دريد أيضاً أبو الفضل الرياشي^(٣)، وكان ضليعا في النحو واللغة وقد برع ابن دريد فيهما وهما السمتان الغالبتان على أكثر مؤلفاته^(٤)، وهؤلاء هم أهم من تتلمذ عليهم ابن دريد .

تميز ابن دريد بقوة الحافظة التي وهبها الله إياها ، ومن دلائل ذلك ما يرويه عن نفسه من أن عمه الحسين بن دريد ومعلمه الأشناندي طلبا منه حفظ قصيدة الحارث بن حلزة^(٥) والتي مطلعها : " آذنتنا بينها أسماء " خلال تناولهما الأكل معا ، ثم تحدثا ساعة ثم خرج إليه معلمه فوجده قد حفظ ديوان الحارث بن حلزة بأسره . ويروي البغدادي عن رأي ابن دريد قال : " كان أبو بكر واسع الحفظ جدا ما رأيت أحفظ

(١) هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني نسبة إلى سجستان قرب كابول . سكن البصرة وكان عالماً في علوم العربية والشعر والقراءات واشتغل بالحديث ، وله من الكتب : أدب الكاتب وكتاب العلني الكبير وإعراب القرآن والقراءات . وتاريخ وفاته غير مقطوع به والراجح أنه يقع ما بين سنة ٢٤٨م/٢٥٥هـ . انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٣٠-٤٣٢ ؛ د. محمد ناصر : ابن دريد حياة من أجل الأدب ص ٩٢، ٩١ ؛ د. أحمد درويش : ابن دريد وتأثيره في الدرس والنص الأدبي ص ٣٨ .

(٢) د. محمد ناصر : ابن دريد حياة من أجل الأدب ص ٩٠ .

(٣) أبو الفضل العباسي بن الفرغ النحوي البصري كان عالماً راوية عارفا بأيام العرب له كتاب الخيل وكتاب الإبل وكتاب ما اختلف أسماؤه من كلام العرب ، قتل أثر اجتياح الزنج للبصرة سنة ٢٥٧هـ . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨، ٢٧ ؛ الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٢٦٤ .

(٤) البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ ؛ مصطفى السنوسي : ابن دريد حياته وتراثه اللغوي والأدبي ص ٦٠ ؛ سلسلة دراسات في التراث العربي تصدرها وزارة الإعلام ، الكويت طبعة أولى ١٩٨٤ م .

(٥) الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الرائي من شعراء الجاهلية ، من بادية العراق وصاحب إحدى المعلقات السبع التي مطلعها نفس الشطر المقيّد ذكره أعلاه . انظر الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ١٥٤ .

منه ، كان يقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسبق إلى تمامها ويحفظها وما رأيت قرئ عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه ^(١).

ولكن قوة الحافظة قد لا تجعل من الإنسان عالماً إذا لم تتوافر لديه عوامل أخرى فهي له الاستغلال الأمثل لتلك الموهبة الربانية . والدارس لحياة ابن دريد يجده أيضاً محبا للعلم شغوفا بالكتب ساعيا للمعرفة ^(٢)، حيث تنقل بين بلاد مختلفة كالبصرة وعمان وفارس وبغداد ^(٣) وغيرها بالإضافة إلى ما ذكرنا من بيئة علمية في محيطه الأسري وبيئة عربية صافية سواء كان في صحار أو البصرة فكلتا المدينتين كانتا ملتقى العرب الفصحاء . هذا من جانب ، ومن جانب آخر كانت هاتان المدينتان بما تتمتعان به من رقي اقتصادي محل جذب لثقافات أجنبية وسعت مداركه وأثرت تجربته في الحياة ، فكل هذه العوامل هي التي صاغت شخصية ابن دريد الفذة فأبدعت حتى وصف بأنه "أشعر العلماء وأعلم الشعراء" ^(٤) لقد عرف ابن دريد نعمة العقل وقد عبر عن ذلك في قوله :

وأفضل قسم الله للمرء عقله	فليس من الخيرات شيء يقاربه
فزين الفتى في الناس صحة عقله	وإن كان مخذورا عليه مكاسبه
إلى أن يقول :	
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله	فقد كملت أخلاقه ومآربه ^(٥)

(١) البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ . الحموي : معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٩٧ ؛ د. أحمد درويش :

مدخل إلى دراسة الأدب في عمان ص ١١٥ .

(٢) د. أحمد درويش : ابن دريد وتأثيره في الدرس والنص الأدبي ص ٣٦-٣٧ ؛ د. محمد ناصر : ابن

دريد حياة من أجل الأدب ص ٧٨ .

(٣) البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ . ابن النديم : الفهرست ج ٢ ص ٩١ ؛ ابن خلكان : وفيات

الأعيان ج ٤ ص ٣٢٥ ؛ الحموي : معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٩٦ .

(٤) البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ ؛ الحموي : معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٩٦ .

(٥) ابن دريد : ديوانه ص ٤١ .

كما نجده يعبر عن نظريته إلى العلم وفلسفته تجاهه حيث يقول :

العالم العاقل ابن نفسه	أغناه جنس علمه عن جنسه
كن ابن من شئت وكن مؤدبا	فإنما المرء بفضل كيسه
وليس من تكرمه لغيره	مثل الذي تكرمه لنفسه ^(١)

ورغم سعة علم ابن دريد إلا أنه كان لا يأنف أبدا من قول "لا أدري" عندما يسأل عن شيء لا يعلمه . وهو يقول في ذلك :

جهلت فعاديت العلوم وأهلها	كذاك يعادي العلم من هو جاهله
ومن كان يهوي أن يكون مصدرا	ويكره (لا أدري) أصيبت مقاتله ^(٢)

النتاج العلمي والأدبي لابن دريد

نذر ابن دريد نفسه للعلم ، متعلما في بداية حياته ثم معلما ، فعمرت حلقات علمه بطلبة العلم واشتهر منهم الكثير وأصبحوا من الأعلام البارزين في ميادين علوم شتى ، وإذا كان هناك عالم يصلح أن يطلق عليه لقب أستاذ الجيل في هذه الفترة فهو ابن دريد^(٣) ، وكان لعلوم اللغة العربية وآدابها النصيب الأوفر لاختصاص ابن دريد نفسه في هذا المضمار ، ومن أشهر تلامذة ابن دريد على سبيل المثال لا الحصر:

أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم القرشي الأموي المعروف بالأصفهاني أو الأصبهاني^(٤) عاش في الفترة ما بين عامي ٢٨٤-٣٥٦هـ ونشأ في بغداد وتضلّع في علوم عدة منها اللغة والنحو والسير والمغازي وله معرفة بالطب والنجوم وغير ذلك . من أشهر مؤلفاته وأجلها كتاب الأغاني الذي اشتهر به . يقول ابن خلكان: "بأنه وقع الاتفاق أنه لم يعمل في بابيه مثله" ، له فيه مرويات كثيرة

(١) ابن دريد : ديوانه ص ٣٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٤ .

(٣) د. أحمد درويش : ابن دريد الأزدي وتأثيره في الدرس ص ٤٨ .

(٤) أصبهان مدينة كبيرة واليها ينسب أبو الفرج بفتح الهمزة وقيل بكسرهما وهي من بلاد فارس وأصبهان

اسم مركب : الأصب يعني البلد بلسان الفرس ، وهان اسم الفارس فهي بلاد الفرسان . انظر الحموي:

معجم البلدان ج ١ ص ٢٠٢ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٤٣ .

تعد بالمئات عن أستاذه ابن دريد ويبدو أنه تتلمذ على يده في بغداد^(١).

الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي : نسبة إلى آمد^(٢)، ويكنى بأبي القاسم . ولد ونشأ في البصرة . عالم بالأدب وراوية وكاتب وشاعر من كتبه المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكتاب الموازنة بين أبي تمام والبحري . وإليه انتهت رواية الشعر القديم والأخبار في آخر عمره بالبصرة . توفي سنة ٣٧٠هـ^(٣)

المسعودي على بن الحسين بن علي يكنى بأبي الحسن : من ذرية عبد الله بن مسعود ، من أهل بغداد ، وهو مؤرخ رحالة أقام بمصر وتوفي بها وله عدد من الكتب أشهرها مروج الذهب ذكر فيه أستاذه ابن دريد بقوله: " كان ممن قد برع في زمننا في الشعر وانتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين "^(٤). ومن كتب المسعودي: " أخبار الزمان ومن أباده الحدثان " في التاريخ قيل يقع في ثلاثين مجلداً بقي منه الجزء الأول ، وكتاب التنبيه والإشراف وغيرها كثير . توفي سنة ٣٤٦هـ^(٥).

أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عبيد بن هارون المعروف بالقاللي^(٦) : كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين . أخذ الأدب عن ابن دريد ، ومن أشهر كتبه الأمالي وكتاب البارع في اللغة وغيرها كثير . توفي في قرطبة ٣٥٦هـ .

(١) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج٣ ص ٣٠٧ ؛ الحموي : معجم الأدباء ج ٤ ص ٥١٠٥٠ .
(٢) آمد : بكسر الميم وهى بل قديم من مدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها تطل على نهر دجلة في العراق و إليها ينسب عدد كبير من العلماء . انظر : الحموي : معجم البلدان : ج ١ ص ٥٦ .
(٣) الحموي : معجم الأدباء : ج ٢ ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ج ١ ص ٨٩ ؛ السيوطي : بغية الرعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص ٢١٨ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع في مصر ١٩٦٤ م .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٣٦٠ .
(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٥٦٩ ؛ ابن النديم : الفهرست ج ٢ ص ٢١٩ ، .
(٦) نسبة إلى قالقلا ، ويقال إنه ليس منها ولكن صاحب بعض أهلها إلى بغداد فنسب إليها وهى بأرمينية وكانت في أيدي الفرس حتى جاء الإسلام وقيل إن قاللي اسم امرأة حكمت أرمينية فبنت مدينة وسمتها قاللي قاله فعرها العرب فقالوا : قالقلا . انظر الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٩٩ .

إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن ميكال : ويكنى بأبي العباس . عاش في الفترة ما بين سنتي ٢٧٠-٣٦٢هـ . من وجهاء خراسان . ولد بنيسابور وتقلد والده الأهواز فنشأ بها . وقد خلد ابن دريد ذكر هذه العائلة بقصيدته المشهورة المقصورة وكان كاتباً مترسلاً تقلد ديوان الرسائل^(١) .

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي المعروف بالقاضي : أصله من فارس . ولد بسيراف سنة ٢٨٤هـ . ابتدأ بطلب العلم في مسقط رأسه ثم توجه إلى عمان قبل العشرين وتفقه بها ، ثم عاد إلى سيراف وآخر مطافه كان في بغداد وهناك ذاع صيته فتولى القضاء فيها على الجانب الشرقي ثم الجانبين . أخذ عن ابن دريد اللغة وحسن الأخلاق . ومن مصنفاته شرح كتاب سيبويه وكتاب أخبار النحويين وكتاب الوقف و الابتداء وكتاب صنعة الشعر والبلاغة وكتاب شرح مقصورة ابن دريد^(٢) .

هؤلاء بعض تلامذة ابن دريد ، والذين اشتهروا منهم كثر لا يتسع المقام لذكرهم . ومن خلال ذلك الاستعراض الوجيز عن بعض تلامذته نستطيع القول بأنه ساهم مساهمة فاعلة في تنشئة جيل قدم للحضارة الإسلامية كنوزاً معرفية لا ينضب معينها تفيد كل الأجيال المتلاحقة حتى أصبحت مرتكزات تدعم البناء المعرفي في المجال اللغوي للغة القرآن الكريم . وهذا الإسهام لابن دريد في حد ذاته هو أحد جوانب عطائه العلمي . أما الجانب الآخر فهو ما تركه من مؤلفات قيمة أثري بها المكتبة الإسلامية حيث ذكر له الدارسون ما يربو على خمسة وعشرين مؤلفاً ما بين كبير الحجم وصغيره بعضها رأى النور فطبع وبعضها ما زال مخطوطاً وبعضها الآخر ضاع مع ما ضاع من نفائس الفكر الإسلامي ولم يعرف شيء

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص٢٢٦-٢٢٧ . الزركلي : الأعلام ج١ ص٣٢١ ؛ الثعالبي : يتيمة الدهر ج٤ ص٤٠٧ ؛ الحموي : معجم الأدباء ج٢ ص٢٩١، ٢٩٢ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ج٢ ص٩٣ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص٧٨-٧٩ .

عن هذه المؤلفات الضائعة سوى عناوينها فقط أو ذكر نتف منها من خلال المصادر مثل الفهرست وغيره^(١). ومن أهم مؤلفات ابن دريد :

الجمهرة في علم اللغة :وقد ألفه وهو بفارس لبني ميكال ويعتبر خير شاهد على قدرة ابن دريد اللغوية مع الدقة في الضبط والأمانة في الرواية عن العلماء .
وبجانب كون كتاب الجمهرة معجما لغويا فهو موسوعة أدبية لما يحويه من الكم الغزير من الأشعار^(٢) .

الاشتقاق : هذا الكتاب من أهم كتب ابن دريد وهو جامع بين علمي اللغة والأنساب ، فهو يتناول الاشتقاق اللغوي لأسماء القبائل والرجال مع بيان أنساب القبائل العربية وبطونها وأفخاذها ويربطها بالمواقف التاريخية التي تتعلق بتلك القبائل التي يتناولها^(٣). ولأهمية هذا الكتاب يصفه محققه الأستاذ عبد السلام هارون بقوله :
"لا إخال مشتغلا بالثقافة يجد نفسه في غنى عن الرجوع إلى هذا الكتاب لاستشارته في ضبط الأعلام العربية ضبطا يقارب اليقين لأنه مشفوع ببيان الصيغة التصريفية والمدلول اللغوي"^(٤).

ومن كتب ابن دريد الأخرى كتاب الملاحن وكتاب المجتنى وكتاب وصف المطر والسحاب وكتاب صفة السرج واللحام وكتاب الفوائد والأخبار وكتاب الأمالي وكتاب ذخائر الحكمة وكتاب الأخبار المنثورة ، وبعض كتبه لم يبق منها إلا اسمها في المصادر مثل كتاب الوشاح وكتاب الأنوار وكتاب البنون والبنات وكتاب تقويم اللسان وكتاب المتناهي في اللغة وكتاب المقتنى

(١) د. محمد ناصر : ابن دريد حياة من أجل الأدب ص ٩٧ ؛ عبد السلام هارون : مقدمة كتاب الاشتقاق ص ١٥ . د. أحمد درويش : ابن دريد وتأثيره في الدرس ص ٥٦ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٩١ ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٦٠٥ ؛ الحموي : معجم الأدباء ج ٥ ص ٣٠١ ؛ د. محمد ناصر : ابن دريد حياة من أجل الأدب ص ٩٨ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٩١ ؛ الحموي : معجم الأدباء ج ٥ ص ٣٠١ ؛ د. أحمد درويش : ابن دريد وتأثيره في الدرس ص ٦٦ .

(٤) عبد السلام هارون : مقدمة كتاب الاشتقاق ص ٣٣ .

وكتاب الخيل الصغير وكتاب الخيل الكبير وكتاب السلاح وكتاب اللغات في القرآن
وكتاب غريب القرآن وكتاب غريب الحديث^(١).

ابن دريد الشاعر

قال أبو الطيب اللغوي: "ما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما
في صدر خلف الأحمر وابن دريد حيث تصدر للعلم ستين سنة". أما شعره فقد
بدأت شاعريته تعطي نتائجها وهو في سن العشرين من عمره حيث يروى أن أول
شعره هو:

ثوب الشباب على اليوم بمجته فسوف تترعه عن يد الكبير
أنا ابن عشرين ما زادت ولا نقصت إن ابن عشرين من شيب على خطر^(٢)
هذا وقد تعددت أغراض شعره وهي شعر الحكمة والتدبر وفي العلم والعلماء وفي
الغزل والصبابة والحنين والوصف والفخر والمديح والرثاء والتأبين والهجاء والتعريض
 والمراسلات والإخوانيات والعصبية والتحمس والشعر التعليمي^(٣)، وهذه الأغراض
يكثُر في بعضها مثل الحكمة والاعتبار والتأمل والفخر والاعتزاز، وأقلها تناولا شعر
المدح والهجاء. ومن شعره في الاعتزاز بنفسه:

ولم تر مثلي مغضبا وهو ناظر ولم تر مثلي صامتا يتكلم
وبالشعر يدي المرء صفحة عقله فيعلن منه كل ما كان يكتم^(٤)
ويقول في انسياب شاعريته وسهولة الشعر لديه:
حبا الشعر تعظيما أناس وإنه لأحقر عندي من نفائة نافث

(١) ذكر هذه الكتب: ابن النلم: الفهرست ج ٢ ص ٩١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٢٤،
وحاجي خليفة في كشف الظنون في أكثر من خمسة عشر موضعا حسب ترتيب أسمائها الهجائي.
والأستاذ محمد عبد السلام هارون في مقدمة التحقيق لكتاب الاشتقاق لابن دريد من ص ١٥ إلى ص ٢١
و د. محمد ناصر في كتابه: ابن دريد حياة من أجل الأدب ص ٩٧-١١٢.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦.

(٣) د. محمد ناصر: ابن دريد حياة من أجل الأدب ص ١١٨.

(٤) ديوان ابن دريد: ص ٤٨.

وهل يحفل البحر اللغام إذا غمى^(١) فطاح على تياره المتلاطث
فلو أنني أجشمت نفسي انبعائه لأخرجت منه غامضات المباحث
وأبديت من مكنون غامض سره مدافن لم يظفر بها أبث أبث^(٢)
ويتسم شعر ابن دريد بالصدق ينبثق من نفس إيمانية ، وهذا راجع إلى أنه لم يتخذ من
شعره أداة يتكسب بها أبدا^(٣) ؛ ودليل ذلك قوله :

فلا تحتفل في الناس بالذم و الثنا و لا تخش غير الله فالله أكبر^(٤)
وفي شعر المديح الذي هو مقل فيه فإن " في مديحه سموا نفسيا عاليا ينبئك عن أصالة
المادح دون نفاق أو موارد و إشادة بالأخلاق الفاضلة للممدوح"^(٥). وفي قصيدته
المقصورة- رغم طولها ومناسبة قولها في مدح بني ميكال^(٦) - نجد أن أبيات المديح
قليلة جدا ، وهو يعبر من خلال تلك الأبيات عن امتنانه للأميرين ولم يدحهم إلا بما
هو فيهم من صفة الكرم الذي أسبغاه عليه رغم أنه لم يذهب إليهم مستجديا وإنما
ذهب بطلب من الأمير عبد الله بن ميكال ليعلم ابنه إسماعيل^(٧) ؛ حيث يقول في ذلك:

إن ابن ميكال الأمير انتاشني من بعد أن قد كنت كالشيء اللقي
ومد ضبعي أبو العباس من بعد انقباض الذرع و الباع الوزى
ذاك الذي ما زال يسمو للعلا بفعله حتى علا فوق العلا
لو كان يرقى أحد بجوده وبجده إلى السماء لارتقى

(١) اللغام : البحر الهائج ؛ و غمى : أي غطاه بالطين والخشب . لسان العرب ٦٤/٥ .

(٢) أبث : الحفر . ديوان ابن دريد ص ٤٨ .

(٣) مصطفى السنوسي : ابن دريد حياته وتراثه ص ٢١٠ .

(٤) ديوان ابن دريد : ص ٢٨ .

(٥) د. محمد ناصر : ابن دريد حياة من أجل الأدب ص ١٣١ .

(٦) بنو ميكال : سبق الحديث عن تلميذ ابن دريد إسماعيل ، أما والد إسماعيل فهو الأمير عبد الله بن محمد بن
ميكال . تولى إمارة الأهواز للمقتدر من سنة ٢٩٥هـ إلى سنة ٣٠٠هـ . ومن الذين اشتهروا من
أحفاد ابن ميكال أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي وكان شاعرا ومؤلفا . انظر : الثعالبي : ثمار
القلوب ج ١ ص ٢٧ ، و يتيمة الدهر ج ٤ ص ٤٠٧ .

(٧) البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٩٤ .

وتعد قصيدته المقصورة من روائع الشعر العربي ؛ فقد أثارت حول اسم ابن دريد "ضجة صاخبة لما فيها من فن واقتدار وحكمة ومثل وتسجيل لحوادث التاريخ"^(١). وقد حفلت المقصورة بالمادة اللغوية والثروة اللفظية الكثيرة بما اشتملت عليه من وصف البيئة العربية فهي خلاصة تجارب ابن دريد مع الدهر والمجتمع في صدق وأناة^(٢). وهذه القصيدة تتكون مما يزيد على مائتي بيت وخمسين وأولها :

يا ظبية أشبه شئ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

أما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح بين أذيال الدجى

وبعض المصادر العمانية تورد قصة لهذه القصيدة الرائعة مفادها أن الأميرين الميكاليين^(٣) قد عزما على زيارة عمان لما سمعا عن أمرائها من حسن السيرة والعدل فساقتهما الظروف الجوية القاسية إلى صحار دون أن يعرفا ، وكان من الصدف أن يكون أول من يلقاهما ابن دريد في تلك الظروف فأواهما وأكرمهما غاية الإكرام دون أن تكون بينهم معرفة سابقة . وتفيد القصة بأن التقلبات الجوية وكثرة الأمطار اضطرهم لأن يكثرثوا معه عدة أشهر^(٤). ومن أجل ربط الأحداث بعضها ببعض يذكر الإمام السالمي أنه في سنة ٢٥١هـ كان بصحار وبعمان السيل الكثير فانهدم إثر ذلك

(١) عبد السلام هارون : مقدمة كتاب الاشتقاق ص ٢٥ .

(٢) د. علي عبد الخالق : الشعر العماني ص ٨٥ .

(٣) يبدو أن الأمير عبد الله بن محمد للميكالي هو صاحب القصة وكان يرفقته أحد أفراد أسرته لأن ابنه إسماعيل ولد في سنة ٢٧٠هـ ، وحسب ما تفيد المصادر فإن هذه الزيارة تمت قبل ذلك . ويؤكد الدكتور أحمد درويش على صحة القصة إلا أنه يرى أن أحداثها وقعت في سنة ٢٨٥هـ ، وأن أحد الأميرين هو الابن كما تفيد القصة نفسها إلا أن الفترة التي أشار إليها الدكتور هي فترة اضطرابات سياسية في عمان كلها حسب ما أوضحناه في الباب الأول ، فزيارة عمان في تلك الفترة قد تكون غير موثوقة ومع ذلك فكل الاحتمالات قائمة . انظر : د . أحمد درويش : ابن دريد وأثره في الدرس ص ٢٩ .

(٤) الخصبي : شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ج ١ ص ٢٢-٢٣ ؛ البطاشي : إتخاف الأعيان ج ١ ص ١٠٦ .

منازل ومات فيه ناس كثيرون^(١) كما يشير ابن دريد نفسه إلى أنه كان مع الإمام الصلت بن مالك (٢٣٧-٢٧٢هـ) وكانت السنة كثيرة الأمطار^(٢).

فإذا كانت هذه الأمطار الغزيرة المشار إليها نفسها التي أشار إليها الإمام السالمي ونفسها التي قصدها ابن دريد فمعنى ذلك أن زيارة بني ميكال لصحار تمت في حدود سنة ٢٥١هـ ، وينبغي على ذلك أن العلاقة بين ابن دريد وبني ميكال قامت منذ ذلك الحين وربطتهم صداقة حميمة وعرف ابن ميكال قدر ابن دريد فلذا استدعاه لينهل ابنه من معين علمه وليرد إليه ذلك الجميل الذي أسداه إليهم في صحار .

كما أن من دلالات تلك الحادثة ما يؤكد سمو أخلاق ابن دريد وعظيم جوده وكرمه ، فكما أكرم ابني ميكال وهو في بلاده فإنه أعظم إكرامهم وهو يرتع في نعيم ملكهم وذلك بتخليد ثناء ذكرهم في هذه المقصورة التي لا يلبثها الجديدان كما يقول الثعالبي^(٣).

لقد ترك هذا العمل الأدبي دويًا فاشتغل به الأدباء والمعنون على مر العصور حيث تم شرحها من قبل ما يزيد على خمسين شارحا وترجمت إلى ثلاث ترجمات أوروبية وترجمة شرقية^(٤)، كما عارضها العديد من الشعراء في عمان وخارجها ، ومنهم على سبيل المثال شاعر عمان الكبير في العصر الحديث أبو مسلم ناصر بن سالم الرواحي (ت: ١٣٣٩هـ) وتتكون مقصورته من (٣٩٥) بيتا مطلعها :

تلك ربوع الحي في سفح النقا تلوح كالأخلال من جد البلى^(٥)

(١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٦١-١٦٢ .

(٢) الحموي : معجم الأدباء ج ٥ ص ٣٠٤ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٩٧ ؛ مصطفى السنوسي : ابن دريد حياته وتراثه ص ٤٧ ؛ د . أحمد درويش : مدخل إلى دراسة الأدب في عمان ص ١١٤ .

(٣) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٤ ص ٤٠٧ .

(٤) عبد السلام هارون : مقدمة كتاب الاشتقاق ص ٢٥ .

(٥) ديوان أبي مسلم المخطوط ص ٢٦٠ .

ومن شعر الحكمة في مقصورة ابن دريد قوله :

والناس كالنبت فمنهم رائق	غض نضير عوده مر الجنى
ومنه ما تقتحم العين فإن	ذقت جناه انساع عذبا في اللهى
يقوم الشارخ من زيغانه	فيستوي ما انعاج منه وانحنى
والشيخ إن قومته من زيغه	لم يقف التشقيف منه ما التوى

وقوله :

وآفة العقل الهوى فمن علا
على هواه عقله فقد نبأ^(١)

وهناك الكثير من تلك الحكم البليغة لكن المقام لا يتسع لذكرها . وقد كان ابن دريد رغم ترحاله الدائم ممن تكمن هموم بلاده بين جوانحهم ، ففي الأحداث التي حدثت في عمان عقب عزل الإمام الصلت بن مالك كان له دور في استنهاض قومه وإثارتهم ضد خصومهم ، ورثاء من فقد منهم^(٢) .

وإذا كان ابن دريد قد أبدع في الشعر واستطاع أن يطويعه كيف شاء فإن نثره أيضا له مكانته في الأدب العربي حيث يقول الدكتور زكي مبارك : "وقد وصلت إلى أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات وإنما ابتكره ابن دريد"^(٣)، وذلك من خلال ما يعرف بأحاديث ابن دريد ، وأغلب تلك الأحاديث ما يرويه تلميذه القالي في كتابه "الأمالي"، وهي أكبر مجموعة بقيت من أحاديثه بعد أن فقد كتابه الضخم "الأمالي" والمكون من سبعة مجلدات^(٤) ومن أحاديثه تلك ما يرويه القالي حيث يقول : "وحدثنا أبو بكر قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قيل لبعض الحكماء ما الداء العياء ؟

(١) مقصورة ابن دريد ض ٩٧، ١٠٠، ١١٦ والشارخ الشاب للمستقبل للشباب .

(٢) تمت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الرسالة

(٣) النشر-الفني في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ١٩٨ . الناشر المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣٤ .

(٤) د . أحمد درويش : ابن دريد وأثره في الدرس ص ١٢٥-١٢٦ .

فقال : حسد من لا تناله بقول ولا تدركه بفعل . قال أعرابي : من لم يضمن بالحق عن أهله فهو الجواد . وقال آخر : الصبر عند الجود أخو الصبر عند اليأس . وقال آخر : سخاء النفس عما في أيدي الناس أكثر من سخاء البذل^(١)

هذا هو ابن دريد العماني الصحاري الأزدي ، عالم لغوي مفوه . وشاعر مبدع ونائر مجيد خلد الزمان ذكره بآثره القيمة التي تغذي العقل والوجدان .

أبو علي محمد بن زوزان الصحاري

يعود الفضل في التعريف بهذا الشاعر الصحاري إلى صاحب معجم البلدان^(٢) الذي ألمح إلى وجوده ، وأورد مقطوعة شعرية جميلة توحى بعمق شاعرية الرجل وحنينه إلى بلده صحار بعدما اضطرت ظروف الدهر إلى ترك بلاده العزيزة عليه . ومن المرجح أن تكون تلك الظروف هي الأحداث والصراعات السياسية التي شهدتها صحار منذ النصف الأخير من القرن الرابع الهجري . وهذه الهجرة التي كان الشاعر يعاني من قساوتها هي التي أتاحت للأجيال معرفة اسمه على الأقل ، ولولاها لضاع اسمه كما ضاع الكثير من إرث هذه البلاد العلمي عامة والأدبي خاصة ، ويستشف من عبارة ياقوت أن القصيدة التي تشتمل على الأبيات المذكورة طويلة وأن صاحبها كان معروفا بشاعريته وانتمائه العماني حيث يقول : " وإليها ينسب أبو علي محمد بن زوزان الصحاري العماني الشاعر ، وكان قد نكب فخرج إلى بغداد فقال يتشوق إلى بلده من قصيدة : " ثم ذكر الأبيات الآتية :

لحى الله دهرًا شردتني صروفه عن الأهل حتى صرت مغتربا فردا

(١) القالي : الأمازي ج ٢ ص ٨٠ ، د . أحمد درويش : ابن دريد وأثره في الدرس ص ٢٥٠ ، وأورد د. أحمد درويش في كتابه هذا (١١٩) حديثا من كتاب القالي وأعاد ترتيبها ترتيبا موضوعيا مع عنونتها وتوضيح المبهم من ألفاظها وذلك في الصفحات من ١٣٦ إلى ٢٥٦ .

(٢) ياقوت الحموي ج ٣ ص ٣٩٤ وقد حاول الباحث أن يجد في كتب الأدب والتاريخ المتاحة أي ذكر لهذه الشخصية دون جدوى والافت للنظر أن ياقوت الحموي الذي ذكره في "معجم البلدان" لم يشر إليه في "معجم الأدباء" .

ألا أيها الركب اليمانون بلغوا
إذا ما حللتكم في صحار فألموا
إلى سوق أصحاب الطعام فإنه
ولم يرددا من دون صاحب حاجة
فعوجوا إلى داري هناك فسلموا
وقولوا له أن الليالي أوهنت
وغيب عني كل ما قد عهدته
وليس يضر السيف إخلاق غمده

تحية نائي الدار لقيتم رشدًا
بمسجد بشار وجوزوابه قصدا
يقابلكم بابان لم يوثقا شدا
ولا مرتج فضلا ولا أمل رفدا
على والدي زوزان وقيتم جهدا
تصاريفها رفدي وقد كان مشتدا
سوى الخلق المرضي والمذهب الأهدى
إذا لم يفل الدهر من نصله حدا

ونلمح من خلال هذه الأبيات ما يلي :

أولا : طول غيبة الشاعر عن بلاده وعمق انتمائه إلى وطنه وشدة المعاناة التي كان يجدها وهو مغترب لا يجد من يؤنس وحدته .

ثانيا : عمق التصوير الحسي حيث رسم صحار بكلماته حتى يخيل للقارئ أنه أمام منظر لصحار في ذلك العهد بسككها ومساجدها وأسواقها المتنوعة والمفتوحة الأبواب دائما الحافلة بالنشاط .

ثالثا : كما تعطي هذه الأبيات صورة معنوية عن حسن التعامل في صحار وأن الغريب وصاحب الحاجة يحظى بكل تقدير ولا يعاني مجهودا في قضاء مصالحه وهذا يدل على أن الحياة المادية المزدهرة لم تغير من أخلاق الناس في طيب لقياهم وجزيل كرمهم .

رابعا : تمسك الشاعر بدينه ومن ذلك بره بوالده الذي يحن إلى لقائه و يحاول أن يشرح صدره بأنه ما زال متمسكا بأصالته ومذهبه الإباضي حتى ولو كان يعيش في بلد مختلط الأعراق والأجناس تتجاذبه ثقافات عديدة .

١٠ (١) الحمري : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٩٤ .

وقد شبه الشاعر نفسه بالسيف مما يوحى بشجاعته وقوة بأسه وشدة عزيمته وأن تغير المكان لا يغير من أصالة الإنسان إذا كان يتحلى بتلك الإرادة الصلبة .
هذا هو أحد شعراء صحار وعسى أن تجود الأيام بالمزيد من المعرفة عن حياته وتراثه الأدبي .

أبو علي أبزون بن مهبرد الكافي العماني^(١)

أحد الشعراء الذين عرفتهم صحار في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس . ومن خلال استقراء ما كتب عنه يتضح أنه كان يعيش في كنف بني مكرم الذين سيطروا على الحكم في صحار من قبل البويهيين من سنة ٣٩٠ هـ — ٩٩٩ م وحتى ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م . والمصادر المتاحة^(٢) لا تفيد شيئاً عن حياته الأولى سوى ما يذكره ياقوت الحموي من أنه من الشعراء الذين ذكروا في شعرهم جرجاريا حيث يقول :
وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكتاب ولها ذكر في الشعر كثير ، قال أبزون العماني :

ألا يا حبذا يوما جررنا ذبول اللهو فيه بجرجاريا^(٣)

(١) اختلفت المصادر في اسم أبيه ويبدو هذا من أعجمية الاسم وصعوبة نطقه وعدم معرفة النساخ به لقلة تداوله ؛ ففي أقدم المصادر وهو دمية القصر : مهبرد . ويقول محقق الكتاب بأنه في نسخة أخرى : مهفرد . والشاعر توفي سنة ٤٣٠ هـ . وفي معجم البلدان مهيزد . وفي كشف الظنون أبزمون مهمود ويتضح من هذا أن الشاعر اشتهر بكنته وألقابه : " أبو علي الكافي العماني الجوسي " . انظر الباخريزي : ج ١ ص ١٢٨ ؛ أبو طاهر السلفي ج ١ ص ١٠٢ ؛ الحموي ج ٤ ص ١٥١ ؛ حاجي خليفة ج ١ ص ٧٧٢ .

(٢) انظر الباخريزي : دمية القصر : ج ١ ص ١٢٨ ؛ أبو طاهر السلفي : ج ١ ص ١٠٢ ؛ الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ١٥١ ؛ الصفدي الوافي بالوفيات ج ٦ ص ١٨٤ ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٧٧٢ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٤١٨ .

(٣) الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ١٢٣ . و جرجاريا بفتح الجيم وسكون الراء الأولى بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي .

وقد يفهم من هذا الشعر أن النشأة الأولى لهذا الشاعر قد تكون في هذه المدينة، وأن اتفاق المصادر على تلقيه بالعماني ناجم عن قدومه إلى عمان وطول إقامته بها ، وقد كان من بين ألقاب الشاعر أبزون " المجوسي " ، فهل كانت ديانته الجوسية ولم يتخل عنها ؟ أم أنه إشارة إلى ديانته السابقة وبقي اللقب ملازما له ؟ هذا ما لا يستطيع الباحث الجزم به لأن شعره المتوفر في المصادر المتاحة لا ينبئ عن شيء من هذا . على أن كنيته وهي " أبو علي " توحى بإسلامه . ومن أدلة ذلك أيضا كثرة ترحم صاحب دمية القصر عليه . وقد تفيد الأيام بأدلة قاطعة عن الكثير من جوانب حياته ؛ فشاعريته تدعو إلى المزيد من المعرفة عنه وعن إنتاجه الشعري الذي فقد معظمه .

وعن حسن شعره يقول الباخريزي : " كنت أسمع له بالفقرة بعد الفقرة فافتقر إلى أخواتها ويلتهب حرصي على إثباتها ، ثم ظفرت بديوان شعره في خزانة الكتب النظامية بنيسابور وكنت على جناح الانصراف إلى الناحية . فلم أتمكن من احتلاب درها ولم أتوصل إلى اجتلاب دررها " (١) . ومن هنا يستفاد أن إنتاج الشاعر أبزون كان وفيرا ، وكان من حسنه يتناقله الناس من بلد لآخر ، ومن هذا ما تتناقله المصادر من ثناء محمد بن أحمد المعروف بأبي الحاجب على شعره (٢) حيث يفيد أنه من شدة إعجابه بأشعار الكافي أبي علي يود لو ظفر بمن يرويها له عن مؤلفها فتكون النفس لحفظها أنشط ، والفكر إلى ضبطها أحرص لسلامتها من تصحيف يقع فيها (٣) ،

(١) الباخريزي : دمية القصر : ج ١ ص ١٢٠ .

(٢) أبو الحاجب لم اجد له ترجمة وافية إلا أن صاحب كشف الظنون ذكر له كتابا آخر غير ديوان الكافي وهو " معجم الشيوخ " ، وذكر الصفدي أنه ابن الحاجب ولكن مصادره تقول أبو الحاجب . وهناك عدة شخصيات معروفة بابن الحاجب أسماؤهم تختلف ومعظمهم ليسوا معاصرين للشاعر أبزون . انظر:

الباخريزي : دمية القصر : ج ١ ص ١٢١ ؛ الصفدي الوافي بالوفيات ج ٦ ص ١٨٤ .

(٣) الباخريزي : دمية القصر : ج ١ ص ١٢١ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٦ ص ١٨٤ .

فقليل له إنه بعمان فهب قاصدا إليه فوجده بتزوى^(١)، ولما تحققت أمنيته واجتمع به لم يتمكن من مجالسته إلا لما لا اشتغال أبي على الكافي بالأمور السلطانية والأعمال الديوانية . ويصف أبو الحاجب شعر الكافي بقوله : " دياجة شعره مع بهائها ورونقها متناسبة الألفاظ متناصرة المعاني تتجنب ما يمجج السمع ، وتأباه النفس "^(٢). ولما يمتاز به شعر الكافي من جمال في الشاعرية ودقة في المعنى كثر حفاظه ؛ ومن هنا لم يجد أبو الحاجب مشقة في تحصيل شعره عندما وجده مشغولا عن مجالسته ، فاتجه إلى حافظي شعره ومنشديه فاستنسخ منهم ما جمع له ديوانه^(٣). ويبدو أن هذا الديوان هو الذي أشار إليه الباخريزي بأنه وجده في خزانة الكتب النظامية بنيسابور. وقد ابتدأ أبو الحاجب ديوان الشاعر أبزون بمدائحه في الأمير ناصر الدين^(٤) إذ كانت جل قصائده في نشر محاسن أيامه^(٥). ومن جميل شعر أبزون هذه القصيدة :

هل في مودة ناكث من راغب	أم هل على فقداها من نادب
أم هل يفيدك أن تعاتب مولعا	بتتبع العثرات غير مراقب
جعل اعتراضك للسفاهة ديدنا	والذنب ديدنه اعتراض الراكب

(١) نزوى : سبق التعريف بها وهي عاصمة عمان بعد صحار ، ووجود الكافي فيها عاملا لبني مكرم يدل

على أنهم استطاعوا السيطرة على عمان كاملة في فترة من فترات وجودهم في عمان .

(٢) الباخريزي : دمية القصر : ج ١ ص ١٢١ ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٧٧٢ .

(٣) حاجي خليفة : نفس المصدر السابق ونفس الصفحة

(٤) هو الأمير أبو القاسم علي بن الحسن بن مكرم ، تولى السلطة في صحار بعد أبيه من قبل البويهيين في سنة

٤١٣هـ / ١٠٢٢م وتلقب بعدة ألقاب منها ناصر الدين ، وفترة حكمه دامت حتى سنة

٤٢٧هـ / ١٠٣٦م وابن الأثير يورد وفاته في أحداث سنة ٤٢٨هـ إلا أن النقود تفيّد التاريخ الأول ،

كما يصفه ابن الأثير بأنه كان جوادا ممدحا . ابن الأثير الكامل ج ٩ ص ٤٥٥ ؛ دارلي : تاريخ النقود

ص ٣٩ .

(٥) حاجي خليفة : نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .

ومنها:

إن الفتوة علمتني شيمة تبدي الضياء إلى الشباب الثاقب
ما زال يسلب كل من حمل قلمي وأحداق الأطباء^(١) سوالب
فهوى التصرف والتصرف في الهوى دفنا شبابي في عذارى الشايب
فتظلمي من ناظر أو ناظر وتألني من حاجب أو حاجب^(٢)

وله أيضا :

قد كنت أرجوك للبلوى إذا عرضت فصرت أخشاك والأيام للغير
أخشى وحكمي أن أرجو ولا عجب وربما يتأذي الروض بالمطر

وقال الباخري معلقا على هذين البيتين : هذا معني ما له نهایه ، وغاية في
الاختراع ليس وراءها غاية." (٣)

ومن شعره ما نقله عن الفارسية :

وصحراء ردتها الأطباء حفائرا بأظلافها أحسن بها من حفائر
فهبت رياح للصبا فطممنه بمسك فعادت نزهة للنواظر^(٤)

(١) جاء في المعجم الوسيط مادة (الطبة) "الطبة حد السيف والسنان والخنجر وما أشبهها جمعها ظبا وظبات
وظبون" ج ٢ ص ٥٩٦

(٢) الباخري: دمية القصر : ج ١ ص ١٢١-١٢٢ ؛ الصفدي : الوافي بالرفيات ج ٦ ص ١٨٤-١٨٥ .

(٣) الباخري: نفس المصدر ج ١ ص ١٢٤ .

(٤) نفس المصدر والصفحة وهناك قطع شعرية جميلة أخرى لا تقل روعة عما نقلنا . ومن شاء فليرجع
إلى دمية القصر ج ١ من ص ١٢٠ إلى ص ١٢٩ وعسى أن تجود الأيام بديوان الشاعر كاملا.

العوتي

أبو المنذر سلمة بن إبراهيم الأزدي العوتي الصحاري ، من عوتب بلدة في صحار^(١)، ينسبه الشيخ البطاشي إلى قبيلة طاحية^(٢)، إلا أن الشيخ أحمد السيادي يرى أنه من قبيلة العتيك التي هي أكثر انتشاراً في منطقة الباطنة إلى دبا^(٣). اشتهرت عدة شخصيات من بني طاحية والعتيك في صحار وما جاورها ، وتغليب إحدى الروايتين يحتاج إلى دليل قوي بعضده .

ورغم العطاء العلمي الزاخر للعوتي فإن التاريخ كما يقول شيخنا العلامة أحمد ابن حمد الخليلي: "غمط تلك الشخصية حقها إذ لا نجد ما يدلنا على أنه تلقى العلم عن فلان أو فلان من مشايخ العلم".^(٤)

ولا يتفق المؤرخون حول الفترة التي عاش فيها إلا أن الرأي الجامع لآراء معظمهم أنه عاش في أواخر القرن الرابع الهجري وامتد به العمر حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري^(٥).

والعلامة العوتي رحمه الله من أعلام الأمة الإسلامية الموسوعيين ، فقد ترك لها مؤلفات مختلفة المواضيع ، باعتباره كان عالماً متبحراً في علوم اللغة العربية ، وموسوعياً في الفقه الإسلامي ، و متمكناً في علوم العقيدة ، ومضططعاً بالأنساب والتاريخ^(٦). ومن مؤلفاته :

(١) ترايخ العلماء ص ٩-١ .

(٢) البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٢٧٥ .

(٣) أحمد بن سعود السيادي : العوتي نسابه ، بحث من ضمن كتاب قراءات في فكر العوتي الصحاري من منشورات المنتدى الأدبي ص ٧٨ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م .

(٤) سماحة الشيخ أحمد الخليلي : العوتي بين الفقه والأصول . نشر في نفس المرجع السابق ص ٦٦ .

(٥) د. جاد محمد طه : العوتي مؤرخاً . بحث نشر في قراءات في فكر العوتي الصحاري ص ٨٨ .

البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٢٧٣ . أحمد السيادي : العوتي نسابه ص ٨٣ .

(٦) الخليلي : العوتي بين الفقه والأصول ص ٦٦ .

كتاب الضياء :

وهو موسوعة فقهية ، يقع في أربعة وعشرين مجلداً ، وهو أشهر مؤلفات العلامة العوتبي ، ودائماً ما تذكره المصادر مقروناً به ، فتقول بعد ذكر العلامة العوتبي : صاحب الضياء ^(١) . ويشتمل الكتاب على علم العقيدة وأصولها ، وفقه العبادات ، والمعاملات ، ورتب هذه الموضوعات ترتيباً متسلسلاً في أبواب وفصول يسلم بعضها إلى بعض ^(٢) . ومع أن الكتاب موسوعة في العقيدة والفقه فهو أيضاً كتاب لغوي حضاري حيث أخذت اللغة حيزاً من كتابه "فمزج المعرفة اللغوية بالمعرفة الفقهية ، فعرف المعاني التي تحدث عنا ، وعرف مقابلها ووظف المعنى اللغوي في الاستدلال على المعنى الفقهي أو الحكم الشرعي" ^(٣) ، ومن أمثلة ذلك عندما يعرف المال فيقول : "وقيل سمي المال لأنه ميال ، ويقال رجل مائل إذا كان ذا مال" ^(٤) ، أما كونه حضارياً فلأنه يعرض لكثير من جوانب الحياة المعاصرة له أو ما سبقها .

كتاب الإبانة :

وهو معجم لغوي ، وقد سماه الإبانة لأن معناها اللغوي الظهور والوضوح ^(٥) ، ورتب كتابه هذا على توالي حروف المعجم إلى آخرها ، فاعتمد جذر الكلمة ، ورتبها بحسب الحرف الأول ليكون أسهل معرفة وأقل كلاماً ، فبدأ بحرف الألف ثم الباء ثم التاء إلى آخر حروف المعجم . ولم يقتصر العلامة العوتبي في معجمه هذا على

(١) الشنقيصي : منهج الطالبين ج ١ ص ٦٢٤ ؛ السعدي : قاموس الشريعة ج ٨ ص ٣٦١ ؛ تواريخ العلماء ص ٩ .

(٢) على سبيل المثال في الجزء الأول من كتاب الضياء نجد العلامة العوتبي بدأ كتابه بالحديث عن بسم الله الرحمن الرحيم ، وفضلها وما ورد فيها من أقوال ثم انتقل إلى الحديث عن العلم فخصص له أبواباً عديدة ، وتكلم من خلال ذلك عن المعرفة ، والحكمة ، والعقل ، وفي آداب العلماء ، وفي المتعلم ماله وما عليه ، ثم بدأ بعد ذلك بالعقيدة ، وهكذا .

(٣) د. عبد الحفيظ حسن : كتاب الضياء منهجاً وأسلوباً ولغة .

(٤) العوتبي : الضياء ج ١ ص ٦٥ .

(٥) العوتبي : معجم الإبانة ج ١ ص ٣ .

التعريف بمعاني الكلمات ، وإنما تناول العديد من علوم اللغة كالنحو ، والصرف ، وعلم الأصوات إلى غير ذلك من مواضيع^(١).

كتاب الأنساب :

هذا الكتاب يقع في جزأين ، ويتناول الكتاب أنساب القبائل القحطانية والعدنانية ، واهتم اهتماما خاصا بإيراد نسب القبائل العمانية إلا أن المؤلف بدأ كتابه عن مبدأ الخلق ، والملائكة عليهم السلام^(٢) على طريقة المؤرخين المسلمين الأوائل . ومع أن الكتاب مخصص للأنساب فإنه مشحون بالمادة التاريخية مما يجعل مؤلفه في مصاف المؤرخين المعاصرين له بسبب ما اشتمل عليه الكتاب من حوادث وأخبار وتراجم غاية في الأهمية بالنسبة للتاريخ بصورة عامة ، وتاريخ عمان بصورة خاصة^(٣) ، وبهذا يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر العمانية للتاريخ العماني خاصة في فترة ظهور الإسلام . وبالإضافة إلى ما تقدم فإن الكتاب أشار إلى جوانب جغرافية ولغوية هامة أضافت إلى المادة التاريخية بعدا جغرافيا هاما ، وقيمة علمية جليلة .

ومن خلال هذا العرض الموجز عن أحد أعلام صحار البارزين يتضح أن للمكان إسهاما في هذا العطاء الزاخر حيث يسر للعالم أن يكون متصلا بالعديد من الأخبار والروايات والمدونات . ويلحظ هذا من تعدد مصادر العوتبي في كل كتبه وما نقله عن ابن حزم الذي يحتمل أن يكون معاصرا له ، وكل منهما في الطرف الآخر من العالم الإسلامي ، فابن حزم في الطرف الغربي ، والعوتبي في الطرف الشرقي، وهذا لم يكن متيسرا لولا تلك الصلات الوثيقة بين صحار والعالم الإسلامي رغم أن صحار في القرن الخامس قد بدأ عطاؤها يقل بسبب العوامل التي سبق ذكرها إلا أن وهج ذلك التقدم والازدهار ظل يسري إلى أمد بعيد من الزمان .

(١) د. إبراهيم دسوقي : معجم الإبانة للعوتبي : المنهج واللغة ، من ضمن كتاب قراءات في فكر العوتبي ص ٢٨ .

(٢) العوتبي : الأنساب ج ١ ص ٧ .

(٣) د. محمد قرقرش : المنهج التاريخي عند العوتبي من ضمن كتاب قراءات في فكر العوتبي ص ١٥٤ .

المبحث الخامس : العلاقات العلمية بين صحار وغيرها من البلاد .

مارست صحار دورها في الاتصال الخارجي لعمان منذ القدم حيث ربطتها علاقات ببلاد الجزيرة العربية وبلاد الرافدين ، وتوسعت هذه العلاقات فامتدت من جهة الشرق إلى بلاد الصين مرورا ببلاد الهند والسند ، ومن الجنوب بشرق أفريقيا إلى غير ذلك ، وكانت هذه العلاقات قبل الإسلام علاقات تجارية ، وفي ظل الإسلام ظهرت أيضا -بجانب العلاقات التجارية- علاقات روحية وفكرية . وقد رأينا كيف تسابق أهل عمان إلى السعي الحثيث إلى منابع الهدى القويم ثم إلى طلب العلم من مصادره ومنابعه الأساسية ، فلذا سيتم الحديث في هذا المبحث وبإيجاز عن العلاقات العلمية أخذًا أو عطاءً بين صحار وغيرها من البلاد ، وسيقتصر الحديث عن الأهم منها وهي :

الحجاز ، والبصرة ، وحضرموت ، ومصر ، والمغرب العربي ، وخراسان .

الحجاز :

يمتد التواصل بين كل بلاد الجزيرة العربية إلى أعماق تاريخها الموغل في القدم ، فهي حقيقة بلاد واحدة تجمعها وحدة الجغرافيا وعواملها المؤثرة في نمط الحياة فيها ، ووحدة الجنس فهي مهد الجنس السامي ومنشؤه منذ أقدم العصور ، ووحدة اللغة ، فاللغة العربية هي الوريث الحقيقي للغة السامية ، " وبذلك يصبح الجنس العربي واللغة العربية مرادفين بل بديلين لما يطلق عليه الجنس السامي واللغة السامية " (١) .

ومنذ أن رفع إبراهيم عليه السلام قواعد البيت الحرام ، وعلم الناس شعائر الحج بوحى الله عز وجل : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ (٢) توحد العرب على قدسية الحرم وما حوله حتى في عصر

(١) د. الرفاعي : تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٢٣ . الناشر دار النصر للتوزيع والنشر - جامعة القاهرة

١٤١٨ - ١٩٩٨ م .

(٢) سورة الحج الآية ٢٧ .

جاهليتهم . ولتقوية التواصل نشأت أسواق العرب ، فكان إسهام عمان بعدد من هذه المواسم ومن بينها سوق صحار . وكان للحجاز أسواق أشهرها سوق عكاظ ، ومن بين معطيات تلك الأسواق - كما سلف القول - التواصل الفكري .

و منذ أن دخل الإسلام صحار بدأ التواصل العلمي من حينه حيث وجه النبي صلى الله عليه وسلم عددا من أصحابه إلى صحار ومن مهامهم تعليم مبادئ الإسلام، وسارع البعض فرادى وجماعات إلى الالتقاء بالرسول صلى الله عليه وسلم إمعانا في الانقياد له وتشرفا بصحبته والنيل من فيض علمه وتوجيهاته^(١) .

ثم إن ذلك الوفد الكبير الذي رافق الصحابي عمرو بن العاص إلى المدينة المنورة عقب وفاته عليه الصلاة والسلام يعد حلقة من حلقات التواصل الفكري لما يضمه ذلك الوفد من قيادات سياسية وفكرية . وخير شاهد على ذلك تلك الكلمات البليغة التي تبادلها الوفد مع خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٢)، ومن ثم تتابع العمانيون منذ ذلك العهد في التوجه نحو مكة المكرمة والمدينة المنورة للالتقاء بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنيل من علمهم ، ومن تلك الشخصيات التابعي كعب بن سور ، وهو من قبيلة العتيك التي كانت تقطن صحار وما جاورها من بلاد في منطقة الباطنة حتى دبا ، وكان كعب قد أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يره ، وشارك في الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس مع عمرو بن العاص وإلى الخلافة الراشدة في عمان^(٣)، ومن بعد ذلك وفد على الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة وأظهر نبوغه العلمي بين يديه ، فاختره

(١) انظر مبحث التعليم في صحار من هذا الفصل ، ص ٣٠١ .

(٢) الإزكوي : كشف الغمة تحقيق القيسي ص ٣٤ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٩ .

(٣) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٣٢٦ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٦٦ ؛ البطاشي : إتحاف

الأعيان ج ١ ص ٣٢ .

الخليفة الفاروق ليتولى قضاء البصرة ، وقال له : " نعم القاضي أنت" (١).

ومن أبرز الشخصيات التي كانت بمكة وللمدينة المنورة منبعاً من منابع العلم الإمام جابر بن زيد إمام المذاهب الإباضي الذي تعد صحار منطلق فكره في عمان . وقد أخذ الإمام جابر بن زيد علمه عن عدد كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢). وقد اشتهر الإمام جابر بن زيد رضي الله عنه بكثرة حججه حتى قيل إنه حج واعتمر أربعاً وعشرين مرة (٣). وهذا الحرص من الإمام على تكرار الحج والعمرة ، بالإضافة إلى كسب الثواب ، إنما ينم عن رغبته في الاجتماع بإخوانه المسلمين علماء ومتعلمين من مختلف الأقطار والأمصار (٤)، ولهذا اقتفى أثره أئمة المذهب وعلى رأسهم أبو عبيده مسلم بن أبي كريمة ، ثم الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي (٥) رائد المدرسة العلمية في صحار ، وأصبحت تلك الديار المقدسة حلقة وصل للعلماء خاصة أثناء موسم الحج ، وعقدت بها حلقات العلم والبحث والمناظرة (٦). وتذكر المصادر عدداً من الذين تتلمذوا على أيدي أئمة الإباضية من أهل مكة والمدينة ومنهم أبو الحر على ابن الحصين العنبري من مكة (٧)، ومحمد بن حبيب المدني .

وكان الإمام أبو عبيدة يقوم من مجلسه إذا رأى محمد بن سلمة ومحمد بن حبيب قادمين إليه ، فيعتنقهما إجلالاً لهما رغم أنه شيخهما .

(١) وكيع : أخبار القضاة ج ١ ص ٢٨٣ . خليفة بن خياط : تاريخه ص ١٥٤ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ص ٥٠٠ ؛ العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٣٢٦ .

(٢) انظر البحث الأول من هذا الفصل تحت عنوان "المذهب الإباضي" .

(٣) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٠٨ . الحارثي : العقود الفضية ص ٩٩ .

(٤) أبو داود : الإمام جابر بن زيد وأثره في الحياة الفكرية والسياسية ص ٨٦ .

(٥) ابن سلام : الإسلام ، وتاريخه ص ١٣ . الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٤٠ .

(٦) أبو زكريا الوارجلاني : كتاب السيرة ص ٩٣-٩٥ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٩٤ ؛ د. رجب

عبد الحليم : الإباضية في مصر والمغرب ص ٩٠ ؛ الناشر مكتبة العلوم بمسقط ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

(٧) سبق ذكره عند ذكر أبي حمزة الشاري في مبحث الحياة الأدبية في صحار من هذا الفصل .

فهما كانا من خيار المسلمين وعبادهم^(١). وهناك عدد آخر لم يبق من تاريخ حياتهم سوى أسمائهم^(٢). وهؤلاء جميعا جمعهم بأبناء صحار أخوة العقيدة وزمالة العلم ووحدة التوجه حيث تخرج الجميع من مدرسة الإمام أبي عبيدة ، واشترك بعضهم مع أبناء صحار كبلج بن عقبه وجابر بن جبلة و الجلندي بن مسعود وغيرهم في جيش الإمام طالب الحق بقيادة أبي حمزة الشاري في حربهم الدولة الأموية في اليمن والحجاز، وغلبوا بعدما انتصروا بمدة وجيزة ، فقتل معظمهم مع أبي حمزة الشاري سنة ١٣٠هـ^(٣). وكأنه مقدر لهذه العرصات أن تشهد خططهم وعزمهم على التصحيح ثم تضحيتهم في سبيل تلك الغايات النبيلة التي أعلنها أبو حمزة في خطبه الشهيرة التي ألقاها في مكة والمدينة^(٤).

والذي توج العلاقة العلمية بين صحار والحجاز هي أسرة آل الرحيل التي تنحدر من سلالة قرشية مكية^(٥)، وعاش الإمام ابن الرحيل فترة من حياته في مكة ثم رحل إلى عمان مع زوج أمه الإمام الربيع بن حبيب ، فاستقر ابن الرحيل في صحار^(٦)، ولم تنقطع صلته حتى توفي في بدايات القرن الثالث الهجري^(٧)، وكان رحمه الله له نشاط دعوي وعلمي في صحار ومثله في مكة ، وكان من هم على

(١) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٤٢ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٩٠ .

(٢) الراشدي : أبو عبيدة وفقهه ص ٢٤٢ .

(٣) ابن خياط : تاريخه ص ٣٩٤ ؛ الطبري : تاريخه ج ٩ ص ٦٨ .

(٤) تمت الإشارة إلى هذه الأحداث والخطب في مبحث الأدب في صحار من هذا الفصل ، ورغم أن تلك الأحداث المشار إليها أعلاه يغلب عليها الطابع السياسي والعسكري إلا أن القائمين بذلك جلهم من العلماء ، وكانت القيادة العلمية لهم هي المخطط ، وقد مر ذكر دور العلماء في تكوين ورسم سياسة الإباضية في مشرق الوطن العربي ومغربه .

(٥) الشقصي : منهج الطالبين ج ١ ص ٦٢١ ؛ السعدي : قاموس الشريعة ج ٨ ص ٣٥٨ ؛ السيبي :

طلقات المعهد الرياضي ص ٤٩ ؛ الحارثي : العقود الفضية ص ١٥٠ .

(٦) السيبي : طلقات المعهد الرياضي ص ٤٩ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٦٤

(٧) البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٦٥ .

دعوته المجاورون^(١) بمكة يومئذ مائة وخمسين رجلا وامرأة منهم خمسة وعشرون عمانيا.

وبعد الإمام ابن الرحيل سار أبناؤه على نفس النهج حتى أن ابنه سفيان توفي بمكة^(٢)، كما كان علامة صحار الشهير محمد بن محبوب يقيم بعض الفترات بمكة ، وكان يؤم مجلسه العلمي علماء ومتعلمون من المغرب والمشرق^(٣). وتنقل المصادر الإباضية تلك الجلسة العلمية التي حضر فيها العلامة النفوسي عمرو بن الفتوح^(٤)، وهذا من دلالات التواصل العلمي الذي كان يتم بين علماء الإباضية في أرض مكة المكرمة ، وواصل أبناء العلامة ابن محبوب سيرة آبائهم ، ويورد العلامة ابن بركة نقلا عن شيخه العلامة الصلابي أن العلامة بشير بن محمد بن محبوب كان مقيما بمكة ، وكتب لأخيه العلامة عبد الله بأن يبيع له مالا بعمان^(٥)، ومن هذا يستنتج أن إقامة علماء صحار بمكة مستمرة ، وكان اتصال المدينتين وثيقا . وهناك عدد آخر من العلماء العمانيين كانوا يقيمون في مكة لفترات طويلة حتى أن العلامة أبسا عبيدة^(٦)

(١) يقصد بهذا اللفظ من يقيم بمكة أو المدينة في جوار الحرمين الشريفين ، ومن معاني المجاورة الاعتكاف . انظر : ابن منظور : لسان العرب ج ١ ص ٤٨٦ وكثير من تلقب بحار الله بسبب هذه المجاورة منهم الزمخشري : صاحب المؤلفات الكثيرة في التفسير والحديث والنحو واللغة . انظر : ابن خلكان : وفيلت الأعيان ج ٥ ص ١٦٨ .

(٢) البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٦٥ .

(٣) حول ترجمة محمد بن محبوب ومجلسه العلمي ارجع إلى المبحث السابق من هذا الفصل ص ٣١٢، ٣١٣ .

(٤) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٣٢٤ . الشماخي : السير ج ١ ص ١٩٣ عمان في التاريخ ص ٢٢٣ .

(٥) ابن بركة : كتاب التعارف ص ٢٥ .

(٦) أبو عبيده عبد الله بن القاسم ، ويعرف بأبي عبيده الصغير تقريبا بينه وبين أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة . وأبو عبيده الصغير من بلدة بسيا من أعمال ولاية بهلا من المنطقة الداخلية في عمان ، وكان رحمه الله عالما وتاجرا ، وكان من الرعيل الأول الذين برأسطتهم عرفت الصين الإسلام ، ويضرب به المثل لأمانته وورعه وزهده . يقول عنه الشماخي : " كان ممن حاز السبق في حلقة الرهان علما وعملا ، وفاض في بحور الزهد والتقوى شابا وكهلا " ؛ انظر : الشماخي : السيرة ج ١ ص ٨٧ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٥٣ ؛ الشقصي : منهاج الطالبين ج ١ ص ٦٢٧ .

عبد الله بن القاسم من علماء القرن الثاني للهجرة قد عاتبه إخوانه المقيمون معه بمكة على عدم زواجه ، فامتثل لنصحهم وتزوج هناك^(١). ولم يقتصر حب التحصيل العلمي على الرجال ، وإنما كان للمرأة العمانية دور في ذلك حيث يروى أنهن كن يستأذن للدخول على السيدة عائشة رضي الله عنها فتأذن لهن ، ويستفدن منها علما وفقها^(٢). ومن النساء الصحاريات اللاتي لهن دور فاعل في المشاركة في الحياة حتى في أحلك المواقف وأصعبها امرأة أبي حمزة الشاري التي كانت أديبة شاعرة ألهمت حماسة الرجال بشعرها ، وآلت على نفسها أن تتقدم إلى ساحة القتال حاملة سيفها ، وقاتلت حتى سقطت قتيلة قرب مكة مع زوجها^(٣).

ومجمل القول في هذه العلاقة الحميمة التي ربطت صحار بالحجاز -بالإضافة إلى العلاقة الروحية - أنها كانت علاقة علم وعمل وتضحية وفداء .

البصرة

تأسست في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقامت على أيدي الفاتحين في بلاد فارس والعراق . وكان العمانيون مشاركين في تلك الفتوحات الإسلامية ، ويروى بأن أول من نزلها من أهل عمان

(١) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٥٣ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٨٧ .

(٢) الشماخي : السير ج ١ ص ١٠٦ .

(٣) الأزدي : تاريخ الموصول ص ٧٩ ؛ مجهول : العيون والحدائق ص ١٧٣ ؛ ديوان الخوارج ص ٢٤٥ :

جمع وتحقيق د. إحسان عباس ، الناشر دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

كعب بن سور الأزدي الذي تقدم ذكره^(١)، ومعه ثمانية عشر رجلاً من قومه^(٢). ثم تنابح العمانيون في التزول بها فرادى وجماعات ؛ فكثر من القبائل العمانية كان لها وجود بارز في البصرة ، ومنها تلك القبائل التي تسكن في صحار وما جاورها من بلاد ، ومن الأمثلة على ذلك بنو سليمة التي اشتهر العديد من أفرادها في صحار ، وكان لبني سليمة في البصرة شرف وقدر ، ولهم بها خطة ومسجد مشهوران^(٣)، وبنو هناة^(٤) ، وبنو فراهيد^(٥)، وبنو اليحمد^(٦)، وبنو معولة ، ولهم مسجد في البصرة معروف بمسجد المعاول^(٧) ، وبنو الحدان ولهم محلة معروفة بهم ، وقد نزلت السيدة عائشة رضي الله عنها أثناء موقعة الجمل في بني الحدان في البصرة^(٨). و العتيك قبيلة المهلب بن أبي صفرة^(٩)، وقبيلة بني طاحية ولهم فيها محلة تعرف باسمهم^(١٠). وهناك العديد من القبائل التي لها وجود في البصرة ، وقد عرفنا العديد من الشخصيات العمانية التي كان للبصرة دور هام في نبوغهم العلمي والقيادي حتى أن بعضهم نسبتهم المصادر إلى البصرة لطول فترة إقامتهم بها ، ومن هؤلاء الإمام جابر ابن زيد^(١١)، والخليل بن أحمد الفراهيدي^(١٢) ، وابن دريد^(١٣) ، وغيرهم .

(١) تقدم ذكره في علاقة صحار بالحجاز من هذا البحث .

(٢) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٣٢٦ .

(٣) الأزدي : تاريخ الموصل ص ٧٨ .

(٤) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٢ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٩٨، ٤٩٩ .

(٥) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٨، ٢٢٩ .

(٦) ابن دريد : الاشتقاق ص ٥٠٦ .

(٧) ابن خياط : تاريخه ص ٢٢١ .

(٨) الطبري : تاريخه ج ٥ ص ٢٥٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٢٤١ .

(٩) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ١٢٥ .

(١٠) ابن دريد : الاشتقاق ص ٢٨٤ ؛ ابن خياط : تاريخه ص ٢٢٤ .

(١١) البخاري : التاريخ الكبير ج ١ ق ٢ ص ٢٠٤ ؛ ابن سلام : الإسلام وتاريخه ص ١٢٩ .

(١٢) الحموي : معجم الأدباء ج ٣ ص ٣٠٠ .

(١٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ ؛ النعماني : سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٩٦ .

والعلاقة العلمية بين البصرة وصحار قوفاً عوامل منها :

أولاً : وجود العديد من أهل صحار في البصرة كما مر ذكره ، وهذا بدوره سهل عملية التواصل بالبصرة خاصة عن طريق البحر الذي كان العمانيون مهرة فيه^(١) مما حدا بالكثير من أهل عمان إلى اللحاق بإخوانهم هناك ، وكان طلب العلم في مقدمة غايات هؤلاء .

ثانياً : الازدهار الفكري في البصرة ، واحتضانها لمدارس متنوعة العطاء كالعلوم الدينية واللغوية والاجتماعية^(٢) . وقد كان بين العمانيين والصحاريين عدد من الراغبين في أن ينالوا من تلك العلوم على أيدي العلماء البارزين هناك ، فاستطاع عدد من هؤلاء أن يبلغوا درجة رفيعة في العلم ، فساهموا بعطائهم الفكري في إقامة حضارة إسلامية ما تزال الأجيال المتعاقبة ترتشف من معينها^(٣) .

ثالثاً : وجود القيادات العلمية للمذهب الإباضي في البصرة - ومعظمهم من عمان وبعضهم من صحار - كان عاملاً هاماً في قيام العمانيين بتوجيه أبنائهم إلى البصرة ليتلقوا العلم على أيدي شيوخ المذهب هناك^(٤) . وقد أدى ذلك السعي لطلب العلم إلى نبوغ عدد من أولئك الطلبة الصحاريين الذين أصبحوا بفضل الله علماء سعدت بعلمهم عمان^(٥) ، ولم ينكفئوا على أنفسهم ، ويكتفوا بالجانب النظري في دعوتهم بل حولوا علمهم إلى واقع ملموس ، فأقاموا صرح مبدأ الشورى في عمان ، وبنوا دعائم الحكم فيها على هذا الأساس الإسلامي ، وأصبح فيما بعد أحد

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٠٧ ؛ د. شلي : موسوعة التاريخ الإسلامي : ج ٧ ص ٢٩٢ .

الناشر دار النهضة المصرية طبعة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

(٢) د. حسين مؤنس : تاريخ الفكر العربي ص ٤٣ .

(٣) د. سعيد عاشور ، ود. عوض خليفات : عمان والحضارة الإسلامية ص ١٢٦-١٥٦ ؛ عمان في

التاريخ ص ٢٢٢ .

(٤) د. السهيل : الإباضية في الخليج العربي ص ٣٦ ؛ د. رجب عبد الحليم : الإباضية في مصر والمغرب

وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة ص ٢٣ ؛ الجهضمي : حياة عمان الفكرية ص ٨٦ .

(٥) تواريخ العلماء : ص ٧٤٦ ؛ الشقصي : منهاج الطالبين ج ١ ص ٦٢٠، ٦٢١ ؛ السعدي : قاموس

الشريعة ج ٨ ص ٣٥٧-٣٥٨ .

الخصائص العمانية ، وكان مبدأ ذلك قيام الإمامة الأولى في النصف الأول من القرن الثاني^(١)، ثم قيام الإمامة الثانية في النصف الثاني من نفس القرن^(٢)، ودامت الثانية زهاء قرن من الزمان ، فازدهرت حياة الناس فيها . وخلال تلك الفترة شهدت صحار نهضة علمية كبيرة بفضل أولئك العلماء الذين تلقوا العلم في البصرة ثم نقلوا علمهم إلى عمان كالإمام الربيع بن حبيب وتلامذته الذين عرفوا بحملة العلم^(٣). وظلت العلاقة قائمة لم تنقطع عراها ، خاصة وأن عوامل التواصل نمت وازدهرت في ظل النمو الاقتصادي الذي شهده البلدان في تلك الفترة . وكان لأبناء عمان هنا وهناك إسهام كبير في ذلك^(٤)، حتى أن بعض الأسر العلمية العمانية في صحار والبصرة عملت بالتجارة في البلدين ، فاشتهرت باليسر كأ أسرة ابن دريد^(٥)، والفضل بن جندب^(٦)، وهناك الكثير غيرهم من أبناء القبائل العمانية الموجودة في البلدين . وقد تضمن هذا البحث فيما سبق من الفصول والمباحث العديد من جوانب التواصل الحضاري بين صحار والبصرة اقتصاديا واجتماعيا ، لذا فإن ما سبق ذكره يكفي للتدليل على عمق العلاقة بين البلدين خاصة في الجانب العلمي منها ، والتوسع فيه يتجاوز إطار هذا البحث .

حضر موت^(٧) :

إن أسس التواصل بين عمان واليمن قديمة قدم الإنسان فيهما ، والعلاقة بين

(١) العرتي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٢ ؛ أهر الوثر : سيرته من ضمن السير والجوابات .

(٢) الشقصي : ج ٢ ص ٣١٥ ؛ منهج الطالبين : ج ١ ص ٦٢٨ ؛ السعدي : قاموس الشريعة ج ٨

ص ٣٦٧ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) تواريخ العلماء : ص ٧ ؛ الشقصي : منهاج الطالبين ج ١ ص ٦٢١ .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٥ . الكندي : بيان الشرع ج ١٩ ص ٣١٤ ؛ د. رجب عبد

الحليم : الإباضية في مصر والمغرب ص ٢٧-٢٩ .

(٥) البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ . د. محمد ناصر : ابن دريد ص ٣٩ .

(٦) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٥٠ . الشماخي : السير ج ١ ص ٩٨ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان

ج ١ ص ١٥٩ .

(٧) سبق التعريف بها .

البلدين تؤكدهما روابط القرى والنسب منذ آلاف السنين^(١). وفي ظل الإسلام جمعت بينهما روابط العقيدة ، التي هي أقدس الروابط الإنسانية . وحضرموت إحدى الحواضر اليمنية الشهيرة^(٢). ولقرىها من عمان فإن التقاء أبناء البلدين كان أكثر يسرا ، فلذا نجد أبناءها قد قبلوا الفكر الإباضي من بداياته الأولى ، فتتلمذ العديد منهم على أئمة المذهب في البصرة . ويعد العلامة أبو أيوب وائل بن أيوب ، والإمام عبد الله بن يحيى الكندي ، وأبو المهاجر ، وعدد آخر غيرهم ، من أوائل اليمنيين الذين تتلمذوا في البصرة على أئمة المذهب هناك ، واشتركوا مع الصحاريين في تلك الحلقات العلمية^(٣). وكان وضع المسلمين شغلهم الشاغل فيما يجدونه من حيف وظلم بسبب انحراف الحكام وولائهم في تلك الآونة عن طريق الجادة التي رسمها نبي الهدى صلى الله عليه وسلم ، واقتفى أثره خلفاؤه الراشدون^(٤)، فاشترك أبناء صحار مع أبناء حضرموت -بتوجيه من أئمتهم- في أن يسعوا جادين للتفكير في إقامة دولة تعيد للمسلمين قوتهم ، وللإسلام حاكميته ، فلما تهيأت الفرصة في حضرموت سارع أبناء صحار لمشاركة إخوانهم ، ونصرتهم في إقامة الإمامة الإباضية الأولى .

وهذه المشاركة من دلائل الروابط الأخوية القائمة على الإيمان والمحبة في سبيل الله منذ فجر الإسلام . والمتصفح للمصادر العمانية بكل جوانب عطائها يجدها تنضح بعمق العلاقة العلمية بين الطرفين . ففي كتاب السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان نجد سيرا لعلماء حضرموت ، ومنهم أبو أيوب الذي تقدم ذكره ، وقد تعلم من علماء عمانيين وعلم علماء عمانيين في البصرة .

(١) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) الشماخي : السير ج ١ ص ٩١-٩٧ ٤ .د. الراشد : أبو عبيده وفقهه ص ٢٢٣، ٢٢٤ .

(٤) د. حسين مؤنس : عالم الإسلام ص ١٩٦ .

وهذه السير من المؤلفات الإسلامية المبكرة من أوائل القرن الثاني الهجري ، وهي في العقيدة والفقه^(١). ومن ثم كانت هناك سير أخرى متبادلة بين العلماء ، ومن ذلك سيرة علامة صحار العلامة محبوب بن الرحيل إلى أهل حضرموت في أمر هارون بن اليمان بين فيها العلامة ابن محبوب لهم بعض القضايا التي كان ابن اليمان خالف فيها^(٢). كما وجه ابن اليمان نفسه سيرة إلى الإمام غسان بن عبد الله (١٩٢ - ٢٠٧ هـ)^(٣). ولكن الإجماع الإباضي في عمان وحضرموت وغيرهما وافق ابن الرحيل^(٤). ومن السير الأخرى التي تؤكد عمق العلاقة العلمية بين أهل عمان وأهل حضرموت سيرة أبي الحواري محمد بن الحواري العماني^(٥)، وتتضمن ردودا علمية عن بعض الأحداث التي وقعت بعمان ، فأراد أهل حضرموت رأي العلماء فيها ، وفي بدايتها بعد أن ذكر لمن أرسل إليهم هذه السيرة يقول : " إخواننا من أهل حضرموت من أخیهم أبي الحواري العماني ".^(٦)

(١) سيرة العلامة وائل بن أيوب تحت عنوان : " نسب الإسلام " في الكتاب المذكور أعلاه الجزء الثاني من ص ٤٦ - ٦١ ، ورقمها التسلسلي في الكتاب (٢٤) .

(٢) تم ذكر السيرتين عند الحديث عن الإمام محبوب بن الرحيل في مبحث علماء صحار كما تم إيراد نماذج من هذه السيرة في نفس الموضع .

(٣) هذه السيرة عنوانها في كتاب السير والجوابات بأنها موجهة للإمام المهنا بن جعفر (٢٢٦ - ٢٣٧ هـ) طبقا لما أورد الإمام السالمي في تحفة الأعيان ج ١ ص ١٥٥ ، ولكن الذي استظهره الشيخ البطاشي هو الأرجح لأن حياة ابن الرحيل لم تستمر إلى تلك الفترة ، وقد تمت مناقشة ذلك عند ذكره في مبحث الحياة العلمية في صحار . انظر : إتحاف الأعيان ج ١ ص ١٦٥ .

(٤) سبق توثيق هاتين السيرتين في مبحث المذهب الإباضي من هذا الفصل .

(٥) أبو الحواري محمد بن الحواري بن عثمان القرى من علماء النصف الثاني من القرن الثالث ، وربما أدرك أول القرن الرابع الهجري ، وأخذ العلم عن العلامة محمد بن محبوب بن الرحيل وغيره ، وقد بلغ في العلم قدرا كبيرا ومن مؤلفاته جامع أبي الحواري في خمسة أجزاء ، وكتاب تفسير خمسمائة آية في الأحكام ، وله فتاوى كثيرة مثبتة في كتب الفقه . انظر : الشقصي : منهاج الطالبين ج ١ ص ٦٢٣ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ وسيرته المذكورة أعلاه منشورة في كتاب السير والجوابات ج ١ ص ٣٣٨ - ص ٣٦٥ .

(٦) أبو الحواري : سيرته من ضمن كتاب السير والجوابات ج ١ ص ٣٣٨ .

وبعد أن قدم سيرته ببعض واجبات المسلمين قال : "وقد وصل كتابكم تسألون عن خبر معرفة ما قد سبق من أهل عمان وغيرهم" ^(١)، ومن بين تلك القضايا التي سألوا عنها ما فعله والي صحار في عهد الإمام المهنا بن جيفر (٢٢٦ - ٢٣٧ هـ) عندما قضى على فتنة آل الجلندي ، وما ارتكب بعض الجند التابعين للمطار الهندي قائد الفرقة الهندية من إحراق لبعض منازل الخصم ^(٢)، فأجابه بأن هذا الفعل ينكره الإباضية، وأن أبا مروان لم يأمر بهذا ، ثم إن الإمام بعث إلى من أحرقت منازلهم فأنصفهم ^(٣)، وسألوه عن غنائم أموال أهل البغي من أهل القبلة ، وهل يستعان عليهم بسلاحهم ؟ فقال : لا يجوز غنيمة أموالهم ، أما الاستعانة بسلاحهم فتجوز أثناء القتال فإذا بقي من سلاحهم شيء يؤدي إلى أهلهم أو إلى ورثتهم ، واستشهد بفعل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في يوم الجمل ^(٤)، وهذا يمثل بعض الهموم التي كانت تجيش بها صدور أهل حضرموت بشأن أحداث عمان ، وقد أرادوا معرفة أسباب هذه الأحداث ودوافعها وحكم العلماء فيها ، خاصة أن العلماء كانت تناط بهم آنذاك مهمة مراقبة الحكم القائم . واهتمام أهل حضرموت بما كان يدور في عمان يدل دلالة واضحة على التواصل العلمي المستمر بين البلدين ، وكان هذا الإحساس متبادلا ، فلذا نجد علامة صحار محمد بن محبوب يبادر بالكتابة إلى أهل حضرموت عندما بلغه أنهم أو بعضهم يحاولون عزل إمامهم ، فنهاهم عن فعل ذلك ، وقال لهم : " إن هذا جور كبير إن عزلتم إمام عدل على غير حدث ، وقد أعطيتموه عهدكم وبيعتكم وميثاقكم على أن تطيعوه ما أطاع الله ورسوله فيكم " ^(٥).

(١) أبو الخواري : نفس المصدر السابق ج ١ ص ٣٤١ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣٤٦ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٤٧ . وقد تم الحديث عن هذه الحادثة في مبحث صحار في ظل الإمامة الثانية من الفصل الثالث من الباب الأول .

(٤) أبو الخواري : نفس المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٧ .

(٥) أبو قحطان : سيرته من ضمن السير والجوابات ج ١ ص ١٣٢ ، وسرد نص هذه الرسالة في ملاحق هذه الرسالة .

ولعمق الروابط التي جمعت بين أهل عمان وأهل حضرموت فإن الحديث في هذا الجانب قد يطول ، إلا أن هذه الإطلالة السريعة قد ألححت عن بعض جوانب العلاقة العلمية بينهما .

مصر :

يضرِب التواصل الحضاري بين مصر و عمان في أعماق التاريخ ، وتشير الدراسات كما أُلحنا سابقا إلى أن قدماء المصريين استخدموا اللبان الذي تشتهر به ظفار في جنوب عمان ، والذي يستخدم في مجالات عديدة منها تعطير المعابد الفرعونية القديمة . وتفيد الدراسات بوصول الملكة حتشبسوت إلى بلاد بونت ، وقد اختلف في موقعها إلا أن بعض الدارسين توصل من خلال المقارنات إلى أنها في جنوب الجزيرة العربية بين عمان واليمن^(١) . وقد دوت تلك الرحلة برسومات على جدران معبد الملكة في منطقة الدير البحري بالبر الغربي ، بمدينة طيبة في الأقصر . وفي تلك الرسومات سمات تتشابه مع بعض السمات العمانية كلبس الخنجر للرجال ، كما تم تصوير بعض ملامح البيئة في تلك المناطق مثل الجبال العالية ، وأشجار اللبان ، ووجود نخيل النارجيل التي تشتهر بها ظفار أيضا^(٢) . وتنم تلك الرسومات عن دقة ملاحظة الفنان المصري في رسم أدق التفاصيل حتى ملامح الناس التي يتسم بها أبناء تلك البلاد ، وهذا يدل على قدم التواصل الفكري بين عمان ومصر ، إلا أن هذا التواصل برز في العصر الإسلامي عندما جمعت هذه العقيدة السمحة أبناء البلدين في كيان واحد .

ومن فضل الله أن يكون الفاتح لمصر هو نفسه الذي قدم إلى صحار موفدا من قبل النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الإسلام .

(١) عبد الله بن حمد البوسعيدى : كتاب حوارات صالون الفراهيدي ص ١٣٥ ، الناشر : دار الشروق القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ؛ علي بن محسن آل حفيظ : عروبة مصر القديمة وصلاتها التجارية بأرض اللبان ، بحث نشر في حصاد ندوة العلاقات العمانية المصرية ج ١ ص ٣٥ ، الناشر : وزارة التراث القومي والثقافة مسقط ١٩٩١ م ؛ عاطف عوض الله : بلاد بونت ومحاولة لتحديد موقعها ١٤ ق.م مقال نشر في مجلة نزوى العدد السادس إبريل ١٩٩٧ م ص ٧ .

(٢) آل حفظ : عروبة مصر القديمة ص ٣٥ ؛ عوض الله : بلاد بونت ص ٧-١٠ .

وعندما دخل عمرو بن العاص مصر كان أغلبية جيشه من عرب الجنوب ، وفيهم من قبائل الأزد العمانيين^(١) . واستقر هؤلاء الأزد في مصر . ثم وفد إليهم أعداد أخرى مثل أولئك الذين أبعدهم زياد بن أبيه من البصرة إلى مصر ، فوجدوا مصر وأهلها خير بديل ، فتركوا في القسطنطينية بموقع يقال له الظاهر ، ومن دلائل ارتياحهم وطيب إقامتهم في مصر ما عبر عنه الشاعر عمران بن حطان في قوله شعرا : (٢)

فساروا بحمد الله حتى أحلهم بليون^(٣) منها المرجفات السوابق
وحلوا ولم يرجوا سوى الله وحده بدار لهم فيها غنى ومرافق
فأمسوا بدار لا يفزع أهلها وجيرانهم فيها تحيب وغافق
وقد شارك الأزد في أنشطة الحياة في مصر ، وتولى معظمهم مناصب مرموقة ، ويروى عن معاوية بن أبي سفيان أنه كتب إلى واليه في مصر مسلمة بن مخلد^(٤) يقول له : " لا تولى عملك إلا أزدي أو حضرمي ، فإنهم أهل الأمانة " (٥) ، فلذا تقلد العديد من الأزد الولاية والقضاء في مصر في عهد الدولة الأموية^(٦) . ثم ازداد نفوذهم في ظل الدولة العباسية ؛ ففي عهد أبي العباس السفاح قلد ولاية مصر أحد

(١) د. البري : القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ص ١٤٨ ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ م ؛ حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ص ١٠١ ؛ الناشر : دار الفكر العربي القاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٦ م .

(٢) الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٣١١-٣١٢ .

(٣) بابليون : هو اسم لموضع القسطنطينية ، وقيل إنه اسم الحصن الذي فتحه عمرو بن العاص ؛ انظر :

الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٣١١ ؛ رجب عبد الحليم : الإباضية في مصر والمغرب ص ٣٤ .

(٤) مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري الخزرجي شهد مع معاوية معارك صفين ، فولاه مصر سنة ٤٧ هـ ،

وهو أول من جعل بنيان المنابر في المساجد التي يرفع منها الأذان . انظر الكندي : الولاية والقضاء

ص ٣٩ . تحقيق حسين نصار . الطبعة الثالثة . دار الفكر ١٩٨٦ م ؛ الزركلي : الأعلام ج ٧

ص ٢٢٤ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، وأخبارها ص ١٢٥ ليدن . سنة ١٩٢٠ م .

(٦) الكندي : ولاية مصر ص ٦٤ ، ٦٣ .

رجالها ، وهو أبو عون عبد الملك بن يزيد الهنائي^(١) من أزد عمان من بني هناة بن مالك بن فهم^(٢) الذين يعيش في صحار العديد منهم وعرفتهم ولاية للدولة العباسية أيضا في بداية عهدها^(٣)،

أما قبائل العتيك فقد استقر بعضهم في مصر ، وموطنهم الأصلي صحار وما جاورها من مدن وقرى حتى دبا . ومن هذه القبيلة المهلب بن أبي صفرة القائد العماني الذي أسندت إليه الدولة الأموية قتال الخوارج ، ومن سلالة ظهر العديد من القادة والولاة وأصحاب النفوذ في الدولتين الأموية والعباسية . وفي خلافة المنصور تولى يزيد بن حاتم المهلي^(٤) ولاية مصر في سنة ١٤٤هـ / ٧٦١م ، وفي عهد الرشيد تولى مصر داود بن يزيد بن المهلب في سنة ١٧٤هـ م ٧٩٠م^(٥) وقد تولى في ظل الدولة العباسية العديد من القادة والقضاة العمانيين مناصب قيادية في مصر^(٦) ، ولاشك أن هؤلاء كان لهم تواصل بموطنهم الأصلي عمان ، وكانت صحار هي مركز ذاك التواصل . وقد أشرنا سابقا إلى أن داود بن يزيد المهلي^(٧) قد أطلع والي

(١) أبو عون عبد الملك بن يزيد الهنائي ولي مصر مرتين أولادهما في عهد السفاح في شهر شعبان سنة ١٣٣هـ / ٧٥١م ، وحتى ١٣٦هـ / ٧٥٣م ، ثم وليها في عهد المنصور في رمضان ١٣٧هـ - ٧٥٥م ، وحتى ربيع الأول ١٤١هـ / ٧٥٨م ؛ انظر الكندي : ولاية مصر ص ١٢٣-١٢٦-١٢٧ .

(٢) العوتبي : الأنساب ج ٢ ص ٢٢٢ ؛ د. الري : القبائل العربية في مصر ص ١٥٥ .

(٣) جناح بن عبادة الهنائي ، ثم تولى ابنه محمد بن جناح في خلافة أبي العباس السفاح ، وقد تقدم ذكرهم في الباب الأول الفصل الثاني .

(٤) يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة يكنى بأبي خالد كان من القادة الشجعان في العصر العباسي ، تولى أفريقية سنة ١٥٤هـ / ٧٧١م ومكث بها خمس عشرة سنة ، وتوفي بالقبروان سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م ؛ انظر : الكندي : ولاية مصر ص ١٣٣ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٢١-٣٢٢-٣٢٦ .

(٥) الكندي : ولاية مصر ص ١٣٣ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٢٢ .

(٦) الكندي : ولاية مصر ص ١٣٣-١٣٤ .

(٧) سبقت ترجمة هذا القائد في الباب الأول الفصل الثالث ، ص ٨٥ .

صحار على تحركات الرشيد لإخضاع عمان^(١) ، رغم أنه في موقع قيادي لدى الدولة العباسية .

وقد أثر هذا الوجود العماني في مصر تواصلا علميا حيث انتشر المذهب الإباضي بين العديد من أهلها ، إلا أنه لم يكن بذاك الانتشار الواسع لأن مصر طوال القرون الأولى من التاريخ الإسلامي كانت تابعة لدار الخلافة ، ولما كانت الدولتان الأموية والعباسية تعارضان المذهب الإباضي ، وكان الإباضية - بحكم مذهبهم - غير مقربين بسلطة خلفاء الدولتين ما عدا عمر بن عبد العزيز فقد كان من الطبيعي أن يمثل انتشار المذهب الإباضي في مصر خطرا على سلطة خلفاء هاتين الدولتين لما تمثله مصر من أهمية بالغة ، فقد حباها الله من نعمة الموقع الذي هو محور ربط بين أجزاء العالم الإسلامي ولما فيها من ثروات اقتصادية كبيرة تدر على خزائن الدولة أموالا عظيمة مع ما يتحلى به الإنسان المصري من قدرات فاعلة في الحياة علميا وعمليا وهي قدرات تحوطها الأخلاق الفاضلة الكريمة .

مثل هذه الخواص التي تمتعت بها مصر جعلت كل دولة قوية تسعى جاهدة لأن يكون لها قدم راسخة في هذه البلاد ، وتسعى أيضا للحيلولة دون قيام أي نشاط ينافي مصالحها فيها ، ولهذا كان دور الدعوة الإباضية في مصر محدودا ، ورغم ذلك فقد ظهر من بين المصريين علماء إباضية ومنهم شعيب بن المعروف ، ويكنى بأبي المعروف و هو من طبقة الإمام الربيع ، وقد أخذ العلم على يد الإمام أبي عبيدة^(٢) .

ورغم أن ابن المعروف خالف الإجماع الإباضي في بعض المسائل ، إلا أنهم يأخذون بأقواله الفقهية^(٣) . ومن علماء الإباضية البارزين في مصر محمد بن عباد بن عبد الله بن عباد . تلقى العلم في البصرة على يد شيوخ الإباضية هناك وأشهرهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وزامل

(١) الشماخي : ج ١ ص ١٠١ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٧٤ .

(٢) أبو غانم : المدونة الكبرى ج ٢ ص ٣٠٧ ؛ ابن خلدون : أجوبته ص ١١٣ ؛ الشماخي : السير

ج ١ ص ٩٧ .

(٣) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٦٦ .

العديد من علماء عمان ومنهم علماء صحار كالإمام الربيع والعلامة محبوب بن الرحيل وأبي حمزة الشاري ، وغيرهم^(١). ولما عاد إلى مصر أصبح مقصدا علميا للإباضية ليس في مصر فحسب ، بل في غيرها من بلاد المشرق والمغرب ؛ حيث وفد عليه أبو غانم الخراساني فدون عنه العديد من المسائل في مدونته . ولما عزم الإمام عبد الوهاب الرستمي على الخروج للحج أفقاه العلامة ابن عباد بعدم وجوب الحج عليه لأن الطريق غير آمن عليه فامثل الإمام لفتواه وأرسل إليه الإمام بمسائل أخرى فأفقاه فيها^(٢)، ويصف الشماخي العلامة ابن عباد بالشيخ المرضي . وبلغ من الزهد والورع والتقوى مبلغا عظيما^(٣).

ومن العلماء الذين جمعتهم حلقات العلم في البصرة ، وتلمذوا على يد علماء الإباضية الذين جلهم من عمان الإمام الماهر - كما يذكره الشماخي - الشيخ الطاهر عيسى بن علقمة المصري ، وهو من متكلمي الإباضية ، وحذاق علمائها ، وقد عارض في كتاب له يسمى " التوحيد الكبير " من قال بأن أسماء الله مخلوقة وصفاته محدثة ، وأورد الأدلة التي تدعم رأيه بأمر مقنع بما فيه الكفاية^(٤). وهناك علماء آخرون شكلوا حلقة تواصل فكري بين مصر وعمان مثل أبي إسحاق إبراهيم المصري ، وكان فقيها مفتيا في مصر^(٥)، وكانت داره في حي من أحياء الفسطاط يسمى حضرموت ، وكانت تتم بينه وبين علماء الإباضية مكاتبات ومراسلات ، حتى أن العلامة المغربي ابن سلام استدل على مكان سكنه في الفسطاط عن طريق المكاتبات التي كانت تتم بينه وبين والد ابن سلام^(٦) . ومن الذين ذكرتهم المصادر أيضا ابن اليسع حيث ذكر

(١) الشماخي : السير ج ١ ص ١١٢-١١٣ ؛ السالمي : اللعة المرضية ، الناشر وزارة التراث القومي ، والثقافة سلسلة من تراثنا العدد ١٨ الطبعة الثانية ١٩٨٣ م ص ٣١ .

(٢) ابن سلام : الإسلام وتاريخه ص ١٣١ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ١٤٠ ؛ الراشدي : أبو عبيدة وفقهه ص ٢٦٧ .

(٣) الشماخي : السير ج ١ ص ١١٢ .

(٤) الشماخي : السير ج ١ ص ١١٢ ؛ د. رجب عبد الحليم : الإباضية في مصر ، والمغرب ص ٩٧ .

(٥) الشماخي : السير ج ١ ص ١١٢ ؛ الحارثي : العقود الفضية ص ١٨٤ .

(٦) ابن سلام : الإسلام وتاريخه ص ١٣٦ .

الشماعخي أنه من أهل مصر وكان شيخا ذا يسر فاضلا شهيرا ، وقد جعل كراء عشرة فنادق لفقراء المسلمين ^(١) .

وقد أسهم هؤلاء العلماء وغيرهم الذين لم تورد المصادر عنهم شيئا سوى أسمائهم في التواصل العلمي بين علماء عمان وعلماء مصر ، ويكفي أنهم تلقوا العلوم من مدرسة واحدة . وبموقع مصر المتوسط كان علماؤها حلقة وصل بين علماء المغرب وعلماء المشرق ^(٢) ، وكثيرا ما يلتقي هؤلاء العلماء من مختلف الأقطار في أيام الحج ، وقد تمت الإشارة إلى مجالس علماء صحار في مكة ، وفيها يتم التواصل بين العلماء ، وقد أسهم علماء مصر في هذه الاجتماعات ^(٣) . ومن عوامل التواصل العلمي أيضا مؤلفات هؤلاء العلماء تتداول وتدرس ، ومن أمثلة ذلك مدونة أبي غانم الخراساني التي جمعها عن علماء الإباضية ومن بينهم علماء مصر وعمان ، وأصبح هذا الكتاب من أهم مصادر الفقه الإباضي ^(٤) . كما أن كتاب الجامع في الحديث للإمام الربيع عده الإباضية من أهم مصادرهم في الحديث لعدالة رواته ، وسلسلتهم الذهبية فهو رباعي الإسناد ^(٥) ، إلا أنهم لم يقتصروا عليه ، فكتبهم مليئة بأحاديث الصحاح الأخرى .

وكان للمذهب الإباضي دور ريادي في التواصل العلمي بين عمان وغيرها من البلدان في تلك الفترة حيث عمان هي قاعدة انطلاق هذا المذهب ، وكان

(١) الشماعخي : السير ج ١ ص ١١٢ ؛ الحارثي : العقود الفضية ص ١٨٤ ؛ د. الراشدي : أبو عبيدة

وفقهه ص ٢٦٨ ؛ د. رجب عبد الحليم : الإباضية في مصر والمغرب ص ٩٧ .

(٢) ابن سلام : الإسلام وتاريخه ص ٣ ؛ الشماعخي : السير ج ١ ص ٦٨ ص ٨٥ ص ١٤٧ ؛ د. رجب

عبد الحليم : الإباضية في مصر والمغرب ص ٨٨ .

(٣) ابن سلام : المرجع السابق ص ١٣ ؛ الشماعخي : السير ج ١ ص ١٤٥ ؛ د. رجب عبد الحليم :

الإباضية في مصر ، والمغرب ص ٩٠ ؛ د. السهيل : الإباضية في الخليج ص ١٤٧ .

(٤) د. الراشدي : أبو عبيدة وفقهه ص ٣٨٩ ؛ د. السهيل : الإباضية في الخليج ص ١٤٩ .

(٥) الحارثي : العقود الفضية ص ١٤٩ ؛ د. الجعبري : البعد الحضاري ص ١٠٤ ؛ د. السهيل :

الإباضية في الخليج ص ١٤٩ .

علماء عمان مرجعا وأئمة للمذهب وعلمائه في بقية الأقطار ، ومع هذا يجب أن لا ننسى دور العلماء المصريين من غير المذهب ، ممن كانت تربطهم بعمان علاقات النسب القبلية ، فقد ظهر في مصر علماء بارزون في العلوم الدينية والأدبية واللغوية ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الحافظ أبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد الأزدي الحجري (٣٣٢-٤٠٩هـ / ٩٤٤-١٠١٩م) ، ولد ونشأ في مصر وتعلم على أيدي علمائها ، وأصبح من أشهر المحدثين بها في زمانه وروى عدد كبير من المحدثين والفقهاء عنه^(١)، واشتهر علماء في الحديث والفقهاء من آل المهلب^(٢) ، ومن بني شبيب^(٣) ، ومن قبائل عمانية أخرى لا يتسع المقام لذكرهم .

وفي مجال علوم اللغة نجد منهم أبا يعقوب محمد بن إبراهيم بن يزيد بن حاتم ابن المهلب بن أبي صفرة المتوفى سنة (٣٤٩هـ / ٩٦٠م)^(٤) ، وفي نفس الفترة اشتهر أيضا أبو الحسين علي بن أحمد المهلي النحوي^(٥) . ومن بني هناة ظهر العالم اللغوي علي بن الحسن الهنائي المعروف بكراع النمل لقصر قامته ، وكان هذا العالم معاصرا لابن دريد أي من علماء القرن الثالث والرابع الهجريين ، ومن كتبه المنضد الذي كتبه في سنة (٣٠٧هـ / ٩١٩م) وهو في مجلدات عديدة اختصر في كتاب المجرد ، ثم اختصره في كتاب ثالث هو المنجد ، وله أيضا كتاب المصحف وكتاب المنظم^(٥) . ومن علماء اللغة أيضا العالم أبو العباس أحمد بن محمد المهلي وهو من أهل الفسطاط

(١) السمعاني : الأنساب ج ١ ص ١٢٠ .

(٢) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٢ ص ١٣٢ ؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مله مالک ح ٢ ص ٧٣ ، ج ٣ ص ٨٦ ، تحقيق د. أحمد بكر محمود ، دار مكتبة الحياة بیروت ، دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

(٣) السمعاني : الأنساب ج ٣ ص ٣٩٩ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ج ١ ص ٥٩٦ ؛ د. رجب عبد الحليم : الأزد والمهرة في مصر ، بحث نشر من ضمن حصاد ندوة العلاقات العمانية للمصرية ص ٢٣٤ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ٤ ص ٦-٧ ؛ ابن النعم : الفهرست ص ١٦٥، ١٦٦ .

وكان وافر العلم والمعرفة ، وله مصنفات منها كتاب شرح علل النحو وكتاب المختصر في النحو . وحياة هذا العالم بجهولة الزمن حيث لم يرد شئ عن تاريخ حياته^(١)، وهناك غير هؤلاء العديد من الأسماء التي تنتمي لقبائل عمانية معروفة حتى اليوم ، أما الذين ينتمون لقبيلة الأزد عموما فأعدادهم أكبر ، ولكن ليس من الشرط أن يكون كل أزدي من عمان ، فقبيلة الأزد على إطلاقها كبيرة الانتشار في الجزيرة العربية وغيرها ، مثل الشام وبلاد الرافدين .

وبهذا العرض الموجز ندرك عمق التواصل الفكري سياسيا وعلميا بين عمان . ومصر منذ فجر الإسلام ، وكانت صحار هي عاصمة البلاد ، وقد رأينا أيضا العديد من القبائل العمانية التي كان لها وجود كبير في صحار وما حولها وقد شارك أبناؤها في صنع هذا التواصل الفكري السياسي والعلمي والأدبي ، وقد بدأت العلاقات العمانية المصرية منذ مئات السنين وسيستمر هذا التواصل بإذن الله من خلال الأجيال القادمة قرونا قادمة كما عرفته الأجيال الماضية والحالية .

المغرب العربي:

بدأت العلاقة العلمية بين عمان والمغرب العربي منذ القرن الأول الهجري وبرزت في آخره . وكانت مكة المكرمة هي بداية الملتقى الفكري حيث كان العمانيون حريصين على أن يشهدوا فريضة الحج كل عام . وكان الإمام جابر بن زيد رضي الله عنه هو الأسوة لهم في ذلك ، وقد وجد المغاربة في فكر الإمام ما يتوقنون إليه بعد انقضاء خلافة الراشدين . والدلائل تشير إلى أن فكره - وهو فكر المذهب الإباضي - وصل إلى المغرب في وقت مبكر بعد موقعة النهروان ؛ فقد روى

(١) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ج ١ ص ٥٩٦ ؛ د. وجب عبد الحليم : الأزد والمهرة في مصر : ضمن حصاد ندوة العلاقات العمانية المصرية ص ٢٣٦ .

ابن حوقل أن أهل جبل نفوسة "شراة إباضية من أصحاب عبد الله بن إباح"، وأنهم وجدوا في هذا الجبل بعد موقعة النهروان^(١)، والذي يعضد ذلك وصول أول طالب مغربي وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد النفوسى الجناوني إلى البصرة ليتلمذ على يد شيوخ الإباضية فيها، وكان ذلك في نهاية القرن الأول الهجري^(٢)، بعد وفاة الإمام جابر بن زيد - سنة ٩٣ هـ - بعدة سنوات.

وهذا يدل على أن فكر الإمام جابر بن زيد كان موجودا فعلا خاصة في المغرب الأدنى لقربه من المشرق وكان لمصر إسهام فاعل في إيصال هذا الفكر عن طريق القبائل الأزدية التي ينحدر بعضها من أصل عماني والتي شاركت في الفتوحات الإسلامية في المغرب العربي وكانت انطلاقة هذه الجيوش من مصر^(٣). ومنذ أوائل القرن الثاني الهجري بدأ هذا التواصل العلمي بين صحار والمغرب يزداد، خاصة بعد ما ازداد المذهب الإباضي انتشارا بين قبائل البربر التي رأت فيه الأمل لإعادة خلافة الشورى وقواعد العدل والحكم الذي كان ينشده البربر^(٤).

ونظرا لهذا الوجود الإباضي في المغرب رأى أئمة المذهب في البصرة ضرورة توجيه أحد إلى المغرب ليقوم بعملية التعليم وتوسيع قاعدة المذهب في هذه البلاد؛ فكان مسلمة بن سعد الحضرمي^(٥) هو أول من قدم، وكانت

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ص ٩٣.

(٢) الشماخي: السراج ١ ص ١٢٨؛ د. الصوافي: الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة ص ١٩١.

(٣) في سنة ٢٨ هـ / ٦٤٧ م قاد عبد الله بن سعد بن أبي السرح حملة لفتح إفريقية كان فيها من مصر ستمائة

رجل ومن الأزد ألف وأربعمائة رجل. انظر ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ١٨٣، ١٨٤.

(٤) د. الراشدي: أبو عبيدة وفقهه ص ٢١٠. د. رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب ص ٨١. د.

حسين مؤنس: دستور أمة الإسلام ص ٤١.

(٥) هو مسلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني وكان من طبقة الإمام الربيع بن حبيب وكان يتمنى أن تظهر دعوته ولو يوما واحدا حيث يروي عنه قوله: "وددت أن يظهر هذا الأمر بالمغرب يوما واحدا

فما أبالي ضربة عنقي". والبعض يروي أنه أول من أدخل للمذهب الإباضي إلى المغرب إلا أن الدلائل تشير إلى أن وجود المذهب سبق وصول مسلمة بن سعد. والراجح أنه كان يتمنى قيام دولة إباضية في

المغرب تنشر العدل بين الناس ولو يوما واحدا. انظر أبو زكريا: كتاب السيرة ص ٤٢؛ الشماخي

السيرة ص ٩١، ٩٠. أبو اسحاق اطفيش: مقدمة كتاب الرضع لأبي زكريا الجناوني ص ٧.

مصر محطاته الأولى ثم انطلق إلى المغرب ، ولابد أنه كان برفقته من يعينه على مشاق هذه المهمة وهذا ما يشير إليه الشيخ أبو إسحاق حين يذكر أنه كان على رأس وفد من البصرة^(١) . واستطاع هذا الداعية أن يحقق نجاحا في دعوته وساعده على ذلك ما كان يلاقه من بطش وحيف بعض ولاة الدولة الأموية والعباسية^(٢) ، فوجد البربر في الدعوة الإباضية خلاف ما يشاهدونه من تلك الأعمال القهرية فازداد أتباعها .

وباتساع رقعة المذهب الإباضي كان لابد من إعداد جيل يحمل أمانة التعليم والدعوة فكان أول فوج من المغرب يتجه نحو البصرة ليتلقى العلم من شيوخ المذهب وكان بادرة هذا التوجه أربعة شكلوا من جهات وقبائل مختلفة وهم عبد الرحمن بن رستم الفارسي القيرواني ، وأبو درار إسماعيل بن درار العداسي ، وعاصم السدراي نسبة إلى قبيلة سدراتة ، ولم تفصح المصادر عن ذكر اسم أبيه ، وأبو داود القبلي النفزاوي من بلاد نفزاوة في الجنوب الشرقي واشتهر بكنيته ولم تذكر المصادر حتى اسمه^(٣) ، وانضم إليهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليماني الأصل . وكانت إقامة هؤلاء ما بين سنتي (١٣٥هـ - ١٤٠هـ / ٧٥٣-٧٥٨م) وعرف هؤلاء الخمسة بحملة العلم من البصرة إلى المغرب^(٤) . وفي نفس السنة الأخيرة نصب أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري إماما في طرابلس بليبيا^(٥) . وكان التخطيط تم لهم في البصرة بقيادة إمام المذهب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وبحضور عمانيين

(١) د. عبد العزيز المجنوب : الصراع المذهبي في إفريقيا : ص ١١٢ الناشر الدار التونسية للنشر الطبعة الثانية

١٩٨٥م . د. رجب عبد الحليم : الإباضية في مصر والمغرب ص ٣٦-٣٧ .

(٢) أبو إسحاق : مقدمة كتاب الوضع ص ٧ ؛ د. محمد ناصر : منهج الدعوة عند الإباضية ص ١٤٧ .

(٣) الدرجيني : الطبقات ج ١ ص ١٩ . أبو زكريا كتاب السيرة ص ٥٧ . الشماخي : السير ج ١ ص ١١٣ .

الحارثي : العقود الفضية ص ١٨٤ .

(٤) الدرجيني : الطبقات ج ١ ص ١٩ . أبو زكريا كتاب السيرة ص ٥٧ .

(٥) أبو زكريا : كتاب السير ص ٦١ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ١ ص ٢٢ ؛ الشماخي : السير

ج ١ ص ١٤٠ ؛ د. عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ص ١٣٧ ، ص ١٤٧ .

علماء ومتعلمين^(١). وهذه السرعة في قيام هذه الإمامة بعد رجوع حملة العلم تؤكد توسع رقعة المذهب هناك وقوة قاعدته . وقد استمرت هذه الإمامة أربع سنوات^(٢) . وما من شك في أن التواصل الفكري كان قائما بين مراكز الإباضية في المشرق: البصرة وعمان واليمن وخراسان وبين طرابلس مقر الإمامة . ومما بقي من مراسلات بين الطرفين رسالة الإمام أبي عبيدة في الزكاة إلى أهل المغرب^(٣) إجابة على رسالتهم يقول فيها " أئانا كتابكم تذكرون فيه ما من الله عليكم من جمع كلمتكم وائتلاف أمركم " ، إلى أن يقول " فلعمري لقد سرتني ما انتهيتم إليه من أمركم وإن كان ذلك لم يخف عنا "^(٤) . وهذه العبارة الأخيرة تدل دلالة صريحة على استمرار التواصل بالرسائل أو بالرسائل .

وعندما قامت الدولة الرسمية في المغرب العربي سنة ١٦٠هـ / ٧٧٧م^(٥) شهد من حينها التواصل بين صحار والمغرب نموا متسارعا فازدهر في ظل الإمامتين الرسمية في المغرب والإمامة الثانية في عمان التي قامت سنة ١٧٧هـ / ٧٩٤م^(٦) . ومن شواهد هذا التواصل مسارعة الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي بإرسال مدد معنوي ومادي عندما قامت الدولة الرسمية فوصل رسل الإمام الربيع فوجدوا الإمام عبد الرحمن بن رستم يعمل في سقف منزله بالطين وقدموا له تلك الأحمال وما فيها من مال وعتاد فاستشار أصحابه في قبولها فأذنوا له بذلك

(١) د. عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ص ١٤٧ ؛ د. محمد ناصر : منهج الدعوة عند الإباضية ص ١٥٠ ؛ د. رجب عبد الحليم : الإباضية في مصر والمغرب ص ٨٥ ؛ د. السهيل : الإباضية في الخليج العربي ص ١٥٧ ؛ د. محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب ص ٨٤، ٨٣ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٣١٧ ؛ ابن غداري : البيان للمغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٧١ ؛ أبو زكريا : كتاب السيرة ص ٧٤ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ١ ص ٣١ .
(٣) من رسالة لأبي عبيدة تحقيق د. مبارك الراشدي نشرها من ضمن كتابه : أبو عبيدة وفقهه من ص ٥١٣ وحتى ٥٧٢ .

(٤) أبو عبيدة : رسالة في الزكاة من ضمن كتابه أبو عبيدة وفقهه ص ٥١٣ .
(٥) ابن الصغير : أخبار الأئمة الرسميين ص ٣١ . أبو زكريا : كتاب السيرة ص ٨٧ .
(٦) سبق توثيق ذلك . انظر مبحث الإمامة الإباضية الثانية في عمان من هذه الرسالة ، ص ٨٠ .

لأن الدولة ما تزال في بداية تكوينها^(١). ولما رجعت الرسل إلى عمان أمد الإمام الربيع أهل المغرب بأخرى ولكن هذه المرة أجمع رأي الإمام عبد الرحمن ومن معه على عدم قبولها لما كانوا يعلمونه من قصد إخوانهم في عمان أن يقيموا الإمامة فهم أحوج إلى هذا المدد حيث قال الإمام لمستشاريه والرسل بين يديه : " فرأيي أن ترجع إلى أربابها - يقصد الأموال والعتاد - فهم أحوج إليها منا وقد استغينا وقوينا " . أما الدعم المعنوي فقد ظل متواصلا بكتيهم ووصاياهم^(٢).

وفي عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن انشق يزيد بن فندين - وهو من علماء المغرب في القرن الثاني الهجري - ومن معه على إجماع علماء الدولة الرسمية الذين اختاروا الإمام عبد الوهاب فبايعوه دون الشرط الذي وضعتة الفئة المنشقة وهو " أن لا يقضي أمرا دون جماعة معلومة " ، فبادر الإمام إلى طرح القضية على إمام المذهب إذ ذاك الربيع بن حبيب ومن معه من شيوخ العلم ، ولما وصل الرسل مكة وجدوا الإمام الربيع هناك ، فطرحوا القضية عليه ومن معه فأجابوا الإمام عبد الوهاب بأن الإمامة صحيحة والشرط باطل مثبتين ذلك بالأدلة والبراهين القاطعة^(٣) .

ومع غزارة علم عبد الوهاب ومع كثرة علماء الدولة الرسمية إلا أنه كان دائم الصلة بعلماء المذهب الكبار وعلى رأس هؤلاء الإمام الربيع بن حبيب في عمان والعلامة ابن عباد المصري^(٤). وكان يرسل إليهم الهدايا الثمينة تعبيرا عن حبه وتقديره لهم . فتذكر المصادر أنه أرسل للإمام الربيع هدية قدرها

(١) ابن الصغير : أخبار الأئمة الرسميين ص ٣٢-٣٥ ؛ أبو زكريا الوارجلاني : كتاب السيرة وأخبار الأئمة

ص ٨٨ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ١ ص ٤٥ .

(٢) ابن الصغير : أخبار الأئمة الرسميين ص ٣٢-٣٥

(٣) أبو زكريا : كتاب السيرة ص ٩٤ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ١ ص ٤٩-٥٠ ؛ الإزكوي : كشف الغمة (المخطوط) : ص ٥٢٠ ، ٥٢١ .

(٤) أبو زكريا : كتاب السيرة ص ١١٦ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ١ ص ٦٦ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ١٤٠ .

اثنا عشر ألف درهم أو دينار ولم تكد الهدية تصل للإمام حتى بادر برد مثلها وأرسل بها أخاه إلى تاهرت^(١) . وكانت مؤلفات المشرق والمغرب متداولة بين الجانبين ، ومن دلائل ذلك أن الإمام عبد الوهاب أرسل إلى إخوانه في البصرة ألف دينار ليشتروا له بها الكتب^(٢) ومن بينها كتب علماء عمان فلذا ازدانت مكتبته بتاهرت عاصمة الرستميين بالكتب من كافة أقطار العالم الإسلامي^(٣) ، وكان لمؤلفات أهل عمان النصيب الأوفر نظر الرابطة الفكرية التي تجمع البلدين . وتفيد المصادر أن ديوان الإمام جابر بن زيد ، وهو من أوائل ما صنف في صدر الإسلام من القرن الأول الهجري ، كان متداولاً في المغرب بعد أن استنسخ من نسخة نادرة في خزانة أحد الخلفاء العباسيين في بغداد^(٤) .

وفي عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب دعا إلى دراسة كتب المذهب الإباضي مع تخصيص كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل الصحاري العماني حيث قال: "عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة ولا سيما كتاب أبي سفيان العماني"^(٥) ، وهذا الكتاب - كما سبقت الإشارة - أهم المصادر الإباضية في التعريف بنشأة المذهب وأصوله وعلمائه الأوائل . وقد تناقلت المصادر الإباضية ذلك اللقاء العلمي الذي جمع علامة صحار محمد بن محبوب بالعلامة المغربي عمرو بن فتح المساكني النفوسي في مكة وذلك لما في هذا اللقاء من عمق الدلالة على التواصل العلمي بين أقطاب العلم عند الإباضية في المشرق والمغرب. وإذا كان كتاب العلامة أبي سفيان محبوب بن الرحيل خصه الإمام أفلح بعناية النصيح لتعلمه فإن كتاب الابن محمد بن محبوب كان له نفس الإعجاب والتقدير في نفوس علماء المغرب فجعلوه أحد الكتب الأساسية التي يدرسها

(١) الشماخي: السير ج ١ ص ١٤٢ .

(٢) أبو زكريا : كتاب السيرة ص ١٠٢، ١٠٣ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ١ ص ٥٦، ٥٧ ؛ الشماخي :

السير ج ١ ص ١٤٢ .

(٣) أبو زكريا : ص ١٧٠ ؛ الباروني : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ج ٢ ص ٣٥٨ تحقيق محمد

الصليبي . مسقط . وزارة التراث القومي والثقافة سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(٤) أبو زكريا : كتاب السيرة ص ١٤٠-١٤١ .

(٥) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٤٧٨ .

طلاب العلم عندهم . ومن إعجاب أحد العلماء بالكتاب أمر ولده أن يقرأ على يديه الجزء السادس وعندما يأخذ الابن في القراءة يردد الأب قائلا : "كلام محقق فقيه أصولي"^(١). والكتاب في سبعين جزءا وصلت أعداد قليلة منه إلى المغرب ، وقيل وصل منه الجزء السادس فقط ، ولهذا فقد حاز ابن محبوب مكانة رفيعة في نفوس علماء ومتعلمي المغرب العربي فقد كانت تأتيه مسائلهم العلمية ؛ وفي مرة واحدة بعثوا إليه بثلاث وخمسين مسألة في قضايا مختلفة سياسية و عقائدية وفقهية فرد عليهم مسألة مسألة وقد جمعت هذه الإجابات وعرفت بسيرة محمد بن محبوب^(٢) .

وإذا كانت كتب آل الرحيل أخذت تلك المكانة في المغرب فإن مؤلفات أقرانهم علماء عمان أخذت مكانتها أيضا . ومن أهم ما كان يدرس هناك جامع الإمام الربيع بن حبيب وجامع ضمام بن السائب^(٣) الذي دونه عنه أبو صفرة عبد الملك بن صفرة^(٤) . واستمر سيل الكتب العلمية يتدفق بين الجانبين وإذا كانت الإمامة عند الإباضية تقوم على أساس علمي فإن العلماء لهم دور الرقيب والنصح للحكام فكانوا دائما يتعهدونهم بالتذكير باتباع المسلك القويم الذي أساسه حاكمية الله وتطبيق شرعه القويم وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم والسير على مناهج خلفائه الراشدين والتمسك بمبدأ الشورى وإقامة العدل واحترام قيمة الانسان .

وقد تمت الإشارة إلى أن كتبنا ووصايا كانت تصل من علماء عمان للأئمة في المغرب ، وكان المقابل يتم أيضا فقد وجه علماء المغرب لأئمة عمان وصاياهم ومن ذلك تلك السيرة التي وجهوها إلى الإمام الصلت بن مالك من أئمة القرن الثالث الهجري وبينوا له فيها حدود الإمام وواجباته مؤكدين واجب التلاحم بين الحاكم والمحكومين والاعتصام بمجبل الله المتين ونبذ كل فرقة تؤدي إلى ضياع الحق وأهله ، وفي ختام هذه السيرة قالوا: "ولا نسألكم عن ذلك جزاء ولا شكورا وإنما

(١) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٣٥٧، ٣٥٨ ؛ الشماخي : السير ج ٢ ص ٤٩، ٥٠ .

(٢) تقدم ذكر هذه السيرة في مبحث الحياة العلمية في صحار عند الحديث عن هذا العالم الجليل . ص .

(٣) تمت الترجمة له سابقا ، انظر ص ٢٨٠ من هذه الرسالة .

(٤) أبو صفرة عبد الملك بن صفرة . يقول عنه الشماخي : " بلغ في العلوم مكانا كبيرا وحاز منها شيئا كثيرا

" عاش بالبصرة وكان من علماء القرن الثاني الهجري . انظر الشماخي : السير ج ١ ص ١٠٩ .

أردنا بذلك الجزاء من الله على ما قد علم من رغبتنا إعزاز الإسلام وأهله وإعلاء كلمته في داركم ومصركم" (١).

ورغم أن العلماء يعلمون يقينا بمكانة الأئمة العلمية وأنه لا يتصدر لهذه الأمانة إلا من كان أهلا لها مع وجود المستشارين الناصحين الذين يحيطون بالإمام فقد كان العلماء الآخرون دائما يتوجسهم الخوف على الأئمة من أن يتغلب عليهم هوى النفس ورغبات الحياة وتزيين الطامعين في الجاه والمال فيصرفهم ذلك عن جادة الحق . وكل ذلك يدل على عمق التواصل وصلابة المواقف التي تجمعهم . ومن شواهد العلاقات العلمية بين عمان والمغرب العربي قدوم سبعين طالبا من المغرب إلى عملن في القرن الرابع الهجري ليدرسوا في مدرسة العلامة ابن بركة (٢) الذي تلقى العلم على يد علماء صحار فكان من أشهر العلماء الذين تخرجوا منها . ولما عاد إلى مدينة بهلا أقام مدرسة يشرف عليها بنفسه وينفق عليها وعلى كل المتعلمين فيها من حر ماله . وهناك شواهد كثيرة على تلك العلاقة الحميمة التي ربطت بين أبناء المغرب العربي وإخوانهم في عمان ، واستمر ذلك التواصل العلمي من القرن الأول الهجري وحتى يومنا هذا وسيستمر بإذن الله عز وجل .

(١) هذه السيرة منشورة ضمن كتاب السير والجوابات ، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف في الجزء الأول من ص ١٨٩ وحتى ص ٢٣٢ وأصحابها لم يفصحوا عن أسمائهم رغبة منهم في أن تكون هذه النصيحة خالصة لله وأن تكون ثمرها الألفة والمودة والعمل في كل ما يرضي الله عز وجل . انظر سيرة بعض فقهاء المسلمين إلى الإمام الصلت بن مالك ص ٢٣١ ضمن الكتاب المذكور أعلاه .

(٢) هو العلامة أبو محمد عبد الله بن بركة السليمي من علماء القرن الرابع الهجري من قرية الفرع من ولاية بهلا وأشيأه من علماء صحار العلامة الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب وأبو مالك غسان ابن الخضر الصلاني وكتب عن أشيأه كتاب التقييد وكتاب التعارف اللذين يتضمنان جوانب مما كلنت تشهده صحار من رقي وازدهار . ومن مؤلفاته القيمة الأخرى كتاب الجامع الذي يعتبر من أهم المصادر الأصولية المؤلفة في القرن الرابع الهجري ، وله كتب أخرى قيمة . انظر: تواريخ العلماء ص ٨ ؛ الشقصي : منهج الطالبين ج ١ ص ٦٢٣ ؛ البطاشي : إتحاف الأعيان ج ١ ص ٢٢٦، ٢٢٧ ؛ د . رجب عبد الحليم : الإباضية في مصر والمغرب ص ١٥٦ ؛ محمد أبو الحسن : مقدمة كتاب الاستقامة للكلمي ج ١ ص ٥ .

خراسان :

بلاد واسعة مترامية الأطراف تقع شمالي بلاد فارس ، وجنوبي نهر جيحون^(١). ويذكر البكري " أنها تضم نيفا وثلاثين عملا " ^(٢) منها نيسابور ، ومرو ، وسرخس ، وهراة^(٣) . دخلها الإسلام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد الفاتحين بقيادة الأحنف بن قيس التميمي في سنة ١٨ هـ ^(٤)، وقيل في سنة ٢٢ هـ^(٥)، وأكمل فتحها في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، بقيادة عبد الله بن عامر ابن كرز والأحنف^(٦) سنة ٣١ هـ . ومنذ أن تم فتح خراسان على يد الأحنف بن قيس بدأ التواصل بين أهلها وأهل عمان ، ودلائل هذا التواصل :

أولا : أن هذا الجيش الذي قاده الأحنف بن قيس كان بعض أفراده من عمال ومنهم صحار بن فلان العبدي^(٧) الذي ولاه الأحنف

-
- (١) البكري : المسالك ، والممالك ج ١ ص ٤٤١ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٥٠ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٢١٥ .
- (٢) البكري : نفس المصدر السابق ، والصفحة .
- (٣) الحموي : نفس المصدر السابق والصفحة .
- (٤) الطبري : تاريخه ج ٤ ص ٢٦٠ . ابن خلدون : تاريخه ج ٢ ص ٥٣٩ .
- (٥) ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٣٣ . ابن خلدون : تاريخه ج ٢ ص ٥٣٩ وقال زيني دحلان في سنة ٢٣ على الصحيح . انظر الفتوحات الإسلامية ج ١ ص ١٣٤ .
- (٦) ابن خياط : تاريخه ص ١٦٣-١٦٥ ؛ ابن أعثم : الفتوح ج ١ ص ٣٣٩، ٣٤٠ ؛ الطبري : تاريخه ج ٥ ص ١٢٣-١٢٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٢٤-١٢٧ .
- (٧) ابن خلدون : تاريخه ج ٢ ص ٥٣٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٣٣ ؛ زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية ج ١ ص ١٣٤ . هكذا أوردته المصادر المذكورة ، وقد علمنا سابقا أن صحار بن العباس العبدي الذي سبق ذكره قد شارك في الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وهذا يدل على أنه هو المشار إليه هنا .

بلاد هراة^(١) بعد أن تم فتحها .

ثانياً : الدور البارز لقبيلة بني تميم في هذه الفتوحات بقيادة زعيمهم الأحنف ابن قيس ، ومما يدل على أن اشتراكهم كان كبيراً قوله لهم: " يا بني تميم ، تحابوا ، وتباذلوا تعدل أموركم ، و ابدعوا بجهد بطونكم و فروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم " .^(٢) وهذه القبيلة كان لها دور فيما بعد في ظهور المذهب الإباضي والدفاع عنه ، ومن قيادات المذهب من بني تميم المرداس بن حدير ، وأخوه عروة^(٣) ، و عبدالله بن إياض^(٤) الذي نسب إليه المذهب للدفاع عنه العلني عنه ، بالإضافة إلى أن المصادر الإباضية تعد الأحنف بن قيس نفسه من كبار رجالهم^(٥) .

ومن هذين العاملين يتبين أن الفكر الإباضي انتشر في خراسان ، وأصبح عدد منهم علماء تزخر المصادر الإباضية بذكرهم ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر هلال بن عطية الخراساني ، وأبو عبد الله هاشم بن عبدالله الخراساني ، وأبو منصور حاتم بن منصور الخراساني ، وأبو هاشم جوهر بن نافع الخراساني ، ومحمد بن نصر الخراساني ، وأبو غانم بشر بن غانم الخراساني^(٦) . وكانت صلات هؤلاء بعمان قوية ومتينة لأنهم تتلمذوا على أيدي علمائها سواء كانوا بالبصرة أو بعمان . ومن دلائل عمق العلاقة

(١) هراة بالفتح : مدينة من أمهات مدن خراسان يقول الحموي عنها : " لم أر بخرا سان عند كوفي بها في سنة ٦٠٧ هـ مدينة أجمل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها فيها بساتين كثيرة ، ومياه غزيرة وخيرات كثيرة ، محشوة بالعلماء ، ومملوءة بأهل الفضل والثراء " . انظر الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٩٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٢٦ .

(٣) الشماخي : السير ج ١ ص ٦٤ ؛ الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢١٤ ؛ الميرد : الكامل ج ٢ ص ١٨٣ ؛ أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٨٤ .

(٤) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢١٤ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٧٢ .

(٥) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٣٥ ؛ الشماخي : السير ج ٢ ص ٧٦ .

(٦) أبو المؤثر : سيرته : من ضمن السير والجوابات ج ٢ ص ٣١٥ ؛ ابن سلام : الإسلام وتاريخه ص ١٣٥ الشماخي : السير ج ١ ص ١٠٦-١٠٩ ؛ الشقصي : منهج الطالبين ج ١ ص ٦٢٠ . تواريخ العلماء ص ٦-٨ ؛ السعدي : قاموس الشريعة : ج ٨ ص ٣٥٧-٣٥٨ ، ٣٦٠-٣٦١ .

بين الطرفين ذلك الفرع الشديد الذي أبداه الخراسانيون عندما قدم عليهم المهلب بن أبي صفرة القائد العماني المعروف واليا عليهم من قبل الدولة الأموية^(١). إلا أن الدليل الآتي أعظم من ذلك بكثير ، ويتمثل في أنهم كانوا في مقدمة القائمين بالإمامة الأولى في صحار سنة ١٣٢ هـ وقدم بعضهم نفسه في سبيل الدفاع عنها وعن عمان واستقلالها السياسي والفكري ، وتلك التضحية نابعة من روح العقيدة التي كانت تجمع بين أهل عمان وخراسان .

وقد مرت بنا الأحداث التي تعرضت لها الإمامة الأولى في عمان ، وكان من بين الخراسانيين قادة من قواد الجيش الذي صد عن عمان هجمة الصفريّة ، وعلى رأس أولئك هلال بن عطية الخراساني^(٢) . ويحيى بن نجيح^(٣) الذي قيل إنه أيضاً من خراسان ، وقتل الأخير في هذه المعركة سنة ١٣٣ هـ . أما العلامة هلال بن عطية فإنه اشترك أيضاً مع الإمام الجلندي في قتال الحملة العباسية التي قدمت لتخضع عمان لسلطة الخلافة بقيادة خازم بن خزيمه ، وانتهت المعركة بمقتل الإمام الجلندي ومستشاره المقرب هلال بن عطية ، وبذلك حققت الحملة العباسية بغيتها لفترة من الزمن . ومن مشاهير علماء خراسان الذين روي عن علماء صحار العلامة أبو غانم بشر بن غانم الخراساني من علماء النصف الثاني من القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين ، وقد جمع أبو غانم مدونته وتبلغ اثني عشر جزءاً ، عن عدد من علماء الإباضية المعاصرين له في القرن الثاني الهجري . ويعد هذا الكتاب أحد المصادر الإسلامية الفقهية الهامة لما يحتويه من الأحاديث الكثيرة المسندة إلى النبي صلى الله عليه

(١) ابن أعثم : الفتوح مجلد ٤ ج ٧ ص ٥٨ .

(٢) تمت الترجمة له في الفصل الثاني من الباب الأول مبحث قيام الإمامة الأولى في صحار ، ص ٧١ .

(٣) يحيى بن نجيح لاتورد المصادر عنه أكثر من ذلك . قيل إن أصله عراقي ، وقيل خراساني ، وقدم إلى عمان مع هلال بن عطية الخراساني وغيرها لشد عضد الإمام الجلندي ، وعند بداية المعركة المذكورة دعا يحيى بدعوة أنصف فيها الفريقين مفادها إن كانوا على الحق ، فليكن هو أول قتيل في المعركة ، وتكون الدائرة على خصمهم وإن كان العكس ، فأول قتيل هو قائدهم ، وتكون الدائرة على يحيى وصحبه ، فانهمز الصفريّة ، وكان هو أول قتيل كما نمى . انظر : الشماخي : السير ج ١ ص ١٠٤ . الرقيشي : مصباح الظلام ص ٩٢-٩٣ ؛ السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩٢ .

وسلم ، ومن فتاوى أئمة المذهب الإباضي الأوائل كالإمام جابر بن زيد ، والإمام أبي عبيدة ، والإمام الربيع بن حبيب^(١) ، وهو من المؤلفات الإسلامية المبكرة ، ومن الدعائم التي قوت العلاقات الفكرية بين عمان وخراسان تولى المهلب بن أبي صفرة العتكي ولاية خراسان سنة ٧٨هـ^(٢) واستقر فيها هو وبنوه حتى توفي سنة ٨٢هـ^(٣) ، فتولاها بعده ابنه يزيد بن المهلب^(٤) . وفي عهد سليمان بن عبد الملك جمع ليزيد البصرة مع خراسان^(٥) ، فكانت كل من عمان وخراسان تحت قبضته حيث بعث يزيد أخاه زيادا إلى عمان ليتولى أمرها^(٦) .

وخلال تولى هذه الأسرة لخراسان استقر معهم عدد كبير من العمانيين سواء من قدم معهم أو لحق بهم ، وقد أشرنا في مبحث سابق إلى ارتباط شاعرين كبيرين من شعراء عمان بالمهلب وبنيه ، وسكننا معهم في خراسان وهما : كعب بن معدان الأشقري ، و ثابت بن كعب بن جابر العتكي^(٧) . وهذا التواصل المتعدد الجوانب قوى تلك العلاقة الحميمة التي جمعت بين أبناء صحار وخراسان رغم البعد المكاني الذي كان مضرب المثل لدى علماء عمان؛ فهذا العلامة ضمام بن السائب من علماء النصف الأول من القرن الثاني الهجري يقول عن وجوب صلاة الجمعة : " لو كانت الجمعة بخراسان كانت أهلا أن تزني "^(٨) ، وقد استمرت تلك العلاقة قرونا من الزمان ، وما تزال ثمارها باقية في صفحات التراث العلمي الخالد الذي أنتجه علماء البلدين .

(١) الشماخي : السير ج ١ ص ١٩٤ ؛ الراشدي : أبو عبيدة وفقهه ص ٣٨٩ ؛ أحمد السياني : هامش

كتاب السير ج ١ ص ١٩٤ .

(٢) ابن خياط : تاريخه ص ٢٩٥ ؛ الطبري : تاريخه ج ٧ ص ٢٧٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٤٤٨ .

(٣) ابن خياط : نفس المصدر والصفحة ؛ الطبري : تاريخه ج ٧ ص ٢٩٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٤

ص ٤٧٥ .

(٤) نفس المصادر السابقة بصفحاتها .

(٥) ابن خياط : تاريخه ص ٣١٨ . الطبري : تاريخه ج ٨ ص ٦٩ .

(٦) ابن خياط : تاريخه ص ٣١٩ .

(٧) سبق ذكرهما في مبحث الحياة الأدبية في صحار من هذا الفصل ص ٣٢٨ .

(٨) محبوب بن الرحيل : سيرته إلى أهل حضرموت من ضمن السير ، والجوابات ج ١ ص ٣١٠ . ٣٨٩

المبحث السادس : دور صحار في نشر الإسلام

سبق الحديث عن دور صحار في نشر الإسلام عن طريق الفتوحات الإسلامية. ولما لهذا الموضوع من علاقة مباشرة بالدور السياسي فإنه كان من بين فصول تاريخ صحار السياسي . إلا أن نشر الإسلام تعددت وسائله ، فالتجار والرحالة والمهاجرون وطلبة العلم المسلمون كل هؤلاء ساهموا جميعاً في نشر الإسلام ، بالإضافة إلى أن هناك أيضاً دعاة سخرروا حياتهم لهذا الغرض دون غيره . وقد كان العمانيون من أولئك الذين جابوا الآفاق قبل الإسلام بزمن بعيد بسبب موقع بلادهم بساحل بحري طويل ، وجبال شاهقة تتخللها ، وصحراء قاحلة في الجانب الآخر . ومن هنا فقد ارتبط العمانيون بركوب البحر . ومن البلاد التي ارتادوها شرق أفريقيا ، وجنوب شرق آسيا وذلك للرابطة البحرية بين عمان وتلك البلاد وهي إطلالها جميعاً على سواحل المحيط الهندي.

وفي العهد الإسلامي ازدهرت الجوانب الحضارية في بلاد الإسلام وكانت التجارة أحد تلك الجوانب . ولما كان العمانيون يعدون التجارة والملاحة من أهم مصادر رزقهم ، فإن ذلك الازدهار الحضاري شاركوا في صنعه بدور فاعل . واحتلت صحار مكانة متميزة من بين المدن العمانية الأخرى ، ومنها انطلق التجار العمانيون شرقاً وغرباً ساعين لكسب العيش بالإضافة إلى أسباب أخرى دفعت العمانيين إلى الهجرة ، وبعض هجراتهم كانت قسرية ومن أسبابها الأطماع الخارجية والحروب الداخلية وما سببته من قلق وفتن دفعت بالعديد منهم إلى أن يبحثوا عن أماكن أخرى تطمئن إليها نفوسهم . وهكذا أتيح للإنسان العماني أن يتعايش مع قوم غير مسلمين ، فأسهل بأخلاقه الإسلامية الفاضلة في نشر الإسلام . ولما لهذا الموضوع من صلة وثيقة بالجانب الحضاري والفكري فإنه من المناسب أن يختم هذا الفصل بهذا المبحث عن نشر الإسلام .

صحار ودورها في نشر الإسلام في شرق أفريقيا :

كان للعمانيين صلات قديمة بساحل شرق أفريقيا منذ القدم قبل ظهور الإسلام ، ولعل أقدم المصادر التي تذكر وجود العرب في هذا الساحل كتاب أحد الملاحين الإغريق الذين عاشوا في الإسكندرية في القرن الأول الميلادي (٦٠م)^(١) ، وقد يكون العمانيون عرفوا هذا البلاد في زمن أبعد من ذلك بكثير لأن نشاطهم البحري قد يمتد إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد^(٢) .

ولما أشرق الإسلام على عمان وأسلم أهلها لم يتوقف عملهم التجاري والملاحي بل ازداد ازدهارا ، وبهذا التواصل الذي كانت صحار منطلقه حمل هؤلاء التجار فكر دينهم إلى حيث كانوا يتجهون . وكانت شرق أفريقيا من أهم البلدان التي كانوا يرتحلون إليها حتى أصبح الوجود العماني في شرق أفريقيا يتسم بالكثرة والكثافة ، و لذلك كان تأثيرهم في هذه المنطقة أشد وأقوى من تأثير غيرهم^(٣) ، فاستطاعوا بحسن سلوكهم وتعاملهم وحرصهم والتزامهم بأحكام دينهم القويم عبادة ومعاملة أن يجذبوا الكثير من أهل تلك البلاد إلى الإسلام . وقد رأى هؤلاء أن العبادة لها قوة روحية كانت سببا وراء شفاء المرضى و الحماية من السحر الذي كان منتشرًا في تلك المناطق^(٤) .

ومن العوامل التي ساهمت في نشر الإسلام بين الأفارقة تلك الصداقة التي نشأت بين التجار العمانيين وبين رؤساء القبائل أو الحكام الأفارقة مما دفع بالآخرين إلى أن يقدموا هؤلاء التجار الحماية التي رفعت مكانتهم بين الأهالي وبالتالي أدى ذلك إلى

(١) نقلا عن الدكتور جمال زكريا قاسم من كتابه الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية : الناشر : دار الفكر العربي ١٤١٦ . ١٩٩٦م ص ٦٥

(٢) د . شلي : عمان في التاريخ من أقدم العصور حتى الآن : بحث نشر من ضمن حصاد نسلوة الدراسات العمانية ج ١ ص ٦١ .

Ronald , Bailey , Records of Oman 1867-1947 , Asian Affairs , June 95 , vol. 21 Issue2, pp.131-132.

(٣) د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام ص ١٧٣

(٤) د. السهيل : الإباضية في الخليج العربي ص ١٩٤ د . محمد النقيرة : انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له . دار المريخ للنشر . الرياض (١٤٠٢م/١٩٨٢) ص ١٤٢

ارتفاع مكانة وشأن الدين الذي يحملونه مما دفع الكثير من الأهالي إلى اعتناقه^(١). وبما أن هؤلاء الداخلين في الدين الجديد بحاجة إلى من يعلمهم أمور دينهم اصطحب هؤلاء التجار بعض الدعاة والمعلمين المتفرغين لهذا العمل الجليل ، مما كان لهم إسهام أكبر في نشر دعوة الإسلام بين القبائل الأفريقية . ومما زاد في فاعلية دعوتهم أن بعض هؤلاء الدعاة تزوجوا من الأفارقة فأصبحوا جزءا من نسيج تلك المجتمعات التي يعيشون فيها ، هذا بالإضافة إلى أن إقامة هؤلاء الدعاة كانت في أماكن وأزمنة مختلفة مما وسع دائرة انتشار الإسلام في مناطق الشرق الأفريقي ليس في الساحل فقط وإنما في الجهات الداخلية أيضا^(٢).

وبهذا يتضح أن استقرار العمانيين في شرق أفريقيا كان منذ وقت مبكر من الدعوة الإسلامية ، لكنه كان استقرارا غير منظم ، فأسرة هنا وأسرة هناك ، حتى العقد التاسع من القرن الأول الهجري حينما دفعت الظروف السياسية إلى بداية هجرات كبيرة استطاعت أن تقيم كيانات سياسية مستقلة . وأول هذه الهجرات هجرة ملكي عمان سعيد وسليمان ابني عباد بن عبد بن الجلندي ، وكانت صحار عاصمة حكمهما في عمان وذلك عندما رأيا أن لا طاقة لهما بجيش الحجاج بعد ما صدا عدة جيوش سابقة له حسب ما تقدم ذكره^(٣). فقد هاجرا بذرايعهما و عدد من قومهما قدر بثلاثمائة نفر إلى شرق أفريقيا ، وكان ذلك في سنة ٨٣هـ / ٧٠٢م^(٤).

وهذا يعطى دلالة على أن بعض العمانيين كانوا قد استقروا فعلا بتلك المناطق قبل وصول ملكي عمان وإلا كيف يختاران ذلك المكان دون أن يكون لهما موطن قدم هناك . لكن هذا الوجود العماني السابق لوصول ملكي عمان لم يستطع أن يقيم أو يؤسس إمارة أو يسهم في ذلك ، ولكن ملكي عمان استطاعا في برهة قصيرة من

(١) Lewis, I. M : Islam in Tropical Africa , Second Edition , London , 1980 . pp 21,26-27

(٢) د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحه ص ١٨٨ ؛ د. السهيل : الإباضية في الخليج العربي ص ١٩٥

(٣) سبق الحديث عن ذلك في الفصل الثاني من الباب الأول انظر ص ٦٢ .

(٤) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٧٢ . السيابي : عمان عبر التاريخ ج ١ ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

Reusch : History of East Africa , stuttgart , 1954 , p78-79

الزمن أن يقيما إمارة عربية إسلامية في لاموه^(١)، وهي تعد أقدم الإمارات العربية ظهورا على الساحل الشرقي لأفريقيا^(٢)، ومما ساعد على ذلك أنهما لم يجدا حاكما يحكم منطقته ذلك الساحل والجزر المواجهة له . وكان من أعمالهم البنائية تشييد قلعه قويه تحميهم من أي عدوان ، وقام أتباعهما ببناء مساكن لهم حول هذه القلعة مكونين مدينة لها كيانها الحصين ، وأخذت المدينة تنمو سريعا حتى أصبحت بعد برهة قصيرة مركزا اقتصاديا هاما فجذبت إليها الكثير من أبناء تلك المناطق^(٣).

ومن خلال التعامل السمو الذي توجهه تعاليم الإسلام وبما شاهدوه من مظاهر الحياة الإسلامية دخل العديد منهم الإسلام ، حتى أن بعضهم صار لهم حظوة عند الحكام ، فأسهمت تلك العلاقة في التواصل بين هذه الإمارة والمناطق الداخلية من القارة^(٤)، كما أن الزواج المختلط انتشر كثيرا بين العمانيين و الأفارقة خاصة وأن الكثير من العمانيين القادمين لم يصطحبوا زوجاتهم فتزوجوا من الإفريقيات مما نتج عنه جيل يحمل السمات العربية و الإفريقية ، مما ساعد على سرعة انتشار الإسلام^(٥). وبهذا استطاع ملكا عمان أن يبنيا إمارة خلدت ذكرهم بعدما فقدوا عرش ملكهم في صحار . وتوسعت إمارة بني الجلندي وزاد عدد سكانها من العمانيين وغيرهم ، وأصبحت منتجعا لأهل عمان .

- (١) لاموه : إحدى الجزر المكونة لأرخبيل لاموه أيضا في الساحل الشرقي لأفريقيا شمال ممباسا بكينيا ، يصفها صاحب جبهة الأخبار بأنها إحدى (المدن المحصنة ومحاطة بسور منيع وكانت مبانيها ومساجدها مبنية بالحجر بإحكام و هندسة يدل على أن مؤسسيهما كانوا من أصحاب الذوق السليم) . انظر المغربي: جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار . الناشر :وزارة التراث القومي والثقافة ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ جريه . ١٩٩٤م ص٨٢ ؛ د : رجب عبد الحليم :العمانيون والملاحه ص٢٠٥
- (٢) د .جمال زكريا قاسم : الدولة العمانية في شرق أفريقيا بحث نشر من ضمن حصاد ندوة الدراسات العمانية ج٣ ص٨٤ ؛ د . حسن محمود : انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ص٣٩٧ ؛ د. أحمد حمود المعمرى : عمان وشرق أفريقيا ص٤٤

(3) Reush , op . cit , pp. 75-76

Marsh , zoe : East Africa Through Contemporary Records , Cambridge , 1961. P 6

(٤) د . محمد النقرة : انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ص١٢٨ .

(٥) د . السهيل : الإباضية في الخليج ص ١٩٦ . د . رجب عبد الحليم :العمانيون والملاحه ص٢٠٧.

وقد أدت المساجد التي أنشأها المسلمون دورا رائدا في الدعوة إلى الله كما أنشأوا مدارس لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم أصول الدين الإسلامي^(١). وما أن الشورى من أهم ركائز الحياة السياسية في عمان فإن نظام حكم آل الجلندى قام في إمارتهم لأموه على هذا الأساس وظهر ذلك جليا في عهد حفيد مؤسسي هذه الإمارة ويسمى الحاج سعيد في القرن الثاني الهجري حيث أقام حكومة تقوم على أساس مبادئ الشورى . ومما يرويه المؤرخون في هذا السياق أن أهل تلك الإمارات على اختلاف أعراقهم وأماكنهم بايعوا سعيدا هذا بالإمارة وبعد أن استقرت له الأمور قرر أن تقسم مدن الإمارة إلى أحياء صغرى ، لكل منها شيخها ، ويقوم مجلس استشاري يتكون من شيوخ هذه الأحياء يشاركه في تحمل المسؤولية . وكان لكل فرد في ذلك المجتمع الحق في أن يلجأ إلى هذا المجلس طلبا للإنصاف إذا مسه أحد بسوء^(٢). ونتيجة للفتن التي شهدتها عمان في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري خرج العديد من أبناء عمان و من بينهم أبناء صحار بالإضافة إلى أعداد أخرى من المهاجرين إلى تلك الإمارة فأخذوا ينتشرون في مناطق مختلفة من تلك البلاد فأقاموا مدنا جديدة مثل مقديشو التي شيدت سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٨م^(٣). والآن هي عاصمة الصومال ، وقد بنى هذه المدينة الحرث وهم من القبائل العربية المنتشرة في أقطار الجزيرة العربية وفي عمان قبيلة كبيرة منهم وقد أقاموا في مقديشو إمارة عربية وبنوا مدنا أخرى مثل براوة سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م ، ومركبة وغيرهما من المدن^(٤).

(١) السبائي : عمان عبر التاريخ ج ٢ ص ١٥ ، ١٦ ؛ د. محمد النقيرة : انتشار الإسلام : ص ١٢٨ د. رأفت غنيمي : دور عمان في حضارة شرق أفريقيا : بحث من ضمن بحوث حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ٣ ص ١٤٩ .

(٢) حسن محمود : انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ص ٣٩٧ ؛ المعمرى : عمان وشرق أفريقيا ص ٤٤ ؛ د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحه ص ٢٠٨ .

(٣) جيان : (ربان سفينة) : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقيا الشرقية . ترجمة يوسف كمال ص ٩٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٥ .

وقد قامت هذه الإمارة بدور كبير في نشر الإسلام واللغة العربية خاصة في مناطق القرن الأفريقي^(١). ومن المدن الشهيرة التي أقامها العرب مدينة ممباسة وهي مدينة ساحلية تقع الآن في كينيا ، وقد بناها العمانيون منذ عهد بني الجلندي هناك ، وهي من المدن الحصينة.^(٢) وظلت في أيدي العمانيين طوال تاريخها حتى سقطت دولتهم في شرق أفريقيا في العصر الحديث ، وما تزال العديد من الأسر العمانية باقية فيها حتى يومنا هذا^(٣).

كما كان لبني الجلندي فضل أيضا في إعمار مدينة تانغة الساحلية وهي تقع بالقرب من ممباسة وتولى السلطة فيها من نسل أحمد ومحمد ابني سعيد الجلنداني وتضم قبائل عمانية عدة مما يدل على كثافة الوجود العماني وانتشاره في هذه المدينة^(٤). وهناك مدن عديدة أقامها العرب مثل مليندي ورغيدة وغيرها في كينيا حاليا^(٥).

زنجبار^(٦) : عرف العمانيون هذه الجزيرة منذ القرن الأول لميلاد المسيح^(٧) وفي العهد الإسلامي كان وصول الإسلام إليها مبكرا بسبب ذلك التواصل ، وقد حدد

(١) د. محمد النقيرة : انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ص ١٨٤ ؛ د. رجب عبد الحليم: العمانيون والملاحاة ص ٢١٨-٢١٩

(٢) المغيري: جبهة الأخبار ص ٨٣ ؛ د. زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ص ٧٠.

(٣) د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحاة ص ٢٤١ ؛ عبد الله بن صالح الفارسي : البوسعيديون حكام زنجبار ، وزارة التراث القومي ، سلسلة تراثنا العدد ٣ ، الطبعة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م : ص ١١٤ ، ص ١٢٦.

(٤) د. عبد الرحمن سالم : ملخص جبهة الأخبار من ضمن الموسوعة الميسرة للتراث العماني ، الطبعة الأولى ١٤١٥، ١٩٩٥م : ص ٢٠ ؛ د. رجب عبد الحليم: العمانيون والملاحاة ص ٢٤٢.

(٥) د. سالم : ملخص جبهة الأخبار : ص ٢٠ .

(٦) زنجبار : قيل كلمة فارسية مكونة من شقين زنج وبار والأخيرة تعني الساحل ، وقيل أصلها عربي محرف بر زنج . ويطلق عليها بالسواحلية (أنفوجا) وانفو معناها المنسف ، جا بمعنى امتلاء . وزنجبار جزيرة تبعد عن البر المقابل لها بمسافة خمسة وثلاثين ميلا . انظر د. عبد الرحمن سالم : ملخص جبهة الأخبار للمغيري ص ١٦ . د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحاة : ص ٢٤٣ .

(٧) د. عبد الرحمن سالم : ملخص جبهة الأخبار للمغيري : ص ٦٧ .

البعض دخول الإسلام إلى جزيرة زنجبار في سنة ٦٥هـ — ٦٨٤م^(١) ، وكانت مساحتها أكبر من التي عليها الآن حيث كان الاتصال بينها وبين البر الأفريقي أو الساحل المواجه لها يمكن أن يتم بدون واسطة في حالة ثبور الماء^(٢). وأصبحت زنجبار مستقرا لكثير من العمانيين . ويشير الشيخ المغربي إلى أنها من ضمن البلاد التي حظيت بعناية العرب منذ القرن الثالث الهجري وكانت مبانيتها ومساجدها مبنية بالحجر بإحكام وهندسة^(٣).

وهناك بلاد أخرى على الساحل الشرقي لأفريقيا أبعد من تلك المشار إليها كان العمانيون يرتادونها ونشروا الإسلام فيها منذ القرن الثاني الهجري . وقد أفاد المسعودي بوجود المسلمين فيها منذ بداية الدولة العباسية . وقد وصل المسعودي نفسه إلى هذه البلاد بصحبة التجار العمانيين وانطلقت رحلته تلك من صحار فوصل إلى جزيرة قنبلو^(٤)، وهذه الجزيرة اختلف حولها المؤرخون ، فـ "رينو" (REINAUD) المستشرق الفرنسي يميل إلى أنها جزيرة مدغشقر حسب ما ينقل عنه الدكتور زكريا قاسم^(٥) الذي لا يقر له هذا الرأي وإنما يرى رأى القبطان جيان بأنها إحدى جزر القمر^(٦) ، إلا أن الدكتور رجب عبد الحليم يرى الرأي الأول ويقول بأن معظم الكتاب والمؤرخين يرون أنها جزيرة مدغشقر^(٧).

(١) د. محمد أحمد الحداد : حقائق تاريخية عن العرب و الإسلام في أفريقيا الشرقية ، دار الفتح مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م : ص ١٠٨ .

(٢) المغربي : جهينة الأخبار ص ٧٤ .

(٣) المغربي : جهينة الأخبار ص ٨٣ . وأصبحت زنجبار في العصر الحديث العاصمة الثانية لعمان في عهد الإمبراطورية العمانية التي أقامها السلطان سعيد بن سلطان (١٢٣٩-١٢٧٣هـ / ١٨٠٤-١٨٥٦م) ، وتوارث أبناؤه الحكم فيها حتى الستينات من القرن العشرين ، وما يزال الوجود العماني فيها ذا كثافة.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ج ١ ص ١٥٧

(٥) الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ص ٣٢ .

(٦) جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن شرق أفريقيا ص ٩٣ .

(٧) العمانيون والملاحة ص ٢٥٧ .

ومهما يكن فإن العمانيين قد رحلوا إلى تلك الجزر جميعها في أزمنة مختلفة ،
والذي يستفاد من إشارة المسعودي هو تأكيد تلك الرحلات التي كانت تتم بشكل
منتظم بين صحار والساحل الشرقي لأفريقيا وجزره المتاخمة له .

وما من شك أن رحلة المسعودي كانت مسبقة بوصول العمانيين إلى تلك
المناطق بأزمنة بعيدة حسب ما أشرنا إلى ذلك و أقاموا بها إمارات عريضة ، ولكن
المسعودي للأسف لم يتحدث عنها رغم أنها كانت حقيقة قائمة. إلا أن حديثه عن
جزيرة قنبلو أكد حقيقة وصول الإسلام إلى هذه الجزر "مدغشقر وما جاورها"؛
حيث يقول : "فيها خلائق من المسلمين ، و يتوارثها ملوك من المسلمين " .^(١) وهذا
ما يؤكده الإدريسي الذي عاش في القرن السادس الهجري حيث يصف جزيرة
(الأنجييه) ^(٢) التي ربما تكون هي نفسها التي أشار إليها المسعودي من قبل حيث يقول
الإدريسي : "أهلها أخلاط والغالب عليهم أنهم مسلمون في هذا الوقت"^(٣)، وهذا
يدل على أن معظم أهل هذه الجزيرة مسلمون . كما يعطى دلالة على عظم الجهد
الذي بذله العمانيون وغيرهم من المسلمين في نشر الإسلام في ربوع تلك البلاد^(٤).
ومن الأدلة الملموسة على وصول العمانيين إلى تلك الجزيرة ، والذي لا يزال حيا
موجودا حتى الآن مدينة (سالالا) التي أنشأها العمانيون القادمون من مدينة صلالة
العمانية للتجارة فأسموها على اسم مدينتهم ويطلق عليها أهل مدغشقر الآن (سالالا)،

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ١٨٠، ١٧

(٢) الوصف الذي قدمه الإدريسي للأنجييه ينطبق على مدغشقر ؛ فهي تبعد عن أقرب مدينة على السـ
الساحلى بمجرى بحري واحد والمجرى البحري يساوي مسيرة أربعة أيام على البر وتسمى البانس والأخيرة
تبعد عن ممباسة ستة أيام برا ، أما مجرا فمجرى ونصف ، فاذا جزيرة الأنجييه تبعد عن الشاطئ مسيرة
أربعة أيام بناء على المسافة التي تم ذكرها آنفا ، كما أن مدينة البانس المشار إليها تتصل بأرض سفالة ،
والأخيرة أيضا مواجهة لجزيرة مدغشقر فعلا ، وهذه المقارنة ربما نصل إلى حقيقة أن الأنجييه التي يصفها
الإدريسي هي جزيرة مدغشقر فعلا . انظر : الحميري : الروض المعطار : ص ٢٤٣ ؛ د.رجب عبد
الحليم : العمانيون والملاحة ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) ستوارد : حاضر العالم الإسلامي : ترجمة وتعليق وإضافة شكيب أرسلان ، الناشر دار الفكر العربي

مصر : ج ٢ ص ١٣٩.

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٦١.

وهي واقعة في شمال الجزيرة^(١). وهناك العديد من أسماء المدن والبلاد العمانية التي أطلقت على حواضر شرق أفريقيا ومنها مدينة بات ، ففي عمان مدينة أثرية بهذا الاسم وتقع شرقي ولاية عبري بمنطقة الظاهرة ويعود تاريخها إلى الألف الثالثة قبل الميلاد^(٢)، أما مدينة بات التي في شرق أفريقيا فقد تأسست في عهد بني الجندى في القرن الأول الهجري^(٣). ومن المسميات المتشابهة بين عمان وشرق أفريقيا مدينة سفالة^(٤)، ففي العديد من ولايات عمان يوجد هذا الاسم ، وفي شرق أفريقيا استوطن العمانيون هذه المدينة^(٥)، فلعلهم هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم لوقوعها في آخر ما وصلوا إليه في ذلك التاريخ . ومن المناطق التي دخلها الإسلام على أيدي الأفراد

(١) د.رجب عبد الحليم:العمانيون والملاحه ص٢٥٥.

(٢) عمان في التاريخ ص٩٤.

(٣) د.رافت غنيمي : دور عمان في بناء شرق أفريقيا ص ١٥٠ ؛ د.محمد أبو العلا:موقع عمان الجغرافي وعلاقتها المكانية ، دار النهضة العربية ، القاهرة سنة ١٩٨٥ م : ص٣٧. إلا أن ازدهارها كان في عهد النباهنة بعد هجرهم من عمان ، والذين أقاموا بها دولتهم سنة ٦٠٠ أو ٦٠١ هـ/١٢٠٣م/١٢٠٤م أو بعد ذلك بسنوات قليلة وكان لهذه المدينة دور كبير في نشر الإسلام في ربوع شرق أفريقيا . انظر د.زكريا قاسم : الأصول التاريخية :ص٧١ ؛ د.حسن محمود : انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ص٣٩٩ ؛ د.رافت غنيمي : دور عمان في بناء حضارة شرق أفريقيا ، بحث من ضمن حصاد ندوة الدراسات العمانية ج٣ ص١٥٠.

Freeman - Grenville : Selected Documents On The East Africa , P.34 .

Reasch . opcit . PP 223_224.

(٤) في عمان تطلق سفالة على كثير من المناطق في ولايات عديدة من المناطق الداخلية وهي عادة ما تطلق على المناطق التي تنحدر المياه إليها ، أما المناطق التي تصلها المياه أولا فيطلق عليها العلية . وهي مأخوذة من العلو أما السفالة فهي من الانحدار . وفي شرق أفريقيا تقع مدينة سفالة على الشاطئ الأفريقي الشرقي جنوب نهر زمبيزي في مواجهة جزيرة مدغشقر وهي الآن إحدى مدن دولة موزمبيق . انظر : الحميري : الروض المعطار : ص٢٤٣ ؛ د.رجب عبد الحليم : المرجع السابق ص٢٥١ .

(٥) المغيري : جبهة الأخبار ص١٧١ ؛ ستوارد ج٢ ص١٤٢ ؛ د.زكريا قاسم : الأحوال التاريخية ص٧٦ ؛ د.رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحه ص٢٦٤ .

العمانيين في القرن الثالث الهجري جزر القمر^(١). وقد انتشر الإسلام بين أهلها فأصبحت دولة إسلامية لغتها الرسمية لغة القرآن الكريم ، ومن حسن تمسك أهلها بالإسلام كثرت المساجد وانتشرت بها دور العلم والكتاتيب التي تدرس فيها علوم الإسلام واللغة العربية ، وقد استقر فيها العديد من القبائل العمانية^(٢) وبعض أفراد القبائل العمانية استقر في جزر القمر وكان العمانيون بها أهل ثراء وتجارة واستعملوا تلك الثروة في وجوه البر والخير مما ساعد كثيرا على كسب محبة ومودة الناس إليهم حكاما ومحكومين^(٣). وبهذا العرض الموجز يتضح الدور الجليل الذي قام به العمانيون ومنهم الصحاريون في نشر دينهم القويم في شرق أفريقيا في القرون الأولى من الدعوة الإسلامية . وعندما امتد نفوذهم إلى الداخل حملوا معهم دينهم وخلقهم فكانوا خير دعاة لهذا الدين القويم ، ولو تبنت تلك الإمارات التي أقامها المسلمون العمانيون وغيرهم هذا الجهد بالحزم ودعمته بالقوة والمال لكانت أفريقيا اليوم كلها تنعم بدين الإسلام . وقبل ختام هذا الحديث عن الدور العماني في نشر الإسلام في شرق أفريقيا لابد من الإشارة إلا أن أثرهم الفكري والثقافي تناول شتى مناحي الحياة في تلك البلاد ومن ذلك :

اللغة : نظرا للوجود العماني العربي و السيطرة على كثير من أجزاء الساحل الشرقي كان تأثيرهم على اللغة السواحيلية قويا ، وقد ظهرت هذه اللغة في فتره بناء الإمارة العربية العمانية منذ القرون الأولى للهجرة^(٤). ونتيجة للواقع المعاش بين الأفارقة

(١) تتكون جزر القمر من عدة جزر منها بنمازيجا ، أو بنجيجة ، وبنجوان ومايوت وهيلي وتقع إلى الشمال من جزيرة مدغشقر (مالاجاش) وجنوب شرق جزيرة زنجبار بـ ٥٠٠ ميل . انظر المغربي : جبهة الأخبار ص ٧٣ ؛ د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحه ص ٢٦٤ .

(٢) المغربي : جبهة الأخبار ص ١٧٣ . ويذكر الشيخ المغربي استعمار الرجود العماني في تلك الجزر حتى أنه في العصر الحديث تولى أحد أفراد القبائل العمانية مقاليد الحكم وهو صالح بن محمد بن بشير المنذري

(٣) استوارد: حاضرم العالم الإسلامي ج ٢ ص ١٤٤ .

Reusch , op . cit , p216

(٤) د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحه : ص ٢٣ ؛

والعرب والاختلاط و المصاهرة ظهرت هذه اللغة التي هي مزيج من اللغة العربية ولغة البانتو^(١)، وسرعان ما انتشرت هذه اللغة في شرق أفريقيا ووسطها ، وأصبحت اللغة السائدة في كل مناحي الحياة هناك . ونظرا لتوسعها ذلك وسرعة انتشارها أصبحت عامل ربط بين الساحل والداخل وكانت أيضا عامل ربط بين مختلف الأعراق والجنسيات وكانت لغة التفاهم بين التجار ووحدت بين سكان تلك المناطق الذين يتحدثون لهجات مختلفة^(٢)، وبما أن هذه اللغة ظهرت نتيجة التأثير العربي فقد كتبت بحروف عربية واستمرت على ذلك الحال قرونا من الزمان حتى ضعف التأثير العربي وتغلب الأوروبيون على مقدرات الأمور في تلك البلاد واستبدلت بحروف هذه اللغة حروف لاتينية^(٣)، وتعتبر اللغة السواحيلية اليوم من أهم اللغات المستخدمة في أفريقيا ، وهي تستعمل في تنزانيا وكينيا كلغة رسمية ، ولها وجود واسع في جنوب الصومال وأوغندا ورواندا و بروندي ، و في شرق زائير وشمال موزمبيق وجزر القمر ، وتدرس هذه اللغة في جامعات كثيرة في مختلف أنحاء العالم واتخذها منظمة اليونسكو لغة عمل في نشراتها^(٤).

ومن الأدلة المادية التي ما تزال تشير إلى الدور العماني الكبير تلك المباني والمنازل القائمة حيث تأخذ نفس ملامح الأبنية العمانية ، كما أن الأزياء العمانية ما تزال

(١) د . حسن محمود : انتشار الإسلام في القارة الأفريقية: ص ٢٣١ ؛ د . زكريا قاسم : عمان في شرق أفريقيا من ضمن حصاد ندوة الدراسات العمانية : ج ٢ ص ٨٢ ؛ د . إبراهيم زين صغيرون : تعقيب على بحث دور مصر وعمان الحضاري في أفريقيا للدكتور شوقي عطا الله الجمل ، نشر ضمن حصاد ندوة العلاقات العمانية : ج ٢ ص ٢٠١

Measch , Op. Cit , p 216

(٢) محمد النقيرة : انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ص ١٨٧-١٨٨ .

Reausch , op . cit pp . 217 – 218 ; Murbhy , Jefferson , History of African Civilization , New York , 1972 , p. 229 .

(٣) يوسف فضل حسن: الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، بحث في كتاب العرب وأفريقيا ، بيروت ، الطبعة الأولى : ص ٣٣ ؛ د . إبراهيم صغيرون : تعقيب في حصاد ندوة العلاقات العمانية

المصرية ج ٢ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ؛ د . رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحه ص ٢٣٥ .

(٤) إبراهيم الزين صغيرون : الإسهام العماني في المجالات الثقافية والفكرية : بحث من ضمن حصاد أنشطة

المنتدى الأدبي بسلطنة عمان ١٩٩١م/١٩٩٢م ص ٢١٥ .

موجودة بين الرجال والنساء على حد سواء في تلك الربوع ، كما أننا نلاحظ بوضوح وجه الشبه المتقارب في العادات والتقاليد والقيم الإسلامية^(١) . هذا وقد صاحب انتشار الإسلام بناء العديد من المساجد والمدارس التي كانت تقوم بدور التعليم ونشر مبادئ الإسلام ، وقد أسهم العديد من العمانيين في بناء تلك الأماكن . وإذا كان الجهد العلمي والفكري قد بدأ في شرق أفريقيا من القرن الأول الهجري إلا أن عدم توثيق ذلك الجهد ضيع الاستدلال على معرفة أسماء أولئك النفس الذين حملوا على عاتقهم تلك الأمانة العظيمة في نشر الإسلام والقيام بالتعليم ، وقد تواصل هذا العطاء حتى العصر الحديث^(٢) .

وختاما لهذا العرض الموجز عن الدور العماني في نشر الإسلام في شرق أفريقيا ، والذي كان منطلقه صحار ، نذكر أن أول من أقام إمارة إسلامية عربية هم الصحاريون من آل الجلندي ، وكانت أسس التواصل تتم عن طريقها .

(١) د. فرقتش : تاريخ الإسلام في أفريقيا مع دراسة الدور العماني، مكتبة ابن كثير بمسقط - مطبعة بسملة للطباعة والنشر ، صحار، سلطنة عمان ص ٤٤٣ .

(٢) من الأمثلة على ذلك وجود الكثير من العلماء في مجال الدعوة الإسلامية كالشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي ، وله مؤلفات متعددة العطاء فقد قام بالتأليف في التوحيد والفقه والطب والفلك ومن أشهر مؤلفاته "الحق المبين" ويتكون من ستة مجلدات ، ومن كتبه الطبية "السر الجلي في ذكر أسرار النبات السراجلي" يذكر فيه بعض منافع أنواع النبات الموجودة في شرق أفريقيا ، ومن بين العلماء البارزين أيضا في عهد السلطان سعيد بن سلطان : العلامة محمد بن علي المنذري الذي تولى رئاسة القضاء في زنجبار ، و للمنذري هذا مؤلفات عدة منها كتاب "الخلاصة اللامعة" في العقيدة الإسلامية ، وكان هذا العالم مطالعا على كثير من دقائق علم التشريح في عهده وقد استخدم هذا العلم ليدلل على بعض القضايا العقائدية . انظر : عبد المنعم عامر: مقدمة كتاب جبهة الأخبار ص ٢٥ ؛ خليلي: العمانيون وأثرهم في الجوانب العلمية والمعرفية بشرق أفريقيا : محاضرة نشرت في حصاد أنشطة المنتدى الأدبي ١٩٩١، ١٩٩٢ ص ١٨٢ .

ابن عبد الله (١٩٢-٢٠٧هـ / ٨٠٧-٨٢٢م) أن يعيق ذلك التواصل المستمر ولكن هذا الإمام تصدي لهذه المحاولة بكل حزم حيث أنشأ أسطولاً بحرياً مهمته تأمين سلامة ذلك التواصل ، وازداد هذا الأسطول قوة في عهد الإمام المهنا بن جيفر (٢٢٦-٢٣٧هـ / ٨٤٠-٨٥١م)^(١) ، وبذا استمر وصول سفن من صحار إلى بلاد الهند ووصول سفن من الهند إلى صحار ، وكانت السفن العمانية على الساحل الغربي من الهند في مالابار^(٢) . كما أقام العمانيون وغيرهم من تجار الخليج في هذا الساحل الغربي وفي الجنوب الشرقي منه مراكز تجارية ، وبفعل ذلك اتسع وجودهم فصارت لهم جاليات مسلمة على تلك السواحل تمارس شعائرها الدينية بحرية وأقاموا المساجد والمحاكم الخاصة بهم^(٣) .

ومن الموانئ التي كان يتردد عليها العمانيون ميناء صيمور وهو من الموانئ العظيمة على الساحل الغربي للهند ضم جالية كبيرة من أبناء الخليج عمانيين وغيرهم، حيث يؤكد ذلك قول المسعودي : "وقد حضرت ببلاد صيمور من بلاد الهند من أرض مملكة البلهرا وذلك سنة أربع وثلاثمائة وبها يومئذ من المسلمين نحو عشرة آلاف قاطنين : بياسرة^(٤) و سيرا فيين وعمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الأمصار ممن قد تأهل وقطن في تلك البلاد ومنهم خلق من وجوه التجار"^(٥) .

وقد ساعد على تعزيز الوجود الإسلامي حب وتشجيع بعض حكام هذا الساحل على القدوم والعمل والسكن في جوارهم ، ونتج عن هذه الحركة النشطة في البناء والعمران التي تجلت على أيدي التجار العمانيين وغيرهم من تجار المسلمين ،

(١) السالمى : تحفة الاعيان ج ١ ص ١٤١٢١

(٢) مالابار : إقليم في وسط الهند يشتمل على مدن عدة ويشتهر بإنتاج البهارات وخاصة الفلفل . انظر رمزية

خيرو : تجارة الخليج ص ١٥٣ .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٦٢٢-٦٢٦ ؛ خيرو : تجارة الخليج ص ١٢٢ .

(٤) البياسرة : يقول المسعودي : قولنا بياسرة يراد من ولدوا من المسلمين بأرض الهند يدعون بهذا الاسم

وواحدتهم بيسر . انظر : مروج الذهب ج ١ ص ٢١٦ .

(٥) مروج الذهب ج ١ ص ٢١٦ .

و إذا كان العمانيون قد استطاعوا أن يقيموا إمارات في شرق أفريقيا ، فإن الزنج كان لهم دور سياسي كبير في صحار حتى أنهم استطاعوا في منتصف القرن الرابع الهجري أن يكون لهم كيان وقوة و أن يدحروا قوة البويهيين ، وأن يسيطروا على مقاليد الأمور في صحار ، ولكن فيما بعد تلاشت هذه القوة مع إصرار البويهيين على انتزاع السيادة على صحار في تلك الفترة كما تم ذكره^(١) ، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك مما يؤكد دور صحار في ذلك التواصل المستمر منذ القرن الأول الهجري .

وإذا كان الدور السياسي قد تقلص فإن التواصل الفكري والاجتماعي ما يزال مستمرا وسيستمر بإذن الله لأن الأساس الذي انبنى على مر مئات السنين كفيل ببقاء هذه العلاقة الحميمة تدعمه أواصر القرى و الرحم .

صحار ودورها في نشر الإسلام في جنوب وشرق آسيا :

الهند :

بفعل التواصل التجاري الذي ربط صحار ببقية مدن ودول شرق وجنوب آسيا في العهد الإسلامي كانت الدعوة إلى هذا الدين القويم من ضمن الغايات التي سعى إليها أولئك التجار المسلمون . وقد أسهم العمانيون في الفتوحات الإسلامية - كما سبق ذكره - في الهند والسند . وبما أن الهند بلاد شاسعة مترامية الأطراف فقد أسهم العمانيون أيضا بدور في نشر الإسلام في هذه النواحي عن طريق ذلك التواصل التجاري بين الهند وعمان . وكانت الهند وعمان تربطهما تلك العلاقات قبل بزوغ فجر الإسلام بقرون عديدة وازداد هذا في ظل الإسلام وازدهار الحياة في صحار خاصة أن عمان كانت تملك أسطولا بحريا استعانت به الخلافة الراشدة في تلك الفتوحات الإسلامية المشار إليها آنفا .

وحاول بعض قراصنة الهند في عهد الإمام غسان

(١) يراجع في ذلك المبحث الثالث من الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الرسالة عن دور الزنج في

الأحداث التي جرت في صحار في تلك الفترة المشار إليها ص ١١٩ .

أن بدت المدن التي أقاموا فيها حسنة المظهر واضحة العمارة^(١) . وقد تعددت تلك المراكز التجارية التي كان يؤمها العمانيون مثل الديبل وفندرينا وكنباية وجوفتن ، وكلها تقع على الساحل الغربي للهند المسمى بساحل ملبار . وفي ميناء الديبل تكاثر التجار العمانيون وغيرهم من العرب حتى أصبحوا يشكلون جاليات عربية كبيرة العدد وانتشرت اللغة العربية بين كثير من أهلها^(٢) .

وهناك أيضا مدينة المنصورة ، ويورد الحموي أن هذه المدينة بناها أحد القواد من آل المهلب وهم من عمان في عهد الخليفة العباسي المنصور ، فلذا سميت بالمنصورة^(٣)، ويصفها المقدسي بأنها " قصبة السند وبنائهم خشب وطين والجامع من حجر وآجر مثل جامع عمان على سواري ساج"^(٤) ، وهذا مما يؤكد بناءها من قبل العمانيين . والجامع الذي يشير إليه المقدسي في عمان هو جامع صحار الذي سبق وصفه من قبله أيضا^(٥) . وكذلك كانت مدينة فندرينا التي تقع على ساحل ملبار فقد كان في كل مستوطنة مسجد بخلاف المسجد الجامع المقام على ساحل البحر . وأشار ابن بطوطة إلى وجود بعض العمانيين فيها . وكان قاضيها وخطيبها رجلا من أهل عمان^(٦) . وهناك العديد من الأمثلة على التواصل بين عمان والهند والسند واستقرار الكثير من العمانيين في تلك البلاد وانتشار الإسلام على أيديهم

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ١٧٣ ؛ ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل المغربي ،

المكتبة التجارية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م : ص ١٠٥-١٢٠ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٦١ ؛ الإصطخري : مسالك الممالك ص ١٧٥ ؛ د.رجب عبد

الحليم : العمانيون والملاحة : ص ٧١ .

(٣) الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٢١١ .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٣٦٠، ٣٦١ .

(٥) نفس المصدر ص ٨٧ .

(٦) ابن بطوطة : الرحلة : ص ٥٦٤ .

وأيدى إخوانهم المسلمين . ومما ساعد على انتشار الإسلام مصاهرة هؤلاء الرافديين الذين يحملون دعوة الإسلام مع السكان المحليين ، فأجادوا لغتهم وأثروا في حياتهم مما كان له أكبر الأثر في الدعوة إلى الإسلام^(١) .

ومما ساعد على سرعة انتشار الإسلام في القارة الهندية النظام الطبقي الذي كان مسيطرًا على المجتمع الهندي ، فهناك طبقات دنيا كانت تعيش في أحط دركات المجتمع الهندوسي ، وكانت في حالة من الذلة والاستعباد ، فلما رأوا الإسلام الذي لا يعترف بالطبقية من خلال سلوك المسلمين معهم وأن الكل في ميزان عدالة الإسلام سواء رحبت تلك الطبقات المستعبدة بالإسلام فانتشر بينهم وخاصة في سواحل الهند وهضبة الدكن والبنغال وغيرها من أنحاء الهند وأقاليمها العديدة^(٢) . إلا أن تعاليم الإسلام العظيمة لم تكن تبهر تلك الطبقة المستضعفة فحسب ، بل حتى الملوك الذين رأوا في الإسلام العدالة والمساواة ، ولمسوا من الحكام المسلمين الأمانة والصدق ؛ فهذا ملك مملكة بلهرا^(٣) على الساحل الغربي للهند - والتي كانت صيمور من أهم مدنها المشار إليها آنفا- كان محبا للمسلمين حيث يذكر سليمان التاجر أنه لم يكن هناك من ملوك الهند من هو أشد حبا للعرب من هذا الملك وأهل مملكته^(٤) . ويبدو أن هذا الملك تيقن أن الإسلام هو دين الحق والعدل فأمن به وفتح بلاده للمسلمين ودعوتهم ، مما هيا للدعوة الإسلامية آفاقا أرحب فدخل الناس في دين الله ملوكا ورعية من أبناء تلك البلاد^(٥) . وهكذا كان استقرار كثير من التجار

(١) ستوارد : حاضر العالم الإسلامي ج ١ ص ٣٦١

(٢) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام : ص ٣١٤-٣٢٧ ؛ د. رجب عبدالحليم : العمانيون والملاحه ص ٧٥ ؛ د. أحمد الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندو باكستانية وحضارتهم ص ١٩٤ .

(٣) بلهرا : تعني ملك ملوك الهند

(٤) سلسلة التواريخ (أخبار الصين والهند) : ص ٩٠ .

(٥) د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحه ص ٧٦ .

العمانيين في هذه الأرض سببا في نشر الإسلام بين أهل تلك البلاد إضافة إلى أولئك الدعاة الذين كانوا يتوافدون من حين لآخر لغرض التجارة أو لغرض الدعوة نفسها . وبهذا انتشر الإسلام في كل مكان وصله تاجر أو داعية ، وخاصة في سواحل الهند وهضبة الدكن وغيرها من أنحاء شبه القارة الهندية وأقاليمها المختلفة مثل البنغال وغيرها - كما سبقت الإشارة - ويحرص المسلمون الهنود على تأكيد ذلك الجهد العظيم الذي قام به الدعاة العمانيون وإخوانهم حيث كانوا سببا لمعرفةهم بدين الله القويم^(١) .

ونتيجة للتواصل الذي فرضته عوامل الجوار والنشاط التجاري والملاحاة البحرية فإن أبناء الهند المقيمين في صحار كانوا يشكلون كثرة بين الوافدين الآخرين. وبما أن واجب الدعوة إلى الإسلام يحتم القيام به هنا وهناك فإن دور علماء صحار كان ملموسا في هذا الجانب أيضا حيث قاموا بهذا الجهد وهم في بلادهم يدعون هؤلاء الوافدين ويبينون لهم أوجه الخير في هذا الدين إضافة إلى ما كان يراه هؤلاء أنفسهم من نمط الحياة الإسلامية بكل جوانبها الخيرة من الأمن والأمانة والصدق وحسن الرعاية والتقدير مما دفعهم إلى حب معرفة مصدر تلك الأخلاق والمعاملة الحسنة التي لا يعرفون لها مثيلا في بلادهم ، وكان العلماء يبينون لهم أن الإسلام الحنيف هو مصدر ذلك الخير كله فيدخلون فيه . وكان العلامة الصحاري محمد بن محبوب بن الرحيل من أشهر العلماء الذين قاموا بهذا الجهد العظيم ، وعندما كان يشرح لهم قيم الإسلام وتعاليمه ويعلن أحدهم رغبته الدخول في دين الله يقول له : " قل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله . وأشهد أن ما جاء به محمد من عند الله فهو الحق المبين"^(٢) وعندما ينتهي من تلقينهم شهادة الإسلام وبيان ما يجب عليهم من فعل أو ترك حسب مقتضيات تعاليم

(١) أرنولد ديلسون : تاريخ الخليج ، ترجمة محمد أمين عبد الله . الناشر وزارة التراث القومي والثقافة مسقط

الطبعة الثانية سنة ١٤١٥ هجرية / ١٩٨٥ م ص ٣١٤-٣٢٣ ؛ د. السهيل : الإباضية في الخليج

ص ١٧٢ ؛ د. محمد ناصر : منهج الدعوة عند الإباضية ص ٢٥٦ .

(٢) البطاشي : إتحاف الأعيان : ج ١ ص ١٩٢ .

الإسلام يجب لهم تغيير أسمائهم لتكون أكثر انسجاماً مع واقعهم الإسلامي خاصة إذا كانت أسماؤهم الأولى فيها تقديس لمعبوداتهم السابقة . ومن الأسماء التي أطلقها عليهم هندي ومنيب وصالح وسليمان وغيرها ، ثم يقول لهم : " اذهبوا فصلوا وقولوا سبحان الله في قيامكم وركوعكم وسجودكم حتى تعلموا" ^(١) ، وكان يأمرهم بالطهارة ويعلمهم كيفيتها والوضوء للصلاة ^(٢) ، ولهذا نرى أن بعض هؤلاء الهنود طاب لهم المقام في صحار ؛ ومما يؤكد ذلك استعانة والي صحار بهم عندما أمره الإمام المهنا بن جيفر أن يخمد فتنة آل الجلندي في توام حسب ما سبق ذكره ^(٣) . وبهذا نرى أن ثمرة التواصل الممتد إلى أعماق التاريخ بين عمان والهند هو إسلام الكثيرين من أبناء الهند على أيدي الدعاة العمانيين الذين كانت صحار منطلقهم للدعوة .

جزيرة سرنديب

سرنديب بفتح أوله وثانيه يصفها الحموي بأنها من الجزر العظيمة ^(٤) ، أما الحميري فيقول إنها " جزيرة مشهورة الذكر ، وهي ثمانون فرسخاً في ثمانين فرسخاً" ^(٥) ، وتقع في المحيط الهندي وعرفت بعد ذلك بجزيرة سيلان واليوم تعرف بسيرلانكا ^(٦) . ومما أن العمانيين عرفوا طرق المحيط الهندي وخرجوا عبابه وكانت رحلتهم تصل إلى الصين ، فقد كانت هذه الجزر من المخطات التي كانوا يتزلون فيها . ويذكر الإدريسي وجود العمانيين في تلك الجزيرة فيقول : " ربما تعدوا إلى هذه الجزيرة التي فيها النارجيل ^(٧) فيقطعون من خشبه ما أحبوه ويصنعون من ليفه جبالاً" ^(٨)

(١) العوتبي : الضياء ج ٥ ص ٣٤٨ ؛ البطاشي : إتخاف الأعيان ج ١ ص ١٩٣ .

(٢) نفس المصدرين السابقين وصفحاتهما .

(٣) أبو الخواريزي : سيرته : من ضمن السير والجوابات ج ١ ص ٣٤٦ . الكندي : كتاب الاهتداء ص ١٩٢ ؛ وقد سبق ذكر ذلك في الفصل الثالث من الباب الأول بشئ من التفصيل عن تلك الحادثة ، ص ٩٠ ، ٩١ .

(٤) الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٥-٢١٦ .

(٥) الحميري : الروض المعطار : ص ٣١٣

(٦) د . السهيل : الإباضية في الخليج ص ١٧٩ ؛ د . رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحه ص ٨٨ .

(٧) النارجيل : جوز الهند .

(٨) الإدريسي : نزهة المشتاق : ج ١ ص ٧٥ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٣١٣ .

وكل ذلك من أجل صناعه السفن التي كانت صحار تشتهر بها^(١). بالإضافة إلى أن تجار عمان كانوا يحرصون على قصد سرنديب في تلك الفترة لأنها كانت مقصد مراكب أهل الصين وسائر البلاد المجاورة لها فيأتون منها بالحرير والياقوت والبلور والعطور وغيرها^(٢).

كما أن بعض تجار عمان كان لهم وكلاء تجاريون في سرنديب فيتم التواصل بينهم وبين وكلائهم عن طريق مبعوثين من قبلهم من أهل عمان ، خاصة في تجارة المجوهرات الثمينة^(٣). وبهذه العلاقة التجارية كان التواصل بين أهل عمان وسرنديب. فلذا نرى أن أهل سرنديب عرفوا الإسلام في وقت مبكر بسبب تواجد هؤلاء التجار المسلمين من عمان وغيرها .

ولما كثر المسلمون في أنحائها المختلفة وخاصة في المناطق الساحلية التي كانت موئلا لنشاط التجار المسلمين اتخذ ملك تلك البلاد أربعه وزراء من المسلمين من بين ستة عشر وزيرا موزعين على كل الملل الموجودة في سرنديب^(٤). ولما زار ابن بطوطة هذه البلاد في منتصف القرن الثامن وجدها عامرة بعدد من المسلمين لهم مساجدهم وأماكنهم الخاصة التي يؤدون فيها شعائرهم الدينية ويعلمون فيها أبناءهم تعاليم دينهم^(٥)، وما من شك في أن ذلك التواصل بين صحار وسرنديب^(٦) قد ساهم في عجلة نشر الإسلام في تلك البلاد .

(١) تيم سفيرين : دور عمان في طرق الحرير البحرية : بحث نشر في حصاد الندوة الدولية لطرق الحرير بجامعة السلطان قابوس نوفمبر سنة ١٩٩٠ . وزاره التراث القومي والثقافة سنة ١٤١٢هـ جريه ١٩٩١م : ص ١١١ .

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٧٤ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٣١٣ .

(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة : ج ٢ ص ١٦٤ .

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٧٣-٧٤ ؛ الحميري : الروض المعطار ص ٣١٣ .

(٥) ابن بطوطة : الرحلة ص ٥٩٦ .

(٦) تيم سفيرين : دور عمان في طرق الحرير البحرية من ضمن الرجوع السابق ص ١١٧ .

دور صحار في نشر الإسلام في الصين

تمتد العلاقة بين عمان والصين إلى ما قبل الميلاد^(١)، إلا أنه ظهر اسم عمان في المؤلفات والسجلات الصينية منذ القرن الأول للميلاد^(٢)، ومما يؤكد هذا التواصل مهارة العمانيين في صناعة السفن التي جابوا بها البحار منذ زمن بعيد ، ويمكن تلمس أثر ذلك بوضوح منذ القرن الثالث والرابع للميلاد^(٣)، و يشير البعض إلى وجود مستعمرة عربية في جنوب الصين قرب كانتون في عصر ما قبل الإسلام^(٤) . ونتيجة لهذا التواصل الممتد إلى أعماق التاريخ بين عمان والصين فإن العمانيين في العصر الإسلامي كانوا من طلائع الواصلين إلى الصين حيث كانت تشاهد السفن العمانية في مياه كانتون عام ٥١هـ / ٦٧١م ، وفي بداية القرن الثاني كان ذلك شيئاً مألوفاً^(٥) . وقد أبحر أبو عبيدة عبد الله بن القاسم من علماء عمان في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة إلى بلاد الصين ووصل إلى ميناء كانتون حوالي عام ١٣٣هـ / ٧٥٠م^(٦)، وكان مضرب المثل في الأمانة والورع ، ومن دلائل ذلك أنه اشترك مع تجار لشراء كمية من العود فلما أخذوا يساومون البائع أخذوا يعيرون العود لكي يرضخ التاجر لتخفيض السعر واستطاعوا بذلك تحقيق مأربهم فشرروا العود بأقل

(١) بروفيسور زانج هو (Prof. Zhang Who) : المعاملات بين الصين والعرب في العصر الرسيط . بحث من ضمن حصاد ندوة الدراسات العمانية ج٦ ص ٨ .

(٢) تشانغ زون بان : الاتصالات الودية للتبادلة بين الصين وعمان عبر التاريخ : الناشر وزارة التراث القومي والثقافة . مسقط سنة ١٩٨١م ص ٥ ؛ بروفيسور زانج هو : المرجع السابق ص ١٠ ؛ بدر الدين الصيني : العلاقات بين العرب والصين : مكتبة النهضة المصرية : الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م ص ١٨

(٣) تشانغ زون بان : المرجع السابق ص ٧٥ ؛ د. حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ص ٣٩٥ ؛ د. محمد أبو العلا : موقع عمان وعلاقتها المكانية ص ٤٤ .

(٤) د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحه ص ١٣١ .

(٥) عمان وتاريخها البحري : قام بتأليفه مجموعة من الباحثين تحت إشراف وزارة الإعلام والثقافة بسلطنة عمان وأصدرته سنة ١٩٧٩م ص ٣٢ .

(٦) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٥٣/٢٥٤ ؛ الشماخي : السير ص ٨٧ ؛ د. السهيل : الإباضية في الخليج ص ١٦٥ .

من سعره الحقيقي وفرحوا بذلك وأخذوا بعد ذلك يفخرون بما حققوه فلما سمعهم أبو عبيده وفهم منهم أن العيب الذي ذكروه للبائع غير حقيقي قال لهم: "سبحان الله ! تعيين عودا بلا عيب فيه ! ردوا علي رأس مالي ولا حاجة لي في مشاركتكم"^(١)، خوفا من أن يكسب مالا فيه شبهة ، ولقن درسا لهؤلاء التجار بأن يلتزموا بالأمانة والصدق في المعاملة . وهناك عدد آخر من العمانيين الذين ذكروهم بعض المصادر منهم النضر بن ميمون الذي يصفه الشماخي بأنه كان من خيار المسلمين ومن تجار الصين^(٢)، كما يذكر التنوخي في قصة تاجر عماني رأى أحد المتسولين في ميناء الأبله بالعراق ثم رآه بعد فترة من الزمن في الصين يمارس التسول أيضا فقال له : " ويحك سائلا بالأبله وسائلا بالصين! " فأجابه بأن هذا أسلوبه في طلب المعيشة ، وأن هذه هي المرة الرابعة التي يأتي فيها إلى الصين قال : "فعجبت من شدة حرمانه"^(٣) ، وهذه القصة توحى بكثرة التواصل القائم بين الصين ومواني الخليج وأن العمانيين كان لهم إسهام كبير في ذلك التواصل الذي استمر عطاؤه لعدة قرون. وكانت صحار تمثل ملتقى التجار من البصرة وسيراف وغيرها من مواني الخليج فينطلقون منها إلى الصين ، وكانت السفن العمانية تنطلق من صحار محملة باللبان والتمور والعاج الأفريقي والآلياء التي كانت تستخرج من مياه الخليج^(٤). وبالمقابل كانت تعود هذه السفن محملة ببضائع مختلفة مثل المسك و العود و الحرير الصيني والخزف الصيني^(٥) الذي دلت الآثار حديثا على وجود بقايا منه مدفونة في صحار منذ القرن الرابع والخامس الهجريين^(٦)، وكان نفس النشاط يقوم به الصينيون حيث تصل سفنهم إلى صحار

(١) الدرجيني : الطبقات ج ٢ ص ٢٥٣، ٢٥٤ ؛ الشماخي : السير ج ١ ص ٨٧

(٢) الشماخي : السير ج ١ ص ٩٥

(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٣ ص ٧٨ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٥١ ؛ الحميري : الروض العطار ص ٢١٣ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٦٣ .

(٦) د . مونيكا كارفران : مدينة صحار العمانية وعلاقتها بطرق الحرير البحرية : بحث نشر في حصاد الندوة

الدولية لطرق الحرير ص ٨٩ ؛ تيم سفرن : رحلة السندباد ، ترجمة د. سامي عزيز : وزارة التراث

القومي والثقافة مسقط ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .

فيفرغون فيها بضاعتهم ، ويحملون منها ما يتوقون إليه من البضائع^(١)، حتى سميت صحار بدهلز الصين وخزانة الشرق^(٢)، وظل هذا التواصل مستمرا رغم الظلم والتعدي على التجار المسلمين وغيرهم بسبب الثورة التي اندلعت عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م ، فوقع السيف في رقاب أهل كانتون فقتل الكثير من أولئك التجار^(٣). ومن بيان تأكيد استمرار تلك العلاقة نجد أن السفن العمانية في سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م تأتي محملة بالكثير من منتجات الصين الثمينة لأحد التجار اليهود فيشتري التاجر الصحاري أحمد بن مروان من المسك الفائق مائة ألف مثقال دفعة واحدة وبردا بأربعين ألف دينار ، وهذا قليل من كثير مما كان يحمله هذا التاجر حسب ما ذكر صاحب كتاب عجائب الهند^(٤) . ونظرا لهذه العلاقة الممتدة سمت منزلة التجار العمانيين حتى أصبح أحدهم مسؤولا عن التجار العرب والمسلمين في كانتون^(٥) .

ونتيجة لهذا التواصل والعلاقات الطيبة التي ربطت بين عمان والصين اعتنق الإسلام عديد من الصينيين ، ومما سهل ذلك انتقال التجار المسلمين بين أماكن مختلفة من بلاد الصين حتى وصلوا مدينة قانصو في شمال الصين " واستوطنوها لطيبها"^(٦)،

(١) سليمان التاجر : سلسلة التواريخ ص ١٥ ؛ السعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٤٥ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٨٧ .

(٣) السيرافي : سلسلة التواريخ ص ٦٣، ٦٢ ؛ السعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٣٩، ١٤٠، الحميري : الروض المعطار ص ٢١٠ .

(٤) بزرک : ص ١٠٧، ١٠٨ .

(٥) يذكر أن تاجرا صحاريا يدعى الشيخ عبد الله في أوائل القرن الخامس الهجري ذهب إلى الصين لتقديم الهدايا للإمبراطور الصيني . فرحب به الإمبراطور وخلع عليه لقب (جنرال الأخلاق الطيبة) وقد سمت منزلة الشيخ عبد الله الصحاري حتى أصبح مسئولاً عن العرب وغيرهم من الأجانب الذين يقيمون في مدينة كانتون ، وقضى فيها سنين عديدة وأصبح بالغ الثراء وعندما عزم على العودة إلى صحار قدم له الإمبراطور الصيني هدايا قيمة وودعه وداعا يليق بمكانته . انظر : شانغ زون بان : الاتصالات الودية بين الصين وعمان ص ١٧، ١٥ .

(٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٧٠ .

وذهبوا إلى أبعد من ذلك إلى بعض جزر اليابان وكوريا التي وصفوها بكثرة الذهب ، واستقر بعضهم هناك وكونوا جالية إسلامية^(١). ولا شك أن الصينيين قد سمعوا عن الإسلام وعرفوه منذ القرن الأول الهجري عن طريق الفتوحات الإسلامية في غرب الصين ، وقد بعث قتيبة بن مسلم الباهلي رسالة إلى إمبراطور الصين^(٢) سنة ٩٦ هـ / ٧١٥ م إلا أن بعض المؤرخين يرى أن الإسلام وصل إلى الصين قبل هذا التاريخ بزمان يعود إلى صدر الدعوة الإسلامية^(٣) ، وأن الفضل في وصوله يعود للتجار المسلمين ، وكان لتجار عمان تأثير قوي بسبب حميد الصفات وجميل السجايا حيث اندمجوا مع أهالي البلاد التي تاجروا معها وحاولوا كسب ودهم مما أثار إعجاب الصينيين بهم وبأمثالهم من إخوانهم المسلمين ، خاصة أن بعض التجار العمانيين كانوا من العلماء الأخيار الذين اشتهروا بالفضل والورع والزهد^(٤). وكان انتشار الإسلام في موانئ الصين في القرن الأول للهجرة بجرأً أسبق من وصوله براً بست وستين سنة هجرية ويرجع الفضل إلى هؤلاء التجار الذين أقام بعضهم هناك مدة محدودة أو الذين استوطنوا في الصين إلى آخر حياتهم ، ومن دلائل ذلك أن قبور هؤلاء الدعاة ما تزال باقية . ومن آثارهم جامع الذكرى للنبي صلى الله عليه وسلم بكانتون ، وهو جامع كبير يشهد على أن عدد المسلمين بتلك المدينة لم يكن قليلاً^(٥).

ومن المناطق الصينية التي انتشر فيها الإسلام بواسطة التجار المسلمين جزيرة (هانان Hainan) المواجهة لولاية (كوانغ تونغ) ويتصف أهل هذه الجزيرة بالصدق والوفاء والاجتهاد في العمل والكسب لا يوجد فيهم غنى كبير ، ولا ترى فقيراً ولا متسولاً حتى في السنة المجدة^(٦)، كما انتشر الإسلام في مدينته (غاي شو)

(١) رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحه ص ١٤٣ .

(٢) بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ص ١٤٥ .

(٣) بروفيسور زانج هو : المعاملات بين الصين والعرب من ضمن حصاد ندوة الدراسات ج ٦ ص ١٢ .

(٤) الدرجيني : الطبقات ص ٢٥٣، ٢٥٤ ؛ الشماخي : السير ص ٨٧، ٩٥ .

(٥) بدر الدين الصيني : العلاقات بين العرب والصين ص ١٦٥ .

(٦) نفس المرجع السابق ص ١٦٢-١٦٣ .

وبها أربعة مساجد ، وما يزال دم العرب يجري فيهم حيث اختلط العرب بالسكان الأصليين ، ويعتقد بدر الدين الصيني أن هؤلاء العرب الذين أوصلوا الإسلام إلى هذه المدينة واختلطوا بسكانها من سواحل عمان أو من حضرموت ^(١) . وهناك مدن عديدة انتشر فيها الإسلام مثل (جوانشو) و (يانغ شو) و (هانغ شو) وكل هذه المدن من الموانئ الشهيرة التي فتحت أبوابها لتجاره العرب منذ القرن الثاني الميلادي ^(٢) ، وفي كل هذه المدن توجد جوامع تدل على كثرة المسلمين بها . وفي مدينه جوانشو أقيم الجامع في الضواحي الجنوبية التي كانت مستوطنة للتجار العرب و الإيرانيين ^(٣) .

أما عاصمة الصين (جانغ -آن) حينذاك فإن الإسلام دخلها في سنة ٩٦هـ — ٧١٥م بواسطة الوفد الذي بعثه قتيبة بن مسلم إلى إمبراطور الصين . والدليل على انتشار الإسلام في هذه المدينة الجامع الذي أسس سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٢م . ولولا كثرة المسلمين فيها لما استدعى الأمر بناء جامع كبير . ولا تزال لوحة حجرية باقية حتى اليوم وعليها نقش يحمل تاريخ تأسيس هذا المسجد ^(٤) .

وهذا العرض الموجز يعطى دلاله أكيدة على تلك الجهود العظيمة التي بذلها أولئك التجار الدعاة في هذه البلاد ، والذين كانوا يتوقون إلى نشر دينهم بكل وسيلة ممكنة ، فلذا لم يدخروا وسعا في ذلك ^(٥) . ومع كل هذه الجهود فإن الإسلام لم يغلب على بلاد الصين لأسباب منها :

أولا : أن أهل الصين كانوا أصحاب ديانات سابقة متغلغلة في نفوسهم ، وقد أثرت في أديهم وفلسفتهم تأثيراً واضحاً ، وديانتهم ترجع إلى ديانات مختلفة منها ما هو مبادئ (كانفوشيوس) ومنها ما هو عقائد (لوتسي) ومنها ما هو من الأصول البوذية ومنها ما هو من المسيحية ، وعاش الإنسان الصيني في مختلف أوقاته في

(١) نفس المرجع ص ١٦٥ .

(٢) نفس المرجع ص ١٦٦ .

(٣) نفس المرجع ص ١٦٧ .

(٤) المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٥) د. السهيل : الإباضية في الخليج ص ١٧٦ .

الحياة بدون إحداث أي تصادم روحاني في حياته العقلية^(١)، ولذا كان التأثير عليهم يتطلب مجهودا كبيرا .

ثانيا : تركز نشاط التجار المسلمين في المناطق الساحلية التي وصلوا إليها ولم يتوغلوا إلى الداخل إلا بقدر محدود حيث كانت التجارة الداخلية يسيطر عليها الصينيون أنفسهم ، ولهذا لم ينتشر الإسلام في المناطق الداخلية وبقي محدودا في المدن الساحلية^(٢).

ثالثا: التعليمات الصارمة التي طبقها بعض ملوك الصين في عهد أسرة سون سنج التي حكمت الصين ما بين (٩٦٠م-١٢٧٩م) . ومن تلك التعليمات منع تهريب العملة الصينية الذهبية إلى خارج البلاد ، وعدم السماح لهؤلاء التجار ببيع تجارتهم إلا في مراكز خاصة أنشأها هؤلاء الملوك مما أوجد حاجزا بين التجار المسلمين والصينيين فنقص نشاطهم في الدعوة^(٣) .

دور صحار في نشر الإسلام في بقاع أخرى

ومع هذا الإسهام الجليل الذي قام به أبناء عمان وصحار خاصة في نشر الإسلام في الصين ، فإنه لابد من التنويه إلى أن هذا النشاط قد أثر في أماكن أخرى خاصة في المناطق التي كان التجار والملاحون العمانيون يرتادونها مع غيرهم من أبناء البلاد الإسلامية ، ومن تلك البلاد جزر المالديف واللكاديف^(٤) ، وكانت تسمى أيضا بجزر الديباجات^(٥). ويرجع الفضل في انتشار الإسلام في هذه الجزر إلى تجار العرب

(١) بدر الدين الصيني : العلاقات بين العرب والصين ص١٤٢.

(٢) د.رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحة: ص١٥٤ ؛ محمد أبو العلا : موقع عمان الجغرافي ص٥٠ ؛ د.السهيل : الإباضية في الخليج ص١٦٨.

(٣) د.رجب عبد الحليم: العمانيون والملاحة ص١٥٥.

(٤) جزر المالديف واللكاديف : أرخبيل مكون من عدد كبير من الجزر يصل إلى ٢١٥ جزيرة ، ومساحة جميع الجزر ٢٨٠ كم مربع ، وسكانها كلهم مسلمون . نالت استقلالها سنة ١٩٦٥ وتعرف الآن بجمهورية المالديف الإسلامية وتقع جنوبي غرب الهند . د.رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحة ص٩٢.

(٥) المسعودي : مروج الذهب ج١ ص١٥٥ ؛ ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ص١٠٤.

والفرس الذين كانوا يرتادونها منذ القرن الثالث للهجرة^(١) . ويؤكد وصول العمانيين إلى هذه الجزر في العصور الإسلامية الأولى ما ذكره السيرافي من أن العمانيين كانوا يقصدون هذه الجزر^(٢).

كما وصل العمانيون إلى جزر الملايو و إندونيسيا و الفلبين وكان لهم إسهام في دخول الإسلام إلى تلك البلاد^(٣). إلا أن ذلك النشاط لم يكن بنفس الدرجة التي كان عليها في الهند والجزر المجاورة لها وفي الصين ، لأنه في البلاد الأخيرة كان الوجود العماني أكثر كثافة وأكثر استقرارا بسبب التواصل التجاري الذي تم بين تلك البلاد وعمان منذ أقدم العصور.

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٥٤ ؛ ابن بطوطة ص ٥٧٤.

(٢) السيرافي : سلسلة التواريخ ص ١٣٠-١٣١.

(٣) سليمان التاجر والسيرافي : سلسلة التواريخ ص ٩٠ ؛ للمسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٣٩، ١٤٠؛

د. حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ص ٣٨٠-٣٨١ ؛ محمد أبو العلا : موقع عمان الجغرافي :

ص ٥١، ٥٠ ؛ د. رجب عبد الحليم : العمانيون والملاحة ص ١٠٥-١٣٠ ؛ د. السهيل : الإباضية

في الخليج ص ١٧٤-١٧٨، ١٨١، ١٨٢.

خاتمة البحث

الخاتمة

لقد تبين خلال هذه الدراسة في تاريخ صحار وحضارتها في القرون الأربعة منذ دخول الإسلام إليها وحتى نهاية القرن الرابع الهجري أن هذه المدينة كانت إحدى المدن الإسلامية الراقية في تلك الفترة وساهمت بعطائها الاقتصادي والفكري في بناء الحضارة الإسلامية . هذا وقد تناولت هذه الدراسة دخول الإسلام الخيف إليها وكيف تقبله أهلها ملوكا ورعية طوعية . وبدخول الإسلام إلى صحار عم انتشاره في عمان فاعتنقه أهلها في فترة وجيزة وأخرجوا من لم يرتض الإسلام ديناً . وأشارت في هذه الدراسة إلى إسهام العمانيين في الفتوحات الإسلامية وذلك باعتبار صحار كانت هي المنطلق لكل الأنشطة السياسية والعسكرية والاقتصادية كما تناولت الدراسة خضوع ملوك عمان في العهد النبوي والخلافة الأشد للقيادة الإسلامية العليا.

وفي العهد الأموي شهدت صحار تحولا عن هذا المنهج نتيجة التحول الذي طرأ على مسيرة الخلافة الإسلامية ولهذا دخلت صحار في صراع بين الاستقلال عن الحكم الأموي والتبعية له وعند انتهاء الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية قامت في صحار الإمامة الأولى ولكن هذه المحاولة انتهت بعد سنتين من قيامها وذلك ما بين عامين ١٣٢ و ١٣٤ هـ .

ثم شهدت صحار تحولا آخر عندما أقرت القيادة السياسية بعد قيام الإمامة الثانية في عمان سنة ١٧٧ هـ نقل مركز الحكم من صحار إلى نزوى . ورغم ذلك ظلت صحار متوجهة النشاط وحظيت باهتمام الأئمة الذين تعاقبوا في ظل الإمامة الثانية حتى عام ٢٨٠ هـ حتى أن الدال المعين عليها كان يطلق عليه الوالي الكبير للدلالة على أهميتها .

وبعد انتهاء الإمامة الثانية وخضوع عمان للخلافة العباسية كانت صحار هي مقر ولاية الخلفاء العباسيين أو متن ينوب عنهم . وشهدت صحار خلال النصف

الأول من القرن الرابع الهجري استقرارا في ظل الأسرة الوجيعة التي توارثت الحكم فيها وذلك حتى سنة ٣٥٠هـ وبعد ذلك دخلت في صراعات مريرة بين البويهيين والقرامطة والزنج وحاول العمانيون استردادها ولكنهم لم يستطيعوا ذلك فسيطر عليها البويهيون . وفي آخر القرن الرابع الهجري تولوا بنو مكرم صحار من قبل البويهيين وتوارثت هذه الأسرة السلطة فيها.

وفي الجانب الحضاري شهدت صحار خلال فترة هذه الدراسة ازدهارا شمل جوانب الحياة المختلفة ، فعرفت صحار أنماطا مختلفة من الحكم من نظام ملكي وراثي لآل الجلندي مع انقياد تام للدولة الإسلامية في العهد النبوي والخلافة الراشدة . ونتيجة للتحويل الذي قامت عليه الدولة الأموية عما كانت عليه الخلافة الراشدة فإن العمانيين لم يرتضوا التبعية لتلك الدولة وقامت على أرض صحار أول إمامة في عمان حسب التقعيد الفكري السياسي عند الإباضية ، وكانت الخلافة الراشدة هي الأساس الذي بني عليه الإباضية فكرهم السياسي . وعملت الإمامة التي عاشت صحار في ظلها ما يقرب من قرنين من الزمان خلال القرن الثاني والثالث الهجري على وجود تنظيم إداري ساعد على إرساء العدل وتطبيق مبادئ المساواة حسب مقتضيات الشريعة الإسلامية السمحة .

وكانت صحار تعيش تعددية في البناء الاجتماعي ؛ فبجانب العرب وجدت جاليات أخرى من بلاد فارس والهند وشرق أفريقيا وغيرها من البلاد . وانقسم المجتمع الصحاري أيضا إلى طبقات من : حكام وعلماء وتجار وغيرهم ، وكان لأبد لتلك التعددية الاجتماعية أن يصحبها أنماط من العادات والتقاليد في حياتها اليومية وأفراحها وأحزائها وفي لباسها ومأكلها ومشربها . كما شهدت صحار حركة عمرانية ولكن لقلّة المصادر فقد انحنا إلى ذلك قدر المستطاع .

أما النشاط الاقتصادي فقد كان له دور أساسي في رخاء صحار وازدهارها خاصة أنّها كانت قبل الإسلام إحدى الأسواق العربية الشهيرة . وخلال فترة الدراسة شهدت صحار توسعا ملحوظا في الرقعة الزراعية والإنتاج الزراعي رغم أن عصب

الحياة الاقتصادية لصحار كان يتمثل في التجارة والملاحة وأصبحت بفعل نشاط أبنائها إحدى المراكز المهمة في التجارة الإسلامية وكانت تمثل منطلقاً إلى بلاد الشرق ، فقامت بدور أساسي في الملاحة البحرية الإسلامية ووصل أهلها إلى بلاد جنوب وشرق آسيا كإندونيسيا والصين وما بينهما من بلاد . وفي الجانب الغربي للمحيط الهندي كان لصحار دور بارز في التبادل التجاري مع شرق أفريقيا والبلاد الأخرى .

وواكب هذا الازدهار الاقتصادي حياة دؤوب اجتذبت كثيراً من الأجناس مما نتج عنه وجود معتقدات فكرية متعددة في صحار . كما شهدت صحار نهضة علمية خلال تلك الفترة كان نتاجها العديد من العلماء الذين برزوا في علوم مختلفة ، إلا أن العلوم الشرعية كانت هي الأغزر إنتاجاً ، فعرفت عمان كوكبة من العلماء الذين تخرجوا من المراكز العلمية الصحارية ، وكان ثمة ذلك أيضاً إنتاجاً في التأليف بدأ ازدهاره منذ القرن الثالث الهجري .

وقد توسع هذا النشاط العلمي فامتدت صلات العلماء ببلاد مختلفة كالبحرين والحجاز وحضرموت ومصر والمغرب وخراسان وانطلق دعاة للإسلام من صحار وذلك من خلال تلك الرحلات التجارية التي كانت تربط صحار بغيرها من البلاد التي لم ينتشر فيها الإسلام .

ومن هذا تتبين أهمية صحار وعمق تاريخها ، فكانت إحدى المدن الإسلامية التي أسهمت بدور فعال في بناء جوانب الحضارة الإسلامية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والفكري ، ومثلت إحدى الموانئ الرئيسة في العالم الإسلامي الذي انطلقت منه السفن الإسلامية حتى وصلت إلى أقصى الشرق . وكان لها إسهام كبير في ازدهار التجارة الإسلامية خاصة في المناطق المطلة على الخليج ؛ ولذا اعتبرها من كتبوا عنها من الجغرافيين والرحالة بأنها أعمر مدينة وأكثرها مالا ورخاء . وبالإضافة إلى مكانتها الاقتصادية فقد أسهمت أيضاً بنمو عدد من أبنائها في العلوم المختلفة . وبهذا كانت مركز إشعاع فكري وأدبي . ورغم أن مكانتها قد تضاءلت فترة من الزمن بعد القرن الرابع الهجري إلا أنها ما لبثت أن استردت بعض مكانتها ، خاصة في العصر الحديث .

الخرائط

و

الأشكال التوضيحية

الإيرانية
جبل البشك

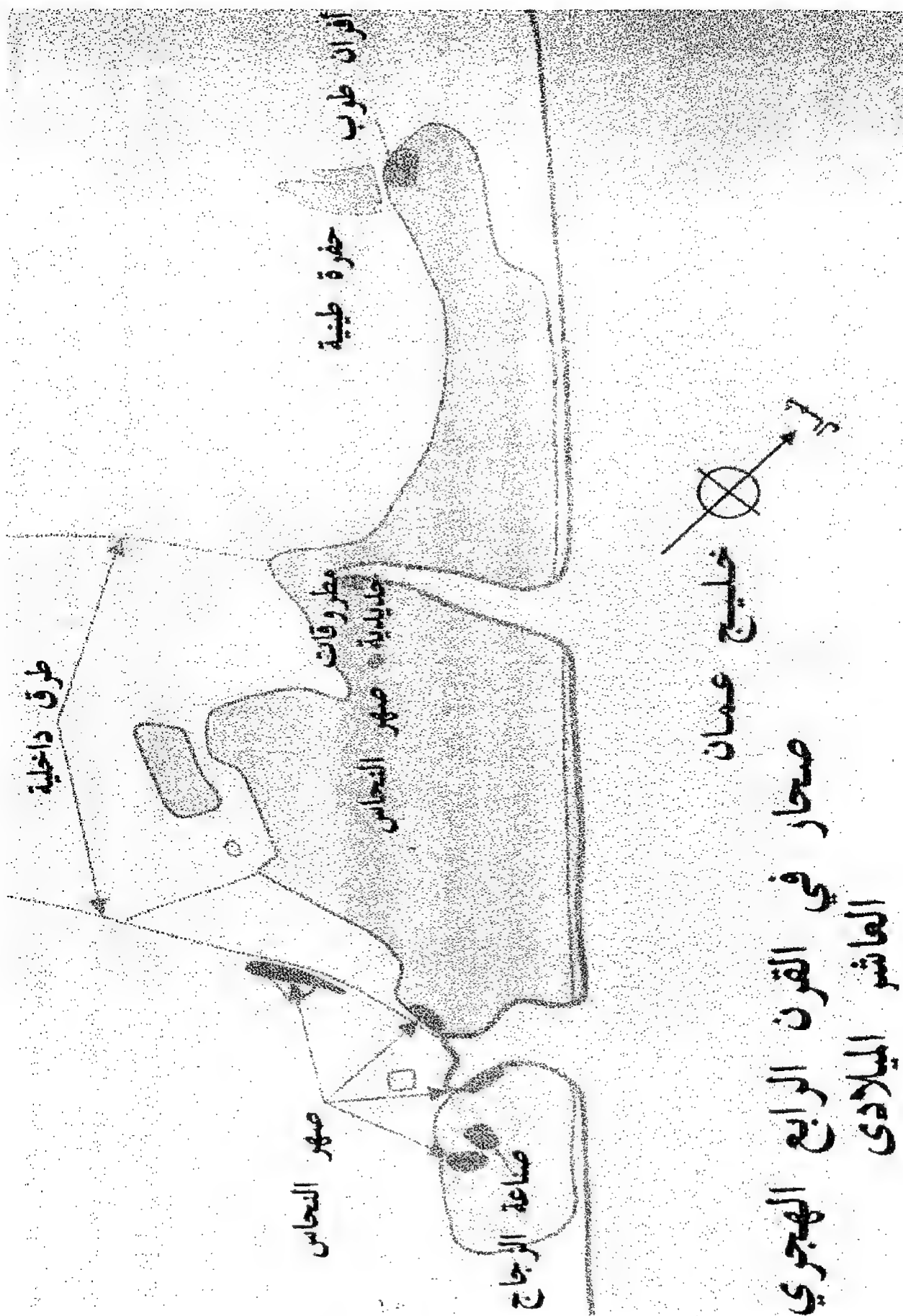
مفتی مسیحی
شمس الرحمن

کمبریہ سلطنت عمان
مسند
مستند
حصہ
بخارہ
(۵۶-۵۷)
دور
البحر

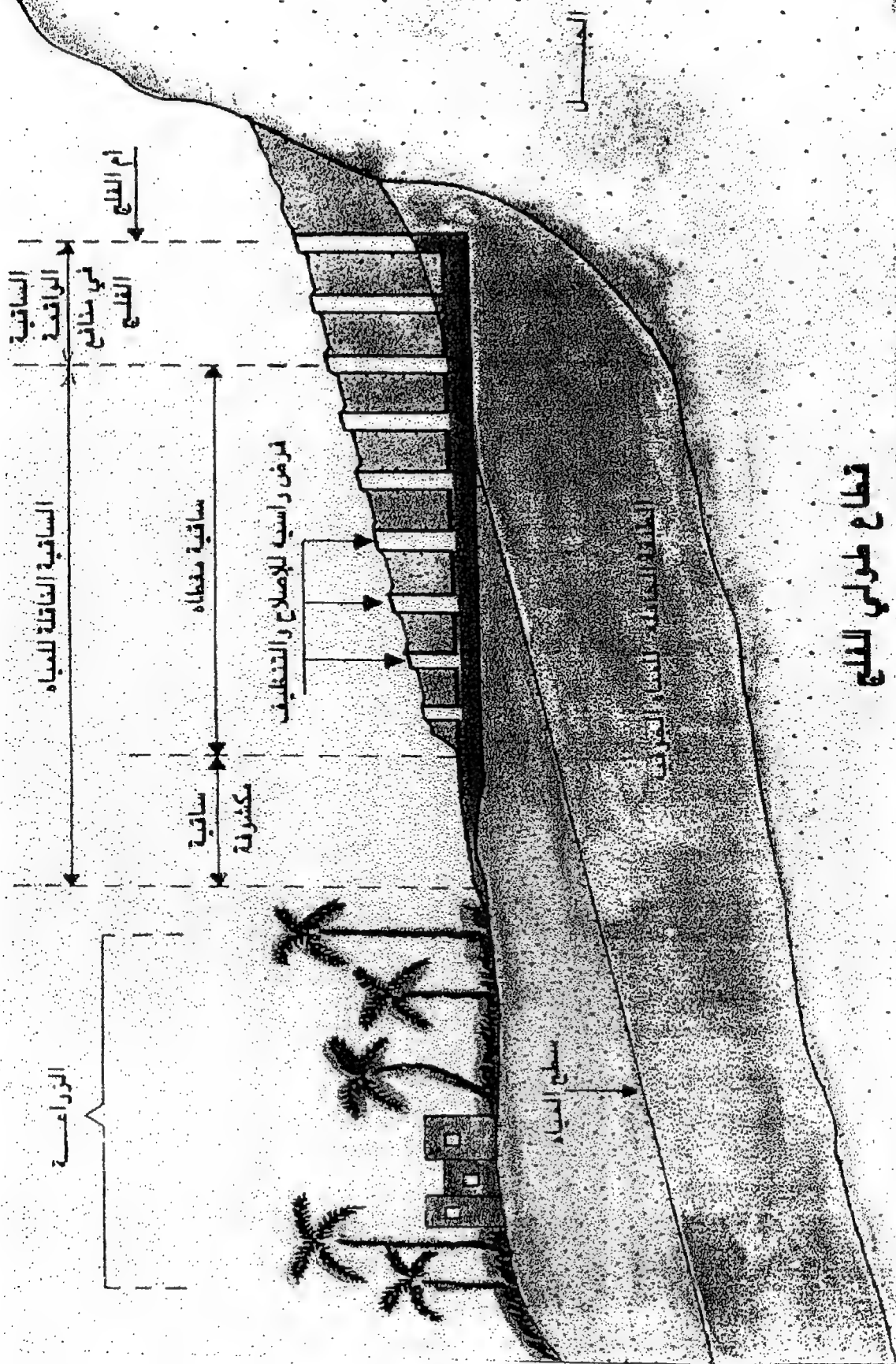
العربي

المذبح





المصدر : مسيرة الخير ، الوجيز في تاريخ عمان ، ص ١١ .






خارطة ملاحية قديمة تمثل الطرق الملاحية من صحار إلى
غيرها من الحواضر

المصدر : عمان وتاريخها البحري ص ٣٦ .

حلا حق الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 فِي حَقِّهِ رَسُوْلُ اللَّهِ
 الَّذِي كَفَّرَ عَنْ عَمَلَيْهِ الْإِثْمَ
 وَالْجَبْنَ وَاسْتَعْلَمَ اللَّهُ
 سِرَّهُ وَالْخَائِطَ الْمُنْتَخَمَ
 الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِي
 الصُّفُوفِ الْأُولَى الْمَوْجُودِ
 فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَوَسِّلْ بَيْنَهُمَا
 فِي كُلِّ عَالَمٍ إِنَّكَ خَبِيرٌ
 بِمَا فِي الصُّفُوفِ الْأُولَى



صورة من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لأهل عمان

أخذت من صورة موجودة في دار الوثائق والمخطوطات ، مسقط ، سلطنة عمان

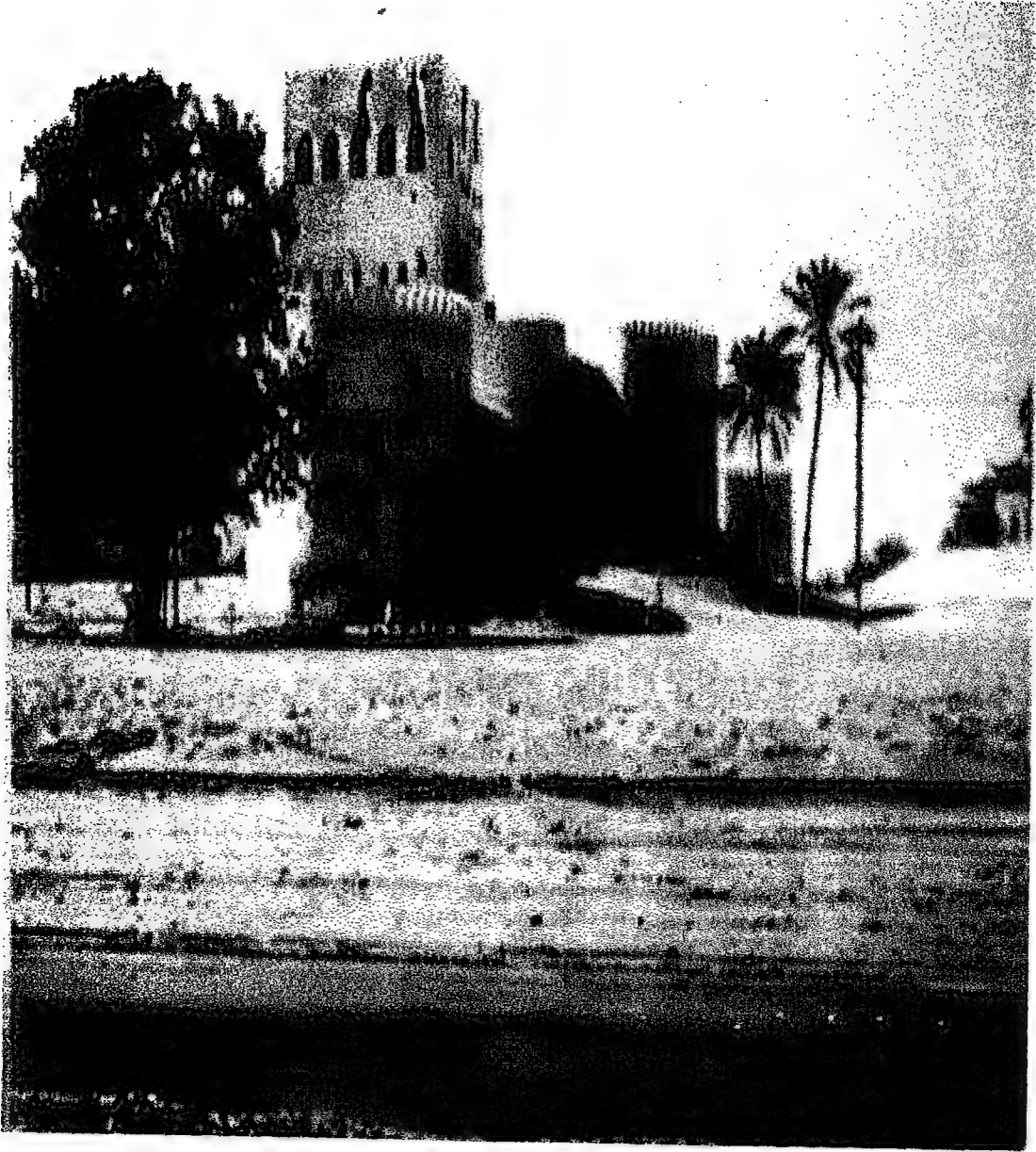
جدول بالعملات التي ضربت في "عمان"
من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري

العملة	اسم الخليفة واسم القاضي	تاريخ الضرب	ملاحظات
درهم	بدون	٨١ هـ	
درهم	بدون	٩٠ هـ	
فلس	بدون / روح بن حاتم	١٤١ هـ	
فلس	بدون / روح بن حاتم	١٥١ هـ	
درهم	المكتفي بالله / محمد بن هارون	٢٨٩ هـ	
درهم	المكتفي بالله / أحمد	٢٩٠ هـ	
درهم	المكتفي بالله / طاهر بن محمد	٢٩٥ هـ	
درهم	المقتدر بالله / سبكري	٢٩٨ هـ	
درهم	المقتدر بالله / أحمد بن هلال	٢٩٩ هـ	
درهم	المقتدر بالله / أحمد بن خليل	٣٠٠ هـ	
درهم	المقتدر بالله / أحمد بن هلال	٣٠٣ هـ	
درهم	المقتدر بالله / أحمد بن هلال	٣٠٤ هـ	
درهم	المقتدر بالله / أحمد بن هلال	٣٠٥ هـ	
درهم	المقتدر بالله / أحمد بن هلال	٣٠٦ هـ	
درهم	المقتدر بالله / عبد الحليم بن ابراهيم	٣١٣ هـ	
درهم	المقتدر بالله / يوسف بن وجيه	٣١٤ هـ	
درهم	المقتدر بالله / -	٣١٦ هـ	
درهم	المقتدر بالله / يوسف بن وجيه	٣١٧ هـ	
درهم	المقتدر بالله / يوسف بن وجيه	٣٢٠ هـ	
درهم	القاهر بالله / يوسف بن وجيه	٣٢١ هـ	
درهم	الراضي بالله / يوسف بن وجيه	٣٢٢ هـ	
درهم	الراضي بالله / يوسف بن وجيه / محمد	٣٢٦ هـ	

٢١	درهم	الراضي بالله / يوسف بن وجيه / محمد بن يوسف	٣٢٧هـ
٢٢	درهم	الراضي بالله / يوسف بن وجيه / محمد بن يوسف	٣٢٩هـ
٢٣	دينار	المتقي لله / يوسف بن وجيه / محمد بن يوسف	٣٢٩هـ
٢٤	درهم	المتقي لله / يوسف بن وجيه / محمد بن يوسف	٣٣٠هـ
٢٥	درهم	المتقي لله / يوسف بن وجيه / محمد بن يوسف	٣٣١هـ
٢٦	درهم	المتقي لله / يوسف بن وجيه / محمد بن يوسف	٣٣٢هـ
٢٧	درهم	المتقي لله / محمد بن يوسف	٣٣٢هـ
٢٨	دينار	المتقي لله / محمد بن يوسف	٣٣٣هـ
٢٩	درهم	المستكفي بالله / محمد بن يوسف بن وجيه	٣٣٤هـ
٣٠	درهم	المستكفي بالله / محمد بن يوسف بن وجيه	٣٣٥هـ
٣١	دينار	المستكفي بالله / محمد بن يوسف بن وجيه	٣٣٥هـ
٣٢	درهم	المطيع لله / محمد بن يوسف المنصور	٣٣٦هـ
٣٣	درهم	المطيع لله / محمد بن يوسف المنصور	٣٣٩هـ
٣٤	درهم	المطيع لله / محمد بن يوسف المنصور	٣٤٠هـ
٣٥	دينار	المطيع لله / عمر بن يوسف	٣٤١هـ
٣٦	درهم	المطيع لله / عمر بن يوسف	٣٤١هـ
٣٧	درهم	المطيع لله / عمر بن يوسف	٣٤٣هـ
٣٨	دينار	المطيع لله / عمر بن يوسف	٣٤٥هـ
٣٩	دينار	المطيع لله / عمر بن يوسف	٣٤٦هـ
٤٠	دينار	المطيع لله / عمر بن يوسف	٣٤٧هـ
٤١	دينار	المطيع لله / عمر بن يوسف	٣٥٠هـ
٤٢	درهم	المطيع لله / عمر بن يوسف	٣٥٠هـ
٤٣	دينار	المطيع لله / علي بن أحمد	٣٥٥هـ
٤٤	درهم	المطيع لله / ركن الدولة وعضد الدولة	٣٥٨هـ
٤٥	دينار	المطيع لله / ركن الدولة وعضد الدولة	٣٦٠هـ
٤٦	درهم	المطيع لله / ركن الدولة	٣٦٠هـ
٤٧	درهم	المطيع لله / ركن الدولة وعضد الدولة	٣٦١هـ
٤٨	دينار	المطيع لله / ركن الدولة وعضد الدولة	٣٦٢هـ

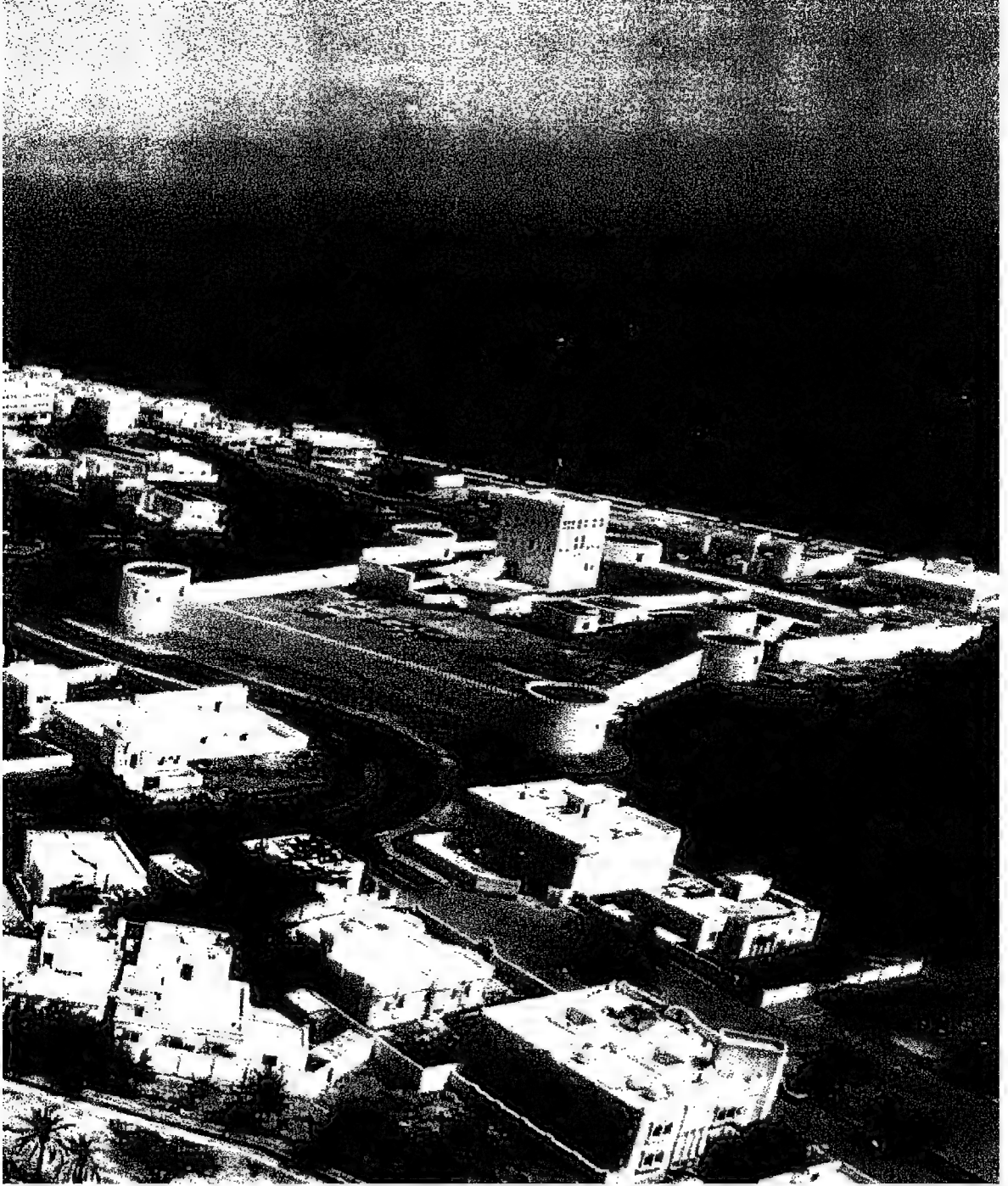
٥١	درهم	نظاع شه ، ركن الدولة وعضد الدولة	٣٦٤هـ
٥٢	دينار	النظاع شه ، ركن الدولة / وعضد الدولة / وصمصام الدولة	٣٦٤هـ
٥٣	درهم	النظاع شه ، ركن الدولة / وعضد الدولة / وصمصام الدولة	٣٦٤هـ
٥٤	درهم	النظاع شه ، الأمير العادل / وعضد الدولة / أبو شجاع	٣٦٥هـ
٥٥	درهم	النظاع شه ، ركن الدولة / وعضد الدولة / وصمصام الدولة	٣٦٧هـ
٥٦	دينار	النظاع شه ، وعضد الدولة / والمرزبان بن عضد الدولة	٣٦٧هـ
٥٧	درهم	النظاع شه ، وعضد الدولة / والمرزبان بن عضد الدولة	٣٦٧هـ
٥٨	دينار	النظاع شه ، وعضد الدولة / وصمصام الدولة المرزبان	٣٦٨هـ
٥٩	درهم	النظاع شه ، وعضد الدولة / وصمصام الدولة	٣٦٨هـ
٦٠	دينار	النظاع شه ، أبو الفوارس بن عضد الدولة	٣٧٥هـ
٦١	درهم	النظاع شه ، الملك العادل / وصمصام الدولة / وشمس الدولة	٣٨١هـ
٦٢	درهم	النظاع شه ، وصمصام الدولة	٣٨١هـ
٦٣	درهم	النظاع شه ، وصمصام الدولة / وفخر الدولة	٣٨٣هـ
٦٤	دينار	النظاع شه ، وصمصام الدولة / وفخر الدولة	٣٨٦هـ
٦٥	درهم	النظاع شه ، وصمصام الدولة / وفخر الدولة	٣٨٦هـ
٦٦	دينار	النظاع شه ، وكنة الدولة / وقوام الدين أبو بصر	٣٩٤هـ ٤٠٠هـ

المصادر : دارلي: تاريخ النقود : ص ١٣ - ٣٥ ؛ د. العش : النقود العمانية : ص ١٠ - ٣٧ ؛ خميس : التاريخ
الحضاري لعمان : ص ١٣٨ - ١٣٩ .



صورة قديمة لحصن صحار تعود لما قبل عام ١٩٧٠م.

المصدر : صحار الأمس واليوم ، نشرة صادرة عن مكتب تطوير صحار ، سلطنة عمان .



حصن صحار كما يبدو اليوم

المصدر : صحار الأمس واليوم ، مكتب تطوير صحار ، سلطنة عمان .



أحد المراكب التي كانت تنطلق من صحار للتجارة .

المصدر: عمان وتاريخها البحري .

فهرس

المصادر والمراجع

مصادر ومراجع الرسالة

أولا : المخطوطات

❖ ابن بركة : أبو محمد عبد الله بن محمد (من علماء القرن الرابع الهجري)
- كتاب : التقييد ، بمكتبة الإمام السالمي ، بديه ، سلطنة عمان .

❖ ابن زريق : حميد بن محمد (ت ١٢٠٠هـ / ١٨٣٧ م)
- الصحيفة القحطانية ، دار الوثائق والمخطوطات ، وزارة التراث القومي والثقافة رقم (٨١) سلطنة عمان .
- الصحيفة العدنانية ، مكتبة السيد / محمد بن أحمد ، السيب ، مسقط

❖ الرقيشي : خلف بن أحمد . من علماء القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي
- مصباح الظلام دار الوثائق والمخطوطات ، وزارة التراث القومي والثقافة رقم (٥٢١٩٠) سلطنة عمان .

❖ الكندي : محمد بن إبراهيم بن سليمان (ت ٥٠٨هـ / ١١١٤ م)
- بيان الشرع ، جزء (٦٨) دار الوثائق والمخطوطات وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان رقم (٨٠)

❖ مجهول :

-تواريخ العلماء ومعرفة أسمائهم وكناهم وبلدانهم ، دار الوثائق والمخطوطات وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان رقم (٦١)

ثانيا : المصادر المطبوعة

- ❖ ابن الأثير : علي بن أبي الكرم محمد عز الدين (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
-أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق: محمد إبراهيم البنان ، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد ، الناشر : دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ .
-الكامل في التاريخ دار صادر بيروت ، الطبعة السادسة . عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م .
-اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت .
- ❖ الإدريسي : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني - ت (٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م) .
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م .
- ❖ الأزدي: أبو زكريا يزيد بن محمد بن إلياس بن القاسم (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥ م) .
- تاريخ الموصل ، تحقيق: د. علي حبييه ، طبع : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة في ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م .
- ❖ الإزكوي : سرحان بن سعيد . من علماء القرن الثاني الهجري .
-تاريخ عمان ؛ المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة تحقيق: عبد المجيد حسيب القيسي ، الناشر : دار الدراسات الخليجية .
- كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق ودراسة : أحمد عبيدي طبع : دبلون للنشر ، نيقوسيا - قبرص (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م)

- ❖ الأشعري : أبو الحسن علي بن إسماعيل ت(٣٢٤هـ / ٩٣٥م) .
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- ❖ الإصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي (ت ٣٥٠هـ — / ٩٦١م)
- مسالك الممالك طبع : لندن ، سنة ١٩٦٧م .
- ❖ الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٥٢م)
- الأغاني : تحقيق: سمير رجب ، طبع دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٥م .
- ❖ ابن أعثم الكوفي : أبو محمد أحمد
- كتاب الفتوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ❖ ابن بركة : أبو محمد عبد الله السليمي (من علماء القرن الرابع الهجري)
- كتاب التعارف . سلسلة تراثنا . العدد ٥٣ ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، مارس ١٩٨٤م .
- ❖ بزرك: ابن شهريار أرامهرمزي (من ربابة القرن الثالث الهجري) .
- عجائب الهند بره وبحره وجزائره ، طبع دار صادر ، بيروت - نسخة مصورة عن طبعة ليون-إي.جي-إبريل سنة ١٨٨٦م .

❖ البسيوى : أبو الحسن علي بن محمد بن علي (من علماء القرن الرابع الهجري)
- سيرة أبي الحسن اليبسوى (ضمن السير و الجوابات) ، تحقيق و شرح: د.
سيدة إسماعيل كاشف ، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة ، ج ٢ -
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

❖ البصري : أبو الحسين محمد بن عمران ؛ المعروف بالرقام البصري .
- كتاب العفو و الاعتذار ، تحقيق : الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، الناشر
دار البشير ، عمان ، الأردن ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

❖ ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي
(ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧ م):
- رحلة ابن بطوطة ، دار بيروت ، ودار النفائس ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -
١٩٩٧م .

❖ البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) .
- تاريخ بغداد . طبع دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

❖ البكري : أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) .
- المسالك و الممالك حققه و قدم له أدريان فان ليوفن و أندري فيري ، الدار
العربية للكتاب ، تونس عام ١٩٩٢م .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع . تحقيق : مصطفى السقا ،
عالم الكتب ، الطبعة الثانية بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

❖ البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) .
- فتوح البلدان ، مراجعة و تعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب
العلمية ، بيروت عام (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

❖ البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد.

— كتاب الجماهر في معرفة الجواهر ، مكتبة المتني ، القاهرة بدون تاريخ

❖ ابن البيطار : ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المعروف بابن البيطار .

— كتاب: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، مكتبة المتني ، القاهرة ، بدون تاريخ .

❖ البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين . (ت ٤٥٨ هـ)

— دلائل النبوة ، توثيق وتخريج : د . عبد المعطي قلعجي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

❖ التنوخي : الحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) .

— نشوار المحاضرة . تحقيق: محمود الشالجي ، دار صادر ، بيروت طبعة عام (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)

❖ الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م) .

— تحفة الوزراء تحقيق: د. سعد أبودية ، الناشر دار البشير ، عمان ، الأردن الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

— ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ، بدون تاريخ .

— يتيمة الدهر ، تحقيق: د. محمد التونجي ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى — ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

❖ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨ م)

- البيان والتبيين : تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت
- التبصر بالتجارة: تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، دار الكتاب الجديد،
سنة ١٩٦٦ ، القاهرة .

❖ ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧ م)

- رحلة ابن جبير (تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار) ، دار صادر ،
بيروت عام ١٣٨٣هـ / ١٩٩٤ م .

❖ الجرجاني : علي بن محمد :

- كتاب التعريفات ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة
(١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .

❖ ابن جعفر : أبو جابر محمد بن جعفر الإزكوي (من علماء القرن الثالث
الهجري)

- كتاب الجامع ، تحقيق : الدكتور جبر محمود الفضيلات ، إصدار وزارة
التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، سنة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

❖ الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت ٥٤٠ هـ)

- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق وشرح : أحمد
محمد شاكر ، دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٩٥ م .

❖ ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠ م)

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

❖ الحارث بن أبي أسامة .

-بغية الباحث عن زوائد سند الحارث تحقيق د. حسن أحمد صالح البكري
الناشر: مركز خدمة السنة بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م

❖ ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩ م) .

-كتاب المحبر ، اعتني بتصحيحه: الدكتور ايلزه لينخن شيتتر ، منشورات
دار الآفاق الحديثة ، بيروت طبع عام ١٣٦١ هـ .

❖ ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م)
-الإصابة في تميز الصحابة ، القسم الثاني ، تحقيق محمد البجاوي ، الناشر :
دار الجبل ، بيروت طبع عام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م .

❖ ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ، (ت ٤٥٦هـ / —)
١٠٦٣ م) .
-جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ،
القاهرة ، الطبعة الخامسة عام ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .

❖ الحلبي : علي برهان الدين (ت ١٠٤٤هـ) .
-السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون ، دار المعرفة ، بيروت ، طبع عام
١٤٠٠هـ .

❖ الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي
(ت ٦٢٦هـ / ١٣٢٨ م) .

-معجم الأدباء: دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩١ م .
-معجم البلدان: دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٥ م .

❖ الحميري : أبو سعيد نشوان ، (ت ٥٧٣ هـ)

-كتاب : الخور العين ، تحقيق : كمال مصطفى ، الناشر : دار آزال
بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ م .

❖ الحميري : محمد بن عبد المنعم ، (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٣٦ م)

-كتاب : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة
لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، عام ١٩٨٤ .

❖ ابن حنبل : أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني

-فضائل الصحابة . تحقيق : د . وحي الله محمد عباس ، الناشر : مؤسسة
الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
-مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الناشر دار الكتب الإسلامي ، الطبعة
الخامسة ، عام ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

❖ أبو الحواري : محمد بن الحواري (من علماء القرن الثالث الهجري) .

-سيرته إلى أهل حضرموت ، من ضمن كتاب السير و الجوابات . إصدار
وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ج ١ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

❖ ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت (٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)

-صورة الأرض : دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٩٢ م .

❖ ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة .

-كتاب : المسالك والممالك ، وضع مقدمته وحواشيه وفهارسه : الدكتور :
محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ /
١٩٨٨ م) .

❖ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨ هـ — / ١٤٠٥ م)

—العبر وديوان المبتدأ والخبر ؛ المعروف بتاريخ ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٢ م .

❖ ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .

—كتاب وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق : الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

❖ ابن خياط : أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)
— تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

❖ الدرجيني : أبو العباس أحمد بن سعيد (من علماء القرن السابع الهجري)
—طبقات المشايخ بالمغرب ، حققه وطبعه إبراهيم طلاي ، بدون مكان وتاريخ الطبع .

❖ ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م)
—الاشتقاق: تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ، عام ١٣٧٨ هـ / ١٩٨٥ م .
—جمهرة اللغة ، مطبعة دائرة المعارف ، حيدر أباد(الدكن) ١٣٤٥ هـ .

❖ **الدمشقي:** أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي (من علماء القرن السادس الهجري) .

-الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق: : محمود الأرناؤوط الناشر : دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م .

❖ **الدينوري :** أبو حنيفة أحمد بن داوود ، (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)
-كتاب النبات ، قطعة من الجزء الخامس ، مطبعة بريل ، لندن ١٩٥٣م
الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس ، تحقيق برهارد الفين ، دار مكتبة لبنان ، بيروت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

❖ **الذهبي :** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧ م) .
-سير أعلام النبلاء ، إصدار مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

❖ **ابن رزيق :** حميد بن محمد (ت ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣ م)
-الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ، الناشر : وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان عام (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م)

-الفتح المبين في سيرة السادة البو سعيديين ، تحقيق : عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبد الله ، إصدار : وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، سنة ١٩٨٣ م ، مسقط .

❖ ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر

— كتاب : الأعلام النفيسة ، الناشر : دار صادر ، بيروت .

❖ الزيلعي: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (ت ٧٦هـ)

— كتاب : نصب الرأية ، الناشر : دار الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ .

❖ السعدى : جميل بن خميس ، من علماء القرن (١٣هـ / ١٩م)

— قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة ، إصدار : وزارة التراث القومي

والثقافة ، سلطنة عمان ، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .

❖ ابن سعد : محمد بن سعد الهاشمي (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)

— الطبقات الكبرى: دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

❖ ابن سعيد المغربي : أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٧٣ هـ)

— كتاب الجغرافيا ، تحقيق : اسماعيل العربي ، المكتبة التجارية ، بيروت ،

الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٠ م .

❖ ابن سلام : لوأب بن سلام بن عمرو اللواتي .

— الإسلام وتاريخه من وجهة نظر اباضية ، تحقيق رف شفارتز وسالم بن

يعقوب، دار اقرأ ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ ، ١٩٨٥ .

❖ سليمان التاجر وأبي زيد حسن السيرافي (عاشا في القرن الثالث الهجري) .

— أخبار الصين ، تحقيق : يوسف الشاروني ، الناشر : الدار المصرية اللبنانية ،

القاهرة عام ١٩٩٩ م .

❖ السمعاني : الإمام أبي عبد الكريم من محمد بن منصور التميمي .
- كتاب الأنساب : تقدم وتعليق عبد الله عمر الباروني ، الناشر : دار
الجنان بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

❖ ابن سيد الناس: محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري
(ت ٧٣٤هـ) .

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، تحقيق وتخريج: د. محمد
العبد الخطراوي ، محي الدين مستو ، الناشر: مكتبة دار التراث ، الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ١٩٩٢ م .

❖ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ، (ت ٩١١هـ / - ١٤٠٥ م) .
- تاريخ الخلفاء . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة
الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ / ١٩٥٢ م

❖ الشقصي : خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي الرستاق (ت ٥٤٨هـ
/ ١١٥٣ م)
- منهج الطالبين ، تحقيق: سالم بن حمد بن سليمان الحارثي ، إصدار وزارة
التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة سنة
١٩٧٩ م .

❖ الشماخي : أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي .
- كتاب : السير والجوابات ، تحقيق : أحمد بن سعود السيابي ، إصدار وزارة
التراث القومي والثقافة ، عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م .

❖ الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكرم . (ت ٥٤٨ / ١١٥٣ م) .
- الملل والنحل ، صححه وعلق عليه : الشيخ أحمد فهمي محمد ، طبع دار
السرور ، بيروت ، عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨ م .

❖ الشيباني : أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر . (ت ٢٨٧هـ)
- الآحاد والمثاني ، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة ، الناشر دار الراية ،
الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١ م .

❖ شيخ الربوة : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري
(ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦ م) .
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة
الأولى ، بيروت عام ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م

❖ ابن الصغير المالكي (في القرن الثالث الهجري) .
- أخبار الأئمة الرستمين ، تحقيق : د . محمد ناصر ، ابراهيم بحاز ،
المطبوعات الجميلة ، الجزائر ، ١٩٨٦ م .

❖ الطبري : أبو جعفر محمد بن جدير الطبري (ت ٣١٠ هـ) .
- تاريخ الطبري : دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م
- تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ
/ ١٩٨٧ م .

❖ ابن طولون الدمشقي : الإمام محمد بن طولون الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ — /

٩٥٣ هـ)

-إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ، راجعه : عبد القادر الأرناؤوط ،
وحققه : محمود الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ —
/ ١٩٨٧ م .

❖ ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد .

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب تحقيق : محمد علي البجاوي ، الناشر :
دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٢ م .

❖ العوتبي : سلمة بين مسلم العوتبي الصحاري .

-الضياء ، إصدار: وزارة التراث القومي، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ/١٩٩١م
-الأنساب ، إصدار: وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ١٩٩٤م

❖ العيدروس: عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت ١٠٢٧ هـ) .

-تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، إصدار: دار الكتب العلمية ،
بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

❖ أبو الفدا : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفدا
(ت ٧٣٢ هـ)

-تقويم البلدان ، الناشر: دار صادر ، بيروت ، طبع في باريس دار الطباعة
السلطانية سنة ١٨٤٠ م .

-المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) علق عليه ووضع حواشيه:
محمود ديبوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

❖ الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ)

-القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب تحقيق الرسالة ، بيروت ، الطبعة السادسة
طبع سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

❖ ابن قانع : عبد الباقي بن قانع بن مرزوق (ت ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م)

-معجم الصحابة : تحقيق: صلاح بن صلاح المصري ، الناشر: مكتبة الغرباء
الأثرية المدينة المنورة عام ١٤١٨ هـ .

❖ ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)

-كتاب المعارف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى
١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

❖ قدامة بن جعفر : أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي
(ت ٣٢٠ هـ) .

- نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه : د.
محمد مخزوم ١ ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .

❖ القزويني : زكريا بن محمد بن محمود المعروف بالقزويني

-آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ

-عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، قدم له وحققه : فاروق سعد ،

منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .

❖ القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)

-كتاب صبح الأعشى : دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٠ هـ /

١٩٢٢ م .

-مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فـرج ، الناشر

حكومة الكويت ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ م .

❖ ابن قيم الجوزية : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي

المعروف بابن قيم الجوزية .

-كتاب : زاد المعاد في هدى خير العباد ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه:

شعيب الأرناؤوطي ، وعبد القادر الأرناؤوطي، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت

مكتبة المنار الإسلامية بالكويت ، الطبعة الخامسة عشر ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

❖ ابن كثير: أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ /

١٣٧٥ م)

- البداية والنهاية: تحقيق: علي محمد البجاوي ، الناشر: مكتبة المعارف

بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢ م .

❖ الكدومي : أبو سعيد محمد بن سعيد

-كتاب : الجامع المفيد من جوابات أبي سعيد ، الناشر : وزارة التراث

القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- ❖ الكلي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩ م)
- كتاب الأصنام ، تحقيق أحمد ذكي باشا ، الناشر دار الكتب المصرية ،
القاهرة ١٩٩٥ م .
- جهرة النسب ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، وزارة الإعلام ، الكويت
عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- نسب معد واليمن الكبير ، تحقيق : محمود فردوس العظم ، دار اليعقبة
العربية ، دمشق بلون تاريخ .
- ❖ الكندي: أبو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى السمدي السزوي (ت ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م)
- كتاب المصنف ، إصدار: وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان
١٠٤٠ هـ / ١٩٨٤ م .
- ❖ الكندي: محمد بن إبراهيم بن سليمان (ت ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م)
- كتاب : بيان الشرع ، إصدار: وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة
عمان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ❖ ابن ماجد : شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد (ت ٩١٣ هـ / ١٥٠٦ م)
- كتاب : الفوائد في أصول علم البحر والقواعد والفصول ، تحقيق وتحليل: إبراهيم
خوري ، إصدار مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري برأس الخيمة ، سنة
١٩٨٩ م .
- ❖ -الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي.
-الأحكام السلطانية : تحقيق عصام فارس ومحمد إبراهيم الزغلي ، المكتب
الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

❖ أبو المؤثر : الصلت بن خميس الخروصي البهلوي (من علماء النصف الثاني من القرن الثالث الهجري) .

—سيرته من ضمن السير والجوابات ، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة،
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

❖ ابن المجاور :

—تاريخ المتبصر ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة عام ١٩٩٦ هـ .

❖ مجهول :

—تاريخ أهل عمان: تحقيق وشرح : عبد الفتاح عاشور إصدار: وزارة التراث
القومي ، سلطنة عمان ، الطبعة الثالثة عام ١٩٩٢ م .

❖ مجهول :

—العيون والحدائق . مكتبة المثني ، بغداد ، بدون تاريخ .

❖ المرزوقي : أبو علي أحمد بن محمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني
(ت ٤٢١ هـ)

—كتاب : الأزمنة والأمكنة ، ضبطه وخرج آياته: خليل منصور ، الناشر :
دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م .

❖ المروزي : شرف الزمان طاهر (ت في القرن السادس الهجري)

—كتاب : أبواب في الصين والترك والهند . نشره وترجمه : مينور سكس ، لندن
سنة ١٩٤٢ م .

❖ المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى بدون تاريخ .

❖ ابن مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م)
- تجارب الأمم ، الناشر : دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ، بدون تاريخ

❖ مسلم : الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٠٦ هـ / ٢٦١ هـ)
- كتاب : صحيح مسلم ، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ .

❖ المقدسي : محمد بن أحمد المعروف بالبشاري (ت في القرن الرابع الهجري)
- كتاب : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه : د. محمد مخزوم ، إصدار : دار إحياء التراث العربي ، بيروت سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ .

❖ ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)
- لسان العرب . إصدار : دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٧ م

❖ منير بن النير الجعلاني :
- سيرته من ضمن السير والجوابات ، الجزء الأول ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

❖ ناصر خسرو : أبو معين الدين القبادياني المروزي (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م) .
- سفر نامه : ترجمة: أحمد خالد البديلي ، جامعة الملك سعود ، الرياض ،
الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

❖ ابن النديم : الوراق محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) .
- كتاب الفهرست ، الناشر : دار للعرفة ، بيروت ، طبع عام ١٣٩٨هـ /
١٩٧٨م .

❖ أبو نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)
- كتاب : دلائل النبوة . تحقيق: محمد رواس قلعجي ، عبد البر عباس
الناشر : دار النفائس ، بيروت ، بدون تاريخ .

❖ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت (٦٧٧هـ - ٧٣٣هـ)
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والطباعة والنشر ، سلسلة تراثنا .

❖ هاشم بن غيلان :
- سيرة هاشم بن غيلان من ضمن كتاب السير و الجوابات الجزء الثاني ،
وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

❖ ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ)
- السيرة النبوية ، علق عليها وضبطها : طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر دار
الجيل بيروت ، بدون تاريخ .

❖ الهمداني : محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م)

- تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق ألبرت يوسف كنعان ، الناشر المطبعة الكاثوليكية ، بيروت الطبعة الثانية ١٩٦١ م .

❖ الواقدي : محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ)

- كتاب المغازي ، تحقيق الدكتور مارسون جونسون ، الناشر عالم الكتب بيروت ، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

❖ ابن الوردي : سراج الدين أبي حفص عمر بن المظفر

- كتاب : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، الطبعة الثانية بمصر .

❖ وكيع : محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع (ت ٣٠٦ هـ)

- أخبار القضاة ، الناشر عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ .

❖ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي

- تاريخ اليعقوبي ، إصدار دار صادر ، بيروت ، الطبعة السادسة عام

١٩٩٥ م .

❖ إبراهيم العدوي : (دكتور)

- الأساطيل العربية ، النهضة المصرية ، ١٩٥٧ م .

❖ سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي .

-الحق الدامغ ، مطابع النهضة ، سلطنة عمان ١٤٠٩ هـ .

❖ أحمد درويش : (دكتور)

-ابن دريد الأزدي وتأثيره في الدرس والنص الأدبي ، الناشر الهيئة العامة
الرياضة والشباب ، سلطنة عمان ، بدون تاريخ .
-مدخل إلى دراسة الأدب في عمان . إصدار دار الأسرة للطباعة والنشر
والتوزيع ، مسقط ، بدون تاريخ .

❖ أحمد زكي صفوت :

- كتاب : جهرة خطب العرب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر :
المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

❖ أحمد شلي (دكتور) :

-موسوعة التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، الطبعة
السادسة ، عام ١٩٩٦ م .
-موسوعة الحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، الطبعة
الخامسة ، عام ١٩٨٦ م .

❖ أطفيش : محمد بن يوسف

— شرح كتاب النيل وشفاء العليل ، دار الفتح ، بيروت ، الطبعة الثانية
عام ١٩٧٢ م .

❖ أنور عبد العليم (دكتور)

— الملاحاة وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، طبع عام ١٩٧٩ م .

❖ البطاشي : سيف بن حمود بن حامد

— إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ
١٩٩٢ م .

❖ الجعيري : فرحات بن علي الجعيري (دكتور)

— البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مطبعة الألوان ، مسقط
١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، مطبعة الألوان مسقط ١٤٠٨ — ١٩٨٧ م .

❖ جمال الدين : عبد الله جمال الدين (دكتور)

— التاريخ والحضارة الإسلامية في باكستان والسند والبنجاب . إلى
آخر الحكم العربي . الناشر دار الصحوة للنشر ، القاهرة ١٩٩١ م .

❖ الجهضمي : زايد بن سليمان

— كتاب : حياة عمان الفكرية ، مطابع النهضة ، مسقط ، عام ١٩٩٨ م

❖ جهلان : عدّون جهلان

- الفكر السياسي عند الإباضية ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع ، سلطنة عمان ، السيب ، الطبعة الثانية ، عام ١٤١١هـ / ١٩٩١ م .

❖ الحريري : محمد عيسى (دكتور)

- الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (١٦٠-٢٩٦هـ) دار القلم للنشر والتوزيع : الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م .

❖ حسن علي حسن (دكتور)

- أخبار الأئمة الرستميين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٨ م .

❖ حسين غباش (دكتور)

- عمان الديمقراطية الإسلامية ، دار الجديد ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م

❖ حسين مؤنس (دكتور)

- عالم الإسلام ، الناشر الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ١٤١٠ / ١٩٨٩ م

❖ الخصبي : الشيخ محمد بن راشد بن عزيز .

- كتاب شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٩٨٤ م .

❖ الخطيب : مصطفى عبد الكريم

- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

❖ أبو خليل : شوقي أبو خليل (دكتور)

— الحضارة العربية الإسلامية ، دار الفكر، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

❖ الخيرو : رمزية عبد الوهاب (دكتور)

— تجارة الخليج العربي وآثارها في الحياة الاقتصادية ، طبع دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام بالعراق ١٩٨٧ م .

❖ دائرة المعارف الإسلامية ، الناشر : دار الشارقة للإبداع الفكري ، طبع عام

١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .

❖ دحلان : أحمد زيني دحلان

—الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية الناشر : دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م

❖ الدوري : عبد العزيز (دكتور)

—تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، دار المشرق ، الطبعة الثانية ، بيروت عام ١٩٩٦ .

❖ الراشدي : مبارك بن عبد الله بن حامد الراشدي (دكتور)

—الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه (٤٥-١٤٥ هـ) مطابع الوفاء بالمنصورة ، مصر ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

❖ رجب محمد عبد الحليم (دكتور)

—العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام مكتبة العلوم بمسقط ، سلطنة عمان سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ م .

❖ الزركلي : خير الدين .

— الأعلام ، الناشر : دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية عشرة ، عام ١٩٩٧ م .

❖ السالمي : عبد الله بن حميد السالمي (ت ١٣٣٢هـ / ١٩١٤ م)

—تحفة الأعيان مسيرة أهل عمان ، الناشر : مكتبة الاستقامة ، بمسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

❖ السالمي : أبو بشير محمد شيبه بن نور الدين عبد الله بن حميد السالمي

—فمضة الأعيان بحرية عمان ، مكتبة دار الكتاب العربي ، القاهرة .

❖ سعود بن سالم العيسى:

— العادات العمانية ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

❖ سعيد عاشور (دكتور) ، عوض خليفات (دكتور)

—عمان والحضارة الإسلامية ، إصدار جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عمان .

❖ السماحي : سعود بن سعيد السماحي .

—صحار الأمس واليوم ، إصدار وزارة الإعلام ، سلطنة عمان ١٩٩١ م

—صحار الماضي والحاضر . طبع بمطبعة صحار بدون تاريخ .

❖ السهيل: نايف عيد جابر (دكتور)

- الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين .

❖ السياي: سالم بن حمود بن شامس السياي

-إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، طبعة

عام ١٩٨٤ م .

-طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي ، الناشر : وزارة

التراث القومي والثقافة ، مسقط ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .

-عمان عبر التاريخ ، الناشر وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، الطبعة

الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .

-العنوان عن تاريخ عمان ، طبع بدون دار نشر وبدون تاريخ .

❖ سيدة إسماعيل كاشف (دكتور)

-عمان في فجر الإسلام ، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة ، سلسلة

تراثنا ، العدد الأول ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٤ م .

❖ شلاش : هاشم طه (دكتور)

-الأدوية والأدواء في معجم تاريخ العروس للزبيدي . من مطبوعات المجمع

العلمي العراقي ، بدون تاريخ .

❖ شوقي عبد القوي عثمان (دكتور)

-تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ، سلسلة المعرفة ، المجلس

الوطني للثقافة والفنون بالكويت ، عام ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م .

❖ عبد الأمير دكن : (دكتور)

—كتاب الخلافة الأموية دراسة سياسية ، الناشر : دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ .

❖ العبري : بدر بن سالم بن هلال

—البيان في أفلاج عمان ، طبع بدون دار نشر وبدون تاريخ .

❖ عبد الله يوسف غنيم

—أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات القديمة والدراسات المعاصرة
الكويت ، سنة ١٩٨١ م

❖ العبيدي : أحمد العبيدي (دكتور).

— الدولة العمانية الأولى من سنة ١٣٢-٢٨٠ هـ / ٧٤٩-٨٩٣ م

❖ عبد المنعم سلطان (دكتور)

— صفحات من تاريخ عمان في العصر الإسلامي ، دار النشر الثقافية بالإسكندرية ، سنة ١٩٩١ م .

❖ العش : محمد أبو الفرج (دكتور).

—النقود العمانية من خلال التاريخ الإسلامي ، إصدار وزارة التراث القومي،
الطبعة الثالثة ، سلطنة عمان ، طبع عام ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

❖ علي عبد الخالق علي (دكتور)

—الشعر العماني مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية ، الدراسات الأدبية ،
دار المعارف ، القاهرة بدون تاريخ .

❖ علي يحيى معمر :

-الإباضية بين الفرق الإسلامية ، وزارة التراث القومي والثقافة ، الطبعة الثالثة ، سلطنة عمان ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

❖ القاسمي : خالد محمد

-عمان مسيرة قائد وإرادة شعب ، دار الثقافة العريضة للنشر والترجمة والتوزيع ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٩٣ م .

❖ مجموعة من الباحثين

- عمان في التاريخ ، إصدار وزارة الإعلام ، سلطنة عمان .

❖ محمد صالح ناصر (دكتور)

-منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط سنة ١٩٩٧م
-ابن دريد ؛ حياة من أجل الأدب ، إصدار الهيئة العامة للرياضة والأنشطة الشبابية ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

❖ محمد ضياء الدين الرئيس

-كتاب الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، إصدار : دار الأنصار، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٧٧ .

❖ محمد قرقرش (دكتور)

-عمان والحركة الإباضية ، مكتبة مسقط ، روي ، سلطنة عمان ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

❖ محمود أبو العلا (دكتور)

-جغرافية إقليم عمان ، مكتبة الفلاح بالكويت ، الطبعة الأولى ، عام

١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

❖ مصطفى السنوسي :

-ابن دريد حياته وتراثه اللغوي والأدبي سلسلة دراسات في التراث العربي

تصدرها : وزارة الإعلام ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م .

❖ المعولي : أبو سليمان بن محمد بن عامر بن راشد

-قصص وأخبار جرت في عمان ، تحقيق: عبد المنعم عامر إصدار وزارة

التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

❖ موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب دليل أعلام عمان ، إصدار جامعة

السلطان قابوس ، سلطنة عمان ، الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

❖ الموسوعة الإسلامية ، دار الشارقة للإبداع الفكري ، طبع عام ١٤١٨ هـ /

١٩٩٨ م .

❖ النخيلي : درويش

-السفن الإسلامية على حروف المعجم ، دار المعارف ، الطبعة الثانية

القاهرة ١٩٧٩ م .

رابعاً : المراجع الأجنبية المعربة

❖ أس . كلو ذيو ودي . بي . برتو

-حصاد ندوة الدراسات العمانية ، بحث نشر في المجلد الخامس ، علم ١٩٨٠ مسقط .

❖ اندرو ويليا مسون :

- صحار عبر التاريخ ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، العدد الثاني من سلسلة تراثنا ، وزارة التراث القومي و الثقافة ، بسلطنة عمان عام ١٩٧٩ .

❖ برتو بيرسغال، وكلوزيد ورين :

-دراسة حول مناجم النحاس القديمة في عمان ، ندوة الدراسات العمانية لسلطنة عمان . ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

❖ ب . م . كوستا .

-مستوطنة عرجا لتعدين النحاس ، سلسلة من تراثنا ، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، العدد ٤٦ لسنة ١٩٨٣ م .

❖ ت . ج . ويلكينسون

-مشروع التنقيب عن حقول صحار القديمة ، سلسلة تراثنا العدد (٤٩) وزارة التراث القومي ، سلطنة عمان ١٩٨٣ م .

❖ جوبا : انجيورج جوبا :

- الاستخدام الفني للحجارة في عمان ، ترجمة عبد الله الحراسي ، بحث نشر بمجلة نزوى ، العدد الرابع ، ربيع الآخر ١٤١٦هـ / سبتمبر ١٩٩٥ م . ٤٧٠

❖ جون ولكنسون .

- صحار تاريخ وحضارة . سلسلة تراثنا العدد ٢٠ وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، بدون تاريخ .

❖ جي . سي ولكنسن :

- الأفلاج ووسائل الري في عمان ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، وزارة التراث القومي ، سلطنة عمان ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- بنو الجلندى في عمان . سلسلة تراثنا العدد ٣٦ وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، مسقط ١٩٩٤ م .

❖ حوراني : جورج فاضلو .

- العرب والملاحة في المحيط الهندي . ترجمة السيد يعقوب بكر ، الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

❖ دارلي : روبرت إي .

- تاريخ النقود العمانية في سلطنة عمان الناشر : البنك المركزي العماني عام ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

❖ دوزي :

- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ترجمة د. أكرم فاضل نشر في مجلة اللسان العربي ، المجلد الثامن ، ذو القعدة ١٣٧٠ هـ / يناير ١٩٧١ م .

❖ فايجار بر (دكتور) :

- استغلال النحاس في عمان في الألف الثالث قبل الميلاد ، بحث نشر في حصاد ندوة الدراسات العمانية . ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

خامساً: الندوات والبحوث والمنشورات

❖ سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي .

- العوتي بين الفقه والأصول ، من ضمن كتاب قراءات في فكر العوتي

الصحاري ، من منشورات المنتدى الإدي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ / ١٩٩٨ .

-محاضرة له بالمنتدى الأدبي ، نشرت في حصاد المنتدى عام ٩٣ / ١٩٩٤م.

❖ أحمد شلي: (دكتور)

-بحث مقدم إلى ندوة الدراسات العمانية سنة ١٩٨٠ م ، نشر في حصاد

ندوة الدراسات العمانية المجلد ، وزارة التراث القومي والثقافة .

❖ الأطلس الاجتماعي والاقتصادي ، إصدار : مركز المعلومات والتوثيق ،

وزارة التنمية ، سلطنة عمان .

❖ أطلس سلطنة عمان والعالم ، إصدار وزارة التربية والتعليم .

❖ البغدادي : مصطفى محمد: (الدكتور)

- بحث عن مراكز الاستقرار البشري في منطقة الباطنة ، بسلطنة عمان ،

نشر بمجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، العدد السادس

والعشرين ، أغسطس ١٩٩٦ م .

❖ دليل المساجد في سلطنة عمان ، إصدار : وزارة العدل والأوقاف والشؤون

الإسلامية ، عام ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .

❖ الدولة العصرية : إصدار : وزارة الإعلام ، سلطنة عمان .

❖ مايلز .

-الخليج بلدانه وقبائله ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ،
الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .

❖ مونيك كارفران: (دكتور)

-البيوت التقليدية في صحار ، بحث نشر في ندوة الدراسات العمانية ، المجلد
السابع ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .

-مدينة صحار وعلاقتها بطرق الحرير ، حصاد الندوة الدولية لطرق الحرير،
جامعة السلطان قابوس ١٤١٢هـ / ١٩٩١

❖ هنتس .

-المكايل: ترجمة كامل عيسى ، منشورات : الجامعة الأردنية الطبعة ، الثالثة
عمان ، بدون تاريخ .

❖ هيستنجر ، وج همغريز . هميدوز .

-عمان في الألف الثالثة قبل الميلاد إصدار : وزارة التراث القومي ، سلطنة
عمان ، العدد ٤١ من سلسلة تراثنا ، الطبعة الثالثة عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٤ م .

❖ -وندل فيلبس :

-تاريخ عمان : ترجمة محمد أمين عبد الله إصدار : وزارة التراث القومي
سلطنة عمان ١٩٩٤ م .

❖ الراشدي : مبارك بن عبد الله (الدكتور)

-مازن بن غضوية وأثر إسلامه على أهل عمان ، بحث نشر في كتاب من
أعلامنا ، إصدار وزارة التربية والتعليم والشباب بسلطنة عمان .

❖ السري : حسين علي

-بحث : البحرين وعمان في عهد النبوة نشر بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية
جامعة الكويت العدد ٤٠ / ١٩٩٢ م .

❖ سعاد ماهر: (الدكتور)

-الاستحكامات الحربية في مسقط ، بحث نشر في حصاد ندوة الدراسات
العمانية ، المجلد الثاني ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .

❖ السيبي : أحمد بن سعود

-العوتي نسبة ، بحث من ضمن كتاب قراءات في فكر العوتي الصحاري ،
من منشورات المنتدى الإدي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ / ١٩٩٨ .
-مازن بن غضوية حياة من أجل الإسلام ندوة من أعلامنا ، كتاب نشر وزارة
التربية والتعليم ، سلطنة عمان هـ / ١٩٩٠ م .

❖ الصليبي : محمد بن علي الصليبي

-عمان ودورها بين حضارات العالم القديم ، بحث نشر في فعاليات ومناشط
المنتدى الأدبي لعام ٨٩ / ١٩٩٠ م .

❖ عمان ٩٤ : إصدار وزارة الإعلام ، سلطنة عمان .

❖ عمان ٩٦ : إصدار وزارة الإعلام ، سلطنة عمان .

❖ عمان في فجر الحضارة: وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان .

❖ عمان وتاريخها الهجري : إصدار وزارة الإعلام ، سلطنة عمان ، ١٩٧٩ م.

❖ عمان والدولة العصرية : وزارة الإعلام ، سلطنة عمان .

❖ عوض الله : بلاد بونت ، مقال في مجلة نزوى ، العدد السادس ١٩٩٦ م .

❖ الغساني : عبد القادر

-أرض اللبان في سلطنة عمان ، بحث نشر في ندوة الدراسات العمانية ،
المجلد الأول عام ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، الناشر : وزارة التراث القومي والثقافة
الطبعة الثانية بدون تاريخ .

❖ محمد رواس قلعجي: (الدكتور)

-تدخل الدولة في السوق في عهد الخلفاء الراشدين مقال نشر بمجلة الوعي
الإسلامي ، العدد ٤١٠ ربيع الأول ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .

❖ المرهوي : عامر بن علي بن عمير المرهوي .

-عمان قبل وبعد الإسلام ، محاضرة ألقاها في مهرجان العالم الإسلامي بلندن
في عام ١٩٧٩ م ونشرت في سلسلة تراثنا ، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة
عمان ، العدد: ١٢ الطبعة الثالثة عام ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

❖ المعولي : زياد بن طالب المعولي

-مازن بن غضوبة الطائي وأثره في دخول الإسلام في عمان ، بحث نشر
في كتاب من أعلامنا سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م الناشر : وزارة التربية والتعليم ،
سلطنة عمان .

❖ الموجز من تاريخ عمان منشورات وزارة الإعلام ، سلطنة عمان سنة ١٤١٦

هـ / ١٩٩٥ م .

❖ نشرة عن التجميل في صحار ، أعدها مكتب تطوير صحار ، سنة ١٩٩٧ م.

❖ هلال بن علي الهنائي: (دكتور)

—الأنماط المعمارية في عمان عبقرية البناء ، مقال نشر في مجلة نزوى ، العدد الأول ، نوفمبر ١٩٩٤ م .

❖ الوعد والوفاء: منشورات وزارة الإعلام ، سلطنة عمان .

❖ أمبو سعيدي : عبد الله بن مسعود

—عمان في عصر الإمامة الثانية رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، الأردن عام ١٩٩٥ م .

❖ الحارثي : عبد الله بن ناصر

—الأوضاع الاقتصادية في عهد بني نبهان ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة كلية الآداب ١٩٩٠ م .

❖ خميس : على حسن

—التاريخ الحضاري لعمان منذ القرن الرابع الهجري وحتى القرن السادس الهجري: رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة اليرموك ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م .

❖ رمزية عبد الوهاب خير و (دكتور)

—تجارة الخليج العربي وآثارها في الحياة الاقتصادية في منطقة الخليج والعراق في صدر الإسلام ، وحتى نهاية القرن الرابع الهجري . رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم .

❖ العاني : عبد الرحمن عبد الكريم العاني (دكتور)

—عمان في العصور الإسلامية ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج — رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي جامعة بغداد كلية الآداب نشر جامعة بغداد . ١٩٧٦-١٩٧٧ م .

❖ الغيلاني : سعيد بن محمد بن سعيد (دكتور)

-انتشار الإسلام في اقليم الخليج العربي في القرن الأول والثاني الهجري

رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب .

❖ المنذري : خلفان بن محمد (دكتور)

_مختلف الحديث وأثره في الفقه الإباضي ، رسالة دكتوراه ، كلية دار

العلوم، جامعة القاهرة ، سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م

سابعاً : المراجع الأجنبية غير العربية :

- ❖ Freeman - Grenville :
 - Selected Documents On The East Africa, oxford, 1962.
- ❖ John C. Wilkinson :
 - The Imamate tradition of Oman , Cambridge University Press 1987 .
- ❖ Lewis , I . M :
 - Islam in Tropical Africa , Second Edition , London , 1980
- ❖ Marsh , zoe :
 - East Africa Through Contemporary Records , Cambridge , 1961
- ❖ Murbhy , Jefferson :
 - History of African Civilization , New York , 1972
- ❖ Reusch , Richard :
 - History of East Africa , stuttgart , 1954
- ❖ Ronald. , Bailey :
 - Records of Oman 1867-1947 , Asian Affairs , June 95

ملاحق الرسالة

Synopsis

“Suhar; its political history and civilization from the rise of Islam to the end of the fourth century A.H.”

M.A. Thesis

This thesis consists of an introduction, two parts and a conclusion.

The introduction deals, briefly, with the history and geography of Oman. It also treats of the geography of Suhar and the etymology of its name.

The first part covers the political history of Suhar from the rise of Islam to the end of the fourth century A.H. this part is divided into three chapters.

The first chapter explains how the people of Suhar received the call of Islam and how they propagated Islam among the rest of Omani population. It also sheds light on the participation of the people of Suhar in the Islamic conquests during the rightly-guided caliphate.

The second chapter treats of the history of Suhar during the Umayyad caliphate; and discusses the rise of the first imamate in Suhar and the events which took place there until the year 177 A.H.

As for the third chapter, it deals with the rise of the second imamate in Oman in 177 A.H., and the transfer of the center of government from Suhar to Nazwa; and covers the events which took place in Suhar during the second came under the Abbasid rule. So, this chapter also looks into the events which occurred in Suhar from 280 A.H. until the end of the fourth century, a period during which Suhar was under the Abbasid domination.

The second part of this thesis is devoted to examining the various aspects of the civilization of Suhar during the period under discussion. It also consists of three chapter:

The first chapter discusses the administrative system of the government of Suhar and treats of the social and architectural activities there and the main classes of the Suhar society.

The second chapter examines the economic life in Suhar. It sheds lights on agriculture, water resources, irrigation system and the like. It also covers industrial activities such as ship-building, textile industries; iron wooden and leather crafts. . . etc. Trade, both national and international, as thoroughly dealt with in this chapter.

The third and last chapter treats of the religious and cultural life in Suhar. It examines the main religious beliefs and the main Islamic schools of thought; and deals with education and the Muslim scholars of Suhar and their writings, the cultural relation between Suhar and other Muslim places; and the role played by the people Suhar in the propagation of Islam in the places to which they migrated or traveled as trades .

Lastly comes the conclusion in which the main results of this research are pointed out.

جامعة القاهرة
كلية دارالعلوم
قسم التاريخ الإسلامي
والحضارة الإسلامية

صهاروتاريخهاالسياسيوالحضاري

منظهورالإسلاموحتىنهايةالقرنالرابعالهجري

بحث لنيل درجة الماجستير

مقدم من الباحث

محمد بن ناصر بن راشد المنذري

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن سالم

